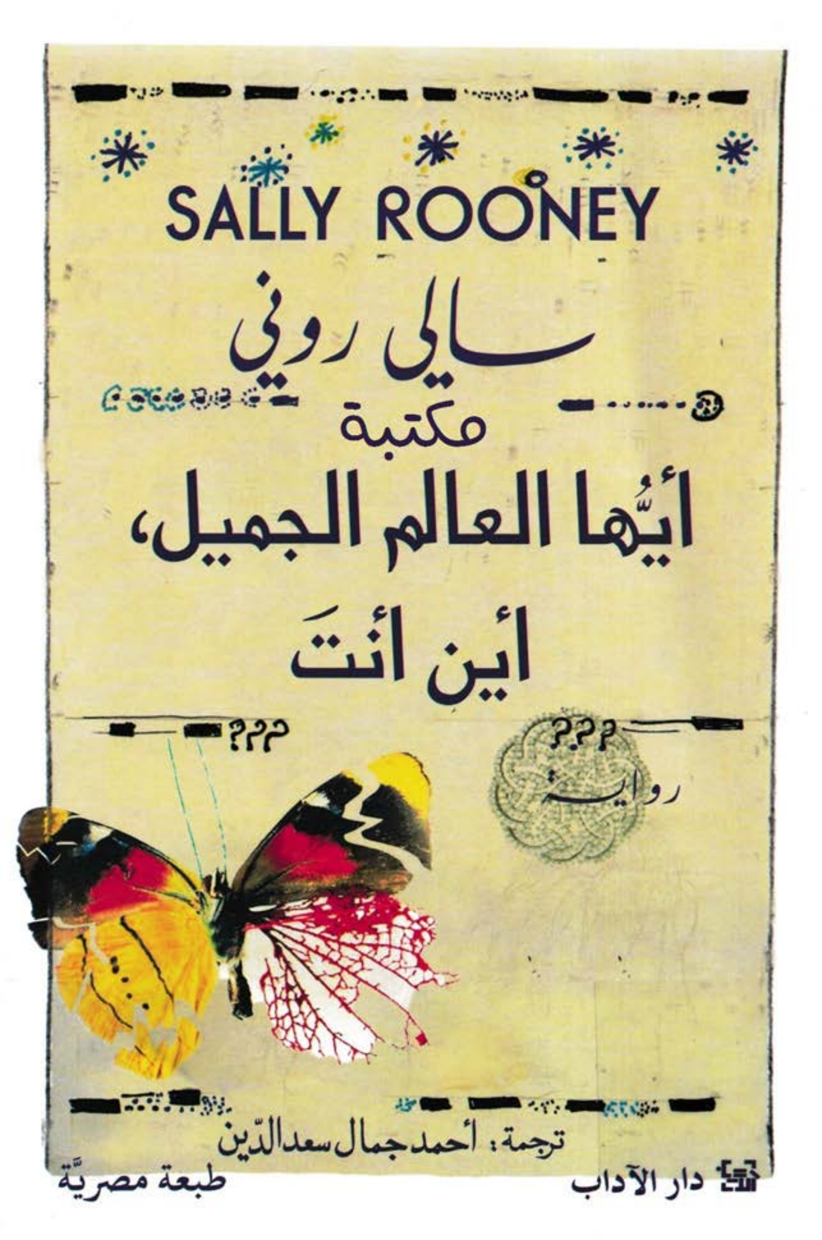

SALLY ROONEY
سالي روني
مكتبة
أيُّها العالم الجميل،
أين أنتَ
رواية
ترجمة: أحمد جمال سعدالدّين
طبعة مصريَّة
دار الآداب

أيُّها العالم الجميل،
أين أنتَ

سالي روني

أيُّها العالم الجميل، أين أنتَ

ترجمة: أحمد جمال سعد الدين

دار الآداب - بيروت

أيُّها العالم الجميل، أين أنتَ

سالي روني/كاتبة إيرلنديَّة

ترجمة: أحمد جمال سعد الدين

الطبعة الأولى عام ٢٠٢٣

طبعة خاصة لمصر عام ٢٠٢٣

ISBN: 978-977-86832-0-2

رقم الإيداع: 16012 / 2023

دار الآداب للنشر والتوزيع



www.diwanegypt.com
publishing@diwanegypt.com
Diwan Publishing
diwan.publishing
Diwan Publishing

٦٣ شارع النادي ناصية شارع ٢٥٠ - المعادي - القاهرة

«عندما أكتب شيئًا ما، أفكِّر عادةً في أنَّه شديد الأهمِّيَّة، وأنَّني كاتبةٌ ممتازة. أظنُّ أنَّ الجميع يشعرون بذلك. لكن هناك ركنًا في رأسي أعرف فيه حقيقتي جيِّدًا؛ أنَّني صغيرة، كاتبةٌ ضئيلة الشأن. أنا متأكِّدة، لكن ذلك لا يهمُّني كثيرًا».

(ناتاليا جينزبيرج - رسالتي)

ترجمة: ديك دايفيس

-1-



جلست امرأةٌ في حانة فندق، تراقب الباب. مظهرها مرتَّبٌ وأنيق: بلوزةٌ بيضاء، شعرٌ أشقر دسَّته خلف أذنيْها. نظرت في شاشة هاتفها، حيث يظهر تطبيق الرسائل، ثمَّ رفعت عينيْها إلى الباب مرَّةً أخرى. نهاية شهر مارس، والحانة هادئة. على يمينها، خارج النافذة، كانت الشمس قد بدأت غروبها فوق المحيط الأطلنطيّ. تجاوز الوقت السابعة بأربع دقائق، ثمَّ خمس، ثمَّ مرَّت ستُّ دقائق. نظرت إلى أظافرها للحظاتٍ من دون اهتمامٍ حقيقيّ. عند الدقيقة الثامنة، دخل رجلٌ من الباب. كان نحيلًا غامقَ الشعر، له وجهٌ ضيِّق. نظر حوله، متفحِّصًا وجوه الجالسين، ثمَّ أخرج هاتفه ونظر في الشاشة. كانت المرأة بجوار النافذة قد لاحظته، لكن بخلاف مراقبته، لم تبذل أيَّ مجهودٍ إضافيٍّ للفت انتباهه. مظهرهما يوحي أنَّهما في العمر نفسه تقريبًا، أواخر العشرينيَّات أو بداية الثلاثينيَّات. تركته واقفًا هناك حتَّى رآها وتحرَّك ناحيتها.

- هل أنتِ أليس؟

أجابت: «أنا».

ـ نعم، أنا فيلكس، آسفٌ على التأخير.

ـ لا بأس.

سألها عن شرابها، ثمّ ذهب إلى المشرَب ليطلبه. سألته النادلة عن يومه:

ـ «بخير. وأنت؟»، أجاب.

طلب فودكا تونيك وكوبًا من البيرة. وبدلًا من حمل زجاجة التونيك إلى الطاولة، أفرغها في الكوب بحركةٍ سريعةٍ متمرّسةٍ من معصمه. نقرت المرأة، التي تنتظر على الطاولة، أصابعها على الورقة الكرتونيَّة أمامها. بدت الطريقة التي تتصرّف بها أكثر انتباهًا ونشاطًا منذ دخل الرجل إلى القاعة. نظرت إلى الغروب في الخارج بنظرةٍ تُشبه الاهتمام، رغم أنّها لم تُعِر هذا المشهد أيَّ التفاتٍ قبل قليل. عندما عاد الرجل ووضع المشروبات على الطاولة، انسكبت قطرةٌ من البيرة، وراقبت هي رحلتها السريعة حتّى وصلت إلى جانب الكوب.

ـ كنت تقولين أنَّك انتقلت إلى هنا قريبًا، أليس كذلك؟

أومأت برأسها، رشفت من كأسها، ثمَّ لعقت شفتها العليا.

ـ لماذا فعلتِ ذلك؟

ـ ماذا تقصد؟

ـ أقصد.. في العادة لا يأتي الناس إلى هنا، بل يخرجون من هنا. هذا هو الطبيعيُّ بشكلٍ ما، يصعب أن تكوني قد جئتِ هنا للعمل مثلًا، أليس كذلك؟

ـ أوه. لا. ليس تمامًا.

نظرةٌ خاطفةٌ بينهما بدت تأكيدًا على أنَّه ينتظر تفسيرًا ما. تحرَّكت تعبيرات وجهها سريعًا، وكأنَّها تحاول اتِّخاذ قرار، ثمَّ ابتسمت ابتسامةً مسترخية، تكاد تكون تآمريَّة.

ـ «حسنًا. كنت أرغب في الانتقال إلى مكانٍ ما على كلِّ حال، ثمَّ سمعت عن منزلٍ خارج البلدة هنا ـ أحد أصدقائي يعرف المالكين. يبدو أنَّهما كانا يحاولان بيع المنزل لفترةٍ طويلة، ثمَّ في النهاية قرَّرا البحث عن شخصٍ يسكن فيه أثناء ذلك. على كلِّ حال، فكَّرت أنَّ السكن بجوار البحر سيكون أمرًا لطيفًا. في الواقع أظنُّ أنَّه كان قرارًا متسرِّعًا.. هذه هي القصَّة كلُّها، لم يكن هناك سببٌ آخر».

كان يصغي إليها وهو يتناول شرابه. قرب نهاية حديثها، بدت مرتبكةً بعض الشيء. تجلَّى ذلك في أنفاسها المتقطِّعة وفي نوع تعبيراتٍ تسخر فيها من نفسها. تابع حديثها بهدوء، ثمَّ وضع كأسه على الطاولة.

ـ حسنًا. وقبلها كنتِ في دبلن، أليس كذلك؟

ـ أماكن مختلفة. عشت في نيويورك لفترة. أنا من دبلن، أظنُّ أنَّني أخبرتكَ بذلك. لكنَّني كنت أعيش في نيويورك حتَّى العام الماضي.

ـ وماذا ستفعلين هنا؟ هل ستبحثين عن عملٍ أو شيءٍ كهذا؟

توقَّفت عن الحديث. ابتسم ثمَّ أرجع ظهره إلى الكرسي، بينما لا يزال ينظر إليها.

ـ آسفٌ على كلِّ هذه الأسئلة، لا أظنُّ أنَّني فهمت القصَّة كلَّها بعد.

ـ لا، لا بأس. لست ماهرةً في الإجابة عن الأسئلة، كما ترى.

ـ ما هو عملك إذن؟ سيكون هذا سؤالي الأخير.

بادلته الابتسام، بصرامةِ هذه المرَّة، ثمَّ قالت: «أنا كاتبة. وماذا عنك؟».

ـ آه. ليست وظيفةً مثيرةً مثل وظيفتك. أريد أن أسأل عن الأشياء التي تكتبين عنها، لكنَّني لن أفعل، أنا أعمل في مستودعٍ خارج البلدة.

ـ ماذا تفعل هناك؟

ـ «حسنًا، ماذا أفعل بالضبط»، كرَّر تلك العبارة بطريقةٍ تفلسفيَّة. «أجمعُ القطع المطلوبة من على الأرفف، ثمَّ أضعها في التروللي ثمَّ أذهب بها إلى حيث يجري تجهيزها. لا يوجد شيءٌ مثيرٌ للدرجة».

ـ لا تحبُّ ما تفعله إذن؟

ـ بالطبع لا. أكرهُ هذا المكان من كلِّ قلبي. لكنَّ المرء لا يحصل على المال لأنَّه يفعل شيئًا يحبُّه، أليس كذلك؟ هذه هي فكرة العمل أصلًا. لو كان ممتعًا لفعلناه من دون مقابل.

ابتسمت، وقالت إنَّ ذلك حقيقيّ. خارج النافذة ازدادت حُلكة الليل، وبدأت الأضواء تظهر بالأسفل عند حديقة الكارافانات: الملح البارد يلمع عند مصابيح الأبواب الأماميَّة، والأضواء الصفراء الأدفأ عند النوافذ. النادلة التي كانت تقف وراء المشرب جاءت لتمسح الطاولات الفارغة بقطعة قماش، المرأة التي تحمل اسم أليس راقبتها لعدَّة ثوانٍ ثمَّ نظرت إلى الرجل مرَّةً أخرى.

ـ كيف يستمتع الناس بأوقاتهم هنا إذن؟.

- مثل أيِّ مكان. بعض الحانات هنا وهناك. هناك ملهى ليليٌّ عند بالينا، يبعد مسافة عشرين دقيقةً بالسيَّارة. هناك بعض مدن الملاهي كما هو واضح، لكنَّها للأطفال أكثر من الكبار. أظنُّ أنَّه ليس لديْكِ أصدقاء هنا حتَّى الآن، أليس كذلك؟

- في الغالب أنت أوَّل شخصٍ أتحدَّث معه منذ انتقلت إلى هنا.

رفع حاجبيْه، وسأل: هل أنتِ خجولة؟

- أخبرني أنت.

نظرا إلى بعضهما، لم يكن يبدو الارتباك عليها الآن، وإن كانت مُتحفِّظةً بشكلٍ ما. جالت عيناه في وجهها، كما لو أنَّه يحاول التوصُّل إلى شيء. وبعد ثانيةٍ أو اثنتيْن، لم يبدُ في النهاية قادرًا على الخروج باستنتاجٍ ناجح.

- أظنُّكِ كذلك بالفعل.

سألته عن مكان سكنِه، فأخبرها أنَّه يستأجر شقَّةً مع أصدقائه في الجوار. نظر من النافذة وأضاف أنَّ بالإمكان رؤية المبنى تقريبًا من حيث يجلسان، بجوار حديقة الكارافانات. مال عبر الطاولة ليريها، ثمَّ تراجع وقال:

«إنَّ الظلام قد خيَّم على كلِّ حال. لكنَّ الشقَّة على الجانب الآخر هناك».

تلاقت عيناهما حينما كان يميل بجسمه. خفضت نظرها إلى حجرها، وحينما عاد إلى مقعده مرَّةً أخرى، بدا وكأنَّه يكتم ابتسامة. سألته عمَّا إذا كان والداه لا يزالان يعيشان في الجوار. قال إنَّ أمَّه توفِّيت العام الماضي، وأباه في مكانٍ «لا يعرفه غير اللَّـه».

ثمَّ أضاف: «لكي أكون منصفًا، فهو على الأرجح في مكانٍ ما مثل جالواي، لن نكتشف أنَّه في الأرجنتين مثلًا. لكنَّني لم أره منذ سنوات».

ـ آسفةٌ بشأن والدتك.

ـ آه. شكرًا.

ـ في الواقع لم أر أبي أنا أيضًا منذ فترةٍ طويلة. شخصٌ يصعب الاعتماد عليه.

رفع فيلكس نظره عن الكأس الذي يحمله، «فعلًا؟ مدمنٌ للشراب؟»، سأل.

ـ ممم. وهو.. يختلق قصصًا غير حقيقيَّة.

أومأ فيلكس برأسه، ثمَّ قال: «ظننت أنَّ هذه هي وظيفتك؟».

احمرَّت وجنتاها بصورةٍ ملحوظةٍ بعد تعليقه، ويبدو أنَّ ذلك قد أدهشه، بل وأقلقه بصورةٍ ما. «دمك خفيف»، ردَّت.

ـ حسنًا. هل ترغبين في مشروبٍ آخر؟

بعد الثاني، شربا الثالث. سألها عمَّا إذا كان لديْها إخوة، فأجابت: «أخٌ واحد». أخبرها أنَّ لديْه أخًا هو الآخر. عند انتهائهما من المشروب الثالث، بدا وجه أليس ورديَّ اللَّون، ولمعت عيناها ببريقٍ هادئ. أمَّا فيلكس فبقي على حاله تمامًا وقت دخوله إلى البار، من دون تغييرٍ في سلوكه ولا نبرة صوته. حدث التغيير الوحيد عندما بدأت تجول بنظراتها على نحوٍ متزايدٍ في أنحاء الغرفة، معبِّرةً عن توزيع اهتمامها بصورةٍ أكبر على ما يحيط بها، إذ أصبح ينظر إليها، عن عمد، بدرجةٍ أكبر من الانتباه. هزَّت أليس الثلج في كوبها الخالي، وكأنَّها تُسلِّي نفسها.

سألته: «هل ترغب في رؤية منزلي؟ كنت أطمح إلى التباهي به لكن ليس لديَّ أحدٌ أدعوه. أقصد.. سأدعو أصدقائي بالطبع في وقتٍ ما. لكن كلَّ واحدٍ منهم في مكانٍ مختلف».

ـ في نيويورك.

ـ أغلبهم في دبلن.

ـ أين يقع المنزل؟ هل يمكننا الذهاب سيرًا؟

ـ بالتَّأكيد. في الواقع ليس لدينا خيارٌ آخر. لا أستطيع القيادة. أتستطيع أنت؟

ـ ليس الآن، لا. لن أخاطر على كلِّ حال. لكنَّني أملك رخصة قيادة. نعم.

ـ «فعلًا؟»، تمتمت. «يا للشاعريَّة! هل ستطلب مشروبًا آخر أم نتحرَّك؟».

استهجن السؤال من دون أن يظهر عليه ذلك، أو ربَّما كان استهجانه للطريقة التي صيغ بها السؤال، وربَّما لاستعمال كلمة «شاعريَّة». كانت تعبث بحقيبة يدها من دون أن ترفع رأسها.

ـ نعم. فلنتحرَّك، لم لا؟

نهضت وبدأت ترتدي معطفها، سترةً مضادَّةً للمطر لها صفٌّ واحدٌ من الأزرار. راقبها وهي تثني كُمَّ المعطف ليتماشى مع الآخر. عندما وقف قائمًا، كان أطول منها بالكاد.

ـ كم يبعد المنزل؟

ابتسمت عابثة، ثمَّ سألته: «هل أنت متردِّدٌ؟ لو تعبت من المشي، يمكنك أن تتركني وتعود أدراجك، أنا معتادةٌ على ذلك تمامًا. معتادةٌ

على المشي أقصد، لا أن يتركني أحدهم. ربّما أكون معتادةً على أن يتركني الآخرون كذلك بصراحة، لكنَّ هذه الأمور ليست ممّا أعترف به للغرباء».

لم يعلّق على أيٍّ ممّا قالت، أومأ برأسه فحسب. بدا وكأنّه يكبح نفسه، رغم ارتسام تعبير تجهُّمٍ خافتٍ على وجهه، وكأنّه قد لاحظ هذا الجانب من شخصيّتها، بعد ساعةٍ أو اثنتيْن من الحديث، ميلها إلى نوعٍ ذكيٍّ من المزاح وإسهابها في الكلام، ثمّ قرّر أن يتجاهل هذه الصفات. وفي طريقهما إلى الخروج من المكان، تمنّى ليلةً سعيدةً للنادلة. بدت أليس مندهشةً من هذا التصرُّف، واختلست نظرةً من فوق كتفها إلى الخلف، وكأنّها تحاول رؤية هذه المرأة لمرّةٍ أخرى. وعندما خرجا إلى الممرّ، سألته إن كان يعرفها. الأمواج تتكسّر خلفهما باندفاعٍ بطيءٍ ساكن، والجوُّ بارد.

قال فيلكس: الفتاة التي تعمل هناك؟ أعرفها. نعم. سينيد. لماذا؟

ـ سوف تتساءل عمّا كنت تفعلُه هناك، جلوسكَ معي وحديثنا.

بنبرةٍ محايدة، أجاب فيلكس: «أظنُّ أنّها ستكوّن فكرةً ما. إلى أين سنذهب؟».

وضعت أليس يديْها في جيب المعطف، وبدأت المشي صاعدةً التلّ. شعرت بنوعٍ من التحدّي أو حتّى الاستنكار في نبرة حديثه، وبدلًا من تحجيمها، زاد ذلك من إصرارها على ما يبدو.

ـ لماذا؟ عادةً ما تقابل نساءً هناك؟

كان عليه أن يمشي بسرعةٍ ليحافظ على المسافة بينهما. أجاب: «سؤالٌ غريب».

ـ فعلًا؟ أظنُّ أنّني شخصيَّةٌ غريبة.

ـ ما الذي يهمُّك في ما إذا كنت أقابل الناس هناك؟

ـ لا يعنيني أيُّ شيءٍ يتعلَّق بك، بطبيعة الحال. أشعر بالفضول لا أكثر.

بدا أنَّه يفكِّر فيما قالته. في الوقت نفسه، كرَّر بنبرة صوتٍ أهدأ وأقلَّ حسمًا:

ـ «نعم. لكنَّني لا أفهم لماذا يهمُّك الأمر؟»، وبعد عدَّةِ ثوانٍ، أضاف: «لعلمكِ فقط، أنتِ من اقترح اللِّقاء في هذا الفندق. لا أذهب إلى هناك أصلًا. لهذا، فالإجابة: لا. لا أقابل الناس هناك كثيرًا. هل هذه إجابةٌ مرضية؟».

ـ لا بأس، لا بأس. شعرتُ بالفضول فحسب بعد ملاحظتك التي تقول فيها إنَّ الفتاة عند البار «سَتكوِّن فكرةً ما» عمَّا كنَّا نفعله هناك.

ـ حسنًا، أنا متأكِّدٌ أنَّها فكَّرت في أنَّنا نجلس هناك في موعدٍ غراميّ.

ـ هذا كلُّ ما قصدته.

لم تكن تنظر إليه، وبدأ تعبيرٌ عابثٌ يتسلَّل إلى وجهها، يوحي بأنَّها تتسلَّى بما يحدث أكثر من السَّابق، أو بالأحرى: نوعٌ مختلفٌ من التسلية.

سألته: «ألا تهتمُّ بأنَّ أشخاصًا تعرفهم سيرونك في مواعيد غراميَّةٍ مع غرباء؟».

ـ تقصدين أنَّ ذلك سيُربكني، أو شيئًا كهذا؟ لا. لن يزعجني ذلك كثيرًا.

دار الحديث عن حياة فيلكس الاجتماعيَّة خلال باقي التمشية لمنزل أليس، بينما كانا يسيران على طول طريق الساحل. طرحت أليس عددًا من الاستفسارات عن الموضوع، وكان فيلكس يُمعن التَّفكير فيها ثمَّ يجاوب. ارتفع صوتهما للتغلُّب على الهدير القادم من البحر. لم يستغرب أسئلتها، وأجاب بأريحيَّة، لكن من دون استفاضةٍ في الحديث، أو التبرُّع بأيِّ معلوماتٍ تتجاوز المطلوب. أخبرها أنَّ علاقاته الاجتماعيَّة هي بالأساس مع أشخاصٍ يعرفهم من أيَّام المدرسة، أو عرفهم بعد ذلك من العمل. تتقاطع الدائرتان من وقتٍ لآخر، لكن ذلك لا يحدث كثيرًا. لم يطرح عليها أيَّ أسئلةٍ في المقابل، ربَّما لأنَّ إجاباتها المتحفِّظة على الأسئلة التي طرحها في السَّابق قد أثارت لديْه شعورًا بالتحفُّظ، أو ربَّما لأنَّه لم يَعُد مهتمًّا.

ـ «هنا»، قالت له، في نهاية الطريق.

ـ أين؟

فتحت بوابةً بيضاء صغيرةً، وأشارَت: «هنا». توقَّف عن المشي ونظر إلى المنزل. يقع أعلى حديقةٍ خضراء طويلةٍ ومنحدرة. لم تكن أيٌّ من النوافذ مضاءة، والكثير من تفاصيل واجهة المنزل غير واضح. لكن تعبير وجهه أشار إلى أنَّه يعرف أين هما.

ـ هل تعيشين في منزل كاهن الأبرشيَّة؟

ـ أوه. لم أدرك أنَّك ستلاحظ ذلك. كنت سأُخبرك ونحن في الحانة. لا أحاول ادِّعاء الغموض.

كانت تُمسك البوابة مفتوحةً له، سار وراءها، بينما كانت عيناه لا تزالان مثبَّتتيْن على هيكل المنزل الذي يلوح فوقهما مواجهًا البحر.

حولهما كانت الحديقة الخضراء المعتِّمة تصدر أصواتًا خافتةً بفعل الريح. مشت بخفَّةٍ صاعدةً الممرّ، وبحثت في حقيبة يدها عن مفاتيح المنزل. كان صوت المفاتيح مسموعًا من مكانٍ ما داخل الحقيبة، لكن بدا أنَّها غير قادرةٍ على الوصول إليها. وقف في مكانه من دون أن يقول شيئًا. اعتذرت عن التأخير، وهي تُشعل مصباح هاتفها، ملقيةً بالضوء على داخل الحقيبة، وبظلٍ رماديٍّ باردٍ على السلالم الأماميَّة من المنزل كذلك. كان يضع يديْه في جيبه.

«وجدتها»، قالَت. ثمَّ فتحت الباب.

مدخلٌ واسع، البلاط يحمل أنماطًا متبادلةً من اللَّونيْن الأحمر والأسود. أباجورةٌ من الزجاج الرخاميِّ مثبَّتةٌ فوق مستوى الرأس، وطاولةٌ نحيلةٌ رقيقةٌ تمتدُّ بجوار الحائط، وعليها نقشٌ يُصوِّر حيوان قندس. ألقت بمفاتيحها على الطاولة، واختلست نظرةً للمرآة القاتمة المليئة بالبقع على الجدار.

ـ هل تستأجرين المكان وحدك؟

ـ أعرف أنَّه كبيرٌ للغاية، كما هو واضح. كما أنفق ثروةً على التدفئة. لكنَّه مكانٌ لطيف، أليس كذلك؟ لا يطلبون منِّي دفع الإيجار. فلنذهب إلى المطبخ. سأُشعل جهاز التدفئة.

سار وراءها في الردهة وصولًا إلى مطبخٍ واسع. وحداتٌ مثبَّتةٌ على أحد الجوانب، طاولة طعامٍ على الناحية الأخرى. فوق الحوض نافذةٌ تطلُّ على الحديقة الخلفيَّة. وقف عند الباب بينما دخلت هي لتفحُّص أحد المكابس.

التفتت إليه.



ـ يمكنكَ الجلوس إذا أردت، أو البقاء واقفًا، إذا كنت تفضّل ذلك، على أيِّ حال. هل تريد كأس نبيذ؟ الشيء الوحيد عندي في البيت، أقصد فيما يتعلّق بالشراب. لكنّني سأشرب كوبًا من الماء أوّلًا.

ـ ما نوعُ الأشياء التي تكتبين عنها؟ لو أنّك كاتبة.

التفتت، مرتبكة، وقالت: «لو أنّني؟ هل تظنُّ أنّني أكذب عليك؟ كنت لأختلق كذبةً أفضل. أنا روائيّة. أكتب كتبًا».

ـ وهل تكسبين نقودًا من ذلك؟

ألقت بنظرةٍ جديدةٍ عليه، وكأنّها استشعرت دلالةً جديدةً في هذا السؤال، ثمّ عادت لصبِّ الماء في الكوب.

«نعم. أفعل»، أجابت.

استمرَّ في مراقبتها، ثمّ جلس إلى الطاولة. كانت المقاعد مزوّدةً بالوسائد، يحيط بها قماشٌ خمريٌّ مجعَّد. كلُّ شيءٍ بدا في غاية النظافة. لمس سطح الطاولة الناعم بطرف سبّابته. وضعت أمامه كوبًا من الماء، ثمّ جلست على أحد المقاعد.

ـ هل جئتَ إلى هنا من قبل؟ أنت تعرف المنزل.

ـ لا. أعرفه لأنّني كبرتُ في البلدة. لم أعرف شخصًا عاش فيه من قبل.

ـ أنا بالكاد أعرفهم. زوجان مسنّان. المرأة فنّانةٌ حسبما أظنّ.

أومأ برأسه ولم يعلّق.

ـ سآخذكَ في جولةٍ إذا أردت.

لم يقل شيئًا، ولم يومئ حتّى برأسه هذه المرّة. ولكن لم يبدُ أنَّ ذلك قد أزعجها، وكأنَّ ذلك قد أكَّد شكًّا يساورها، وعندما استكملت كلامها، كانت تتحدَّث بالنبرة الجافَّة نفسها، التي تكاد تكون تهكُّميَّة.

ـ لا بدَّ وأنَّك تظنُّ أنَّني مجنونةٌ لأعيش هنا وحدي.

ـ من دون إيجار؟ اللَّعنة! ستكونين مجنونةً لو لم تفعلي.

تثاءب بتلقائيَّة، ونظر من النافذة، أو إلى النافذة، فالظلام كان قد خيَّم في الخارج، ولم يكن الزجاج يعكس إلَّا ما بداخل الحجرة.

ـ كم عدد غرف النوم هنا؟ على سبيل الفضول فحسب.

ـ أربع.

ـ وأين غرفتك؟

لم تحرِّك عينيْها في البداية استجابةً لسؤاله المفاجئ، بقيت تحدِّق عمدًا في كوبها لبضع ثوان، قبل أنَّ تنظر مباشرةً إليه.

ـ في الطابق العلويّ. كلُّ الغرف في الطابق العلويّ. هل ترغب في رؤيتها؟

ـ لمَ لا؟

تركا الطاولة. أمام السلَّم العلويّ سجَّادةٌ تركيَّةٌ لها شراشيب رماديَّة اللَّون. دفعت أليس باب غرفتها وأشعلت مصباحًا أرضيًّا. على اليسار سريرٌ مزدوجٌ كبير. لا شيء يغطِّي الأرضيَّة، وفي أحد الجدران، وضِعت مدفأةٌ بلاطها أخضر اللَّون. على اليمين نافذةٌ كبيرة، بإطاريْن منزلقيْن، تُطلُّ على البحر، يبدو منها الظلام في الخارج. جاب فيلكس

المكان، وصولًا إلى النافذة، ثمَّ مال قريبًا من الزجاج، فخيَّم ظلُّه على وهج الضوء المنعكس.

ـ لا بدَّ أنَّ المنظر جميلٌ هنا في النهار.

كانت أليس لا تزال واقفةً عند الباب.

ـ نعم، جميل. بل ويصبح أجمل في الليل أصلًا.

التفتَ بعيدًا عن النافذة، مرسلًا نظرات تقييمٍ على معالم الغرفة الأخرى، بينما كانت أليس تنظر إليه.

في النهاية خلص إلى القول:

ـ جميلةٌ جدًّا. غرفةٌ جميلةٌ جدًّا. هل ستؤلِّفين كتابًا خلال فترة بقائك هنا؟

ـ سأحاول. أظنُّ ذلك.

ـ وما هي الأشياء التي تكتبين عنها؟

ـ آه. لا أعرف. الناس.

ـ تعبيرٌ مبهمٌ بعض الشيء. ما نوع الأشخاص الذين تكتبين عنهم. أشخاصٌ مثلك؟

نظرت إليه بهدوء. وكأنَّها تُخبره بشيءٍ ما: أنَّها فهِمت لعبته، ربَّما، وأنَّها ستتركه يفوز، طالما سيلعب بلطف.

ـ أيُّ نوعٍ من الأشخاص تظنُّني؟

بدا أنَّ شيئًا في هدوء مظهرها غير المبالي قد أربكه بصورةٍ ما. أطلق ضحكةً سريعةً حادَّة.

ـ «حسنًا، حسنًا. لم أقابلك إلّا منذ ساعاتٍ قليلة. لم أحسم قراري بشأنكِ بعد».

ـ ستُخبرني حين تفعل، كما آمل.

ـ ربّما.

لعدَّةِ ثوان، وقفت في مكانها بالغرفة، ثابتةً تمامًا، بينما تجوَّل في الأنحاء قليلًا، وتظاهر بأنَّه ينظر إلى الأشياء. في تلك اللحظة، عرف كلاهما ما يوشك على الحدوث، رغم أنَّ أيًّا منهما لم يكن قادرًا على تحديد الطريقة التي عرف بها. بقيت منتظرةً من دون تعبير، بينما استمرَّ هو في النظر حوله، وفي النهاية، ربّما لأنَّه لم يَعُد يملك طاقةً لتأجيل ما لا بدَّ منه، شكرها وغادر. نزلت معه بعض السلالم. كانت واقفةً على أحدها حينما خرج من الباب. أحيانًا تحدث أشياء كهذه. شعر كلاهما بالسُّوء بعد ذلك، ولم يعرف أيٌّ منهما بالتَّحديد لماذا آلت الأمسيَّة إلى هذا الفشل في النهاية. وبينما كانت واقفةً هناك على السلالم، وحدها، أعادت النظر إلى بسطة السلَّم. اتَّبعَ نظراتها الآن، ولاحظ باب غرفة النوم المتروك مفتوحًا، والشريحة بيضاء اللَّون من الجدار التي يمكن رؤيتها عبر أعمدة الدرابزين.

-2-

العزيزة إيلين. انتظرتُ ردَّكِ طويلًا على رسالتي الإلكترونيَّة الأخيرة، لدرجة أنَّني ـ تخيَّلي!ـ أكتب في الواقع رسالةً جديدةً قبل أن أتلقَّى الردّ. لكن لديَّ تبرير. كانت الفترة الماضيَّة مليئةً بكثيرٍ من الأحداث، ولو انتظرت ردَّكِ فسيبدأ النسيان في التسلُّل إليَّ. عليكِ أن تعرفي أنَّ مراسلاتنا هي طريقتي للتمسُّك بالحياة، فبتدوين الملاحظات، أتمكَّنُ من الحفاظ على جزءٍ ـ كان ليصبح عديم القيمة تقريبًا، أو بالكامل ـ من وجودي على هذا الكوكب الآخذ في التداعي بسرعة.

أورِدُ هذه الفقرة بالأساس كي أشعركِ بذنب عدم الردّ عليَّ حتَّى الآن، وبالتالي أضمن لنفسي ردًّا أسرع منك هذه المرَّة. ما الذي تفعلينه أصلًا بدلًا من الردِّ عليَّ؟ لا تقولي العمل.

أكاد أُجنُّ من الإيجار الذي تدفعينه في دبلن. هل تعرفين أنَّ أسعار الإيجارات هناك أعلى من باريس هذه الأيَّام؟ وإضافةً إلى ذلك،

اعذريني، تفتقر دبلن إلى كثيرٍ من الأمور المتاحة في باريس. إحدى المشاكل هي أنَّ دبلن، بالمعنى الحرفيّ والطوبوجرافيّ، مدينةٌ مسطَّحة. لذا فكلُّ شيءٍ هناك يحدث على مستوى واحد. تملك المدن الأخرى شبكات مترو تضيفُ عمقًا للمدينة، أو تلالًا شديدة الانحدار أو ناطحات سحابٍ تُكسبها ارتفاعًا، لكن ليس في دبلن إلَّا أبنيَّة رماديَّة قصيرة رابضة، وعربات ترام تقطع المدينة. لا ساحات ولا حدائق فوق أسطح المنازل مثل المدن العالميَّة، أشياء تكسر امتداد السطح على الأقلّ. لا على مستوى الأفق البصريّ حتَّى.. أقلَّه من ناحية المفهوم.

هل فكَّرتِ في الأمر بهذه الطريقة من قبل؟ حتَّى لو لم تفعلي، فبالتَّأكيد لاحظتِ ما أقول، ولو بصورةٍ غير واعيَّة. في دبلن، يصعب الصعود إلى مكانٍ شديد الارتفاع، أو الهبوط إلى مكانٍ شديد الانخفاض. يصعب أن ينغمس المرء بالكامل في شيءٍ ما، أو يبتعد عن الناس، أو حتَّى أنَّ يطوّر منظورًا يخصُّه. قد تظنّين أنَّها مدينةٌ مُنشأةٌ على نحوٍ ديموقراطيّ، يحدث كلُّ شيءٍ فيها في حضور كلِّ شيءٍ آخر، أقصد.. الأحداث كلُّها على قدم المساواة. هذا صحيح. لا أحد ينظر إليكِ من الأعلى. لكنَّ ذلك الوضع يسمح للسماء بسيطرةٍ كاملة. سماءٌ لا يكسر امتدادها أيُّ شيءٍ له معنى على الإطلاق. ربَّما ستشيرين إلى «سباير دبلن»، وسأسلِّم لك بذلك. وهو على كلِّ حال، أضيق الانقطاعات الممكنة. يتدلَّى وكأنَّه شريط قياس، كاشفًا عن الحجم الضئيل للمباني المحيطة. إنَّ الأثر الشموليّ الذي تُحدثه السماء هناك ضارٌّ بالناس. لا يوجد أيُّ شيءٍ يتداخل ليعيق الرؤية. وكأنَّها تذكرةٌ دائمةٌ بالموت(1). أتمنَّى لو أنَّ شخصًا ما يحدث خرقًا فيها لأجلك.

---

(1) في الأصل: memento mori. عبارة لاتينيَّة، معناها الحرفيّ: تذكَّر أنَّك ستموت.

مؤخَّرًا كنت أفكّر في سياسات اليمين (ألا نفعل جميعًا؟!)، وكيف أنَّ النزعات المحافظة (القوَّة الاجتماعيَّة) قد أصبحت مرتبطةً برأسماليَّة سوقٍ متوحّشة. ليست العلاقة واضحة، على الأقل بالنّسبة إليّ، خاصَّةً وأنَّ الأسواق لا تحافظ على أيِّ شيء، بل تبتلع كافَّة صور المشهد الاجتماعيّ الموجودة، ثمَّ تعيد إفرازها من جديد، مُجرَّدةً من المعنى والذاكرة، وكأنَّها معاملةٌ ماديَّة. ما الذي يمكن أن يوصف بالـ'محافظة' في عمليَّةٍ كهذه؟ لكن يبدو لي أنَّ فكرة 'المحافظة' تلك، في ذاتها، مزيَّفة. فلا شيء يمكن حفظه بهذه الطريقة. يتحرَّك الزمن في اتِّجاهٍ واحدٍ فحسب، هذا ما أقصده. هذه الفكرة شديدة البدائيَّة لدرجة أنَّني عندما فكَّرت فيها للمرَّة الأولى، شعرتُ أنَّني شديدة الذكاء. ثمَّ تساءلت إن كنتُ حمقاء. هل تفهمين ما أقصده؟ ليس بإمكاننا الحفاظ على أيِّ شيء، تحديدًا العلاقات الاجتماعيَّة، من دون تغيير طبيعتها، ومن دون إعاقة بعض جوانب تفاعلاتها مع الزمن، بصورةٍ غير طبيعيَّة. تأمَّلي فحسب الطريقة التي يتعامل بها المحافظون مع البيئة: فكرتهم عن الحفاظ على الطبيعة هي الاستخراج والسلب والتدمير، فـ'هذا هو ما كنَّا نفعله دائمًا'، لكن هذا هو السَّبب تحديدًا في أنَّ الأرض قد اختلفت تمامًا عن الأرض التي فعلنا بها هذه الأشياء. ربَّما تظنّين أنَّ هذه الأفكار شديدة البساطة، بل وأنَّ طريقة تفكيري ليست جدليَّة. لكن هذه ليست إلَّا مجموعة أفكارٍ مجرَّدةٍ تُشغل بالي، شعرت بحاجةٍ لكتابتها، ثمَّ ها أنت تقرأينها (سواءً أردت ذلك أم لا).

كنت في محلٍّ قريبٍ اليوم، أشتري شيئًا لوجبة العشاء، عندما داهمني أغربُ شعورٍ ممكن، إدراكٌ عشوائيٌّ بأنَّ هذه الحياة التي بين أيدينا هي احتمالٌ كان يصعب تحقيقه. سأشرح لك، فكَّرت في باقي

المجتمعات البشريَّة كلِّها ـ وأغلبهم يعيشون في ظروفٍ كنَّا لنعتبرها، أنا وأنت، فقرًا مدقعًا ـ وأنَّ هؤلاء الأشخاص لم يدخلوا في حياتهم محلًّا كهذا أو يروه. وأنَّ هذا، كلَّ هذا، يعتمد بالكامل على ما يقومون به من عمل! نمط الحياة هذه التي يعيشها أشخاصٌ مثلنا! العبوات البلاستيكيَّة التي تضمُّ أصنافًا مختلفةً من المشروبات الغازيَّة، وجبات الغذاء الجاهزة، الحلوى داخل أكياسٍ مغلقةٍ بإحكام، والمعجَّنات المخبوزة داخل المحلّ. هكذا الأمر. ثمرة العمالة بأكملها في هذا العالم. كلُّ الوقود الأحفوريِّ المحترق، وكافَّة الوظائف التي تقصم الظهر في مزارع القهوة وقصب السكَّر. كلُّ هذا لكي نصل إلى هنا. هذا السوبر ماركت! هذه الأفكار أصابتني بالدوار. صدِّقيني، شعرت بالغثيان حقًّا. وكأنَّني أدركتُ أنَّ حياتي كلَّها جزءٌ من برنامجٍ تلفزيونّي، وأنَّ كلَّ يومٍ يشهد موت أشخاصٍ أثناء إعداد هذا البرنامج، محكومٌ عليهم بهذا المصير بأبشع الطرق، نساء، أطفال، كلُّ ذلك لتتاح أمامي اختيارات غذاءٍ مختلفة، كلُّ واحدةٍ منها مغلفةٌ بعدَّةِ طبقاتٍ من البلاستيك المُعدّ للاستخدام مرَّةً واحدة. ماتوا من أجل ذلك. هذه هي التجربة الكُبرى. شعرت أنَّني على وشك التقيؤ. بالطبع لا يمكن لشعورٍ كهذا أن يستمرّ. سأشعر بالسُّوء لباقي اليوم ربَّما، أو حتَّى لباقي الأسبوع. وإن يكن. لا يزال يتوجَّب عليَّ أن أشتري طعام الغذاء. ولو كان ذلك يقلقك، فلا داعي. اطمئنّي. اشتريت غذائي بالفعل.

آخر أخبار حياتي الريفيَّة ثمَّ سأنهي هذه الرسالة. المنزل ضخمٌ لدرجةٍ مُربِكة، وكأنَّ غرفًا جديدة، لم يسبق رؤيتها من قبل، تتوالد داخله بصفةٍ منتظمة. المنزل باردٌ أيضًا ورطبٌ في بعض أماكنه. يقع على بعد عشرين دقيقةً سيرًا على الأقدام من المحل الذي حكيت لك عنه منذ

قليل، وأشعر كأنَّ أغلب وقتي ينقضي في الذهاب والعودة، لأشتري أشياء نسيت شراءها في المرَّة السَّابقة. لا بدَّ أنَّ ذلك سيحسِّن طباعي، وعندما نتقابل مجدَّدًا، ستكون عندي شخصيَّةٌ مذهلة. قبل عشرة أيَّام، خرجت في موعدٍ مع شخصٍ يعمل في مستودع شحن، وقد كرهني تمامًا. ولأكون منصفةً مع نفسي (مثلما هو الحال دائمًا)، فأظنُّ أنَّني قد نسيت، في الوقت الحالي، الطريقة التي تجري بها العلاقات الاجتماعيَّة. يرهبني أنَّ أتخيَّل تعبيرات وجهي، وسط محاولاتي للتظاهر بأنَّني شخصٌ يتفاعل مع الناس بصورةٍ مستمرَّة. حتَّى وأنا أكتب هذا الإيميل، أشعر أنَّني مهزوزةٌ قليلًا، وغير مستقرَّةٍ تمامًا. لريلكه قصيدةٌ نهايتها: «يبقى الوحيد وحيدًا/ يظلُّ مستيقظًا، يقرأ، يكتب رسائل طويلة/ ويهيم قلقًا على وجهه في السبل، هنا وهناك/ بينما تتطاير الأوراق المتساقطة». هذا وصفٌ أفضل، لم أكن لأبتكره من تلقاء نفسي، لحالتي الآن، بغضِّ النظر عن أنَّ هذا هو شهر إبريل، وأنَّ الأوراق لا تتطاير. سامحيني على 'الرسالة الطويلة' إذن. أتمنَّى أن تأتي لرؤيتي. أحبُّك أحبُّك.

أليس.

-3-

في يوم الأربعاء، عند الساعة الثانية عشرة والثلث بعد الظهر، جلست امرأةٌ تتصفَّح ملفًا نصِّيًا من مكانها وراء أحد المكاتب في مساحة عملٍ مشتركة، داخل مركز تسوُّقٍ بدبلن. شعرها داكن، سحبته إلى الخلف كيفما أتفق داخل مشبكٍ على شكل صدفة سلحفاة، ترتدي سترةً رماديَّةً دسَّتها في بنطال أسود ساقه كالسيجارة. مرَّت ببصرها على الملفّ أمامها في شاشة كمبيوتر، باستخدام كرة الفأرة الناعمة، وعيناها تتحرَّكان سريعًا، ذهابًا وإيَّابًا، بين سطور النصّ الضيِّقة. كانت تتوقَّف من حينٍ لآخر، وتنقر على الفأرة، ثمَّ تضيف بعض الحروف أو تحذفها. عادةً ما كانت تضيف نقطتيْن في اسم 'دبليو إتش أودن'، بهدف توحيد طريقة كتابته في الملفّ لتصبح: 'دبليو. إتش. أودن'. عندما وصلت إلى نهاية الملفّ، فتحت شريط بحث، واختارت 'مطابقة حالة الحروف'، وبحثت عن 'دبليو إتش'. لم تظهر أيُّ نتيجةٍ للبحث. حرَّكت الملفَّ باستخدام الفأرة إلى الأعلى مرَّةً أخرى، فمرَّت الكلمات والفقرات بسرعةٍ شديدةٍ

لدرجة أنَّها أصبحت غير مقروءةٍ في الغالب. تأكَّدت من حفظ تعديلاتها، ثمَّ أغلقت الملفّ، وبدا عليها الرضا.

عند الواحدة، أخبرت زملاءها أنَّها ستذهب لتناول الغذاء. ابتسموا ولوَّحوا لها، من خلف شاشاتهم. ارتدت معطفها، وسارت إلى مقهى بجوار المكتب وجلست إلى طاولةٍ بجوار النافذة، تتناول شطيرةً بإحدى يديْها، وبالأخرى تقرأ رواية **الإخوة كارامازوف**[1]. من وقتٍ لآخر، تضع الكتاب جانبًا، ثمَّ تمسح يديْها وفمها بمنديلٍ ورقيّ، وتلقي نظرةً على الحُجرة، كأنَّها تتأكَّد ممَّا إذا كان أحدٌ من الجالسين هناك يبادلها النظر، وتعود إلى كتابها. عند الساعة الثانية والثلث، رفعت رأسها وثبَّتته على رجلٍ طويلٍ مُرتَّب الشعر يدخل إلى المقهى. يرتدي بذلةً وربطة عنقٍ وشريطًا بلاستيكيًّا ينتهي ببطاقة تعريفٍ حول رقبته، ويتحدَّث في هاتفه.

سمعته يقول: «نعم. عرفت يوم الثلاثاء، لكنَّني سأتَّصل بك مرَّةً أخرى ونتأكَّد من المسألة معًا».

تغيَّر وجهه عندما رأى المرأة الجالسة عند النافذة، ورفع يده التي لا تمسك الهاتف، محرِّكًا شفتيْه بكلمة: «أهلًا». في حين تابع حديثه عبر الهاتف:

ـ لا أظنُّ أنَّهم أرسلوا لك الإيميل، لا.

نظر إلى المرأة وأشار إلى الهاتف بنفاذ صبر، وحرَّك يديْه بإشارة الحديث. ابتسمت، بينما كانت تعبث بركن صفحة الكتاب الذي تمسك به.

---

(1) واحدة من أشهر روايات الأديب الروسيّ فيودور دوستويفسكي.

قال الرجل: «صحيح، صحيح. اسمع. لقد خرجت من المكتب الآن في الواقع، لكنّني سأتّصل بكَ بمجرَّد العودة. نعم. حسنًا. حسنًا. سعدتُ بالحديث معك».

أنهى الرجل مكالمة الهاتف، واقترب من الطاولة التي تجلس عليها. تفحَّصَته بنظراتها، ثمَّ قالت:

«سايمون، تبدو شخصًا مهمًّا. أخشى أنَّ أحدهم سيحاول اغتيالك».

أمسك الشريط البلاستيكيَّ حول عنقه ودرسه بنظرةٍ مدقِّقة، ثمَّ ردَّ:

«هذا الشيء، أليس كذلك؟ يُشعرني بذلك فعلًا. هل يمكنني أن أدعوكِ إلى قهوة؟».

أخبرَتهُ أنَّها ستعود إلى المكتب لتعمل.

ـ حسنًا. هل أشتري لكِ كوب قهوةٍ ونسير معًا إلى العمل؟ أريد رأيك في أمرٍ ما.

أغلقت كتابها ووافقت. ذهب ليطلب، بينما وقفت وأزاحت بيدها فتات الشطيرة التي سقطت على حجرها. طلب كوبي قهوة، أحدهما بيضاء، وألقى ببعض العملات في صندوق البقشيش. وقفت المرأة بجواره، أزالت المشبك من شعرها، ثمَّ أعادت تثبيته.

سألها الرجل: «كيف حال لولا؟ هل سارت الأمور على ما يرام في قياس الفستان؟».

رفعت المرأة عينيْها إلى الأعلى لتقابل عينيْه، وأطلقت صوتًا مكتومًا غريبًا. أجابت: «آه. تمام. أمّي في المدينة كما تعرف. لذا سنتقابل كلُّنا غدًا لنقرِّر ما سنرتديه في الزفاف».

ابتسم بلطف، بينما يراقب عمليّة تحضير القهوة خلف الكاونتر.

ـ غريب. رأيت حلمًا سيّئًا اللّيلة الماضية، أنَّكِ ستتزوَّجين.

ـ ما السيِّئ في هذا؟

ـ كنت تتزوَّجين شخصًا غيري.

ضحكت ثمَّ قالت: «هل تتحدَّث مع النساء اللواتي يعملن معك بهذه الطريقة؟».

بدا عليه الاستمتاع وهو يلتفت إليها، ثمَّ أجاب: «ماذا؟ طبعًا لا. كنت لأقع في مشكلةٍ كبيرة. وبكلِّ صدقٍ، لا. لا أتصرَّف بهذه الطريقة أبدًا في العمل. هنَّ من يفعلنَ ذلك على كلِّ حال».

ـ كلُّهنَّ إذن نساءٌ في منتصف العمر يردنك زوجًا لبناتهنّ.

ـ لا يمكنني أن أوافق على ثقافة التَّصوير السلبيّ للنساء في منتصف أعمارهنّ. في الواقع، أظنُّ أنَّني أفضِّلهنَّ عن باقي الفئات العمريَّة.

ـ وما الذي يعيب المرأة الشابَّة؟

حرَّك يديْه من جانبٍ إلى آخر في الهواء، ليشير إلى الخلافات، الشكّ، التناغم الجنسيّ، التردُّد، أو ربَّما: ميديوكر.

أشارت المرأة: «لكنَّك لم تدخل أبدًا علاقةً مع امرأةٍ متوسّطة العمر».

ـ ولستُ بمتوسّط العمر أنا أيضًا، حتَّى الآن. شكرًا لك.

في طريقهما خارج المقهى، أمسك الرجل الباب للمرأة، خرجت من دون أن تشكره.

سألته: «ما الذي أردت أن تتحدَّث عنه؟».

سار بجوارها في الشارع متَّجهيْن إلى المكتب حيثُ تعمل، أخبرها أنَّه يريد نصيحتها بشأن مشكلةٍ اندلعت بين اثنيْن من أصدقائه. بدا أنَّ المرأة تعرفهما بالاسم. في البداية عاشا معًا في البيت نفسه، ثمَّ انخرطا فيما يمكن أن نطلق عليه علاقةً جنسيَّةً غير واضحة المعالم. مرَّ بعض الوقت، وبدأ أحدهما يقابل أشخاصًا آخرين، والآن، الطرف الآخر، الذي لا يزال أعزبًا، يريد أن يغادر الشقَّة، لكنَّه لا يملك مالًا ولا مكانًا آخر يذهب إليه.

قالت المرأة: «بصراحة، أشعر أنَّه موقفٌ عاطفيٌّ أكثر من كونه مشكلةً تتعلَّق بالشقَّة».

وافقها الرجل، لكنَّه استدرك قائلًا: «ومع ذلك، أظنُّ أنَّ من الأفضل لها الخروج من الشقَّة فعلًا. أعني أنَّها على ما يبدو تستطيع سماع أصوات ممارستهما للجنس ليلًا، ليس هذا لطيفًا».

وصلا إلى سلالم المبنى الذي يقع فيه المكتب.

ـ يمكنكَ أن تقرضها بعض المال.

أجاب الرجل بأنَّه عرض عليها ذلك بالفعل لكنَّها رفضت. ثمَّ أضاف:

«وبصراحةٍ ارتحت أكثر لهذا، يحذِّرني حدسي من التورُّط في المسألة أكثر من اللَّازم».

سألته المرأة عمَّا يقوله الصديق الأوَّل من ناحيته، فأخبرها أنَّ الصديق الأوَّل يشعر أنَّه لم يرتكب أيَّ خطأ، وأنَّ العلاقة الأولى قد انتهت نهايتها الطبيعيَّة، فما الذي يفترض به أن يفعل؟ أن يبقى عازبًا إلى الأبد. رسمت المرأة على وجهها تعبيرًا ساخرًا، ثمَّ قالت:

«يا ربِّي. نعم. ينبغي عليها أن تترك الشقَّة فعلًا. أتمنَّى أن تعثر على واحدة».

تلكأَ عند السلالم قليلًا، ثمَّ قال الرجل: «دعوتي لحضور حفل الزفاف وصلت بالمناسبة».

ـ نعم. يفترض أن تصل هذا الأسبوع.

ـ هل تعرفين أنَّهم سمحوا لي باصطحاب مرافق.

نظرت له لتتأكَّد ممَّا إذا كان يمزح، ثمَّ رفعت حاجبيْها.

ـ لطيف. لم يذكروا لي شيئًا عن هذا. لكن بالنظر إلى الملابسات والظروف، أظنُّ أنَّ ذلك لن يكون لطيفًا.

ـ هل تريدينني أن أذهب وحدي كنوعٍ من التضامن؟

فكَّرت للحظةٍ ثمَّ سألته: «لماذا؟ هل هناك من تفكِّرٍ في اصطحابه؟».

ـ حسنًا. فتاةٌ أقابلها هذه الأيَّام. لو سمحتِ لي طبعًا.

ـ مم... تعني امرأةً حسبما أتمنَّى.

ـ «كوني لطيفة»، قال مبتسمًا.

ـ هل تدعوني بالفتاة حين تتحدَّث عنِّي من وراء ظهري؟

ـ بالطبع لا. لا أصفك بأيِّ شيء. عندما تأتي سيرتك، أضطرب ثمَّ أغادر الغرفة مباشرةً.

ـ بصرف النظر. متى قابلتَها؟

ـ لا أذكر. قبل ستَّة أسابيع تقريبًا.

ـ فتاةٌ إسكندنافيَّةٌ جديدة عمرها اثنتان وعشرون سنة، أليس كذلك؟

ـ لا. ليست إسكندنافيَّة.

ارتسم تعبير ضجرٍ تهكُّميّ على وجه المرأة وهي ترمي كوب القهوة الذي كانت تمسكه في سلَّة مهملاتٍ قرب باب المكتب. راقبها الرجل وأضاف:

ـ أستطيع الذهاب وحدي إذا أردت. يمكننا أن نتبادل النظرات عبر الغرفة.

ـ آه. تجعلني أبدو يائسةً للغاية.

ـ لا أقصد ذلك بالطبع.

لعدَّةِ ثوانٍ لم تقل شيئًا، وقفت تنظر إلى الطريق فحسب. ثمَّ قالت بصوتٍ عالٍ:

ـ بدت جميلةً في الفستان. أقصد لولا. كنتَ تسأل.

أجاب وهو لا يزال ينظر إليها: «متخيَّل».

ـ شكرًا على القهوة.

ـ وشكرًا على النصيحة.

لباقي فترة ما بعد الظهر في المكتب، استخدمت المرأة برنامج تحرير النصوص نفسه، تفتح ملفَّاتٍ جديدة، ثمَّ توزِّع الفواصل العُليا هنا وهناك، وتمسح الفواصل. وعندما كانت تنتهي من العمل على ملفّ، وقبل أن تبدأ في واحدٍ جديد، تفتح حساباتها على وسائل التواصل الاجتماعيّ، وتتصفَّح آخر تحديثات الصفحة الرئيسيَّة. لم تتغيَّر تعبيرات وجهها ولا جلستها تبعًا لما تقابله من معلوماتٍ هناك: تقريرٌ إخباريٌّ عن كارثةٍ طبيعيَّةٍ هائلة، صورةٌ وضعها شخصٌ ما لحيوانه الأليف، صحفيَّةٌ

تكشف عن تعرُّضها لتهديداتٍ بالقتل، دعابةٌ معقَّدةٌ تستلزم أن يكون المرء على درايةٍ بعدَّةِ دعاباتٍ إنترنتيَّةٍ أخرى، ليتمكَّن بالكاد من فهم الدعابة الأولى، إدانةٌ حارَّةٌ لأفكار تفوُّقِ العرق الأبيض، تغريدةٌ ترويجيَّةٌ تُعلن عن مكمِّلاتٍ صحِّيَّةٍ للنساء اللواتي يردن أنَّ يحملن. لم يتغيَّر شيءٌ في طريقة تفاعلها مع العالم لدرجة أنَّ أيَّ مراقبٍ خارجيٍّ لم يكن ليستطيع تحديد مشاعرها تجاه ما تراه. بعد مرور فترةٍ من الوقت، ومن دون سببٍ واضح، أغلقت نافذة المتصفِّح، وأعادت فتح النصِّ الذي تحرِّره. من وقتٍ لآخر، يقاطعها أحد زملائها ليسأل عن شيءٍ يخصُّ العمل، وكانت تجيبه، وأحيانًا ما يشارك شخصٌ ما حكايةً مضحكةً مع المكتب، فيضحكون جميعًا. ولكن في أغلب الوقت، سار العمل بهدوء.

عند الساعة الخامسة وأربع وثلاثين دقيقةً مساءً، أخذت المرأة معطفها من الشماعة، وودَّعت زملاءها الباقين في المكتب. فكَّت سلك سمَّاعةٍ يحيط بهاتفها، ثمَّ وصلت السماعة بالهاتف. سارت في شارع كيلدير متوجِّهةً إلى شارع ناسو، وبعدها انعطفت يسارًا، متَّخذةً طريقها إلى غرب المدينة. وبعد قرابة ثمانٍ وعشرين دقيقةً من المشي، توقَّفت عند مجمَّع بناياتٍ حديثٍ يقع في الرصيف الشماليّ، دخلته، وصعدت دورين ثمَّ فتحت بابًا أبيض تكسوه الشقوق. لم يكن هناك غيرها في المنزل، لكنَّ التفاصيل الداخليَّة وتصميم البيت وشت بأنَّها ليست الساكن الوحيد. غرفة معيشةٍ صغيرةٌ ومعتَّمة، فيها نافذةٌ واحدة، عليها ستارة، تواجه النهر، ولها مخرجٌ إلى مطبخٍ صغير، يوجد فيه حوضٌ وثلَّاجةٌ متوسِّطة الحجم. أخرجت المرأة من الثلاجة وعاءً يغطِّيه بلاستيك الواقي. تخلَّصت من الغطاء، ثمَّ وضعت الوعاء في الميكروويف. انتهت من تناول طعامها ثمَّ دخلت حجرة النوم. عبر النافذة، يمكن رؤية

الشارع بالأسفل، بجوار تيّار النهر البطيء. خلعت معطفها وحذاءها، ثمّ نزعت مشبّك الشعر وأغلقت الستائر. كانت صفراء اللّون شفّافة، تحمل تطريزًا على شكل مستطيلاتٍ خضراء. نزعت السترة بعد ذلك وتملّصت من بنطالها، ثمّ تركتهما في كومةٍ على الأرض، كان نسيج البنطال يحمل درجةً من اللمعان. ارتدت سويتشيرت من القطن وليجنز رماديّ اللّون. سقط شعرها الداكن بعشوائيَّةٍ على كتفيْها. بدا نظيفًا وجافًّا بعض الشيء. صعدت إلى سريرها، ثمّ فتحت اللابتوب. لبعض الوقت، تصفّحت حساباتها على مواقع التواصل الاجتماعيّ المختلفة. أحيانًا، تفتح مقالاتٍ طويلةً عن انتخاباتٍ تُجرى في الخارج، وتقرؤها من دون تركيز. وجهها شاحبٌ ومرهق. خارج الحجرة، دخل شخصان إلى الشقّة، يتحدّثان عن رغبتهما في طلب طعام للعشاء. مرّا بغرفتها، على هيئة ظلالٍ يمكن رؤيتها لوهلةٍ من الشقّ أسفل الباب. توجّها إلى المطبخ. فتحت المرأة متصفّحًا خفيًّا في شاشة اللابتوب، ثمّ دخلت إلى أحد مواقع التواصل الاجتماعيّ، كتبت: 'إيدن لافين' في شريط البحث. ظهرت قائمةٌ من النتائج، لكنّها اتّجهت إلى الثالثة ونقرت عليها من دون أن تنظر إلى البقيّة حتّى. ظهر ملفٌّ شخصيٌّ على الشاشة، يحمل اسم 'إيدن لافين'، تحت صورةٍ تكشف من الخلف رأس رجلٍ وكتفيْه. شعره كثيفٌ داكن اللّون، ويرتدي جاكيت جينز. تحت الصورة تعليق: الفتى المَحلّيّ الحزين. تخاريف عقلٍ طبيعيّ. زِرُّ حسابي على الـ'ساوندكلاود'. آخر صورةٍ شاركها صاحب الحساب، والتي نشرها قبل ثلاث ساعات، كانت صورة حمامةٍ عالقةٍ في قناة صرف الأمطار، رأسها محشورٌ في كيس رقائق بطاطا مرميٌّ على الأرض. كتب على الصورة: الحالة الآن. 127 شخصًا أعجبهم هذا المنشور. في غرفة

نومها، وهي تسند ظهرها على رأس سريرٍ غير مرتَّب، ضغطت المرأة على المنشور، فظهرت التعليقات تحته. أحد التعليقات كان لمستخدمٍ يحمل اسم: 'أكشوال ديث جيرل'، يقول:

«يشبهك تمامًا».

تعليق حساب إيدن لافين كان: «صح. وسيمٌ لدرجةٍ غير طبيعيَّة».

هذا التعليق أعجب 'أكشوال ديث جيرل'. المرأة أمام اللابتوب دخلت حساب 'أكشوال ديث جيرل'. وبعد أن قضت قرابة ستٍّ وثلاثين دقيقةً في تصفُّح عددٍ من الحسابات التي تحمل اسم إيدن لافين على مواقع تواصلٍ اجتماعيٍّ مختلفة، أغلقت المرأة اللابتوب، ثمَّ استلقت على ظهرها في السرير.

كان الوقت قد تجاوز الثامنة مساءً. رأس المرأة على الوسادة، ومعصمها مستقرٌّ على جبهتها. ترتدي سوارًا رفيعًا من الذهب، له لمعانٌ خافتٌ في الضوء المجاور للسرير. اسمها إيلين ليدون. عمرها تسعةٌ وعشرون عامًا. يدير والدها، بات، مزرعةً في مقاطعة جالواي. أمَّا أمُّها، ماري، فقد كانت مُدرِّسة جغرافيا. لديْها أختٌ واحدة، لولا، أكبر منها بثلاث سنوات. في طفولتهما، كانت لولا عنيدةً شجاعةً شقيَّة، بينما كانت إيلين طفلةً مضطربةً ومريضةً في غالب الوقت. لكنَّهما أمضتا إجازات المدرسة معًا، يبتكران ألعابًا قصصيَّةً محكمة، تتقمَّصان فيها شخصيَّة شقيقتيْن من البشر، استطاعتا دخول عوالم سحريَّة. عادةً ما ترتجل لولا أحداث الحبكة الرئيسيَّة، وتتبعها إيلين على الفور. وفي حال وجود أقارب من الأطفال، أو الجيران، أو أطفال أصدقاء العائلة، فقد كانوا يأخذون أدوار شخصيَّاتٍ ثانويَّة، من بينهم على سبيل المثال،

وفي بعض الأوقات، طفلٌ يُدعى سايمون كوستيجان، يكبر إيلين بخمس سنوات، ويعيش على الناحية الأخرى من النهر، في قصرٍ كان لمالك ضيعةٍ محلِّيَّة. طفلٌ بالغ التهذيب، ثيابه نظيفةٌ على الدوام، ويستخدم عبارات الشكر في حديثه مع البالغين، لكنَّه مريضٌ بالصرع، وأحيانًا ما كان يذهب إلى المستشفى، داخل عربة إسعافٍ في إحدى المرَّات. وكلَّما أساءت لولا أو إيلين التصرُّف، كانت أمُّهما، ماري، تسأل:

«لماذا لا تتعلَّمان التهذيب من سايمون كوستيجان»؟، والذي إضافةً إلى كونه طفلًا مؤدَّبًا، كان يمتلك فضيلةً أخرى، وهي أنَّه «لا يتذمَّر أبدًا».

مع تقدُّمهما في العمر، لم تَعُد الأختان تشركان سايمون أو أيَّ طفلٍ آخر في ألعابهما، بل نقلاها إلى داخل المنزل. يرسمان خرائط من وحي الخيال على أوراق الدفاتر، ويخترعان أبجديَّةً مُشفَّرة، ويسجِّلان على شرائط الكاسيت. تعامل الوالدان مع هذه الألعاب بلا اكتراثٍ لطيف، فقدَّما للطفلتَيْن ما أرادتاه من الورق والأقلام وشرائط الكاسيت الفارغة، لكنَّهما لم يهتمَّا بسماعِ أيِّ شيءٍ عن سكانٍ خياليِّين لبلادٍ وهميَّة.

في عمر الثانية عشرة، انتقلت لولا من مدرستها الابتدائيَّة المحلِّيَّة الصغيرة إلى مدرسة راهباتٍ كاثوليكيَّةٍ في أقرب مدينةٍ كبيرة. أمَّا إيلين، التي كانت طالبةً هادئةً على الدوام في المدرسة، فقد انعزلت أكثر فأكثر. قال المدرِّسون لأبويْها إنَّها طفلةٌ موهوبة، فبدأت تذهب إلى حجرةٍ خاصَّة، مرَّتيْن أسبوعيًّا، وتتلقَّى هناك حصصًا إضافيَّةً في القراءة والرياضيَّات. أمَّا في مدرسة الدير، فقد شرعت لولا على الفور في تكوين الصداقات، زار أصدقاؤها المزرعة، بل في بعض الأحيان قضوا ليلتهم هناك. مرَّةً، وعلى سبيل المزاح، حبسوا إيلين في حمَّام الطابق العلويِّ لمدَّة عشرين

دقيقة. ومن وقتها، قال الأب، بات، إنَّه لم يَعُد من المسموح لأصدقاء لولا المجيء، لكن لولا قالت إنَّها غلطة إيلين. عندما بلغت إيلين الثانية عشرة ذهبت إلى مدرسة لولا، التي كانت موزَّعةً على عدَّةِ مبانٍ ووحداتٍ سابقة التَّجهيز، وبعددِ طلَّابٍ يبلغ الستمئة. عاشت غالبيَّة زميلاتها في البلدة، وكنَّ يعرفن بعضهنَّ من المدرسة الابتدائيَّة، وقد جئن إلى المدرسة بتحالفاتٍ وولاءاتٍ قديمة، لم يكن لإيلين مكانٌ فيها. ومع وصول إيلين إلى المدرسة، كانت لولا وصديقاتها قد كبرن بما يسمح لهنَّ بالذهاب إلى البلدة وتناول الغذاء هناك، فيما تجلس إيلين وحيدةً في الكافتريا، تنزع ورق الفويل عن شطائرها المنزليَّة. في عامها الثاني، جاءت فتاةٌ من فصل إيلين، وعلى سبيل الرهان مع الفتيات، وقفت وراءها ثمَّ سكبت الماء من زجاجةٍ تحملها. أجبر ناظر المدرسة هذه الفتاة على كتابة رسالة اعتذارٍ لإيلين بعد ذلك. في البيت، قالت لولا إنَّ ذلك لم يكن ليحدث لولا أنَّ إيلين تدَّعي دائمًا غرابة الأطوار. وردَّت إيلين:

ـ أنا لا أدَّعي أيَّ شيء.

في الصيف الذي بلغت فيه خمسة عشر عامًا، جاء ابن جارهم، سايمون، ليساعد والدها في المزرعة. وقتها كان يبلغ العشرين سنة، ويدرس الفلسفة في أكسفورد. نادرًا ما كانت لولا تبقى في المنزل، مستغلَّةً انتهاء الدراسة قبل وقتٍ قريب، لكن في الأوقات التي يجلس فيها سايمون لتناول العشاء، تعود لولا إلى البيت مبكِّرًا، بل وتُغيِّر سترتها لو كانت مُتَّسخة. في المدرسة، كانت لولا تتجنَّب إيلين دائمًا، لكن ذلك يتغيَّر في حضور سايمون، إذ تتصرَّف كأختٍ كبرى حنونةٍ ومتساهلة، تُطري على شعر إيلين وثيابها، وتعاملها وكأنَّها أصغر سنًّا بكثير. لكنَّ سايمون لم يفعل المثل. طريقة تعامله مع إيلين كانت ودودةً

ومحترمة، يستمع إليها حين تتكلَّم، وحتَّى حين تحاول لولا أنَّ تقاطع حديثها، فإنَّه ينظر بهدوءٍ إلى إيلين ويقول شيئًا مثل:

ـ آه. ذلك مثيرٌ للاهتمام.

بحلول شهر أغسطس، أصبحت إيلين حريصةً على الاستيقاظ مبكِّرًا، ومراقبة شبَّاك غرفة نومها حتَّى تظهر درَّاجته الهوائيَّة، وبمجرَّد رؤيتها، تنزل مسرعةً على السلالم، لتقابله أمام الباب الخلفيّ. وبينما يغسل يديْه ويضع الغلَّاية في الكهرباء، تبدأ في أسئلتها، عن الكتب، عن دراسته في الجامعة، عن حياته في إنجلترا. سألته مرَّةً إن كان لا يزال يعاني من الصرع، فابتسم وأجاب بالنفي، كان ذلك قبل وقتٍ طويل، قال إنَّه مندهشٌ من أنَّها تتذكَّر. يتحدَّثان لبعض الوقت، عشر دقائق أو عشرون، ثمَّ يخرج بعدها إلى المزرعة، وتصعد هي السلالم لتستلقي في السرير. في بعض الصباحات، كانت تشعر بالسعادة، تتورَّد وجنتاها، وتلمع العينان، وفي صباحاتٍ أخرى، تبكي. لولا أخبرت أمَّها، ماري، أنَّ ما يحدث يجب أن يتوقَّف.

«إنَّه هوس. أمرٌ مُحرج»، قالَت.

وقتها سمعت لولا من أصدقائها أنَّ سايمون يحضر قدَّاس الأحد، رغم أنَّ والديه لا يذهبان، ثمَّ لم تَعُد تعود إلى البيت وقت العشاء حينما يكون موجودًا. بدأت ماري تجلس في المطبخ بنفسها، وقت الصباح، تتناول الإفطار وتقرأ الجريدة. لكنَّ إيلين لم تتوقَّف عن النزول، وكان سايمون يلقي التحيَّة عليها بالطريقة الودودة نفسها، كما هو الحال دائمًا، لكنَّ ردودها أصبحت مقتضبةً ومتجهِّمة، ثمَّ تنسحب إلى حُجرتها سريعًا. في اللَّيلة التي سبقت عودته إلى إنجلترا، جاء سايمون إلى

البيت ليودِّعهم، واختبأت إيلين في حُجرتها، رافضةً النزول. صعد إلى الدور العلويّ ليراها، لكنَّها ركلت كرسيًّا، وقالت إنَّه الشخص الوحيد الذي تستطيع الحديث معه.

ـ في حياتي، الشخص الوحيد. وهم لا يسمحون لي حتَّى بالحديث معك، والآن ستذهب بعيدًا. أتمنَّى لو أموت.

كان واقفًا والباب من خلفه نصف مفتوح. وبهدوءٍ قال:

ـ إيلين، لا تقولي هذا الكلام. كلُّ شيءٍ سيكون على ما يرام. وعد. أنا وأنت سنظلُّ أصدقاءً إلى الأبد.

في عمر الثامنة عشرة، ذهبت إيلين إلى جامعةٍ في دبلن لدراسة اللغة الإنجليزيَّة. في عامها الأوَّل، صادقت فتاةً تُدعى أليس كيليهر، ثمَّ سكنتا البيت نفسه في العام التالي. كانت أليس تتحدَّث بصوتٍ شديد الارتفاع، وترتدي ثيابًا مستعملةً لا تناسب قياسها، وبدت وكأنَّ كلَّ شيءٍ في الدنيا يضحكها. عاشت أليس طفولةً غير مستقرَّة، أبوها ميكانيكيُّ سيَّاراتٍ يعاني من إدمان الكحول. لم تستطع أليس تكوين الصداقات بسهولةٍ مع زملائها في الصفّ، ووقع عليها إجراءٌ تأديبيٌّ ثانويّ، لأنَّها نعتت أحد المحاضرين بالـ«خنزير الفاشيّ». قضت إيلين أيَّام كلِّيَّتها في قراءة كلِّ النصوص المقرَّرة، وتسليم كلِّ المشاريع قبل الموعد النهائيّ، والاستعداد للامتحانات على أكمل وجه. حصلت على كلِّ الجوائز الأكاديميَّة تقريبًا التي استوفت شروط التقدُّم إليها، بل وفازت بإحدى مسابقات المقال الوطنيَّة.

كوَّنت إيلين دائرةً اجتماعيَّة، تذهب إلى النوادي الليليَّة، وترفض عدَّةِ محاولاتٍ من أصدقائها الذكور للتقرُّب إليها، ثمَّ تعود إلى المنزل بعد

ذلك لتتناول التوست في غرفة المعيشة بصحبة أليس. قالت أليس إنَّ إيلين عبقريَّة، لؤلؤةٌ لا تقدَّر بثمن، وحتَّى أولئك الناس الذين يقدِّرونها حقًّا، لا يقدِّرونها بما تستحقُّه. أمَّا إيلين فقالت إنَّ أليس إنسانةٌ أصيلةٌ وحقيقيَّة، ومتمرِّدة، تسبق عصرها. ذهبت لولا إلى جامعةٍ أخرى تقع في الجزء الآخر من البلدة، ولم تقابل إيلين إلَّا مصادفةً في الطريق. وعندما أصبحت إيلين في سنتها الثانية من الجامعة، انتقل سايمون إلى دبلن للدراسة بغرض الحصول على التأهيل القانونيّ. دعته إيلين إلى الشقَّة في إحدى اللَّيالي لتعرِّفه على أليس. جاء ومعه علبةٌ من الشوكولاتة غالية الثمن، وزجاجةٌ من النبيذ الأبيض. عاملته أليس بوقاحةٍ طيلة الأمسيَّة، أطلقت على معتقداته الدينيَّة وصف الـ«خبيثة»، وقالت إنَّ ساعة يده قبيحة. ولسببٍ ما، بدا أنَّ سايمون قد وجد سلوكها مسلِّيًا بل ومحبَّبًا إلى النفس. تكرَّرت زياراته إلى الشقَّة بعد ذلك، يقف وظهره إلى المدفئة، يتجادل مع أليس عن الإله، ويسخر من مهارات الفتاتيْن في الأعمال المنزليَّة. «أنتما تعيشان في مزبلة»، بل وكان يغسل الصحون أحيانًا قبل أن يغادر. في إحدى الليالي، لم تكن أليس في البيت، سألته إيلين إذا كان لديْه صاحبة.

ـ «ما سبب هذا السؤال؟ إنَّني رجلٌ عجوزٌ حكيم، ألا تذكرين؟»، أجاب ضاحكًا.

كانت أليس مستلقيةً على الكنبة، ومن دون أن ترفع رأسها، رمت عليه إحدى الوسادات الصغيرة، لكنَّه التقطها بيده.

قالت: «عجوزٌ فقط، لست حكيمًا».

مارست إيلين الجنس للمرَّة الأولى عندما بلغت عامها العشرين، مع رجلٍ عرفته من الإنترنت. بعدها سارت من بيته إلى شقَّتها وحدها.

كان الوقت قد تأخَّر، الثانية صباحًا تقريبًا، الشوارع خالية. عندما وصلت إلى البيت، رأت أليس تجلس على الكنبة وتكتب شيئًا ما على اللابتوب. اتَّكأت إيلين على باب حُجرة المعيشة، وقالت بصوتٍ عالٍ:

ـ حسنًا. كان هذا غريبًا.

توقَّفت أليس عن الكتابة، وسألت: «ماذا؟ هل نمتِ معه؟».

حكَّت إيلين كتفها براحة اليد الأخرى، وقالت: «طلب منِّي ألَّا أخلع ملابسي. أقصد: كلَّها».

نظرت أليس إليها، وسألت: «ما هؤلاء الأشخاص الذين تتعرَّفين عليهم؟».

نظرت إيلين إلى الأرض وهزَّت كتفيْها. نهضت أليس من مكانها.

ـ لا تشعري بالسُّوء، ليس هذا أمرًا مهمًّا. لا قيمة له. ستنسين كلَّ شيءٍ خلال أسبوعيْن.

أراحت إيلين رأسها على كتف أليس الصغير. ربَّتت أليس على ظهرها وهمسَت: «لستِ مثلي. ستحظين بحياةٍ سعيدة».

عاش سايمون في باريس خلال ذلك الصيف، وعمل في مجموعة ضغطٍ مناخيَّة. زارته إيلين هناك، وللمرَّة الأولى ركبت الطائرة وحدها. قابلها في المطار، واستقلَّا قطارًا إلى المدينة. في تلك الليلة، شربا زجاجة نبيذٍ في شقَّته، وحكت له قصَّة فقدان عذريَّتها. ضحك ثمَّ تأسَّف لها على الضحك. كانا مستلقييْن على السرير في حجرة نومه.

بعد فترةٍ من الصمت، قالت إيلين: «كنت سأسألك عن حكاية فقد عذريَّتك. لكن على حسب ما أعرف، فأنت لم تفعل ذلك بعد».

ابتسم ثمَّ أجاب: «لا. فعلت».

لعدَّةِ ثوانٍ، بقيت هادئةً ووجهها ناحية السقف، تتنفَّس.

ـ رغم أنَّك كاثوليكيّ.

مستلقييْن عن قرب، يكاد الكتفان أن يتلامسا، ردَّ: «صحيح. ماذا قال القدّيس أوغسطين؟ إلهي. هب لي العفَّة، لكن ليس الآن».

بعد تخرُّجها من الجامعة، بدأت إيلين دراسة الماجستير في الأدب الإيرلنديّ، أمَّا أليس فقد حصلت على وظيفةٍ في مقهى، وبدأت كتابة رواية. استمرَّا في العيش معًا، وفي الأمسيَات، تقرأ أليس أحيانًا الدعابات الجيّدة في مسوَّدتها بصوتٍ عالٍ، بينما تقف إيلين لإعداد طعام العشاء. تقف أليس بجوار طاولة المطبخ، ترفع شعرها من على جبهتها، إلى الخلف، وتقول:

«اسمعي هذه. هل تذكرين الشخصيَّة الأساسيَّة في الرواية التي كنتُ أُخبرك عنها؟ حسنًا، تصله رسالةٌ نصّيَّةٌ من شقيقته».

في باريس، انتقل سايمون ليعيش مع صاحبته، امرأةٌ فرنسيَّةٌ اسمها ناتالي. بعد أن انتهت من دراسة الماجستير، حصلت إيلين على وظيفةٍ في متجر كتب، تدفع عرباتٍ محمَّلةً بالكتب فوق أرضيَّة المتجر، ثمَّ تفرِّغها وتضع بطاقات السعر اللّاصقة على طبعات الكتب الأكثر مبيعًا. تعرَّض والداها لمشكلةٍ ماليَّةٍ تخصُّ المزرعة في ذلك الوقت. في زياراتها إلى البيت، ترى إيلين أبوها متجهِّمًا وفي حالةٍ عامَّةٍ من القلق، يتحرَّك داخل المنزل في أوقاتٍ غريبة، يشعل أجهزةً وأنوارًا ثمَّ يطفئ كلَّ شيء. لم يكن يتحدَّث على طاولة العشاء تقريبًا، وعادةً ما يتركها قبل أن ينتهي الآخرون من تناول طعامهم. في أحد الأيَّام، وبينما جلست إيلين مع أمِّها، في غرفة المعيشة، قالت ماري:

«إنَّ هذا الوضع لا بدَّ وأن يتغيَّر. لا يمكن للأمور أن تستمرَّ هكذا».

سألت إيلين، وتعبير قلقٍ يرتسم على وجهها، ما إذا كانت تقصد هذا الوضع الماليّ، أم الزواج. قلبت ماري كفَّيْها، وبدت مجهدة، وأكبر من سنِّها الحقيقيّ.

قالت: «كلُّ شيء. لا أعرف. يأتي إلى المنزل شاكيًا من وظيفته، شاكيًا من حياته، ماذا عن حياتي أنا؟ من يعتني بي؟».

كانت إيلين في الثالثة والعشرين وقتها، وأمُّها في الحادية والخمسين. ضغطت إيلين بأصابعها على أحد جفنيْها بلطفٍ للحظة، ثمَّ قالت لها:

«ألا تشتكين من حياتك لي الآن؟».

عند هذه اللحظة، بدأت ماري في البكاء.

راقبتها إيلين مضطربة، ثمَّ أضافَت: «أشعر بالسُّوء لأنَّك حزينة، لكنَّني لا أعرف فحسب ما تريدينني أن أفعله».

غطَّت أمُّها عينيْها وهي تنتحب، وتشكو: «ما الذي أخطأت فيه؟ كيف ربَّيت أطفالًا أنانيِّين لهذه الدرجة؟».

أرجعت إيلين ظهرها إلى مسند الكنبة، كما لو أنَّها تفكِّر بجدِّيَّةٍ في هذا السؤال. ثمَّ سألت: «ما الذي تريدينه أن يحدث الآن؟ لا يمكنني أن أعطيك مالًا، ولا أستطيع العودة في الزمن لأجعلك تتزوَّجين شخصًا آخر. هل تريدين منِّي أن أستمع إليك وأنت تشتكين من هذا الوضع؟ حسنًا سأستمع. أنا أسمعك. لكنَّني لا أعرف بالضبط لماذا تظنِّين أنَّ سعادتك أهمُّ من سعادتي».

غادرت ماري الحجرة.

عندما بلغت الرابعة والعشرين، وقَّعت أليس اتِّفاقًا على كتابٍ مقابل 250 ألف دولار. قالت إنَّه لا يوجد شخصٌ في صناعة النشر يعرف قيمة المال. ولو أنَّهم على هذه الدرجة من الغباء، بما يكفي لإعطائها هذا المبلغ، فإنَّها جشعةٌ بما يكفي لأخذه. كانت إيلين تقابل طالبَ ما بعد دكتوراه اسمه كيفن، ومن خلاله استطاعت العثور على وظيفةٍ مثيرةٍ لاهتمامها، وإن كان الراتب قليلًا. مساعدة تحريرٍ في مجلَّةٍ أدبيَّة. اقتصر عملها على التَّحرير اللُّغويِّ في البداية، لكن بعد شهورٍ قليلة، سمحوا لها بتولِّي تكليفات النصوص الجديدة، وفي نهاية العام، طلب منها رئيس التَّحرير أن تساهم بأعمالها. قالت إيلين إنَّها ستفكِّر في الأمر. في ذلك الوقت، عملت لولا في شركة استشاراتٍ إداريَّة، وصاحبت فتى اسمه ماثيو. مرَّةً دعت إيلين إلى تناول العشاء معهما. وفي أمسيَّة يوم ثلاثاء بعد العمل، انتظر الثلاثة لمدَّة خمسٍ وأربعين دقيقةً في شارعٍ تقلُّ درجة حرارته ويخيِّم الظلام عليه مع الوقت، لكي يحظوا بمكانٍ في مطعم برجر جديدٍ كانت لولا تريد أن تجرِّبه تحديدًا. عندما وصل البرجر، كان طعمه عاديًّا. لولا سألت إيلين عن خططها المهنيَّة، وأجابت إيلين أنَّها سعيدةٌ بما تفعله في المجلَّة.

«نعم، في الوقت الحالي، لكن ماذا عن المستقبل؟»، أضافَت لولا.

فقالت إيلين إنَّها لا تعرف.

افتعلت لولا ابتسامةً وعلَّقت: «يومًا ما ستضطرِّين للعيش في العالم الحقيقيّ».

عادت إيلين إلى الشقَّة في تلك الليلة، ووجدت أليس جالسةً على الكنبة، تعمل على كتابها.

ـ أليس. هل سأضطرُّ للعيش في العالم الحقيقيِّ يومًا ما؟

من دون أن ترفع رأسها، شخرت أليس، وقالت: «بالطبع لا. إطلاقًا. من أخبرك بهذا الكلام؟».

في شهر سبتمبر، عرفت إيلين من أمِّها أنَّ سايمون وناتالي قد انفصلا، بعد علاقةٍ استمرَّت أربع سنوات. قالت إيلين لأليس إنَّها توقَّعت زواجهما.

ـ لطالما فكَّرتُ أنَّهما سيتزوَّجان.

ـ نعم. قلتِ ذلك كثيرًا في الحقيقة.

أرسلت إيلين رسالةً إلى سايمون تسألهُ فيها عن أحواله، فجاء ردُّه:

«هل يمكن أن تأتي إلى باريس قريبًا وتكتشفي بنفسك؟ أريد أن أراكِ فعلًا».

في الهالوين ذهبت للإقامة عنده لعدَّةِ أيَّام. وقتها كان قد وصل إلى الثلاثين، وهي في الخامسة والعشرين. زارا المتاحف سويًّا في الأمسيَات، وتحدَّثا عن الفنِّ والسياسة. وكلَّما وجَّهت له سؤالًا عن ناتالي، كان يردُّ باستخفافٍ وقلَّة اكتراث، ثمَّ يغيِّر الموضوع. مرَّةً كانا يجلسان في متحف أورسيه، قالت له إيلين: «أنت تعرف كلَّ شيءٍ عنِّي، وأنا لا أعرف شيئًا عنك».

ارتسمت على وجهه ابتسامةٌ قلقة، ثمَّ أجاب: «آه. الآن تتحدَّثين مثل ناتالي». ثمَّ ضحك واعتذر عمَّا قاله. هذه هي المرَّة الوحيدة الذي نطق فيها اسمها.

في الصباح كان يُعدُّ القهوة، وفي المساء كانت إيلين تنام في سريره. كان يُحِبُّ أن يحتضنها لفترةٍ طويلةٍ بعدما يمارسان الجنس. في يوم عودتها إلى دبلن، انفصلت عن صاحبها. لم يتواصل معها سايمون حتَّى زار منزل عائلتها في عيد الميلاد، شرب كأسًا من البراندي، وأبدى إعجابه بالشجرة.

في الربيع التالي، نشرت أليس كتابها. أولته الصحافة اهتمامًا كبيرًا، في البداية كان ذلك الاهتمام إيجابيًّا في المجمل، ثمَّ ظهرت بعض التعليقات السلبيَّة كردٍّ فعلٍ على الثناء الأوَّليِّ المبالغ فيه. في الصيف، حضرت إيلين وأليس حفلًا في شقَّة صديقتهما، كيارا، وهناك قابلت إيلين رجلًا اسمه إيدن. شعره داكنٌ كثيف، ويرتدي بنطالًا من الكتَّان، وحذاءً رياضيًّا متَّسخًا. انتهى بهما الحال جالسين في المطبخ حتَّى وقتٍ متأخِّرٍ من تلك اللَّيلة، يتحدَّثان عن طفولتيْهما.

ـ في عائلتي لا نناقش الأشياء، كلُّ شيءٍ تحت السطح. لا شيء يظهر. هل أصبُّ لكِ كأسًا آخر؟

راقبته إيلين وهو يفرغ بعض النبيذ في كأسها.

ـ عائلتي أيضًا لا تتحدَّث عادةً عن الأشياء. أشعر أحيانًا وكأنَّنا نحاول فعل ذلك، لكنَّ أحدًا منَّا لا يعرف الطريقة.

في نهاية الأمسيَّة، سارا معًا في طريق العودة نفسه. انحرف عن طريقه قليلًا ليوصلها إلى باب شقَّتها. عندما افترقا، قال لها: «اعتني بنفسك».

بعد عدَّةِ أيَّامٍ، التقيا لتناول مشروبٍ معًا، وحدهما هذه المرَّة. كان موسيقيًّا، يعمل مهندس صوت. تحدَّث معها عن عمله، عن زملائه في

البيت، عن علاقته بأمِّه، عن أشياء مختلفةٍ يحبُّها ويكرهها. كانت أليس تضحك كثيرًا وتبدو مُفعمةً بالحيويَّة، تلمس فمها، وتميل إلى الأمام في مقعدها. بعد عودتها إلى المنزل في تلك الليلة، أرسل لها إيدن رسالةً تقول:

«أنت مستمعةٌ رائعة. واو. متأسِّفٌ لأنَّني أتحدَّث كثيرًا. أعرف ذلك. متى يمكنني رؤيتك مرَّةً أخرى؟».

في الأسبوع التالي، ذهبا لتناول مشروبٍ معًا، تلاه آخر. في شقَّة إيدن كثيرٌ من الأسلاك السوداء المتشابكة في كلِّ مكانٍ على الأرض، ويقتصر سريره على مرتبةٍ لا أكثر. في الخريف، ذهبا إلى فلورنسا لبضعةِ أيَّام، وسارا في جوِّ الكاتدرائيَّة اللطيف معًا. أثناء تناولهما العشاء في إحدى الأمسيَات، ألقت بملاحظةٍ ساخرة، ضحك بالدموع، ومسح عينيْه بمنديل الطاولة البنفسجيّ. قال لها إنَّه يحبُّها. كتبت إيلين رسالةً إلى أليس تقول فيها إنَّ كلَّ شيءٍ في الحياة جميلٌ لدرجةٍ مذهلة، لا أصدِّق أنَّ هذا القدر من السعادة مُمكن. في هذا الوقت تقريبًا، عاد سايمون إلى دبلن، للعمل مستشار سياساتٍ لمجموعةٍ برلمانيَّةٍ يساريَّة. أحيانًا كانت إيلين تراه في الباص، أو يعبر الشارع، وذراعه يحيط بامرأةٍ حلوة المظهر تلو أخرى. قبل الكريسماس، انتقل إيدن وإيلين للعيش معًا. وضع الصناديق التي جمعت فيها كتبها على الكنبة الخلفيَّة لسيَّارته وأعلن بفخر: «هذه دماغك الثقيلة».

حضرت أليس حفل المنزل الجديد، وأوقعت زجاجة فودكا على أرضيَّة المطبخ، وحكت قصَّةً طويلةً عن سنوات الجامعة، لم يبد أنَّها قد أضحكت أحدًا على الإطلاق سواها هي وإيلين، ثمَّ عادت إلى البيت. أغلب حضور الحفلة كانوا أصدقاء إيدن. أفرطت إيلين في الشرب، وبعد الحفلة قالت لإيدن:

«لماذا لا أملك أصدقاء؟ لديَّ صديقان فحسب، لكنَّهما غريبا الأطوار. والآخرون مجرَّد معارف».

ربَّت على رأسها، وقال: «أنا موجود».

لمدَّة ثلاث سنواتٍ بعد ذلك، عاش إيدن وإيلين في شقَّةٍ من حُجرة نومٍ واحدةٍ في شمال وسط المدينة، يُقرصِنان أفلامًا أجنبيَّة، ويتجادلان حول حصصِ كلٍّ منهما في الإيجار، ويوزِّعان أدوار الطبخ والتنظيف. أعلن ماثيو ولولا خطبتهما. وحصلت أليس على جائزةٍ أدبيَّةٍ مُجزية، فانتقلت إلى نيويورك، وبدأت ترسل الإيميلات إلى إيلين في أوقاتٍ غريبةٍ من الليل والنهار، ثمَّ توقَّفت تمامًا، وحذفت كلَّ حساباتها على مواقع التواصل الاجتماعيّ، وتجاهلت رسائل إيلين تمامًا. في إحدى ليالي ديسمبر، اتَّصل سايمون بإيلين وأخبرها أنَّ أليس عادت إلى دبلن، وأنَّها أُدخلت مصحَّةً نفسيَّة. كانت إيلين جالسةً على الكنبة، تُمسك هاتفها على أذنها، بينما كان إيدن واقفًا أمام حوض المطبخ، يشطف طبقًا بالماء. بعد أن انتهت هي وسايمون من الحديث، بقيت على الهاتف من دون أن تقول شيئًا، ولم يقل هو كذلك أيَّ شيء، بقيا صامتيْن. في النهاية، قال:

«حسنًا، سأتركك تغلقين الخطّ».

بعد بضعة أسابيع، انفصل إيدن وإيلين. أخبرها أنَّ هناك الكثير من الأمور التي تضغط على أعصابه، وأنَّ كلَّ واحدٍ منهما يحتاج إلى مساحته. ذهب للعيش عند أبويْه، وانتقلت هي لتعيش في شقَّةٍ من حجرتيْن، تشاركتها مع زوجيْن، في شمال الجزء الداخليّ من المدينة. قرَّر ماثيو ولولا أن يقيما حفل زفافٍ صغيرٍ في الصيف. استمرَّ سايمون في الردِّ على مراسلاته بسرعة، كان يأخذ إيلين لتناول الغداء من وقتٍ

لآخر، ويتحفَّظ في الحديث عن حياته الشخصيَّة. حلَّ شهر إبريل، قرَّر عددٌ من أصدقاء إيلين، مؤخَّرًا، أن يغادروا دبلن، أو دخلوا مرحلة التحضير لفعل ذلك. ذهبت إلى حفلات الوداع تلك، ترتدي فستانها الأخضر الغامق ذي الأزرار، أو فستانها الأصفر ذي الحزام الذي يحمل اللَّون نفسه. في غرفٍ معيشةٍ منخفضة السقف، والمصابيح المغطَّاة بالورق المقوَّى، تحدَّث الناس إليها عن سوق العقارات، وكانت تُخبرهم:

«أختي ستتزوَّج في شهر يونيو».

فيردُّون: «هذا رائع. لا بدَّ أنَّك تشعرين بالسعادة لأجلها».

وتجيبهم بدورها: «مم... غريب، لست سعيدة».

-4-

أليس، مررتُ أنا أيضًا بتلك الحالة التي تحدَّثت عنها في السوبر ماركت. بالنِّسبة إليّ، شعرت وكأنَّني أنظر من أعلى، واكتشف لأوَّل مرَّةٍ أنَّني واقفةٌ على حافَّةٍ ضيِّقةٍ من ارتفاعٍ شاهق، وأنَّ الشيء الوحيد الذي يضمن اتِّزاني هو معاناة غالبيَّة البشر على وجه الأرض ومهانتهم. دائمًا ما كانت أفكاري تنتهي عند: لا أريد أن أكون هنا حتَّى. لا أحتاج كلَّ هذه الملابس الرَّخيصة والمأكولات المستوردة والحاويات البلاستيكيَّة، بل ولا أظنُّ أنَّ هذه الأشياء تُحسِّن حياتي حتَّى، كلُّ ما تفعله هو خلق مزيدٍ من المخلَّفات، وإصابتي بالتعاسة. (لا أعني بذلك أنَّني أساوي بين شعور السخط الذي أحسُّه وبين معاناة المقهورين الحقيقيِّين، كلُّ ما أقصده أنَّ نمط الحياة الذي يحافظون عليه من أجلنا، بمعاناتهم، ليس مريحًا في رأيي من الأصل). يظنُّ الناس أنَّ القوَّة لازمةٌ للحفاظ على الاشتراكيَّة، لنزع الملكيَّة القسريّ، لكنَّني أتمنَّى لو أنَّهم يعترفون فحسب بأنَّ الحفاظ على الرأسماليَّة أيضًا يستلزم القوَّة نفسها، لكن في الاتجاه المعاكس:

حمايةٌ قسريَّةٌ لاتِّفاقات الملكيَّة القائمة. أعرف أنَّك تعرفين ذلك. وأكره خوض الجدالات نفسها، مرارًا وتكرارًا، حول أفكارٍ بدائيَّةٍ خاطئة.

كنت أفكِّر مؤخَّرًا في النزعات السياسيَّة المحافظة كذلك، وإن كنت أرى الموضوع بشكلٍ مختلف. في هذه اللحظة، بإمكاننا القول إنَّنا نعيش حقبة أزمةٍ تاريخيَّة، ويبدو أنَّ هذه الفكرة تحظى عمومًا بقبولٍ بين غالبيَّة الناس. أريد أن أقول إنَّ الأعراض الخارجيَّة لهذه الأزمة، مثل التقلُّبات العنيفة غير المتوقَّعة في السياسات الانتخابيَّة، يجري التعامل معها، على نطاقٍ واسع، بوصفها ظواهر غير طبيعيَّة. وبدرجةٍ ما، أظنُّ أنَّنا حين نتحدَّث عن بعض أوضح الأعراض البنيويَّة 'المكبوتة'، مثل الإغراق الجماعيِّ للاجئين، والكوارث الطبيعيَّة المتكرِّرة الناتجة عن تغيُّر المناخ، فإنَّنا نفهم ذلك بوصفه تجلِّيًا للأزمة السياسيَّة. وأنا واثقةٌ أنَّ كثيرًا من الدراسات تُظهر بالفعل أنَّه في العامَيْن الأخيرَيْن، كان الناس ينفقون مساحةً أكبر من أوقاتهم في قراءة الأخبار ومعرفة الشؤون الخارجيَّة. أصبح من المعتاد في حياتي، على سبيل المثال، أن أجد نفسي وأنا أبعث رسالةً نصِّيَّةً تقول:

«أقالوا تيلرسون في أميركا[1] لووول».

وأشعر بالاستغراب الشديد من إرسال هذه الرسائل، لا ينبغي لذلك أن يكون طبيعيًا. على كلِّ حال، النتيجة الطبيعيَّة لذلك الآن هي أنَّ كلَّ يومٍ يصبح وحدةَ معلوماتٍ جديدةً قائمةً بذاتها، تقتحم عالم معلومات اليوم السَّابق، وتحلُّ محلَّه. إنَّني أتساءل (وربَّما ترين

(1) وزير خارجيَّة الولايات المتحدَّة السابق، أقاله الرئيس الأميركيّ دونالد ترامب بعد خلافاتٍ بينهما.

ذلك عديم الصلة بما نتحدَّث عنه): ما معنى كلِّ ذلك وأثره على الفنون والثقافة؟ أقصد أنَّنا معتادون على الاشتباك مع الأعمال الثقافيَّة في 'الحاضر'. لكنَّ إحساسنا باستمراريَّة الحاضر لم يَعُد سِمةً من سِمات حياتنا الآن. انقطع اتِّصال الحاضر هذا. وأصبح كلُّ يوم، بل حتَّى كلُّ ساعةٍ من ساعاته، يحلُّ محلَّ ما سبقه، محوِّلًا إيَّاه إلى شيءٍ عديم الأهمِّيَّة والصلة. لم يَعُد لأحداث حياتنا أيُّ معنى، إلَّا في إطار علاقتها بالتحديثات اللانهائيَّة للمحتوى المنشور على 'تايم لاين' مواقع التواصل الاجتماعيّ. ولذلك فعندما نشاهد شخصيَّات الأفلام وهي تجلس إلى طاولة مطعم، أو تقود سيَّارةً في الأنحاء، وتخطِّط لتنفيذ جريمة قتل، أو تشعر بالحزن بسبب علاقةٍ غراميَّة، فإنَّنا بصورةٍ تلقائيَّةٍ نرغب في معرفة النقطة المُحدَّدة التي يفعلون عندها هذه الأشياء، نسبةً إلى الأحداث التاريخيَّة الكارثيَّة التي تُشكِّل إحساسنا الحاليّ بالواقع. لم تَعُد هناك ظروفٌ محايدة. لم يَبقَ إلَّا الـ'تايم لاين'. ولا أعرف فعلًا ما إن كان ذلك سيُنتج أشكالًا جديدةً من الفنون، أم أنَّه يعني نهايتها بالكامل أصلًا، على الأقلّ بالصورة التي نعرفها.

ذكَّرتني الفقرة من رسالتك التي تحدَّثت فيها عن الوقت بشيءٍ قرأته على الإنترنت مؤخَّرًا. في العصر البرونزيِّ المتأخِّر، على ما يبدو، الذي بدأ قرابة 1500 سنةٍ قبل الحقبة المسيحيَّة، تميَّزت منطقة شرق البحر المتوسِّط بنظامٍ تسيطر عليه حكومات قصورٍ مركزيَّة، أعادت توزيع الأموال والبضائع عبر شبكةٍ معقَّدةٍ ومتخصِّصةٍ من اقتصادات المدن. قرأت عن ذلك في ويكيبيديا. في ذلك الوقت، كانت طرق التجارة بالغة التطوُّر، ونشأت اللُّغات المكتوبة. وبالتالي أصبح بالإمكان إنتاج بضائع رفاهيَّةٍ باهظة الثمن، ثمَّ التجارة فيها على امتداد مسافاتٍ

هائلة. في الثمانينيَّات مثلًا، اكتشفوا حطام سفينةٍ من تلك الفترة، قرب سواحل تركيا، كانت تحمل مجوهراتٍ مصريَّة، ومصنوعاتٍ فخَّاريَّةٍ إغريقيَّة، وخشب بلاكوود من السودان، ونحاسًا أيرلنديًّا، ورمَّانًا، وعاجًا. وبعد ذلك، خلال فترة الخمسة وسبعين عامًا التي امتدَّت بين عامي 1225 إلى 1150 قبل الميلاد، انهارت الحضارة. تعرَّضت المدن الكُبرى، شرق البحر المتوسِّط، للتدمير أو هجرها سكَّانها تمامًا. ماتت اللغة، وفُقدت أنظمة كتابةٍ كاملة. بالمناسبة، لا أحدَ يعرف بالضبط لماذا حدث ما حدث. تقترح ويكيبيديا نظريَّةً اسمها 'انهيار الأنظمة الشامل'، وبمقتضاها، فقد تسبَّب «التخصُّص والتعقيد والمركزيَّة، إضافةً إلى الهيكل السياسيِّ المُنهَك» في جعل حضارة العصر البرونزيِّ أكثر عرضةً على نحوٍ خاصٍّ للانهيار الكامل. هناك نظريَّةٌ أخرى تحمل ببساطةٍ عنوان: 'التغيُّر المناخيّ' أظنُّ أنَّ ذلك نذير شؤمٍ لحضارتنا، ألا ترين ذلك؟ لم يحدث في السَّابق أن تمعَّنت في فكرة أنَّ انهيار الأنظمة الشامل هي احتماليَّةٌ قائمةٌ بالفعل. أعرف بالطبع، في جزءٍ ما من دماغي، أنَّ كلَّ ما نُخبر به أنفسنا عن الحضارة الإنسانيَّة هو محضُ كذبة. لكن تخيَّلي أن تتاح لنا فرصة رؤية ذلك في حياتنا الحقيقيَّة.

وفي سياقٍ غير ذي صلة.. في الواقع غير ذي صلةٍ لدرجة أنَّه يبدو لي كنقيضٍ مُطلقٍ للفقرة السَّابقة، هل سبق لك التَّفكير في ساعتك البيولوجيَّة؟ لا أقول إنَّه ينبغي عليك ذلك. أتساءل فحسب. ما نزال في ريعان شبابنا، كما هو واضح. لكنَّ الحقيقة أنَّه على امتداد التاريخ البشريّ، كانت غالبيَّة النساء قد أنجبن بالفعل عدَّة أطفالٍ عند وصولهنَّ أعمارنا الحاليَّة. أليس كذلك؟ لست واثقةً من أنَّ هناك طريقةً متاحةً للتحقُّق من ذلك. لا أعرف إن كنت تريدين إنجاب أطفالٍ من

الأصل، لكن بما أنَّنا قد تطرَّقنا إلى الموضوع، هل ترغبين في ذلك؟ ربَّما لم تحسمي قرارك بالسَّلب أو الإيجاب. في مراهقتي كنت أفضِّل الموت على إنجاب الأطفال، وفي عشرينيَّاتي افترضت، بصورةٍ مبهمة، أنَّ إنجاب الأطفال هو أمرٌ سيحدث لي في نهاية الأمر على كلِّ حال. أما وقد اقتربت من الثلاثين، فقد بدأت أفكِّر: ماذا الآن؟ غنيٌّ عن القول طبعًا أنَّ المتطوِّعين لا يصطفُّون، متنافسين، على مساعدتي في تحقيق هذه الوظيفة البيولوجيَّة. كما أنَّ هناك هاجسًا غريبًا، غير مفهومٍ على الإطلاق، يُخبرني أنَّني ربَّما أكون عقيمة. ليس هناك أيُّ سببٍ طبّيٍّ يدعوني للتَّفكير في ذلك. تحدَّثت مع سايمون عن ذلك مؤخرًا، في معرض الشكوى من مخاوفي الصحّيَّة الأخرى التي لا أساس لها، وأخبرني أنَّه لا يوجد داعٍ للقلق، فأنا، بحسب رأيه، أملك مظهرًا «خصيبًا». أضحكني هذا ليومٍ كاملٍ تقريبًا، في الحقيقة لا أزال أضحك، حتَّى وأنا أكتب لك هذا الإيميل. على كلِّ حال، كلِّي فضولٌ لأعرف كيف تفكِّرين في الموضوع. بالنظر إلى الانهيار الحضاريِّ القريب، ربَّما ستفكِّرين أنَّ الأطفال أمر مستبعد على كلِّ حال.

ربَّما يكون سبب تلك الأفكار كلِّها أنَّني رأيت إيدن منذ يوميْن، ومن دون سابق إنذار، بينما كان يسير في الشارع. على الفور، أصبت بأزمةٍ قلبيَّةٍ ومِتّ. منذ رأيته، وكلُّ ساعةٍ أسوأ من قبلها. أم أنَّ حدَّة ألمي الآن تمنعني من استعادة شعوري وقتها؟ ألا يفترض أنَّ شعور المرء بالسُّوء من معاناةٍ في الماضي أقلُّ حدَّةً ممَّا يشعر به إزاء معاناةٍ حاليَّة؟ حتَّى ولو كانت الذكرى أسوأ بكثير. بالتَّأكيد لا نستطيع تذكُّر درجة سوء الأمور في الماضي. الذكرى أضعف من التجربة. وربَّما يكون هذا سبب كون الأشخاص في منتصف أعمارهم يشعرون، على الدوام، بأنَّ مشاعرهم

وأفكارهم أكثر أهمّيّةً من مشاعر الشباب، فهم لا يتذكّرون بالتّحديد كيف كانت مشاعر شبابهم تلك، بينما يسمحون لتجاربهم الحاليّة بالهيمنة على منظورهم للحياة. ورغم ذلك، فحدسي يُخبرني أنّ شعوري الآن بالسُّوء أقوى، بعد يوميْن من رؤية إيدن، مقارنةً بما شعرت به عند رؤيته. أعرف أنّ ما جرى بيننا كان حدثًا لا يرمز لأيّ شيء. مجرّد شيءٍ حدث، أو شيءٍ فعله، لا تمثيلًا حتميًا لفشلي في الحياة بصورةٍ عامّة. لكن عندما رأيته، بدا وكأنّني أمرُّ بكلّ شيءٍ مرّةً أخرى. أليس، أنا أشعر بالفشل فعلًا، وبأنّ حياتي ليس لها أيّ أهمّيّة، وأنّ القليل جدًّا من الأشخاص هم من يهتمُّون بما يحدث فيها. أحيانًا يصعب عليّ إدراك مغزى ما يحدث، تحديدًا عندما تتحوّل الأشياء التي أظنُّها ذات قيمةٍ في الحياة إلى أشياء غير ذات معنى، وعندما لا يحبُّني الأشخاص الذين يفترض بهم أن يفعلوا. تدمع عيناي لمجرّد كتابة هذا الكلام السخيف في هذا الإيميل. سيكون أمامي ستّة أشهرٍ لتجاوز ذلك. بل وبدأت أتساءل إذا ما كنت سأفعل يومًا ما. ربّما تترك بعض أنواع الألم، التي تحدث في مراحل تشكّل حياة الإنسان، أثرًا دائمًا في تصوُّره عن نفسه. مثل كوني لم أفقد عذريّتي حتّى وصلت إلى العشرين، وكانت تجربةً مؤلمةً ومُربكةً وسيّئة، منذ ذلك الوقت، وأنا أشعر تمامًا بأنّني أنتمي إلى نوع الأشخاص الذين تحدث لهم هذه الأشياء، حتّى لو لم أكن أشعر بذلك قبلها. والآن أشعر أنّني من نوع الأشخاص الذين سيفقد شركاؤهم مشاعرهم بعد عدّة سنوات، ولا يبدو أنّ هناك طريقةً تمنعني من أن أكون هذا الشخص بعد الآن.

هل تعملين على شيءٍ جديدٍ من مكانك هناك وسط اللّاشيء؟ أم تخرجين في مواعيد غراميّةٍ فحسب مع الشباب المتمرّدين عندك؟

أفتقدك! وأحبُّك جدًّا. إي

-5-

مرَّ فيلكس بعينه على مجموعةٍ من الوجبات الجاهزة في قسم الأطعمة المُبرَّدة من السوبرماركت، بينما تعلو وجهه نظرة عدم تركيز. الثالثة بعد ظهر يوم الثلاثاء. وحدات الإضاءة تطنُّ فوق رأسه. افترقت بوَّابتا مقدِّمة المحلّ، لكنَّه لم يلتفت. حرَّك وجبةً جاهزةً من على الرفّ، ثمَّ أمسك هاتفه. لا توجد إشعاراتٌ جديدة. بنظرةٍ خاوية، أرجع الجهاز إلى جيْبه، واختار علبةً بلاستيكيَّة، بطريقةٍ بدت عشوائيَّة، سار حتَّى وصل إلى الصندوق ثمَّ دفع. في طريقه للخروج من المحلّ، وأمام رفوف الفاكهة الطازجة، توقَّف. رأى أليس واقفةً هناك تنظر إلى التفَّاح، ترفع تفَّاحةً تلو الأخرى، وتفصحها بحثًا عن أيِّ عطب. عند رؤيتها، تغيَّرت وقفته قليلًا، فردَ ظهره أكثر. لم يكن واضحًا، في البداية، ما إذا كان سيذهب ليلقي التحيَّة عليها، أم سيخرج من المكان من دون قول شيء. لم يبد أنَّه نفسه يعرف. كان يُمسك الوجبة الجاهزة بيدٍ واحدة، ويخبط بها، شارد الذهن، على جانب رجله. عند ذلك، ربَّما لأنَّها سمعته، أو

بدأت تُدرك وجوده بطرف عيْنها، التفتت إليه، ولاحظته، ومباشرةً دسَّت شعرها ليستقرَّ خلف أذنيها.

قالت: «أهلًا أهلًا».

ـ أهلًا، كيف أحوالك؟

ـ بخير، شكرًا.

سألها: «هل كوَّنت بعض الصدقات؟».

ـ نهائيًّا.

ابتسم، خبط بالوجبة الجاهزة على رجله مرَّةً أخرى، ونظر في الأنحاء بحثًا عن باب الخروج.

قال: «آه، هناك. ماذا سنفعل معك؟ ستصابين بالجنون لو بقيت وحدك كلَّ هذا الوقت».

ـ حدث بالفعل. لكن ربَّما كنتُ كذلك قبل وصولي إلى هنا.

ـ هل كنتِ مجنونة؟ بدوتِ طبيعيَّةً تمامًا لي.

ـ ليست الكلمة التي أسمعها عادةً مع اسمي، لكن شكرًا لك طبعًا.

وقفا هناك ينظران إلى بعضهما، حتَّى خفضت عينيْها ولمست شعرها مرَّةً أخرى.

نظر مرَّةً أخرى من فوق كتفه إلى باب الخروج، وأعاد النظر إليها. يصعب تحديد ما إذا كان مستمتعًا بحالة ارتباكها تلك، أم أنَّه يشعر بالشفقة عليها لا أكثر. وبالنِّسبة إليها، بدا أنَّها شعرت بمسؤوليَّةٍ ما، تقتضي أن تستمرَّ واقفةً طالما أراد الاستمرار في الحديث.

سألها: «هل فقدتِ الأمل في تطبيق المواعدة إيَّاه؟».

ابتسمت، ونظرت إليه مباشرةً، ثمَّ أجابت: «نعم، المحاولة الأخيرة لم تشجِّعني تمامًا، لو سمحتَ لي بقول ذلك».

ـ هل تسبَّبتُ في نفوركِ من الرجال كلِّهم؟

ـ ليس الرجال فحسب، البشر بكلِّ أنواعهم.

ضحك، وقال: «لم أكن أظنُّ أنَّني على هذه الدرجة من السوء».

ـ لا. لم تكن. أنا السَّبب.

ـ لا. كنتِ على ما يرام.

عقد حاجبيْه في اتِّجاه الخضراوات الطازجة، قبل أن يتحدَّث مرَّةً أخرى. بدت أكثر ارتياحًا الآن، نظرت إليه من دون تعبير.

قال: «بإمكانك المجيء إلى المنزل اليوم إذا أردت مقابلة الناس، بعض الشباب من العمل سيكونون هناك».

ـ هل تستضيف حفلة؟

رسم تعبيرًا غريبًا على وجهه، وأجاب: «لا أعرف. أقصد أنَّ بعض الأشخاص سيكونون هناك، لذا، حفلةٌ أو شيءٌ كهذا، نعم. لن تكون حفلةً كبيرةً على كلِّ حال».

أومأت برأسها، بينما تحرَّك فمها من دون أن تُظهر أسنانها. قالت: «يبدو هذا لطيفًا. لكن أخبرني أين تسكن مرَّةً أخرى».

ـ سأرسل لكِ المكان على ’جوجل مابس‘ لو كان عندك حسابٌ هناك.

أخرجت هاتفها من جيْبها، وفتحت التطبيق، ثمَّ أعطته الهاتف، وقالت: «هل أخذت إجازةً من العمل اليوم؟».

كتب عنوانه في شريط البحث من دون أن ينظر إليها.

ـ نعم. كلّفوني بورديّات عملٍ عشوائيّةٍ للغاية هذا الأسبوع.

ناولها الهاتف ليريها العنوان: '16 شارع أوشين رايز'. أظهرت الشاشة شبكةً من الشوارع البيضاء على خلفيّةٍ رماديّة، إلى جانب منطقةٍ زرقاء تمثّل البحر.

أضاف: «أحيانًا لا يحتاجونني على الإطلاق هناك، وبعدها تأتي أسابيع يلزم فيها حضوري كلّ يوم. يصيبني الأمر بالجنون».

نظر إلى ناحية الصندوق مرّةً أخرى، وبدا أنّه في مزاجٍ مختلفٍ تمامًا الآن.

ـ سأراكِ في المساء، أليس كذلك؟

أجابت: «لو كنت متأكّدًا من رغبتك في مجيئي».

ـ كما ترغبين طبعًا. عن نفسي كنت لأجنّ لو بقيت وحدي طيلة اليوم. لكن ربّما تفضّلين ذلك.

ـ لا. في الواقع لا أفعل. أرغب في الحضور، شكرًا على الدّعوة.

ـ حسنًا. لا. لا مشكلة. سيكون هناك عددٌ معقولٌ من الأشخاص على كلّ حال. أراك لاحقًا إذن. اعتن بنفسك.

ومن دون أن ينظر في عيْنيها مرّةً أخرى، استدار وغادر المحلّ. أعادت النظر إلى صندوق التفّاح، وبعدها، كما لو أنّها شعرت الآن بأنّه من غير المناسب الاستمرار في فحص التفّاح بأيّ درجة تدقيقٍ كانت، وكأنّ عمليّة البحث، بكلّ تفاصيلها، عن علاماتٍ على السطح الخارجيّ للفاكهة قد أصبحت سخيفة، بل وتستحقّ أن يخجل المرء منها، التقطت أليس تفّاحةً وتوجّهت إلى ممرّ الأطعمة المُبرّدة.

***

16 شارع أوشين رايز كان مَسكنًا مزدوجًا. الجزء الأيسر البارز من الواجهة على الطوب الأحمر، أمَّا الجزء الأيمن فمطليٌّ باللَّون الأبيض. يفصل جدارٌ منخفضٌ باحةَ المنزل الأماميَّة عن الجيران. كانت الستائر مُسدلةً على النوافذ التي تواجه الطريق، لكن بالإمكان تمييز الأضواء في الداخل. وقفت أليس أمام الباب، مرتديةً الثياب نفسها. وضعت بعض البودرة على وجهها، ما جعل بشرتها تبدو جافَّة، وحملت زجاجةً من النبيذ الأحمر بيدها اليسرى. رنَّت الجرس وانتظرت. بعد ثوانٍ قليلة، فتحت امرأةٌ الباب، في مثل عمر أليس تقريبًا، استطاعت رؤية الرَّدهة خلفها، مضيئةً وصاخبة.

قالت أليس: «هاي. هل يعيش فيلكس هنا؟».

ـ نعم. نعم. تفضَّلي.

أدخلتها المرأة ثمَّ أغلقت الباب. في يدها كوبٌ مكسور، بدا أنَّ فيه بعض الكولا. قالت لأليس: «أنا دانييل. الشباب هناك. في المطبخ عند نهاية الرَّدهة».

وجدت ستَّة رجالٍ وامرأتيْن، يجلسون حول الطاولة في أوضاعٍ مختلفة. فيلكس كان يجلس على رخامة المطبخ بجوار محمصة الخبز، ويشرب مباشرةً من علبةٍ يحملها. لم ينهض من مكانه عندما رأى دخول أليس، أومأ برأسه ناحيتها فحسب. تبعت دانييل إلى الحُجرة، باتِّجاه الثلَّاجة، قريبًا من مكان جلوسه.

ـ أهلًا.

ـ أهلًا.

استدار شخصان في الحجرة للنظر إليها، بينما تابع الآخرون حديثهم. سألت دانييل أليس إذا كانت تريد كأسًا من النبيذ، فأجابت أليس بالإيجاب.

«كيف تعرفان بعضكما؟»، سألت دانييل، بينما تبحث في خزانة الأطباق.

قال فيلكس: «التقينا على تندر».

وقفت دانييل، مُمسكةً بكأس نبيذٍ نظيف. قالت: «هذه فكرتكما عن الموعد الغراميّ؟ يا للرومانسيّة!».

- حاولنا أن نخرج في موعدٍ بالفعل، وتقول إنَّ ذلك قد جعلها تكره الرجال كلَّهم إلى الأبد.

حاولت أليس أن تنظر إلى عيني فيلكس، ربَّما كي تبتسم له، وتظهر أنَّ جملته تلك قد أضحكتها، لكنَّه لم يكن ينظر إليها.

قالت دانييل: «لا ألومها».

وضعت أليس زجاجتها على الرخامة، ونظرت إلى مكتبة الأسطوانات الموزَّعة على طول حائط المطبخ، وقالت: «لديْك مكتبةٌ كبيرةٌ من الألبومات الغنائيّة».

- نعم. إنَّها ملكي.

مرَّرت إصبعها على الأغلفة البلاستيكيّة، وسحبت واحدًا منها من مكانه، فتدلَّى وكأنَّه لسان. كانت دانييل قد بدأت حديثًا مع امرأةٍ تجلس على طاولة المطبخ، وجاء رجلٌ آخر ليفتح الثلّاجة.أشار إليها وسأل فيلكس: «من هذه؟»

قال فيلكس: «هذه أليس. روائيَّة».

سألت دانييل: «من هو الروائيّ؟».

ردَّ فيلكس: «هذه السيِّدة. تعيش من الكتابة. أو هكذا تزعم».

سأل الرجل: «ما اسمك؟ سأبحث عنك في جوجل».

تابعت أليس كلَّ ذلك بنظرة مبالاةٍ أجبرت نفسها عليها. وقالت: «أليس كيليهر».

راقبها فيلكس بنظراته. جلس الرجل على كرسيٍّ فارغ، وبدأ يكتب على هاتفه. كانت أليس تشرب من كأسها، وتنقل نظراتها في اتِّجاهات الغرفة المختلفة، وكأنَّها غير مهتمَّةٍ بما يحدث.

قال الرجل، وهو مُنكبٌّ على هاتفه: «تفضَّل! إنَّها مشهورة».

لم تُظهر أليس أيَّ استجابة، ولم تبادل فيلكس نظراته.

أمالت دانييل جذعها لترى الشاشة، وقالت: «انظر إلى هذا كلِّه، هناك صفحة ويكيبيديا باسمها وهذه الأشياء كلْها».

نزل فيلكس عن مكانه، وأخذ الهاتف من يد صديقه، ثمَّ ضحك. لكن لم تبد ضحكاته صادقةً بالكامل.

قرأ بصوتٍ عال: «الأعمال الأدبيَّة. أعمالٌ فنيَّةٌ مقتبسةٌ من رواياتها. الحياة الشخصيَّة».

قالت أليس: «لا بدَّ أنَّ ذاك القسم الأخير موجزٌ للغاية».

سألها: «لماذا لم تُخبرينني أنَّك مشهورة؟».

أجابت بنبرة صوتٍ ملولة، تكاد تكون غير مباليَّة: «أخبرتك أنَّني كاتبة».

ابتسم لها. «سأعطيك نصيحةً للمرَّة القادمة التي تخرجين في موعدِ غراميٍّ فيها. قولي إنَّك شخصيَّةٌ مشهورة»، قال.

ـ شكرًا على النصيحة المتطفِّلة، سأحرص على تجاهلها تمامًا.

ـ ماذا؟ هل أنت متضايقةٌ الآن من أنَّنا اكتشفناك على الإنترنت؟

ـ بالتَّأكيد لا. لقد أخبرتك باسمي. لم أكن مضطرَّةً لذلك.

لبضع ثوان، استمرَّ في النظر إليها، وبعدها هزَّ رأسه، وقال: «أنتِ غريبة الأطوار».

ضحكت ثمَّ أجابَت: «ملاحظةٌ ممتازة. لماذا لا تضعها في صفحتي على ويكيبيديا».

ضحكت دانييل أيضًا في تلك اللَّحظة، وصعد الدم إلى وجه فيلكس. أدار وجهه بعيدًا عن أليس، وقال: «بإمكان أيِّ شخصٍ أن يحصل على واحدةٍ من هذه الصفحات. في الغالب أنتِ من كتبها أصلًا».

وكأنَّها قد بدأت تستمتع بما يحدث، ردَّت أليس: «لا. الكتب فقط».

ـ لا بدَّ أنَّك تظنِّين نفسك شخصًا مميَّزًا للغاية.

تدخَّلت دانييل: «لماذا تتصرَّف بهذه الحساسيَّة؟».

أجاب فيلكس: «حساسيَّة؟ لا طبعًا». أعاد الهاتف إلى صديقه، واستند إلى الثلَّاجة، عاقدًا ذراعيْه.

كانت أليس واقفةً بالقرب منه عند طاولة المطبخ. نظرت دانييل إلى أليس ورفعت حاجبيْها، لكنَّها عادت إلى المحادثة التي كانت تجريها قبل ذلك. قرَّرت امرأةٌ أخرى أن تشغِّل بعض الموسيقى، وتصاعدت ضحكات بعض الرجالِ الواقفين في الناحية الأخرى من الحُجرة.

قالت أليس لفيلكس: «سأرحل لو أردت ذلك».

ـ من قال إنَّني أريدك أن ترحلي؟

دخلت مجموعةٌ جديدةٌ من الأشخاص إلى الحُجرة، فارتفعت الأصوات فيها. لم يقترب أحدٌ من أليس ولا فيلكس للتحدُّث. وقفا صامتيْن قرب الثلَّاجة. لم تعبِّر ملامح أيٍّ منهما عن أنَّ هذا الموقف يضايقه، لكن بعد عدَّة ثوان، فرد فيلكس ذراعيْه وقال: «لا أحبُّ التدخين في المنزل. هل تأتين معي لشرب سيجارةٍ في الخارج؟ ستقابلين كلبتنا».

هزَّت أليس رأسها، ولم تقل شيئًا، تبعته ممسكةً بكأسها عبر باب الفناء وصولًا إلى الحديقة الخلفيَّة.

أغلق فيلكس الباب المنزلق خلفه، ومشى على العشب باتِّجاه سقيفة حديقةٍ يعلوها سطحٌ بدائيُّ الصنع من المشمَّع. من وسط الحديقة، ركضت كلبةٌ من نوع سبرنجر سبانيل على الفور لتقابله، عطست من الحماس، ووضعت كفوفها الأماميَّة عند قدميْ فيلكس، ونبحت مرَّةً واحدة.

قال: «هذه هي سابرينا. ليست كلبتنا في الواقع. الأشخاص الذين عاشوا هنا قبلنا تركوها وغادروا فحسب. أنا الشخص الذي يُطعمها غالبًا، لهذا تحبُّني بهذا الشكل».

ـ هذا واضح.

ـ في العادة لا نتركها في الخارج. عندما يزورنا الناس فحسب. سأدخلها إلى البيت مرَّةً أخرى حين يغادر الناس.

سألته أليس إن كان يتركها تنام بجواره على السرير، فضحك فيلكس وقال: «تحاول، لكنَّها تعرف أنَّ ذلك غير مسموح». ثمَّ مسح على أذني الكلبة وقال برقَّة: «عبيطة». استدار إلى أليس وأضاف: «إنَّها حمقاء تمامًا بالمناسبة، غبيَّةٌ جدًّا. هل تدخِّنين؟».

كانت أليس ترتجف، وشعرت بالقشعريرة في الجزء المكشوف من رسغها، لكنَّها قبلت سيجارة ووقفت هناك تدخِّن. أشعل فيلكس واحدةً لنفسه. سحب نفسًا منها، وأطلقه إلى هواء الليل الصافي، ثمَّ أعاد النظر إلى البيت. كان باستطاعته رؤية الأضواء في الداخل وأصدقائه وهم يتحدَّثون ويومئون بأيديهم. حول المستطيل الأصفر الدافئ لأبواب الفناء، أمكنه رؤية ظلام البيت، والعشب، والفراغ الأسود الصافي للسماء.

قال: «داني فتاةٌ لطيفة».

ـ نعم، تبدو كذلك.

ـ نعم. خرجنا معًا عدَّة مرَّات.

ـ فعلًا؟ لفترةٍ طويلة؟

هزَّ كتفيْه، وقال: «لمدَّة عامٍ تقريبًا. لا أتذكَّر.. أكثر من عامٍ في الحقيقة. في كلِّ الأحوال، كان هذا قبل وقتٍ طويل. نحن صديقان مقرَّبان الآن».

ـ هل ما زلت تشعر بشيءٍ نحوها؟

نقل بصره إلى المنزل، وكأنَّه يحاول التقاط شيءٍ من طيف دانييل قد يساعده في الإجابة عن هذا السؤال في رأسه. قال: «إنَّها مع شخصٍ آخر الآن على كلِّ حال».

ـ هل هو أحد أصدقائك؟

ـ أعرفه. نعم. لم يأت الليلة، ربَّما تقابلينه في وقتٍ آخر.

أبعد بصره عن البيت، ونفض بعض الرماد عن سيجارته، فسقطت بعض الشرارات ببطءٍ في الهواء المُظلم. ابتعدت الكلبة عن السقيفة، ثمَّ ركضت في دائرةٍ لعدَّة مرَّات.

ـ لكي أكون منصفًا، فلو كانت هي تسمعني الآن، لقالت لك إنَّني من أفسدت الأمور.

ـ ماذا فعلت؟

ـ حسنًا. كنت باردًا. أظنُّ ذلك. بحسب قولها. يمكنك أن تسأليها إذا أردت.

ابتسمت أليس، وقالت: «هل تريدنني أن أسألها؟».

ـ لا طبعًا. ليس من أجلي. لقد سمعت ما فيه الكفاية من هذه الأمور وقتها. لا أبكي بسبب الموضوع الآن. لا تقلقي.

ـ هل بكيت وقتها؟

ـ ليس بالمعنى الحرفيّ. هل هذا ما تقصدينه؟ لم أبك بالفعل، لكن كنت متضايقًا. نعم.

ـ هل أنتَ من النوع الذي يبكي أصلًا؟

أطلق ضحكةً قصيرةً ثمَّ قال: «لا. هل تبكين أنت؟».

ـ دائمًا.

ـ فعلًا؟ ما الذي يجعلك تبكين؟

ـ أيُّ شيءٍ في الواقع. أظنُّ أنَّني حزينةٌ جدًّا.

نظر إليها، وسأل: «فعلًا؟ لماذا؟».

ـ لا يوجد سببٌ محدَّد. هذا ما أشعر به فقط. أشعر أنَّ حياتي صعبة.

بعد توقُّف، نظر إلى سيجارته، وقال: «أشعر أنَّك لم تخبريني بالقصَّة الكاملة وراء انتقالك إلى هنا».

ـ ليست بالقصَّة الجيِّدة. مررت بانهيارٍ عصبيّ. بقيت في مستشفى لبضعة أسابيع، ثمَّ انتقلت إلى هنا عندما خرجت. لكنَّ الأمر ليس مُحاطًا بقصَّةٍ غامضةٍ صدِّقني. لم يكن هناك سببٌ لهذا الانهيار العصبيّ. حدث الأمر فحسب، وهو ليس سرًّا. كلُّ الناس يعرفون ذلك.

أطرق فيلكس مفكِّرًا في هذه المعلومات الجديدة. «هل صفحتك على ويكيبيديا تشير لهذا الموضوع؟»، سأل.

ـ لا. أقصد كلَّ الناس في حياتي. لا كلَّ الناس في العالم.

ـ وما سبب هذا الانهيار العصبيّ؟

ـ لا شيء.

ـ حسنًا، لكن ما الذي تقصدينه بأنَّك مررت بانهيارٍ عصبيّ؟ ما الذي حدث مثلًا؟

نفثت دفقة دخانٍ بجانب فمها ثمَّ قالت: «شعرت بأنَّني أفقد السيطرة. كنت غاضبةً للغاية وأشعر بضيقٍ شديدٍ طوال الوقت. لم أكن قادرةً على التحكُّم في نفسي، لم أستطع العيش بطريقةٍ عاديَّة. هذا أقصى ما يمكنني شرحه».

ـ مفهوم.

غرقا في الصمت. شربت أليس آخر ما تبقَّى في كأسها من النبيذ، وسحقت سيجارتها بقدمها، ثمَّ عقدت ذراعيْها أمام صدرها.

بدا أليكس مشتَّتًا، وأكمل سيجارته ببطء، وكأنَّه نَسِيَ أنَّها لا تزال واقفةً بجواره. تنحنح ثمَّ قال: «شعرتُ بشيءٍ يشبه هذا بعد وفاة أمِّي. العام الماضي. بدأت فكرة: لماذا نعيش أساسًا؟ تظهر في دماغي. هل تفهمين قصدي؟ لم أكن أفكِّر في شيءٍ أفعله بناءً على ذلك. ولم أرغب في الموت أو أيِّ شيءٍ من هذا القبيل. لكنَّني في أغلب الأوقات شعرت بأنَّني لا أكترث للحياة. لا أدري لو كنت ترين ذلك انهيارًا عصبيًّا. مرَّت عليَّ عدَّة شهورٍ كنت فيها، وبكلِّ جديَّة، غيرَ مهتمٍّ بأيِّ شيء. الاستيقاظ والذهاب إلى العمل. كلُّ تلك الأمور. في الحقيقة، خسرت وظيفتي وقتها، ولهذا السَّبب أعمل في المستودع الآن. إذن فقد تعرَّضت لشيءٍ ممَّا تقولينه عن الانهيار العصبيّ. من الواضح أنَّ التجربة كانت مختلفةً في حالتي، لكن يمكنني أن أفهم ما الذي تعرَّضت له. نعم».

مرَّةً أخرى، عزَّته أليس في والدته وشكرها.

قالت: «سأذهب إلى روما الأسبوع القادم لأنَّ الطبعة الإيطاليَّة من كتابي ستصدر هناك. هل ترغب في الذهاب معي؟».

لم يُظهر أيَّ اندهاشٍ من الدَّعوة. أطفأ سيجارته بدعك جذوتها في جدار السقيفة عدَّة مرَّات. نبحت الكلبة مرَّةً أخرى من نهاية الحديقة.

قال فيلكس: «لا أملك مالًا لذلك».

- حسنًا. يمكنني أن أتكفَّل بالأمر. أنا غنيَّةٌ ومشهورة. هل نسيت؟

رسم ابتسامةً خافتةً على وجهه. «أنتِ غريبة الأطوار. لا أتراجع عمَّا قلت. إلى متى ستبقين هناك؟»، سأل.

ـ سأصل هناك يوم الأربعاء. وسأعود صباح الاثنين. لكن يمكننا البقاء لفترةٍ أطول لو أردت.

أطلق ضحكة. قال: «لا أصدِّق ما يحدث».

ـ هل سبق لك الذهاب إلى روما؟

ـ لا

ـ إذن فرأيي أنَّ عليك الذهاب. أظنُّ أنَّها ستعجبك.

ـ كيف تعرفين ما سيعجبني؟

نظرا إلى بعضهما. كان الظلام مخيِّمًا لدرجةٍ جعلت من الصَّعب على أيٍّ منهما استجلاء تعبيرات وجه الآخر، لكنَّهما لم يقطعا نظراتهما، وكأنَّ فعل النظر في حدِّ ذاته كان أكثر أهمِّيَّةً ممَّا يمكن رؤيته.

ـ لا أعرف. أنا أخمِّن فقط.

أدار وجهه بعيدًا في النهاية. قال: «حسنًا. سآتي معك».

-6-

أتساءل كلَّ يوم لماذا أصبحت حياتي على ما هي عليه. لا أصدِّق أنَّه ينبغي عليَّ أن أتعامل مع كلِّ هذه الأشياء ؛أن تُكتب عنِّي المقالات، وأرى نفسي في صورٍ على الإنترنت، وأقرأ تعليقاتٍ تتناول شخصيَّتي. عندما أتحدَّث عن الأمر بهذه الطريقة، أفكِّر: هل هذا كلُّ شيء؟ ما هي المشكلة؟ الحقيقة أنَّه رغم تفاهة كلِّ هذا، فالأمر يصيبني بحالةٍ من البؤس. ولا أريد أن أعيش حياةً كهذه. عندما أرسلت كتابي الأوَّل إلى دار النشر، كان كلُّ ما أردته هو الحصول على ما يكفي من المال لكتابة الثاني. لم أقل عن نفسي أبدًا إنَّني شخصٌ متماسكٌ نفسيًّا، قادرٌ على التعامل مع الأسئلة المتتالية التي يطرحها الناس عن شخصيَّتي أو نشأتي. بأمانةٍ شديدة، أؤمن أنَّ الأشخاص الذين قرَّروا عمدًا أن يصبحوا مشهورين ـ وأنا هنا أعني الأشخاص الذين ذاقوا بعضًا من طعم الشهرة فأرادوا المزيد والمزيد منهاـ هم مجموعةٌ من المرضى النفسيِّين الذين لا يُرجى شفاؤهم. وحقيقة أنَّ ثقافتنا الحاليَّة

تعرّضنا لهؤلاء الأشخاص، في كلِّ مكان، لا بوصفهم أشخاصًا طبيعيّين فحسب، بل وجذّابين نتطلّع لأن نكون مكانهم، هو أمرٌ يدلُّ على مدى تشوُّهنا الاجتماعيّ. هناك شيءٌ خَرِبٌ في هؤلاء الأشخاص، وعندما نتطلّع إليهم ونتعلّم منهم، فإنّنا نفسد أيضًا.

أصلًا ما علاقة المؤلِّف المشهور بكتبه المشهورة؟ لو أنّني شخصيَّةٌ قليلة التهذيب لا تُطاق، أتحدَّث بلكنةٍ مزعجة، وهي أمورٌ حقيقيَّةٌ في رأيي، هل لهذا علاقةٌ برواياتي؟ بالطبع لا. سيكون عملي كما هو، بلا تغيير. وما الذي ستكسبه الكتب عند ربطها بي أنا، بوجهي، بطريقتي في التعامل، بكلِّ الخواص النوعيَّة المُحبطة التي ترتبط بهذه الأمور؟ لا شيء. لماذا إذن، لماذا، تحدث الأمور بهذه الطريقة؟ من المستفيد من ذلك؟ كلُّ هذا يجعلني بائسة، ويُبعدني عن الشيء الوحيد الذي يحمل أيَّ معنى في حياتي، ولا يعود بأيِّ نفعٍ على الناس. لا يُشبع هذا إلّا أحطَّ أنواع الفضول وأكثرها شهوانيَّة، ولا يخدم إلّا حصر الخطاب الأدبيّ بالكامل ليدور حول الشخصيَّة المهيمنة للـ'مؤلِّف'، الذي ينبغي علينا أن نفحص نمط حياته وخصوصيَّاته، وأن نصفها بكلِّ تفصيلٍ فضائحيٍّ مُمكن، من دون سببٍ واضح. في كلِّ مرَّةٍ أصادف فيها هذا الشخص، الذي هو أنا، أكرهه بكلِّ ما أوتيت من قوَّة. أكره طريقة تعبيرها عن نفسها، أكره مظهرها، وأكره آراءها عن كلِّ الأشياء. ورغم ذلك، فالآخرون يقرأون عنها، ويصدِّقون أنَّها أنا. مواجهة هذه الحقيقة تجعلني أشعر وكأنّني قد متُّ بالفعل.

لا يمكنني الشكوى طبعًا، لأنَّ كلَّ الناس تُخبرني دائمًا أن 'أستمتع بما يحدث'. لكنَّهم جهلة. لم يمرُّوا بما مررت به. لقد فعلت كلَّ ذلك وحدي. حسنًا. كانت هذه تجربةً محدودةً بشكلٍ ما، وسيخفت كلُّ

شيءٍ في غضون عدَّة شهورٍ أو سنوات، ولن يتذكَّرني أحدٌ أصلًا، الحمد للَّـه. لكن توجَّب عليَّ فعل ذلك، كان عليَّ أن أختبر ذلك وحدي، ومن دون أن يعلِّمني أحدٌ كيفيَّة فعل الأمر، وجعلني هذا أحتقر نفسي لدرجةٍ غير محتملةٍ تقريبًا. أيًّا كان ما أفعله، ومهما كانت الموهبة غير المهمَّة التي ربَّما أمتلكها، يتوقَّع الناس منِّي أن أبيعها، أقصد المعنى الحرفيّ، أن أبيعها من أجل المال، حتَّى ينتهي بي الحال مع قدرٍ كبيرٍ من المال، من دون أيِّ موهبةٍ متبقِّية. وعندها سينتهي الأمر. سأكون أنا قد انتهيت، أفسحوا المجال للفتاة البرَّاقة ذات الخامسة والعشرين التي توشك على الانهيار نفسيًّا. وإذا كنتُ قد قابلت بالصدفة إنسانًا حقيقيًّا غير مزيَّف، فقد كان مختفيًا بين حشود المتوحِّشين المصابين بجنون العظمة، لدرجة أنَّني لم أستطع تمييزه. أظنُّ أنَّني لا أعرف أشخاصًا حقيقيِّين غيرك أنت وسايمون، وفي الوقت الحالي، لا تستطيعين أنت النظر لي إلَّا بشفقة، لا بحبٍّ ولا بصداقة، شفقةٍ فحسب. وكأنَّني شيءٌ نصف ميِّتٍ على جانب الطريق، وأفضل شيءٍ يمكن فعله هو إراحتي، برحمةٍ، ممَّا أعانيه.

بعد قراءة إيميلك السَّابق عن انهيار العصر البرونزيِّ المتأخِّر، انبهرت بفكرة أنَّ 'ضياع' أنظمة الكتابة أمرٌ مُمكن. في الواقع لم أكن متأكِّدةً ممَّا يعنيه ذلك، لهذا كان عليَّ أن أبحث، وانتهى بي الحال أقرأ الكثير عن شيءٍ يُدعى النظام الخطِّيّ باء. هل تعرفين كلَّ شيءٍ عن ذلك بالفعل؟ بشكلٍ أساسيّ، قرابة عام 1900، عثر فريقٌ من منقِّبي الآثار البريطانيِّين في كريت على خبيئةٍ من الألواح الطينيَّة الأثريَّة، داخل حوض استحمامٍ من الطين المحروق. حملت الألواح نقوشًا من كتابةٍ مقطعيَّةٍ للغةٍ غير معروفة، وأرجع العلماء تاريخها التقريبيَّ إلى 1400 سنة قبل الميلاد. وعلى امتداد بدايات القرن العشرين،

حاول الباحثون الكلاسيكيُّون وعلماء اللغة فكَّ شفرة هذه الرموز، التي حملت اسم النظام الخطِّيّ باء، لكن من دون جدوى. ورغم أنَّ النصّ كان منتظمًا بطريقةٍ تُشبه الكتابة، فلم يستطع أحدٌ التعرُّف على اللغة التي دوِّنت بها النقوش. كثيرٌ من العلماء الأكاديميِّين وضعوا فرضيَّاتٍ تقول إنَّها لغةٌ منقرضةٌ من الحضارة المينوسيَّة في كريت، لم يَعُد لها أثرٌ في العالم الحديث. وفي عام 1936، في عمر الخامسة والخمسين، قدَّم عالم الحفريَّات آرثر إيفانز محاضرةً في لندن عن هذه الألواح، وكان من بين الحضور طالبٌ عمره أربعة عشر عامًا، اسمه مايكل فينتريس. وقبل اندلاع الحرب العالميَّة الثانية، اكتشفت خبيئةٌ جديدةٌ من الألواح، وجرى تصويرها، هذه المرَّة على الأراضي اليونانيَّة. لكن حتَّى وقتها، لم تنجح أيُّ محاولاتٍ لترجمة النصّ أو التعرُّف على اللُّغة. وقتها كانت مايكل فينتريس قد كبر، ودرس ليصبح مهندسًا معماريًّا، وأثناء الحرب، جرى تجنيده ليخدم في سلاح الجوّ الملكيّ البريطانيّ. لم يتلقَّ أيَّ تأهيلٍ رسميٍّ في علوم اللغة أو اللغات الكلاسيكيَّة، لكنَّه لم ينس أبدًا محاضرة آرثر إيفانز عن النظام الخطِّيّ باء التي استمع إليها ذات يوم. بعد الحرب، عاد فينتريس إلى إنجلترا، وقرَّر مقارنة صور الألواح المُكتشفة حديثًا من اليونان مع النقوش الموجودة على الألواح الكريتيَّة. لاحظ أنَّ رموزًا بعيْنها في ألواح كريت لا تتطابق مع أيٍّ من الرموز من بيلوس. وخمَّن بالتالي أنَّ هذه الرموز بالتَّحديد ربَّما تمثِّل أسماء أماكن على الجزيرة. وانطلاقًا من هنا، استطاع معرفة الطريقة التي يمكنه من خلالها فكَّ شفرة النصّ، وكاشفًا عن أنَّ النظام الخطِّيّ باء هو في الحقيقة أحد أشكال الكتابة المبكِّرة من اليونانيَّة القديمة. لم يكشف عمل فينتريس عن أنَّ اللغة اليونانيَّة

كانت لغة الثقافة الموكيانيَّة فحسب، وإنَّما قدَّم دليلًا على شكلٍ من اللغة اليونانيَّة المكتوبة سبقت أقدم النماذج المعروفة بمئات السنين. بعد هذا الاكتشاف، كتب فينتريس، بالتعاون مع عالم اللغة والباحث الكلاسيكيّ جون تشادويك، كتابًا يتناول ترجمة هذا النصّ، حمل عنوان: «وثائق باليونانيَّة الموكيانيَّة». وقبل أسابيع من نشر الكتاب في عام 1956، كان فينتريس يقود سيَّارته واصطدم بشاحنةٍ مركونةٍ ومات. كان يبلغ من العمر أربعةً وثلاثين عامًا.

بصراحة، كثَّفت القصَّة هنا في صورةٍ دراميَّةٍ مناسبة. لكنَّ هناك الكثير من العلماء الكلاسيكيِّين ممَّن لعبوا دورًا فيها، من بينهم بروفيسورة أميركيَّةٌ اسمها أليس كوبر، كان لها إسهامٌ معتبرٌ في تفسير النظام الخطّيّ باء. ماتت بالسرطان في عمر الثالثة والأربعين. وبصورةٍ ما، فمقالات ويكيبيديا عن فينتريس، والنظام الخطّيّ باء، وآرثر إيفانز، وأليس كوبر، وجون تشادويك، واليونانيَّة الموكيانيَّة، تتَّصف بأنَّها غير منظَّمة، بل وبعضها يقدِّم نسخًا مختلفةً من القصَّة نفسها. هل كان إيفانز في الرابعة والثمانين أم الخامسة والثمانين حين حضر فينتريس محاضرته؟ وهل كان ذلك اليوم هو المرَّة الأولى التي يعرف فيها إيفانز حقًّا عن النظام الخطّيّ باء، أم أنَّه كان قد سمع به من قبل؟ والطريقة التي وصف بها موته كانت مقتضبةً للغاية وشديدة الغرابة: تقول ويكيبيديا إنَّه مات «على الفور» بعد «اصطدامٍ في وقتٍ متأخِّرٍ من اللَّيل مع شاحنةٍ مركونة»، وأنَّ الطبيب الشرعيَّ أصدر حكمه بالوفاة العرضيَّة غير المتعمَّدة. كنت أفكِّر مؤخَّرًا في العالم القديم الذي يعود إلينا، ظاهرًا من بين تمزُّقاتٍ غريبةٍ في الزمن، من خلال السرعة الهائلة والهدر والإلحاد التي صبغت القرن العشرين، عبر أيدي أليس كوبر وعينيْها، التي أودت بها شراهتها

للسجائر في سنِّ الثالثة والأربعين، ومايكل فينتريس، الذي مات في حادث سيَّارةٍ وهو في الرابعة والثلاثين.

على كلِّ حال، هذا يعني أنَّه أثناء العصر البرونزيّ، ظهرت إلى الوجود كتابةٌ مقطعيَّةٌ معقَّدة، لتمثِّل اللغة اليونانيَّة في صورةٍ كتابيَّة. وبحلول مرحلة الانهيار التي أخبرتني عنها، دُمِّرت كلُّ هذه اللغات تمامًا. وفي وقتٍ لاحق، صُمِّمت أنظمة كتابةٍ أخرى لتمثِّل اللغة اليونانيَّة، لكن لم يكن لها علاقةٌ بالنظام الخطِّيِّ باء. ولم يكن الأشخاص الذين صمَّموا هذه الأنظمة واستخدموها على علمٍ بوجود النظام الخطِّيِّ باء على الإطلاق. الشيء غير المحتمل في كلِّ هذا، هو أنَّ هذه النقوش، عند كتابتها للمرَّة الأولى، كانت تعني شيئًا ما، للأشخاص الذين كتبوها وقرأوها، ولمدَّة آلاف السنين، أصبحت غير ذات معنى، على الإطلاق، نهائيًا. لأنَّ الرابط انقطع، وتوقَّف التاريخ. ثمَّ جاء القرن العشرين ليصلح الأوضاع، ويُجبر التاريخ على الحركة مرَّةً أخرى. ألا يمكننا أن نفعل الشيء نفسه، بطريقةٍ أخرى؟

تضايقتُ من شعورك بالسُّوء لهذه الدرجة بعد مقابلتك لإيدن بالصدفة. هذه المشاعر طبيعيَّةٌ تمامًا بلا شك. لكن بوصفي صديقتك المفضَّلة، التي تحبُّك جدًّا، وتتمنَّى لك الأفضل في كلِّ ناحيةٍ من نواحي حياتك، هل ستضايقك إشارتي إلى أنَّكما لم تكونا سعيديْن معًا؟ أعرف أنَّه من قرَّر إنهاء الأمور، وأعرف أنَّ ذلك بالتَّأكيد كان مؤلمًا ومؤسفًا. لا أحاول إقناعك بالتوقُّف عن الإحساس بشعورٍ سيِّئ. كلُّ ما أقوله هو أنَّني أظنُّ أنَّك تعرفين، في أعماق قلبك، بأنَّ هذه العلاقة لم تكن جيِّدة. أنت نفسك تحدَّثت معي أكثر من مرَّةٍ عن رغبتك في الانفصال عنه وأنَّك لا تعرفين الطريقة المناسبة لفعل ذلك. السَّبب الوحيد الذي يجعلني أقول ذلك هو

أنَّني لا أريدك أن تنظري للأمر بأثرٍ رجعيّ، متوهِّمةً أنَّ إيدن كان هو توأمك الروحيَّ أو أنَّك لن تعرفي السعادة بعيدًا عنه. لقد دخلت في علاقةٍ طويلةٍ غير ناجحةٍ أيَّام عشرينيَّاتك. لا يعني هذا أنَّ اللَّـه قد كتب عليك حياةً من الشقاء والفشل. أنا نفسي دخلت في علاقةٍ فاشلةٍ فترة عشرينيَّاتي ولم تنجح، هل تتذكَّرين؟ وسايمون وناتالي كانا معًا لمدَّةٍ تقارب الخمس سنوات قبل أن ينفصلا. هل تظنين أنَّه فاشل؟ أو أنَّني فاشلة؟ هممم. حسنًا. عندما أفكِّر في ذلك الآن، فربَّما نحن جميعًا مجموعةٌ من الفشلة. لكن لو أنَّ الأمر كذلك، فإنَّني أفضِّل الفشل على النجاح.

لا. لم أفكِّر أبدًا بصراحةٍ في ساعتي البيولوجيَّة. أشعر أنَّ خصوبتي في الغالب ستطاردني لعشر سنين قادمة على كلِّ حال. كانت أمي في الثانيَّة والأربعين من العمر حين ولدت كيث. لكنَّني لا أرغب في إنجاب الأطفال. لم أكن أظنُّ أنَّك ترغبين في ذلك. في هذا العالم؟ العثور على شخصٍ تحملين منه لن يكون مشكلةً على كلِّ حال. مثلما يقول سايمون، لديْك مظهر «خصيب». الرجال يحبُّون ذلك. في النهاية: هل ما زلت تخطِّطين لزيارتي؟ أحذِّرك مسبقًا من أنَّني سأكون في روما الأسبوع القادم، ثمَّ سأعود غالبًا إلى المنزل في الأسبوع الذي يليه. تعرَّفت على صديقٍ هنا، اسمه (فعلًا) فيلكس. وإذا كنت تصدِّقينني، فسيتوجَّب عليك تصديق أنَّه سيذهب معي إلى روما. لا، لا أعرف لماذا، لهذا لا تسألي. خطر ذلك ببالي فحسب، ألن يكون من الممتع دعوته؟ ويبدو أنَّه قد خطر في باله أنَّ الأمر سيكون ممتعًا بالفعل لو وافق. أنا متأكِّدةٌ أنَّه يظنُّ أنَّني مخبولةٌ تمامًا، لكنَّه كذلك يعرف أنَّها فرصةٌ جيِّدة، لأنَّني سأدفع تكاليف رحلة الطيران. أريدك أن تقابليه! ها هو سببٌ آخر يغريك بالمجيء وزيارتي عندما أكون في المنزل. هل ستأتين؟ رجاء؟ كلُّ الحبّ. دائمًا.

-7-

في يوم الخميس نفسه، حضرت إيلين قراءةً شعريَّةً تستضيفها المجلَّة التي تعمل فيها. عُقدت القراءة في مركز فنونٍ بوسط شمال المدينة. جلست إيلين، قبل الحفل، خلف طاولةٍ صغيرة، تبيع أحدث أعداد المجلَّة، بينما تحلَّق الحضور أمامها، يمسكون كؤوس نبيذٍ ويتفادون النظر إلى عينيْها. من وقتٍ لآخر، يقترب شخصٌ ما منها ليسأل عن مكان الحمَّام، وكانت توجِّههم، بنبرة الصوت نفسها وإشارة اليد في كلِّ مرَّة.. قبل بدء القراءة مباشرةً، مال رجلٌ كبير السنِّ فوق الطاولة ليُخبرها أنَّ لها «عيني شاعرة». ابتسمت إيلين بإيماءةٍ خجولة، وربَّما في محاولةٍ للتظاهر بأنَّها لم تسمعه، قالت إنَّها تظنُّ أنَّ الحفل على وشك البدء في الداخل. عندما بدء الحفل بالفعل، أغلقت صندوق المال، وأخذت كأس نبيذٍ من طاولةٍ في الخلف، ودخلت إلى القاعة الرئيسيَّة. جلس عشرون أو خمسةٌ وعشرون شخصًا بالداخل، تاركين الصفَّيْن الأوَّل والثاني من المقاعد خاليين تمامًا. محرِّر المجلَّة عند

منصَّة القراءة على المسرح، يقدِّم الشاعر الأوَّل. وقفت امرأةٌ اسمها باولا، من عمر إيلين وتعمل في المركز، ثمَّ تركت كرسيَّها بجوار الممرّ، لتسمح لإيلين بالجلوس جانبها.

همست: «هل بعتِ كثيرًا من النسخ؟».

قالت إيلين: «اثنتيْن. ظننت أنَّنا سننجح في بيع الثالثة عندما رأيت رجلًا كبيرًا يقترب، لكن اتَّضح أنَّه لم يرد إلَّا إبداء إعجابه بعينيّ».

ضحكت باولا ضحكةً مكتومة. قالت: «طريقةٌ ممتازةٌ لقضاء ليلة يوم عمل».

ردَّت إيلين: «على الأقلّ عرفت أنَّ عينيَّ جميلتان».

تضمن برنامج الأمسيَّة خمسة شعراء، يندرج كلُّ واحدٍ منهم بطريقةٍ ما تحت ثيمة الـ«أزمة». قرأ اثنان منهما مقتطفاتٍ من أعمالٍ تتناول الأزمات الشخصيَّة، مثل الخسارة والمرض، بينما تناول واحدٌ منه مواضيع التطرُّف السياسيّ. شاعرٌ شابٌّ يرتدي نظارةً تلا شعرًا لحنيًّا شديد التجريد، لدرجة أنَّ صلته بثيمة العرض لم تكن واضحة، بينما تحدَّثت امرأةٌ ترتدي فستانًا أسود طويلًا لمدَّة عشر دقائق عن صعوبة العثور على ناشر، ولم تتمكَّن بالتالي إلَّا من قراءة قصيدةٍ واحدة، وكانت سوناتا لها قافية. كتبت إيلين على مفكِّرة هاتفها: «القمر المجنون سقط على الصحون». ثمَّ أمالت الهاتف لتنظر باولا إلى الجملة. ابتسمت باولا بالكاد قبل أن تُحوِّل اهتمامها إلى القراءة. مسحت إيلين ما كتبته. بعد القراءة، التقطت كأسًا آخر من النبيذ وذهبت لتجلس من جديدٍ خلف المكتب.

اقترب الرجل الكبير مرَّةً أخرى منها، وقال: «كان ينبغي أن تكوني أنت هناك».

أومأت إيلين بلطف.

ـ أنا متأكّد. أنت تملكين ذلك بداخلك.

ـ ممم...

ابتعدَ من دون أن يشتري نسخةً من المجلّة.

بعد نهاية الحفل، ذهبت إيلين بصحبة بعض المنظّمين وأشخاصٍ يعملون في المركز الثقافيّ إلى حانةٍ قريبةٍ لتناول مشروب. جلست باولا بجوار إيلين مرّةً أخرى، تشرب باولا جين وتونك في كأسٍ ضخم، فيه قطعٌ كبيرةٌ من الجريب فروت، وإيلين ويسكي مع الثلج، بينما تتحدّثان عن «أسوأ تجارب الانفصال». تصف باولا مرحلة النهاية، طويلة الأمد، لعلاقةٍ استمرّت عامين، بقيت خلالها هي وصاحبتها، تفرطان في الشرب، وتراسلان بعضهما، ما ينتهي في النهاية حتميًّا إما بـ«شجارٍ عنيفٍ أو ممارسة الجنس».

شربت إيلين جرعةً من كأسها، وقالت: «يبدو هذا سيّئًا. لكن على الأقلّ، كنت لا تزالين تمارسين الجنس. هل تفهمين قصدي؟ لم تكن العلاقة ميّتةً تمامًا. لو أنَّ إيدن كان يراسلني حين يسكر، حسنًا، ربّما كان الأمر لينتهي بشجار. لكنّني على الأقلّ سأشعر أنّه يتذكّرني أصلًا».

قالت باولا إنّها متأكّدةٌ من أنّه يتذكّر، بالنظر عدد السنوات التي عاشاها معًا.

أجابت إيلين، وعلى وجهها ابتسامةٌ مفتعلة: «هذا ما يضايقني تحديدًا. لقد أمضيت نصف عشرينيّاتي مع هذا الشخص، وفي النهاية، سأم منّي فحسب. هذا هو ما حدث. ملَّ منّي. أشعر أنَّ هذا يقول شيئًا ما عني، أليس كذلك؟ أكيد».

عبست باولا، وقالت: «لا. لا يعني هذا أيَّ شيء».

أطلقت إيلين ضحكةً خجولةً متوتِّرةً ثمَّ ضغطت على ذراع باولا وقالت: «أنا آسفة. سأجلب لك كأسًا آخر».

بحلول الحادية عشرة مساء، استلقت إيلين على السرير وحدها، منكمشةً على نفسها في جانبٍ من السرير، ساح مسحوق التجميل قليلًا تحت عينيْها. تُحدِّق في شاشة هاتفها. ضغطت أيقونة تطبيقٍ من تطبيقات التواصل الاجتماعيّ. فتح الهاتف التطبيق، وعرض علامة تحميل. حرَّكت إيلين إبهامها على الشاشة، منتظرةً أن يكتمل تحميل الصفحة، ثمَّ فجأة، وكأنَّها قرَّرت ذلك للتوّ، أغلقت التطبيق. بدلًا من ذلك، فتحت قائمة الاتِّصال، واختارت اسم «سايمون»، وضغطت زرَّ الاتِّصال. بعد ثلاث رنَّات، سمعت صوته يجيب:

ـ ألو؟

ـ أهلًا، هذه أنا، هل تجلس وحدك؟

على الناحية الأخرى من الخطّ، جلس سايمون على سريرٍ في حُجرة فندق. على يمينه نافذةٌ تغطِّيها ستائر سميكةٌ لونها كريميّ. أمامه تلفزيونٌ كبيرٌ مثبَّتٌ على الحائط. ظهره يستند إلى رأس السرير، وقدماه ممدودتان أمامه، معقودتان عند الكاحل. يستقرُّ لابتوب على حجره.

قال: «نعم، أنا وحدي. أنت تعرفين أنَّني في لندن صح؟ هل كلُّ شيءٍ على ما يرام؟».

ـ آه! نسيت. هل أتَّصل في وقتٍ مناسب؟ يمكنني إنهاء المكالمة.

ـ لا، الوقت مناسب. هل ذهبت إلى حفلك الشعريِّ هذا اللَّيلة؟

حكت له إيلين عن الحفل. وعن دعابة القمر المجنون والصحون، فضحك باستمتاع. أخبرته: «ثمَّ كانت هناك قصيدةٌ فائزة». قال سيمون

إنَّ الفكرة نفسها تجعله يرغب، بكلِّ صدقٍ وأمانة، في الموت. سألته عن المؤتمر الذي يحضره في لندن، فحكى لها بالتَّفصيل عن «الجلسة الحواريَّة» التي تحمل عنوان: «ما بعد الاتِّحاد الأوروبيّ: مستقبل بريطانيا الدوليّ».

قال سايمون: «مجموعةٌ متطابقةٌ من رجالٍ في منتصف أعمارهم يرتدون نظاراتٍ طبِّيَّة. وكأنَّهم نسخ فوتوشوب متماثلةٌ من بعضهم. كان أمرًا عجيبًا».

سألته إيلين عمَّا يفعله الآن، فأخبرها بأنَّه كان ينتهي من شيءٍ ما يخصُّ العمل. انقلبت على ظهرها، ناظرةً إلى نقاط العفن في السقف.

ـ العمل متأخِّرًا على هذا النحو سيضرُّ بصحتك، أين أنت الآن؟ في حجرة الفندق؟

ـ نعم، على السرير.

سحبت ركبتيْها إلى الأعلى، فاستقرّتَ قدماها على مرتبة السرير، صنعت ساقاها شكل خيمةٍ تحت اللحاف.

قالت: «هل تعرف ما الذي تحتاجه يا سايمون؟ أن تجد لنفسك زوجة. أليس كذلك؟ زوجةً تأتي إليك في منتصف الليل، وتضع يدها على كتفك وتقول: هذا يكفي. أنت ترهق نفسك أكثر ممَّا ينبغي. دعنا نذهب إلى النوم».

نقل سايمون الهاتف إلى أذنه الأخرى، وقال: «أنت ترسمين صورةً مقنعة».

ـ وماذا عن صاحبتك، ألا تذهب معك في رحلات العمل؟

أجاب: «ليست صاحبتي، هي شخصٌ أقابله لا أكثر».

ـ لا أستوعب الاختلاف بين الأمريْن. ما الفرق بين صاحبةٍ وشخصٍ تقابله؟

ـ لسنا في علاقةٍ حصريَّة.

دعكت إيلين عينها بيدها الحرَّة، مُلطخةً جانب وجهها فوق الخدِّ ببقايا مسحوق التجميل غامق اللَّون. قالت: «أنت إذن تمارس الجنس مع شخصٍ آخر، وتفعل هي المثل. أليس كذلك؟».

ـ لا أفعل ذلك. لكن أظنُّها تفعل.

أسقطت إيلين يدها، ثمَّ قالت: «فعلًا؟ هل الرجل الآخر جذَّاب؟».

بدا سايمون مستمتعًا بما يحدث، أجاب: «لا أعرف. لماذا تسألين؟».

ـ كلُّ ما أقصده.. لو أنَّه أقلُّ جاذبيَّةً منك، فلن يكون من المنطقيْ أن نوليه أيَّ اهتمام. ولو أنَّه يماثلك جاذبيَّة.. حسنًا.. أظنُّ أنَّني سأرغب في لقاء هذه المرأة وتهنئتها.

ـ ماذا لو كان أكثر جاذبيَّةً منِّي؟

ـ هل تمزح؟! مستحيل.

أراح ظهره قليلًا على مسند السرير. قال: «لأنَّني وسيمٌ جدًّا؟».

ـ نعم.

ـ أعرف. لكن قوليها.

ضحكت، وقالت: «لأنَّك وسيمٌ جدًّا».

ـ إيلين، شكرًا جزيلًا. كم أنت لطيفة. لا بأس بك أنت أيضًا.

وضعت رأسها على الوسادة وقالت: «وصلني إيميل من أليس اليوم».

ـ هذا لطيف. كيف حالها؟

ـ تقول إنَّ انفصالي عن إيدن ليس أمرًا مهمًّا، لأنَّنا لم نكن سعداء لهذه الدَّرجة معًا.

لم يردَّ سايمون، وكأنَّه ينتظرها أن تكمل، لكنَّه سأل: «هل قالت ذلك حقًّا؟».

ـ في عددٍ أكبر بكثيرٍ من الكلمات، نعم فعلت ذلك.

ـ وما رأيك؟

أطلقت إيلين تنهيدةً وأجابت: «لا يهمّ».

ـ أظنُّ أنَّه ما قالته ليس كلامًا لطيفًا.

أغلقت عينيْها، وقالت: «أنت تدافع عنها دائمًا».

ـ لقد قلت لتوّي إنَّها قالت أشياء غير لطيفة.

ـ لكنَّك ترى أنَّها محقَّة.

قطَّب حاجبيْه، بينما تلعب يده بقلمٍ يحمل شعار الفندق على المنضدة التي تجاور سريره. قال: «لا. رأيي أنَّك تستحقِّين ما هو أفضل، لكن هذا أمرٌ مختلف. هل قالت فعلًا إنَّ الأمر غير مهمّ؟».

ـ كلامها كان يعني ذلك. أنت تعرف أنَّها ستذهب إلى روما الأسبوع القادم في رحلة ترويجٍ لكتابها، أليس كذلك؟

وضع القلم مكانه، وسأل: «فعلًا؟ ظننت أنَّها ستبتعد لفترةٍ عن كلِّ هذه الأمور».

ـ كانت. حتَّى أصابها الملل.

ـ فهمت. غريبة.. كنت أفكِّر في الذهاب لرؤيتها، لكنَّها دائمًا ما تقول إنَّ الوقت غير مناسب. هل أنت قلقةٌ عليها؟

أطلقت إيلين ضحكةً قويَّة. وقالت: «لا. لست قلقة. أنا منزعجة. يمكنك أنت أن تقلق».

ـ يمكنكِ فعل الأمريْن.

ـ إلى أيِّ جانبٍ أنت؟

ابتسم، وأجاب بنبرة صوتٍ مُهدِّئة: «أنا إلى جانبك، سموُّك».

ابتسمت هي أيضًا بسخريَّة، على مضض، ثمَّ أزاحت شعرها المتساقط أمام جبهتها. سألته: «هل أنت في السرير الآن؟».

ـ لا. لا أزال جالسًا، إلَّا إذا أردتني أن أستلقي على السرير ونحن على الهاتف.

ـ نعم. افعل ذلك.

ـ آه، حسنًا. يمكنني فعل ذلك.

نهض ووضع اللابتوب على مكتبٍ صغيرٍ أمام مرآة حائط. كان السرير يشغل أغلب مساحة الغرفة خلفه، عليه ملاءاتٌ بيضاء اللَّون، مسحوبةٌ بإحكامٍ تحت المرتبة. كان يمسك بالهاتف بينما يوصل اللابتوب بالشاحن في الحائط.

قالت إيلين: «أنت تعرف طبعًا أنَّه لو كانت زوجتك معك الآن، لفكَّت ربطة عنقك. هل ترتدي واحدة؟».

ـ لا.

ـ ماذا ترتدي؟

نظر إلى نفسه في المرآة سريعًا، ثمَّ نقل بصره بعيدًا، مستديرًا ناحية السرير. قال: «الباقي من البدلة. من دون حذاءٍ كما هو واضح. خلعتهما حين دخلت، مثل أيِّ إنسانٍ متحضِّر».

ـ الدور على السترة إذن.

خلع السترة، وأثناء ذلك نقل الهاتف بين يديْه، وهو يقول: «هذه طبائع الأمور».

قالت إيلين: «ثمَّ ستأخذ الزوجة منك السترة وتعلِّقها».

ـ كم هو لطيفٌ منها.

ـ ثمَّ ستفكُّ أزرار قميصك. لا بطريقةٍ آليَّة، بل بلطفٍ ومحبَّة. هل علَّقته هو الآخر؟

سايمون، الذي كان يفكُّ أزرار قميصه بيدٍ واحدة، قال لها: «لا. هذا القميص سيعود إلى الحقيبة لأغسله حينما أعود إلى البيت».

قالت إيلين: «لا أعرف ما التالي، هل ترتدي حزامًا من نوعٍ ما؟».

ـ نعم.

أغلقت إيلين عينيْها، وأكملت: «الآن ستنزع ذلك الحزام، وستضعه في مكانه المعتاد. أين تضع حزامك عادة؟ كيفما أتَّفق؟».

ـ على شمَّاعة.

قالت إيلين: «يا لك من شخصٍ مرتَّب. هذه إحدى الأمور التي تحبُّها فيك الزوجة».

ـ لماذا؟ هل هي شخصٌ مرتَّب؟ أم أنَّها تحبُّ ذلك لأنَّ الأضداد تتجاذب؟

ـ مممم. ليست شخصًا مهملًا طبعًا، لكنَّها ليست مرتبةً مثلك، وهي تتطلَّع إليك. هل خلعت ملابسك الآن.

قال: «ليس بالكامل. كنت أمسك الهاتف طوال الوقت. هل يمكنني أن أضعه لثانيةٍ ثمَّ أحمله مرَّةً أخرى بعد ذلك؟».

ابتسمت إيلين بخجلٍ، متردِّدة، ثمَّ أجابت: «بالطبع يمكنك. لست رهينةً عندي».

ـ لا. لكنَّني لا أريدك أن تشعري بالملل، وتغلقي الهاتف.

ـ لا تقلق. لن أفعل.

وضع الهاتف على أقرب ركنٍ من السرير، وانتهى من خلع ملابسه. كانت إيلين مستلقيَّةً على سريرها وعيناها مغلقتان، تُمسك الهاتف قرب وجهها بقبضة يدها اليُمنى غير المُحكمة. لم تكن ترتدي الآن إلَّا سروالًا داخليًا لونه رماديٌّ غامق. أمسك سايمون الهاتف مرَّةً أخرى، واستلقى على السرير، مرسلًا رأسه لتستقرَّ على الوسادة. قال: «لقد عدت».

سألت إيلين: «على سبيل الفضول فحسب، متى تنتهي من عملك عادةً؟».

ـ قرابة الثامنة. مؤخَّرًا أستمرُّ لما بعد الثامنة والنصف في بعض الأحيان، كلُّ الموظَّفين مشغولون.

ـ زوجتك تنتهي من وظيفتها في وقتٍ قبل ذلك بكثير.

ـ فعلًا؟ أشعر بالغيرة منها.

ـ وعندما تعود إلى المنزل، تجد أنَّها أعدَّت طعام العشاء، في انتظارك.

ابتسم. سألها: «هل تظنّينني تقليديًّا لهذه الدرجة؟».

فتحت إيلين عينيْها، كما لو أنَّ حلم يقظتها قد انقطع.

قالت: «أظنُّك إنسانًا. من يكره العودة إلى المنزل بعد يومٍ طويلٍ يكون خلاله عالقًا في العمل حتَّى الثامنة والنصف؟ لو كنت ترغب، بدلًا من ذلك، في العودة إلى منزلٍ فارغ، لتعدَّ عشاءك بنفسك، فأنا آسفةٌ طبعًا».

ـ لا، لا أحبُّ العودة إلى منزلٍ فارغ. وبما أنَّنا نتحدَّث عن الخيالات، لا أمانع في أن ينتظرني أحدهم بلهفة، ليعتني بي من كلِّ الجوانب. ليس ذلك بالأمر الذي أتوقَّعه فحسب من شريك حياة.

ـ آها. أنا أسيء إلى مبادئك النسويَّة إذن. سأتوقَّف.

ـ أرجوكِ. أريد أن أعرف ما الذي سنفعله أنا والزوجة بعد العشاء.

أغلقت إيلين عينيْها مرَّةً أخرى. قالت: «حسنًا. إنَّها زوجةٌ صالحة، كما هو واضح. لهذا ستترك لك المجال لإنهاء بعض العمل، لو توجَّب عليك ذلك. لكن لن يستمرَّ ذلك لوقتٍ متأخِّر. سترغب عندها في الذهاب إلى السرير. حيث نحن الآن كما أتوقَّع».

ـ أنا على السرير فعلًا.

ابتسمت إيلين لنفسها بهدوء، وأكملت: «هل كان يومك في العمل جيِّدًا؟».

ـ لا بأس.

ـ وهل أنت مُتعبٌ الآن؟

قال: «متعبٌ نعم، لكن ليس لدرجة التوقُّف عن الحديث معك».

ـ الزوجة منتبهةٌ لكلِّ هذه التفاصيل الدقيقة، لهذا فهي لا تضطرُّ للسؤال. لو كان يومك طويلًا وأنت مُتعب، أظنُّ أنَّك ستدخل إلى السرير قرابة الساعة الحادية عشرة، وستمارس معك الجنس الفمويّ. الأمر الذي تتقنه هي تمامًا. لكن ليس بطريقةٍ فجّة، ستكون تجربةً حميميَّةً بين زوجيْن وكلّ هذه الأمور.

مُمسكًا الهاتف بيده اليمنى، مدَّ سايمون يده اليسرى ليلمس نفسه عبر القماش القطنيِّ الرَّقيق لسرواله الداخليّ. قال: «أقدِّر ذلك بكلِّ تأكيد، لكن لماذا يقتصر الأمر على الجنس الفمويّ؟».

ضحكت إيلين. «قلتَ إنَّك مُتعب».

ـ آه! لكنَّني لست متعبًا لدرجةٍ تمنعني من ممارسة الحبِّ مع زوجتي.

ـ لم أكن أشكِّك في رجولتك، ظننت أنَّك سترغب في ذلك فحسب. على كلِّ حال، ربَّما أسأت الفهم، لا بأس. الزوجة لن تفهم الأمور على نحوٍ خاطئٍ أبدًا.

ـ لا بأس لو حدث ذلك، سأحبُّها في كلِّ الأحوال.

ـ بصراحة، كنت أظنُّ أنَّك تحبُّ الجنس الفمويّ.

ابتسم سايمون وأجاب: «أحبُّه، أنا أحبُّه فعلًا. لكن لو أتيحت لي ليلةٌ واحدةٌ مع زوجتي الخياليَّة، فأظنُّ أنَّني سأرغب في المزيد. لستِ مضطرَّةً للخوض في التفاصيل لو كنت متردِّدةً بشأن ذلك».

ـ على العكس. أنا أعيش على التفاصيل. أين توقَّفنا؟ أنت تنزع الملابس عن زوجتك بكفاءتك اللَّطيفة المُميَّزة.

أدخل يده وراء لباسه الداخليّ، وقال: «أنت لطيفةٌ للغاية».

ـ أنت تعرف أنَّها شديدة الجمال، لكنَّني لن أستطرد في صفاتها الجسمانيَّة. أعرف أنَّ للرجال أذواقهم الخاصَّة وتفضيلاتهم الصغيرة.

ـ شكرًا على التصريح. يمكنني أن أتخيَّلها بشكلٍ واضح.

سألت إيلين: «فعلًا؟ الآن أشعر بالفضول لمعرفة كيف هو شكلها. هل هي شقراء؟ لا تخبرني. أراهن أنَّها شقراء، وطولها متر ونصف».

ضحك، وقال: «لا».

ـ حسنًا. لا تخبرني. على كلِّ حال. كانت مبتلَّة، لأنَّها كانت تنتظر لمستك طوال اليوم.

أغلق عينيْه. وقال في الهاتف: «وهل أستطيع لمسها؟».

ـ نعم.

ـ ماذا بعد؟

كانت إيلين تمسّد صدرها بلطف، وتحرّك إبهامها في دائرةٍ حول حلمتها. قالت: «حسنًا، يمكنك أن تميِّز أنَّها مستثارةٌ بالنظر إلى عينيْها. لكنَّها متوتِّرةٌ في الوقت نفسه. إنَّها تحبُّك للغاية، لكنَّها في بعض الأحيان تصبح قلقةً بسبب شعورها بأنَّها لا تعرفك جيِّدًا. أحيانًا ما تكون بعيدًا. لا، ليس بعيدًا، لكن منغلقًا على نفسك. أنا أرسم صورةً تخيُّليَّةً في الخلفيَّة حتَّى تفهم الآليَّات الجنسيَّة هنا بصورةٍ أفضل. إنَّها متوتِّرةٌ لأنَّها تتطلَّع إليك، وترغب في جعلك سعيدًا، لكنَّها أحيانًا ترتعب من أنَّك لست سعيدًا، وهي لا تعرف ما الذي تفعله. على كلِّ حال، عندما تدخلان إلى السرير، ترتجف هي تحتك مثل ورقةٍ صغيرة. ولكنَّك لا تقول شيئًا، تبدأ في مضاجعتها على الفور. أو ما الذي قلته منذ قليل؟ تمارس الحبَّ معها. حسنًا؟».

قال: «مممم. وهل تحبُّ هي ذلك؟».

ـ نعم. أظنُّ أنَّها كانت شديدة البراءة قبل زواجكما، لهذا أصبحت متعلِّقةً بك في السرير عندما تكونان معًا، لأنَّها تختبر مشاعر غامرة. وفي الغالب ترغب في أن تصل للنشوة كلَّ مرَّة. وأنت تخبرها أنَّها فتاةٌ مطيعة، وأنت فخورٌ بها، وأنَّك تحبُّها، وهي تصدِّقك. تذكَّر كم تحبُّها، هذا هو المهمّ. أنا أعرف الكثير عنك، لكن هذا الجانب ليس من بين الأشياء التي أعرفها. كيف تتعامل مع المرأة التي تحبُّها. أنا أخلع ملابسي الآن، آسفة. السَّبب الذي جعلني أخبرك عن زوجتك وهي تعطيك جنسًا فمويًّا، أظنُّ أنَّني طرحت الأمر، من دون وعي، لأنَّه شيءٌ أحبُّ التَّفكير فيه. هل تذكر أنَّنا فعلنا ذلك في باريس؟ لا يهمّ. أتذكَّر أنَّك كنت مستمتعًا فحسب. جعلني هذا أشعر بثقةٍ كبيرةٍ في نفسي. على كلِّ حال، أنا أبتعد عن الموضوع الأساسيّ. كنت أقول أنَّك تمارس الجنس مع زوجتك. أراهن أنَّها أجمل وأصغر منِّي بكثير. وربَّما تكون أغبى قليلًا، لكن بطريقةٍ مثيرة. لو أنَّني أنانيَّةٌ للغاية، سأجعل الأمر على هذه الشاكلة: بحيث أنَّك عندما تكون مع زوجتك في السرير.. ليس كلَّ مرة، هذه المرَّة فحسب.. تبدأ في التَّفكير فيَّ أنا. ليس بالضرورة عن عمد. فكرةٌ بسيطةٌ أو ذكرى عابرة، تمرُّ في رأسك. هذا هو كلُّ شيء. ليس عنِّي أنا الآن، ولكن صورتي وأنا في العشرين من العمر مثلًا. كنت شديد اللطف معي وقتها بالمناسبة. إذن.. أنت تمارس الجنس مع زوجتك المثاليَّة، وهي أجمل امرأةٍ على كوكب الأرض، وأنت تحبُّها أكثر من أيِّ شيء، لكن لثانيةٍ فحسب، أو ثانيَتيْن، وأنت بداخلها، وهي ترتجف وترتعش وتصرخ باسمك، عندها تفكِّر بي، في أشياء فعلناها معًا حين كنَّا أصغر، مثل باريس، عندما تركتك تقذف في فمي، وتتذكَّر

كم كان ذاك الشعور رائعًا. أن تملكني بهذه الطريقة. وقتها أخبرتني أنَّنا اختبرنا شيئًا مميَّزًا، شديد الخصوصيَّة. وربَّما كان الأمر كذلك فعلًا. فلو أنَّك ما زلت تفكِّر في الأمر بعد مرور كلِّ هذه السنين، وأنت في السرير مع زوجتك، ربَّما كان الأمر مميَّزًا فعلًا. بعض الأشياء كذلك.

بدأ يقذف، وأصبح تنفُّسه ثقيلًا. أغلق عينيْه. توقَّفت إيلين عن الحديث، واستلقت من دون حراك، بدا وجهها محتقنًا. قال شيئًا يشبه: «هممم». ولوقتٍ قصيرٍ، كانا صامتين. ثمَّ بصوتٍ خفيضٍ، سألت: «هل يمكننا أنَّ نبقى على الهاتف لدقيقةٍ أخرى؟».

فتح سايمون عينيْه مرَّةً أخرى، وانتزع منديلًا موضوعًا على الخزانة التي تجاور الفراش، وبدأ يمسح يديْه وجسمه.

قال: «قدر ما تشائين. كان هذا جميلًا جدًّا. شكرًا».

ضحكت إيلين، بطريقةٍ تكاد تكون حمقاء، وكأنَّها تشعر بالراحة لسماع ذلك. خدَّاها وجبهتها تلمعان. قالت: «واو. العفو طبعًا، نسيت أنَّك أحد شباب «شكرًا». زير نساءٍ بنسبة تسعين بالمئة، لكنَّك تخفي ذلك من وقتٍ لآخر عبر التظاهر بأنَّك بتولٌ تمامًا. كلُّ الاحترام طبعًا. إذن.. هل سيكون التعامل بيننا غريبًا عندما نتقابل في الحياة الواقعيَّة؟».

ألقى سايمون المنديل المستعمل في الدرج، وأخرج آخر من العلبة، وهو يقول: «لا. سنتظاهر أنَّ شيئًا لم يحدث. تمام؟ وعلى كلِّ حال، أتذكَّر مرَّةً أنَّك أخبرتني بأنَّ وجهي لا يملك إلَّا تعبيرًا واحدًا».

ـ هل قلت ذلك فعلًا؟ كم أنا قاسية! بصراحة، أنت تملك اثنيْن. ضاحكٌ وقلق.

فرد كفَّ يده على صدره، مبتسمًا.

قال: «لم تكوني قاسية. كنت تمزحين فحسب».

ـ لم تكن زوجتك لتتحدَّث إليك بهذه الطريقة أبدًا.

ـ لماذا؟ هل تحترمني لهذه الدرجة؟

قالت إيلين: «نعم. أنت بمثابة أبٍ لها».

أطلق صوت تأوُّهٍ مضحك، ثمَّ علَّق: «هذا رائع».

ابتسمت إيلين وأضافَت: «طبعًا تراه أمرًا رائعًا. كنت أعرف».

أراح سايمون يده على بطنه المشدودة، وقال: «أنت تعرفين كلَّ شيء».

لوت إيلين فمها، وردَّت: «ليس عندما يتعلَّق الأمر بك. لا».

كانت عيناه مغلقتيْن. بدا متعبًا. قال: «أظنُّ أنَّ أكثر الأجزاء واقعيَّةً في هذه الفانتازيا كانت عندما بدأت الحديث عن باريس».

بدا أنَّها تتنفَّس بعمقٍ الآن. بعد برهةٍ قالت بهدوء: «أنت تقول ذلك لأشعر أفضل فحسب».

كان يبتسم بهدوء. قال: «حسنًا، من العدل أن أفعل، أليس كذلك؟ لكن لا. أنا أقول الحقيقة. هل يمكننا أن نتقابل قريبًا؟».

ـ نعم.

ـ سأتصرَّف بطريقةٍ طبيعيَّة. لا تقلقي.

بعد أن أنهيا المكالمة، وضعت كابل الشحن في هاتفها، وأغلقت النور بجوار السرير. تغلغل وهجٌ اصطناعيّ، برتقاليُّ اللَّون، من تلوُّث الضوء الحضريّ، خلال الستائر الرقيقة لشبَّاك غرفة نومها. لمدَّة دقيقةٍ ونصف، داعبت نفسها إلى أن بلغت النشوة من دون أن تصدر صوتًا، ثمَّ انقلبت على جانبها، لتغطَّ في النوم.

-8-

العزيزة أليس. تقولين إنَّك ذاهبةٌ إلى روما، هل هي رحلة عمل؟ لا أريد أن أتطفَّل، لكن ألست في إجازةٍ لفترة؟ بالطبع أتمنَّى لك التوفيق في الرحلة، لكنَّني غير متأكِّدةٍ ما إذا كانت فكرة العودة لعالم المناسبات العامَّة فكرةً جيِّدةً للوقت القريب. لو كان سيريحك أن تكتبي لي رسائل هيستيريَّةً عن عالم النشر، تقولين فيها إنَّ الناس كلَّهم متعطِّشون للدِّماء، ويرغبون في قتلك أو مضاجعتك حتَّى الموت، فأرجو أن تكتبي لي هذا بالتَّأكيد. لا شكَّ في أنَّك قد قابلت أشرارًا خلال عملك، وإن كنت أظنُّ أنَّك قد قابلت كذلك كثيرًا من الأشخاص المملِّين، معتدلي الأخلاق. لا أنكر ألمك، بالمناسبة، أعرف أنَّك تتألَّمين، ولهذا أنا مندهشةٌ من أنَّك تُعرِّضين نفسك لذلك كلِّه مرَّةً أخرى. هل ستسافرين من دبلن؟ يمكننا ترتيب لقاءٍ قبل أن تُقلع طائرتك لو كان الأمر كذلك...

حين جلستُ لكتابة هذا الردّ، لم أكن أظنُّ أنَّني في مزاجٍ سيِّئ، لكن ربَّما أنا كذلك. لا أحاول دفعك للشعور بأنَّ حياتك البائسة هي في الواقع امتيازٌ تحظين به، رغم أنَّها كذلك، تمامًا، بأيِّ تعريفٍ معقولٍ طبعًا. حسنًا، أنا أحصل على مبلغ 20 ألفًا في السنة، يذهب ثُلثاه للإيجار، لأحظى بفرصة العيش في شقَّةٍ صغيرةٍ مع أشخاصٍ لا يحبُّونني، وأنت تجنين قرابة مئتي ألف يورو في السنة (صح؟)، وتعيشين وحدك في بيتٍ ريفيٍّ هائل الحجم، ورغم ذلك، لا أظنُّ أنَّني كنت لأستمتع بهذه الحياة، أكثر ممَّا تفعلين أنت. وكما أشرت، فأيُّ شخصٍ قادرٌ على الاستمتاع بها سيكون شخصًا غير سويٍّ بشكلٍ ما، لكنَّنا جميعًا غير أسوياء بالفعل من ناحيةٍ ما. أليس كذلك؟ تصفَّحت الإنترنت لفترةٍ طويلةٍ اليوم، وتسلَّل إليَّ شعورٌ بالاكتئاب. أسوأ ما في الأمر، هو أنَّني أظنُّ أنَّ نيَّة الناس هناك حسنةٌ بشكلٍ عامّ، وأنَّ دوافعهم سليمة، لكنَّ مفرداتنا السياسيَّة تآكلت بسرعةٍ كبيرة، وعلى مستوى شديد العمق، منذ القرن العشرين، فتحوَّلت معظم محاولاتنا لفهم لحظتنا التاريخيَّة المعاصرة إلى هراءٍ بالأساس. ولأسبابٍ مفهومة، يربط الناس أنفسهم بتصنيفاتٍ هوياتيَّةٍ مُحدَّدة، ولكنَّهم في الوقت نفسه، لا يظهرون أيَّ استعدادٍ للتَّعبير عمَّا تضمُّه هذه التصنيفات، ولا الظروف التي أنتجتها، أو الأغراض التي تخدمها. الوصفة الوحيدة الظاهرة هي أنَّه: لكلِّ مجموعةٍ من الضحايا (أشخاصٌ ولِدوا في أسرٍ فقيرة، نساء، ملوَّنو البشرة) هناك مجموعةٌ أخرى تقمعهم (أشخاصٌ ولِدوا في أُسرٍ غنِّيَّة، رجال، بيض البشرة). لكن داخل هذا الإطار، تصبح العلاقة بين الضحيَّة وقامعها غير تاريخيَّةٍ بقدرِ ما هي لاهوتيَّة، ويصبح الضحايا أشخاصًا فائقي الخيريَّة والصلاح، بينما قامعوهم أشرارٌ في ذواتهم. ولهذا السَّبب، فإنَّ انتماء شخصٍ ما

إلى مجموعة هويَّةٍ بعيْنها هو مسألةٌ ذات أهمِّيَّةٍ أخلاقيَّةٍ غير مسبوقة، وجزءٌ كبيرٌ من خطابنا مخصَّصٌ لتصنيف الأشخاص طبقًا لمجموعاتهم المناسبة، وهو ما يعني، بشكلٍ ما، أن نمنحهم تقديرًا أخلاقيًّا ملائمًا.

لو أنَّ إمكانيَّة الفعل السياسيِّ الجادِّ لا تزال قائمة، وأظنُّ أنَّ هذا السؤال يبقى مفتوحًا في هذه المرحلة، فربَّما لن يكون لأشخاصٍ مثلنا أيُّ مكانٍ فيه. في الحقيقة أنا شبه متأكِّدةٍ من ذلك. وبصراحةٍ لو توجَّب علينا أن نذهب للموت من أجل الصالح العامِّ للبشريَّة، فسأقبل ذلك كأيِّ نعجة، لأنَّني لم أكن أستحقُّ هذه الحياة، ولم أستمتع بها حتَّى. لكنَّني سأرغب في أن أكون مفيدةً بطريقةٍ ما للمشروع الكبير، أيًّا كان، ولو أنَّ لي أن أقدِّم أصغر درجةٍ من المساعدة، فلن أمانع، لأنَّ ذلك كلَّه سيفيدني أنا بطريقةٍ ما، فنحن أيضًا نعذِّب أنفسنا، بطريقةٍ أخرى طبعًا. لا يوجد إنسانٌ يرغب في العيش بطريقةٍ كهذه. أو على الأقلّ، أنا لا أرغب في العيش بطريقةٍ كهذه. أريد طريقةً مختلفةً للعيش، ولو تطلَّب الأمر، فليكن موتي بطريقةٍ تجعل أناسًا آخرين يعيشون يومًا واحدًا بطريقةٍ مختلفة. لكن إلقاء نظرةٍ واحدةٍ على الإنترنت كفيلةٌ بأن تكشف لي أنَّه لا توجد أفكارٌ تستحقُّ الموت لأجلها. ويبدو أنَّ الفكرة الوحيدة هناك هي أنَّه ينبغي علينا مراقبة البؤس الإنسانيِّ الهائل، بينما يتكشَّف أمامنا، وأن ننتظر فحسب الأشخاص المُعرَّضين لأقصى درجات المعاناة والقمع، ليلتفتوا إلينا، ويخبرونا عن طريقة إيقاف ذلك. يبدو أنَّ هناك قناعة غير مبرَّرةٍ بشكلٍ غريبٍ مفادها أنَّ ظروفَ الاستغلال هي التي ستُنتج بنفسها حلًّا لذلك الاستغلال. وأنَّ اقتراح أيِّ شكلٍ آخر، هو من قبيل التعالي والفوقيَّة، مثل 'المان ـ سبليننج'. لكن ماذا لو أنَّ الظروف عاجزةٌ عن إنتاج الحلول؟ ماذا لو كنَّا ننتظر اللَّاشيء، وأنَّ كلَّ هؤلاء البشر يعانون

من دون أدواتٍ تُنهي معاناتهم؟ ونحن، من نملك تلك الأدوات، نرفض فعل أيِّ شيءٍ حيال ذلك، لأنَّ أولئك الذين يتَّخذون إجراءاتٍ فعليَّةً يتعرَّضون لانتقاداتٍ حادَّة. حسنًا، ولكن ما الذي فعلته أنا؟ دفاعًا عن نفسي، أنا متعبةٌ جدًّا. وليس عندي أيُّ أفكارٍ جيّدة. وبصراحةٍ شديدة، فمشكلتي أنَّني أشعر بالضيق تجاه كلِّ شخصٍ آخر لا يملك إجابةً لكلِّ هذه الأسئلة، في وقتٍ لا أملك أنا فيه أيضًا أيَّ إجابات. ومن أنا لأطالب بمعاملة الناس بتواضعٍ وصدق؟ ما الذي قدَّمته للعالم لأطلب شيئًا في المقابل؟ يمكن أن أتحلَّل إلى كومة غبار، ولن يهتمَّ العالم، وهذا ما ينبغي أن يحدث بطبيعة الحال.

على كلِّ حال، عندي نظريَّةٌ جديدة. هل ترغبين في سماعها؟ يمكنك تجاهل هذه الفقرة لو كانت الإجابة بالسلب. نظريَّتي تقول إنَّ البشر قد فقدوا الغريزة التي يميِّزون بها الجمال في عام 1976، أي عندما أصبح البلاستيك هو أكثر المواد انتشارًا في الوجود. في الحقيقة، يمكننا متابعة التغيير أثناء حدوثه، لو نظرت إلى صور الشوارع قبل عام 1976 وبعده. أعرف أنَّ لدينا أسبابًا منطقيَّةً للتشكُّك في النوستالجيا ذات الأبعاد الجماليَّة إيَّاها، لكنْ تبقى الحقيقة أنَّه قبل السبعينيَّات، كان الناس يرتدون ملابس تعيش لفتراتٍ طويلة، مصنوعةً من الصوف والقطن، وكانوا يخزِّنون مشروباتهم في عبواتٍ زجاجيَّة، ويلفُّون أطعمتهم في الورق، ويُؤسِّسون بيوتهم بأثاثٍ خشبيٍّ متين. أمَّا الآن، فكلُّ الأشياء الموجودة في بيئتنا البصريَّة مصنوعةٌ من البلاستيك، أقبح مادَّةٍ في العالم؛ مادَّةٍ حتَّى لو صبغناها بلونٍ ما، فإنَّها لا تأخذ اللَّون، بل على العكس في الواقع، تُفرزه، بطريقةٍ لا مثيل لبشاعتها. أحد الأشياء التي يمكن للحكومة أن تضمن موافقتي عليها (وعددها ليس كبيرًا)، هو

حظر إنتاج كافَّة أشكال البلاستيك التي لا نحتاج إليها بصورةٍ ضروريَّةٍ للحفاظ على حياة البشر، ما رأيك؟

لا أعرف لماذا تتصرَّفين بهذا الخفر بخصوص هذا الشخص الذي اسمه فيلكس. من هو؟ هل تنامين معه؟ لستِ مضطرَّةً للإجابة لو أردت. سايمون لم يعد يخبرني أيَّ شيءٍ هذه الأيَّام. من الواضح أنَّه يخرج مع فتاةٍ عمرها 23 عامًا، وأنَّه يفعل ذلك منذ شهرين، لكنَّني لم أرها أبدًا. غنيٌّ عن القول، أنَّ فكرة كون سايمون، الذي كان رجلًا ناضجًا في عشرينيَّاته بالفعل عندما كنت أنا في الخامسة عشرة، يمارس الجنس بانتظامٍ مع امرأةٍ أصغر منِّي بستِّ سنوات، هي فكرةٌ تدفعني مباشرةً للزحف إلى قبري. ونحن لا نتحدَّث أبدًا عن فتاةٍ قبيحةٍ مهووسة، لها تسريحة شعرٍ بائسة، وآراءٌ مميَّزةٌ عن بيير بوردو، لا، دائمًا موديل إنستجراميَّة تملك قرابة 17 ألف متابع، وتتلقَّى عيِّناتٍ مجانيَّةً من منتجات العناية بالبشرة. أليس، لم أعُد أطيق التظاهر بأنَّ الغرور الشخصيَّ للنساء الشابَّات الجميلات هو أمرٌ يمكن وصفه بأوصافٍ غير: مملّ، ومُحرج. بل وزهوي أنا هو الأسوأ. لا أتصرَّف بطريقةٍ دراميَّةٍ صدِّقيني، لكن إذا حملت هذه الفتاة من سايمون، سألقي بنفسي من النافذة. تخيَّلي أنَّه يتوجَّب عليك أن تكوني لطيفةً مع امرأةٍ عشوائيَّةٍ لآخر حياتك، لأنَّها أمُّ طفلك. هل أخبرتك أنَّه طلب منِّي الخروج مرَّةً في موعدٍ معه، في شهر فبراير الماضي؟ ليس أنَّه أراد أنَّ يخرج معي فعلًا، أظنُّ أنَّه كان يحاول إعطاء دفعةٍ لثقتي بنفسي. رغم ذلك، فقد خضنا محادثةً تليفونيَّةً غريبةً بالأمس... على كلِّ حال، كم هو عمر فيلكس؟ هل هو رجلٌ عجوزٌ ساحرٌ يكتب لك شعرًا عن الأكوان؟ أم بطل سباحة المقاطعة ذو التسعة عشر عامًا والأسنان اللَّامعة؟

يمكن أن أرتِّب أموري بحيث أزورك في الأسبوع الذي سيلي الزفاف، لو كان ذلك يلائمك، بحيث أصل في أوَّل يوم اثنين من شهر يونيو. ما رأيك؟ لو كنت أستطيع القيادة لكان ذلك أسهل، كما هو واضح، لكن يبدو أنَّ مزيجًا من القطارات ورحلات التاكسي سيؤدِّي الغرض. لا يمكنك أن تتخيَّلي كم أشعر بالملل وأنا هنا وحدي أتجوَّل في دبلن من غيرك. أتوق لأكون بصحبتك، بكلِّ معنى الكلمة. إي.



-9-

يوم الأربعاء، وصلت أليس بصحبة فيلكس إلى مطار فيوميتشينو. كان في استقبالهما رجلٌ يحمل حافظةً بلاستيكيَّةً بداخلها ورقةٌ مكتوبٌ عليها: «السيِّدة كيليهر». هبط اللَّيل في الخارج. الهواء دافئٌ وجافٌّ ومشبَّعٌ بالأضواء الاصطناعيَّة. في سيَّارة المرسيدس السَّوداء، جلس فيلكس على الكرسيِّ الأماميّ، وجلست أليس في الخلف. بجوارهما على الطريق السريع، كانت الشاحنات تتجاوز بعضها بسرعاتٍ مخيفةٍ وهي تطلق أبواقها بصخب. عندما وصلا إلى المبنى الذي سيقيمان فيه، حمل فيلكس أمتعتهما وصعد السلّم: حقيبة أليس ذات العجلات وحقيبته السوداء الرياضيَّة. غرفة المعيشة كبيرةٌ وصفراء اللَّون، فيها كنبةٌ وتلفاز، وممرٌّ يؤدِّي إلى مطبخٍ عصريٍّ ذي مظهرٍ نظيف. أحد أبواب غرفة النوم يؤدِّي إلى الجزء الخلفيّ من حُجرة المعيشة، أمَّا الحُجرة الأخرى فكانت تؤدِّي إلى اليمين منها. نظرا داخل الغرفتيْن، وبعدها سألها أيَّهما تفضِّل.

قالت: «اختر أنت».

ـ أظنُّ أنَّ الفتاة هي من يحقُّ لها الاختيار.

ـ حسنًا، أنا أختلف معك.

قطَّب حاجبيْه، وقال: «حسنًا، الاختيار من حقِّ من يدفع إذن».

ـ بصراحة أختلف مع ذلك أكثر.

رفع حقيبته على كتفه، ووضع يده على مقبض الحُجرة الأقرب. قال: «من الواضح أنَّنا سنختلف كثيرًا في هذه الرحلة. سآخذ هذه الحُجرة، تمام؟».

ـ شكرًا. هل ترغب في تناول شيءٍ قبل أن نذهب للنوم؟ يمكنني أن أبحث على الإنترنت عن مطعمٍ لو أردت.

وافق على اقتراحها. دخل حُجرته، أغلق الباب خلفه، وضغط على مفتاح النور، ثمَّ وضع حقيبته على قمَّة وحدة الأدراج. خلف سريره، كانت نافذة الطابق الثالث تُطلُّ على الشارع. فكَّ سحَّاب الحقيبة، وفتَّش بداخلها، مُحرِّكًا أغراضها للأمام والخلف: بعض الملابس، مقبض موسى حلاقة، وعددٌ من الشفرات الإضافيَّة ذات الاستخدام الواحد، شريط أقراص، نصف علبةٍ من الواقيات الذكريَّة. عثر على شاحن هاتفه، فأخرجه وشرع في فكِّ السلك. كانت أليس في حُجرتها، تفرغ حقيبة السفر، وتخرج أدوات العناية الشخصيَّة من أكياس المطار البلاستيكيَّة الشفَّافة، ثمَّ تعلِّق فستانًا بُنِّيَّ اللَّون في دولاب الملابس. بعد ذلك، جلست على السرير، وفتحت الخريطة على هاتفها، وحرَّكت أصابعها بسهولةٍ وتمرّس على الشاشة.

بعد أربعين دقيقة، جلسا يتناولان طعامهما في مطعمٍ قريب. في منتصف الطاولة شمعةٌ مضاءة، وسلَّة خوصٍ فيها خبز، وزجاجةٌ عريضةٌ من زيت الزيتون، وأخرى طويلةٌ بحزوزٍ رأسيَّة، فيها خلٌّ أسود. تناول فيلكس شريحة لحمٍ مُقطَّعة، بتسويةٍ شبه نيِّئة، عليها جبن البارميزان وأوراق الجرجير، كان قلب قطعة اللَّحم ورديًّا لامعًا وكأنَّه جرح. تناولت أليس طبق باستا بالجبن والفلفل الأسود. عند كوعها قنينة نبيذٍ أحمر نصف مملوءة. لم يكن المطعم مزدحمًا، لكن من وقتٍ لآخر، كانت محادثةٌ أو ضحكةٌ ما تفيض مسموعةً من الطاولات الأخرى. كانت أليس تُخبر فيلكس عن صديقتها المقرَّبة، قالت إنَّها امرأةٌ اسمها إيلين.

ـ شديدة الجمال. هل ترغب في رؤية صورتها؟

ـ نعم. أرِني.

أخرجت أليس هاتفها، وبدأت تتصفَّح تطبيق تواصلٍ اجتماعيّ. قالت: «تقابلنا لأوَّل مرَّةٍ حين كنَّا في الجامعة. وقتها كانت إيلين أشبه بنجمة، كلُّ الناس مغرمون تمامًا بها. كانت دائمًا تفوز بجوائز، وتظهر صورها في مجلَّة الجامعة، وهذا النوع من الأمور. هذه هي».

أطلعته على شاشة الهاتف، التي تُظهِر صورةً لامرأةٍ بيضاء نحيفةٍ لها شعرٌ داكن، تستند إلى درابزين حديديٍّ لشرفةٍ تُطلُّ على مدينةٍ يبدو أنَّها أوروبيَّة، يقف بجوارها رجلٌ طويلٌ أشقر الشعر، ينظر إلى الكاميرا. أخذ فيلكس الهاتف من يد أليس، وأدار الشاشة قليلًا، وكأنَّه يعدِّل وضعها.

ـ نعم، ملامحها جميلةٌ بالفعل.

ـ كنت ألعب دور صديقة البطلة. لم يفهم أحدٌ لماذا ترغب في أن تكون صديقتي، لأنَّها كانت تحظى بشعبيَّةٍ هائلة، ولأنَّ كلَّ الناس

كانوا يكرهونني نوعًا ما. لكنَّني أظنُّ أنَّها، وبشكلٍ ما غير مفهوم، كانت تستمتع بأنَّه لا يوجد من يحبّ صديقتها المفضَّلة.

ـ لماذا لم يكن أحدٌ يحبُّك؟

حرَّكت أليس يدها بإيماءةٍ غامضة، وقالت: «أوه. كما تعرف.. كنت دائمة الشكوى بشأن أمرٍ أو آخر. وأتَّهم الجميع بأنَّ آراءهم خاطئة».

ـ «أفهم كيف يضغط ذلك على أعصاب الناس»، ثمَّ وضع إصبعه على وجه الرجل في الصورة، وسأل: «ومن هذا؟».

قالت أليس: «هذا صديقنا سايمون».

ـ لا بأس به هو الآخر، أليس كذلك؟

ابتسمت، وأجابت: «صحيح، إنَّه وسيم. هو أحلى في الحقيقة أيضًا. إنَّه أحد أولئك الأشخاص.. جذَّابٌ لدرجة أنَّني أظنُّ ذلك قد شوَّه إحساسه بنفسه أصلًا».

أعاد فيلكس الهاتف إليها، وقال: «أمرٌ جيِّدٌ بالتَّأكيد أن يحظى الإنسان في حياته بكلِّ هؤلاء الأشخاص حَسني الشكل».

ـ من اللطيف النظر إليهم، لو كنت تقصد ذلك، لكن بالمقارنة، أشعر بالفعل أنَّني أشبه الكلبة.

ابتسم فيلكس، وقال: «لا. لست كلبة. لديْك نقاط قوَّتك أيضًا».

ـ مثل شخصيَّتي الساحرة.

صمت قليلًا، ثمَّ سأل: «هل من العدل وصفها بالساحرة؟».

أطلقت ضحكةً حقيقيَّة.

ـ لا. لا أعرف كيف تتعامل معي وأنا أقول كلَّ هذه الأشياء الغبيَّة طيلة الوقت.

ـ حسنًا، لم أضطرَّ لتحمُّل ذلك إلَّا منذ وقتٍ قليل. ولا أعرف، ربَّما تتوقَّفين عن فعل ذلك حينما نعرف بعضنا بما فيه الكفاية. أو ربَّما تنتهي قدرتي على التحمُّل.مكتبة سُر مَن قرأ

ـ أو ربَّما تعجبك طريقتي مع الوقت.

أعاد فيلكس انتباهه إلى طعامه مرَّةً أخرى. وقال: «ربَّما، نعم. يمكن لأيِّ شيءٍ أن يحدث طبعًا. إذن سايمون هذا. هل يعجبك؟».

ـ أوه. لا. على الإطلاق.

حملق فيلكس فيها باهتمامٍ واضحٍ وسأل: «فعلًا؟ لا يلفت انتباهك أشخاصٌ على هذه الدرجة من الوسامة؟».

قالت بنبرةٍ محايدة: «أنا أحبُّه كثيرًا، من الناحية الشخصيَّة. وأنا أحترمه أيضًا. هو يعمل مستشارًا لمجموعةٍ برلمانيَّةٍ صغيرةٍ بسيطة، تنتمي إلى جناح اليسار، رغم أنَّ بإمكانه الحصول على قدرٍ أكبر بكثيرٍ من المال لو اختار شيئًا آخر. وهو متديِّنٌ بالمناسبة».

أمال فيلكس رأسه وكأنَّه ينتظر منها توضيح هذه النكتة. ثمَّ قال: «تقصدين.. يؤمن بالمسيح؟»

ـ نعم.

ـ يا إلهي، فعلًا؟ هل يعاني من مشكلةٍ عقليَّةٍ مثلًا؟

ـ لا. شخصٌ طبيعيٌّ تمامًا. لن يحاول تغيير دينك مثلًا. كما أنَّه لا يتحدَّث كثيرًا عن الموضوع. أنا واثقةٌ أنَّك ستحبُّه لو قابلته.

اكتفى فيلكس بهزِّ رأسه. وضع شوكته على الطاولة، وألقى نظرةً سريعةً في أرجاء المطعم، ثمَّ التقط الشوكة مرَّةً أخرى، ولكنَّه لم يستكمل تناول طعامه مباشرةً. قال: «وهل يعارض حقوق المثليّين وكلّ هذا؟».

ـ لا، لا. بالطبع عليك أن تسأله عن ذلك، لو قابلته. لكنَّني أظنُّ أنَّ تصوُّره عن المسيح أقرب لـ«صديق الفقراء»، و«نصير المهمَّشين» وأشياء كهذه.

ـ حسنًا، أنا آسف، لكنَّه يبدو شخصًا غير محتمل. في يومنا هذا، ووقتنا هذا، شخصٌ يؤمن بهذه الأمور؛ أنَّ شابًا خرج من قبره، منذ ألف سنة، وأنَّ هذه هي الفكرة الأساسيَّة من الموضوع؟

سألَته: «ألا نؤمن كلُّنا بأشياء سخيفة؟».

ـ لا أفعل. أنا أؤمن بما أراه أمامي. لا أؤمن أنَّ المسيح هذا ينظر إلينا من السماء ويقرِّر من هو الطيِّب والشرير.

لعدَّة ثوانٍ، نظرت إليه وكأنَّها تتفحَّصه، ولم تقل شيئًا. في النهاية، أجابت: «حسنًا. أنت لا تفعل. لكن كثيرًا من الناس لن يكونوا سعداء لو فكَّروا في حياتهم بطريقتك: أنَّ كلَّ ذلك مآله العدم، وأنَّه لا معنى لأيِّ شيء. حسنًا، أغلب الناس يفضِّلون الاعتقاد بأنَّ هناك بعض المعنى على الأقلّ. وبهذا الشَّكل، فكلُّنا مُضلَّلون. ضلالات سايمون منظَّمةٌ فحسب».

بدأ فيلكس تقطيع قطعةٍ من اللحم إلى نصفيْن بسكِّينه. سأل: «لو أراد أن يكون سعيدًا، ألم يكن بمقدوره أن يختلق شيئًا ألطف يصدِّقه؟ بدلًا من التفكير بأنَّ كلَّ شيءٍ خطيئةٌ وأنَّه سيذهب إلى الجحيم».

ـ لا أظنُّ أمر الجحيم يقلقه. كلُّ ما يريده هو فعل الصواب على الأرض. وهو يؤمن بأنَّ هناك فرقًا بين الصواب والخطأ. أظنُّك غير قادرٍ على الإيمان بذلك، بما أنَّك ترى أنَّه لا يوجد معنى لأيِّ شيءٍ في النهاية.

ـ لا، في الحقيقة أؤمن بأنَّ هناك صوابًا وخطأ، كما هو واضح.

رفعت حاجبيْها، وقالت: «أنت تعيش في الضلالات إذن. إذا كنَّا سنموت في النهاية جميعًا، فمن يملك حقَّ تقرير الصواب من عدمه؟».

أخبرها أنَّه سيفكِّر في الأمر. عادا لتناول الطعام، لكن بعد وقتٍ قصير، توقَّف بشكلٍ حادّ، وهزَّ رأسه مرَّةً أخرى.

ـ لا أريد أن أضجرك بالحديث ثانيةً عن الموضوع. لكنَّ هذا الرجل، سايمون، لا يمانع أن يكون له أصدقاء مثليِّين؟

ـ حسنًا، هو صديقي. أنا لست مغايرةً بالكامل.

بدا فيلكس متحمِّسًا، بل ويتصرَّف بدرجةٍ من المعابثة، وهو يقول: «أوه، حسنًا، أنا أيضًا بالمناسبة».

رفعت رأسها إليه بسرعة، ونظرت في عينيْه.

ـ تبدين مندهشة.

ـ حقًّا؟

وجَّه نظره مرَّةً أخرى إلى الطعام، واستكمل حديثه: «لم يشغلني هذا الأمر قطُّ بصراحة، أن يكون شخصٌ ما فتى أو فتاة. أعرف أنَّه بالنِّسبة إلى أغلب الناس، هذا الأمر هو أكثر شيءٍ يهتمُّون به. لكن بالنِّسبة إليَّ، لا يُحدث الأمر أيَّ فرق. أنا لا أمشي في الناس مُعلنًا ذلك بينهم طيلة الوقت، لأنَّه في الحقيقة، لا تحبُّ بعض الفتيات ذلك، ولو اكتشفن أنَّك

كنت مع رجالٍ في السّابق، فإنّهم سيفكّرن بأنَّ هناك شيئًا ما خطأً فيك. لكنَّني لا أمانع إخبارك، بما أنَّ الحال عندك مماثل».

رشفت من كأس النبيذ وابتلعت. ثمَّ قالت بعدها: «الأمر بالنِّسبة لي أنَّني أقع في الحبِّ بطريقةٍ جارفة. ولا يمكنني أبدًا أن أعرف بصورةٍ مسبقةٍ من سيكون ذلك الشخص، رجلًا أو امرأة، ولا أيَّ شيءٍ آخر».

ـ هذا مثيرٌ للاهتمام. وهل يحدث ذلك كثيرًا في العادة أم أنَّها أوقاتٌ نادرة؟

ـ ليس كثيرًا. ولا تكون النهاية سعيدةً أبدًا.

ـ آه. هذا مؤسف. لكنَّني متأكِّدٌ أنَّك ستحظين بنهايةٍ سعيدة.

ـ شكرًا لك. هذا لطفٌ منك.

عاد إلى الأكل، بينما تراقبه من طرف الطاولة الآخر.

قالت: «أنا متأكِّدةٌ أنَّ الناس يقعون في حبِّكَ دائمًا».

نظر إليها، بتعبيرٍ صادقٍ ومكشوف. وسأل: «لماذا تقولين ذلك؟».

هزَّت كتفيْها، قالت: «عندما التقينا للمرَّة الأولى، كان عندي انطباعٌ أنَّك تخرج في مواعيد غراميَّةٍ دائمة. بدوت لي هادئًا وغيرَ مبالٍ بكلِّ شيء».

ـ كوني أخرج في عددٍ من المواعيد لا يعني بالضرورة أنَّ الناس يقعون في حبِّي طوال الوقت. أقصد أنَّنا خرجنا في موعدٍ معًا، وها أنت غير واقعةٍ في حبِّي. أليس كذلك؟

أجابت في هدوء: «لن أخبرك حتَّى لو كان ذلك صحيحًا».

ضحك. قال: «هنيئًا لك. ولا تفهميني خطأ. على الرحب والسعة، يمكنك أن تحبّيني لو أردت. سأضطرُّ ساعتها لوصفك بالمخبولة، لكنَّني أظنُّك كذلك بالفعل على أيِّ حال».

كانت تمسح بقايا الصلصة في طبقها بقطعة خبز. قالت: «أنت شخصٌ حكيم».

***

في صباح يوم الخميس، مرَّ أحد مساعدي دار نشر أليس على المنزل، وأقلَّها من أمام البناية عند العاشرة، لتقابل مجموعةً من الصحفيِّين. أمضى فيلكس صباحه في التجوُّل في المدينة باحثًا عن أشياء، ومُلتقطًا مجموعةً من الصور التي يرسلها على محادثة واتساب جماعيَّة. تُظهر صورةٌ منها شارعًا ظليلًا ممهَّدًا بالحصى، في نهايته كنيسةٌ بيضاء تلمع تحت ضوء الشمس، لها أبوابٌ خضراء زاهيةٌ ذات مصاريع. صورةٌ أخرى فيها درَّاجةٌ ناريَّةٌ حمراء اللَّون، مركونةٌ خارج واجهة محل، لافتةٌ تحمل حروفًا عتيقة الطراز فوق الباب. في النهاية، أرسل صورةً لقبَّة كنيسة القديس بيتر، لونها أرزق كريميّ وكأنَّها قالبُ حلوى مثلَّج، كما يمكن رؤيتها من شارع فيا ديلا كونسيليازيون، والسماء في الخلفيَّة تشتعل بأضواء الغروب. في المحادثة الجماعيَّة، ردَّ شخصٌ ما يحمل اسم مايك قائلًا: «أين أنت يا ملعون؟»، وكتب شخصٌ يحمل اسم دايف: «انتظر! أنت في إيطاليا؟ يخرب عقلك! ههههه. لن تذهب إلى العمل هذا الأسبوع؟». ردَّ فيلكس عليهم.

فيلكس: روما يا حبيبي، هههههههه، سافرت بصحبة فتاةٍ قابلتها على تندر. سأخبركم حين أعود.

مايك: أنت في روما مع شخصٍ قابلته على تندر؟ لديْك الكثير ممَّا تُفسِّره لنا. هههههه.

دايف: نعم!! هل التقطتك عجوزٌ غنيَّةٌ من على الإنترنت؟

مايك: أوووووه، يؤسفني أن أخبرك بما سمعت أنَّه يحدث في تلك الحالات، ستستيقظ من النوم غدًا من دون كليتيْك.

بعد الحديث معهم، أغلق فيلكس المحادثة، وفتح واحدةً أخرى، كان عنوانها: «رقم 16».

فيلكس: هاي. هل أكلت سابرينا اليوم، ولا أقصد البسكوت إيَّاه، سترغب في طعامٍ عاديّ، أريد صورةً بعد أن تنتهي. أرغب في رؤيتها.

لم يستجب أحدٌ أو يردَّ على الرسائل مباشرةً. في الوقت نفسه، وفي مكانٍ مختلفٍ من المدينة، كان برنامج تلفزيون إيطاليٌّ يُسجِّل مع أليس، على أن يوضِّح صوت مترجمٍ على صوت أليس بعد ذلك. كانت تقول: «من وجهة نظرٍ نسويَّة، فالأمر يتعلَّق بالتوزيع الجندريّ للعمل».

أغلق فيلكس هاتفه واستمرَّ في المشي، قطع نصف المسافة فوق أحد الجسور، ثمَّ توقَّف لينظر إلى النهر بالأسفل عند قلعة سانت أنجلو. عبر سمَّاعاته كان يستمع إلى أغنيَّة «آي آم وويتنج فور ذا مان». استطاع تمييز جودة الضوء بوضوحٍ بالغ، ذهبيّ اللَّون، يلقي بظلالٍ قُطريَّةٍ داكنة، وكانت مياه نهر التيبر بالأسفل خضراء شاحبة، حليبيَّة. مال فيلكس على حاجز الحماية الواسع أبيض اللَّون، وأخرج هاتفه وانتقل إلى تطبيق الكاميرا. كان عمر الهاتف عدَّة أعوام، ولسببٍ ما، تسبَّب فتح تطبيق الكاميرا في توقُّف الموسيقى وغلق التطبيق. نزع سمَّاعاته بانزعاج، والتقط صورةً للقلعة. ولعدَّة ثوانٍ بعدها، أمسك هاتفه على امتداد

ذراعه، بينما تتدلّى السماعات مرتخيةً فوق أحد جوانب الجسر، ولم يكن من الواضح، اعتمادًا على إيماءاته، ما إذا كان يحاول رؤية الصورة الحاليَّة على نحوٍ أفضل، أو يحاول الوصول إلى زاويةٍ جديدةٍ لالتقاط صورةٍ أخرى، أم أنَّه يفكِّر فحسب في ترك الجهاز ينزلق من دون صوتٍ من يده ليقع في النهر. كان واقفًا هناك، وذراعاه ممدودتيْن، بينما يعلو وجهه تعبيرٌ خامل، أو ربَّما كان يقعد حاجبيْه فحسب تجنُّبًا لوهج أشعَّة الشمس. لم يأخذ صورةً جديدة، لفَّ سمَّاعته، ووضع الهاتف في جيبه، ثمَّ أكمل طريقه.

ذلك المساء، كانت أليس تقدِّم أمسيَّة قراءةٍ في مهرجانٍ أدبيّ. قالت لفيلكس إنَّه ليس مضطرًّا للحضور، لكنَّه أخبرها أنَّه لا يملك خططًا أخرى. وأضاف: «وبالمرَّة، أستمع إليك فأعرف عمَّ تتحدَّث كتبك».

صحَّحت له: «'ترى'، لأنَّني لن أقرأ»، وأكَّدت «لو سارت الأمور على ما يرام في الأمسيَّة، ربَّما ستغيِّر رأيك».

أكَّد لها أنَّه لن يفعل.

عُقدت الأمسيَّة خارج وسط المدينة، في مبنى كبيرٍ يضمُّ قاعة حفلاتٍ ومعارض للفنِّ المعاصر. كانت ممرَّات المبنى مكتظَّة، فيها قراءاتٌ متعدِّدة، وحواراتٌ تُجرى في الوقت نفسه. قبل بداية الأمسيَّة، حضر شخصٌ من دار النشر واصطحب أليس لتقابل رجلًا آخر سيتولَّى إدارة الحوار معها على المسرح. تجوَّل فيلكس في المكان وهو يضع سمَّاعاته، ويتفحَّص رسائله وحساباته على وسائل التواصل. قرأ خبرًا عن سياسيٍّ بريطانيٍّ أدلى بتصريحاتٍ مهينةٍ عن الأحد الدامي. عاد فيلكس مرَّةً أخرى إلى بداية التايملاين، وسحب للأسفل، وانتظر

تحميل المنشورات الجديدة، ثمَّ فعل الشيء نفسه، عدَّة مرَّات. لم يبدِ عليه حتَّى أنَّه يقرأ ما يظهر له قبل أن يسحب للأسفل لتحديث الصفحة. عند هذه اللحظة، كانت أليس تجلس في حُجرةٍ ليست لها نوافذ، وأمامها طبقٌ من الفاكهة، تقول: «شكرًا، شكرًا لكم، هذا لطفٌ منكم، سعيدةٌ بأنَّكم استمتعتم بالأمسيَّة».

حضر الأمسيَّة أليس قرابة مئة شخص. أليس واقفةً على المسرح لمدَّة خمس دقائق، ثمَّ انخرطت في محادثةٍ مع محاور، وبعدها تلقَّت أسئلة الجمهور. جلست مترجمة بجوارها، تنقل الأسئلة إلى أذن أليس، ثمَّ تترجم إجابات أليس إلى الجمهور. كانت المترجمة سريعةً وكفؤة، تحرِّك قلمًا جافًّا بسرعةٍ على دفترٍ ورقيٍّ حينما تتحدَّث أليس، ثمَّ تتولَّى الترجمة بصوتٍ عالٍ من دون توقُّف، وبعدها تعود لتتصفَّح كلَّ ما كتبته، لتبدأ مرَّةً أخرى بمجرَّد أن تستكمل أليس حديثها.

جلس فيلكس بين الحضور مستمعًا. وضحك عندما قالت أليس شيئًا مضحكًا، وشاركه آخرون من الحضور يفهمون الإنجليزيَّة. باقي الحضور سيضحكون بعدها، حينما تتحدَّث المترجمة، أو ربَّما لن يفعلوا لأنَّ النكتة يصعب ترجمتها، أو ربَّما لأنَّهم لم يجدوها مضحكة. أجابت أليس أسئلةً عن النسويَّة، والجنسانيَّة، وعوالم جيمس جويس، ودور الكنيسة الكاثولوجيَّة في الحياة الثقافيَّة الإيرلنديَّة. هل وجد فيلكس إجاباتها مثيرةً للتأمُّل أم مملَّة؟ هل كان يفكِّر فيها، أو في شيءٍ آخر، أو شخصٍ آخر؟ وعلى المسرح، بينما تتحدَّث عن كتبها، هل كانت أليس تفكِّر فيه؟ هل كان بالنِّسبة إليها موجودًا في تلك اللحظة؟ وإذا كان كذلك، فبأيِّ طريقة؟

بعد نهاية الحفل، جلست خلف مكتبٍ توقّع كتبًا لمدَّة ساعة. أخبروه أنَّ بإمكانه الجلوس معها، لكن أجاب بأنَّه يفضّل ألَّا يفعل. تمشَّى بالخارج، سائرًا في دوائر حول محيط المبنى وهو يدخِّن سيجارة. عندما وجدته أليس بعد انتهائها، كان بصحبتها بريجيدا، امرأةٌ تعمل في دار النشر، دعتهما إلى العشاء. كرَّرت بريجيدا أكثر من مرَّةٍ أنَّ العشاء سيكون «بسيطًا للغاية». كانت نظرة أليس خابية، وتتحدَّث بسرعةٍ أعلى من المعتاد. على العكس من ذلك، كان فيلكس أهدأ ممَّا هو عليه، بل ومتجهِّمًا تقريبًا. جلسوا جميعًا في السيَّارة مع ريكاردو، الذي يعمل هو أيضًا في دار النشر، وذهبوا معًا إلى مطعمٍ في المدينة. في مقدِّمة السيَّارة، اندمج ريكاردو وبريجيدا في محادثةٍ بالإيطاليَّة.في المقعد الخلفيّ، سألت أليس فيلكس: «هل تشعر بالملل الفظيع؟».

بعد صمتٍ أجاب: «لماذا؟».

أشرق وجه أليس واكتسى بالحيويَّة، قالت: «كنت لأشعر بذلك. أنا لا أذهب أبدًا إلى أمسيَّاتٍ أدبيَّةٍ إلَّا لو اضطررت لذلك».

تفحَّص فيلكس أظافره وأطلق نفسًا قصيرًا. قال: «إجاباتك كانت جيِّدةً جدًّا على الأسئلة. هل كنت تعرفينها مسبقًا؟ أم كنت تفكِّرين في الإجابات في ساعتها؟».

أخبرته أنَّها لم تكن تعرف الأسئلة مقدَّمًا. أضافت: «طلاقةٌ سطحيَّة. لم أكن أقول شيئًا هامًا. لكنَّني سعيدةٌ أنَّ ذلك أعجبك».

نظر إليها، وقال بنبرةٍ تآمريَّةٍ بعض الشيء: «هل أخذت شيئًا؟».

أجابت أليس وتعبيرٌ بريءٌ مندهشٌ يرتسم على وجهها: «لا. ماذا تقصد؟».

ـ تبدين مفرطة النشاط نوعًا ما فحسب.

ـ آه. آسفة. أحيانًا ما أصبح على هذه الحالة بعد الحديث في جمعٍ من الناس. الأدرينالين أو شيءٍ كهذا. سأحاول أن أهدأ.

ـ لا، لا تشغلي بالك. كنت سأطلب منك بعضًا منه فحسب.

ضحكت. أرخى رأسه للخلف على مسند الكرسيّ وابتسم.

ـ سمعت أنّهم كلُّهم يسحبون سطر كوكايين. في المجال. لكن لم يعرض عليّ أحدٌ ذلك أبدًا.

أدار رأسه إليها، وبدا عليه الاهتمام. قال: «فعلًا؟ في إيطاليا أم في كلّ الأماكن؟».

ـ في كلّ الأماكن، حسبما سمعت.

ـ يبدو هذا مثيرًا. لن أرفض دفعةً بسيطة، لو كان الأمر كذلك.

سألت: «هل تريد أن أسأل لك؟».

تثاءب، واختلس نظرةً إلى بريجيديا وريكاردو في المقعديْن الأماميّيْن، ومسح بعض النوم عن عينيْه بأصابعه. ثمّ قال: «رأيي أنّك تفضّلين الموت على فعل ذلك».

ـ لكنّني سأفعله لو أردت منّي ذلك.

أغلق عينيْه، وقال: «لأنّك واقعةٌ في حبّي».

ـ ممم...

لم يغيّر من وضع جلوسه، مُسندًا رأسه إلى المسند وكأنّه نائم.

فتحت أليس تطبيق الرسائل الإلكترونيّة وكتبت رسالةً جديدةً إلى إيلين: «لو حصل وقلت لك يومًا إنّني سأجلب شخصًا غريبًا

بالكامل معي في رحلةٍ إلى روما، لك مُطلق الحرِّيَّة في أن تخبريني أنَّها فكرةٌ سيِّئة». أرسلت الإيميل، ووضعت هاتفها في الحقيبة.

ثمَّ قالت بصوتٍ عالٍ: «بريجيدا. آخر مرَّةٍ قابلتك فيها كنت تنتقلين إلى شقَّةٍ جديدة».

التفتت بريجيدا من مقعد الراكب الأماميِّ، وردذَت: «نعم. بيتي الجديد أقرب بكثيرٍ إلى المكتب». وصفت شقَّتها الجديدة مقارنةً بالقديمة، بينما كانت أليس تومئ برأسها وتقول أشياء مثل: «والقديمة كانت بحُجرتيْن؟ لكنَّني أتذكَّر أنَّه لم يكن هناك مصعد...».

أشاح فيلكس بوجهه موجِّهًا نظره ناحية النافذة. شوارع روما تكشف نفسها واحدًا تلو الآخر ثمَّ تختفي، يسحبها الظلام إلى الخلف.

-10-

عطفًا على إيميلي السَّابق بصدد هذا الشخص الذي لا أعرف عنه أيَّ شيءٍ: فيلكس في عمرنا نفسه، تسعةٌ وعشرون عامًا. ولو كنت تريدين معرفة ما إذا كنَّا قد نمنا معًا، فالإجابة لا، لكنَّني لا أظنُّ أنَّ هذه المعلومة بالذات ستساعدك في تكوين صورةٍ عن الواقع. خرجنا في موعدٍ واحدٍ فاشل، وقد أخبرتكِ عنه وقتها. لم يحدث شيءٌ بعد ذلك. لكنَّني أظنُّ أنَّ ما تريدين معرفته حقًّا ليس ما إذا كانت ممارساتٌ جنسيَّةٌ محدَّدةٌ قد حدثت بيننا، لكنَّ السؤال هو ما إذا كانت علاقتي به تتضمَّن جانبًا جنسيًّا من الأصل. وأنا أظنُّ ذلك. لكنَّ الحقيقة أنَّ ذلك الجانب موجودٌ في كلِّ علاقة. كنت أتمنَّى لو أنَّ هناك نظريَّةً متماسكةً عن الجنسانيَّة يمكنني أن أقرأ عنها في مكانٍ ما. من الواضح أنَّ كلَّ النظريَّات الحاليَّة تهتمُّ بالجندر لا غير. لكن ماذا عن الجنس نفسه؟ أقصد ما هو هذا الشيء أصلًا؟ بالنِّسبة إليّ، فمن الطبيعيّ أن أقابل أشخاصًا وأفكِّر فيهم من ناحيةٍ جنسيَّة، من دون أن أمارس الجنس

معهم، بل وبصورةٍ أدقّ: من دون أن أتخيَّل حتَّى أن أمارس الجنس معهم، من دون تفكيرٍ حتَّى في تخيُّل الأمر. يشير هذا إلى أنَّ الجنسانيَّة لها مكوِّنٌ «آخر»، لا يتعلَّق بفعل الجنس نفسه. بل ربَّما تكون أغلب خبراتنا الجنسيَّة متعلِّقةً بهذا الشيء الـ«آخر». ما هو هذا الشيء؟ أعني: ما الذي أشعر به ناحية فيلكس، الذي بالمناسبة لم يلمسني حتَّى، ويجعلني أفكِّر في علاقتنا بوصفها علاقةً جنسيَّة؟

كلَّما فكَّرت أكثر في الجنسانيَّة، بدت لي أكثر تنوُّعًا وإرباكًا، لدرجةٍ أشعر فيها بتهافت الطرق التي نستخدمها للحديث عن هذا الموضوع. فكرة «التصالح» مع جنسانيَّة المرء: يبدو لي أنَّ هذه الفكرة تعني بالأساس أن يصل المرء إلى تفاهمٍ مع نفسه بخصوص ميوله، للنساء أو للرجال. لكن بالنِّسبة إليّ، فمعرفة أنَّني أميل للرجال والنساء لم تمثِّل ربَّما إلَّا 1% من العمليَّة كلِّها، بل أقلّ. أعرف أنَّني مثليَّة الميول. لكنَّني لا أشعر بحالة ارتباطٍ مع هذه الحقيقة، بحيث يصبح هذا هويَّةً لي. أقصد أنَّني لا أشعر بوجود أيِّ شيءٍ ذي دلالةٍ أشترك فيه مع الأشخاص الآخرين مزدوجي الميول. كلُّ الأسئلة الأخرى التي أملكها تقريبًا بخصوص هويَّتي الجنسيَّة تبدو أكثر تعقيدًا، من دون طرقٍ واضحةٍ للعثور على إجابات، بل ومن دون لغةٍ يمكن من خلالها صياغة الإجابات لو حصل ووصلت إليها. كيف يفترض بنا أصلًا أن نحدِّد نوع الجنس الذي نستمتع به، ولماذا؟ وما الذي يعنيه الجنس لنا، وما هو القدر الذي نريده منه، وفي أيِّ سياقات؟ ما الذي يمكننا أن نتعلَّمه عن أنفسنا من خلال هذه الجوانب المرتبطة بشخصيَّاتنا الجنسيَّة؟ وأين نعثر على مصطلحاتٍ مناسبةٍ لكلِّ هذا؟ يبدو لي أنَّنا نتحرَّك في هذا العالم شاعرين طيلة الوقت بدوافع ورغباتٍ قويَّةٍ لدرجةٍ غير معقولة،

قويَّةٍ لدرجة أنَّها تجعلنا راغبين في تدمير حياتنا وتخريب زيجاتنا وحياتنا المهنيَّة، لكن أحدًا لا يحاول فعلًا أن يشرح طبيعة هذه الرغبات، ولا من أين تأتي. والطرق التي نستخدمها في الحديث عن الجنسانيَّة، أو التَّفكير فيها، تبدو لي محدودةً للغاية، مقارنةً بقوَّة الجنسانيَّة نفسها، المرهقة والمدمِّرة،، التي نعاينها في حياتنا الواقعيَّة. لكن.. بالنظر إلى كلِّ ما كتبته هذا، أتساءل لو كنت تظنِّيني مجنونة، فربَّما تشعرين أنت بدرجةٍ أقلَّ بكثيرٍ من الرَّغبة الجنسيَّة، ربَّما لا يشعر أحدٌ بما أشعر به، لا أعرف. لا يتحدَّث الناس عن ذلك عادةً.

أحيانًا أشعر أنَّ العلاقات الإنسانيَّة تُشبه شيئًا ناعمًا، مثل الماء أو الرمل، تتَّخذ شكل الوعاء الذي نصبُّها فيه. علاقة الأمِّ بابنتها مثلًا، تُصبُّ في وعاءٍ مكتوبٍ عليه: أمٌّ وطفلتها، وتأخذ العلاقة منحنيات العُبوة، وتُحفَظ في مكانٍ مغلق، لحُسن الحظِّ أو سوئه. ربَّما كان بعض أطراف الصداقات التعيسة ليحظوا بعلاقةٍ ممتازةٍ لو كانوا إخوة، أو لو كانت علاقة الزواج علاقة بنوَّةٍ وأبوَّة، من يدري! لكن كيف كانت الأمور لتسير لو أنَّنا نكوِّن علاقاتٍ من دون أيِّ صورةٍ مُحدَّدةٍ سلفًا من أيِّ نوع؟ كأنَّنا نصبُّ الماء ونتركه ينسكب فحسب. لا أظنُّه سيأخذ شكلًا بعيْنه، بل سيجري في كلِّ الاتِّجاهات. يشبه هذا علاقتي بفيلكس قليلًا، حسبما أظنّ. لا يوجد طريقٌ واضحٌ للأمام تتقدَّم فيه علاقتنا. لا أعتقد أنَّه سيصفني مثلًا بالصديقة. لأنَّ لديه أصدقاءه بالفعل، وهو يتواصل معهم بطريقةٍ تختلف عن طريقة تواصله معي. أظنُّه يبقى على مسافةٍ معي أكثر ممِّا يفعل معهم، لكن في الوقت نفسه، فنحن أقربُ في مساحاتٍ معيَّنة، إذ لا توجد أيُّ حدودٍ أو اتِّفاقاتٍ تحجِّم علاقتنا. بعبارةٍ أخرى، ما يجعل علاقتنا مختلفة، ليس أمرًا يتعلَّق بي ولا به، ولا بأيِّ

صفاتٍ شخصيَّةٍ خاصَّةٍ يملكها أيٌّ منَّا، بل وليست للأمر علاقةٌ بالمزيج الفريد الناتج عن شخصيَّاتنا الفرديَّة، الأمر كلُّه هو طريقة تواصلنا معًا، أو غياب الطريقة بمعنى ما. ربَّما يحدث في المستقبل أن يخرج كلٌّ منَّا من حياة الآخر، أو أن نصبح أصدقاء في النهاية، أو أيَّ شيءٍ آخر. لكن ما سيحدث سيكون على الأقلّ نتيجةً لهذه التجربة، التي أشعر أحيانًا أنَّها تسير على نحوٍ خاطئٍ تمامًا، وأشعر في أحيانٍ أخرى وكأنَّها العلاقة الوحيدة التي تستحقُّ الاحتفاظ بها.

دعيني أستدرك مضيفةً: بخلاف صداقتي بك. لكن أظنُّ أنَّك مخطئةٌ بشأن غريزة الجمال. البشر فقدوا ذلك عندما انهار سور برلين. لن أدخل في جدالٍ جديدٍ معك حول الاتِّحاد السوفيتيّ، لكن بموته مات التاريخ أيضًا. أفكِّر في القرن العشرين بوصفه سؤالًا طويلًا، وفي نهايته، وصلنا إلى الإجابة الخاطئة. ألسنا أطفالًا سيِّئي الحظِّ بولادتنا بعد نهاية العالم؟ بعد أن انتهت فرص هذا الكوكب، ولم يَعُد لنا أيُّ أمل. أم ربَّما كان ذلك نهاية حضارةٍ واحدةٍ فحسب، حضارتنا، وأنَّ حضارةً أخرى ستتشكَّل في وقتٍ ما من المستقبل لتشغل مكاننا. في هذه الحالة، فنحن نقف في آخر حُجرةٍ مضاءةٍ قبل أن يهبط الظلام، شاهدين على شيءٍ ما.

سأقدِّم فرضيَّةً بديلة: غريزة الجمال لا تزال موجودة، في روما على الأقلّ. يمكن بالطبع زيارة متحف الفاتيكان ورؤية تمثال لاوكون، أو الذهاب إلى الكنيسة الصغيرة ووضع عملةٍ في الفتحة لرؤية لوحات كارافاجيو، بل وفي معرض بورجيزي بإمكانك رؤية تمثال اختطاف بروزربينا، والتي أبدى فيلكس، ذو النظريَّة الحسِّيَّة بالفطرة، إعجابه به

على وجه الخصوص. لكن هناك أيضًا عبق أشجار البرتقال، أكواب القهوة البيضاء الصغيرة، أوقات الظهيرة الزرقاء، والأمسيَّات الذهبيَّة...

هل أخبرتك أنَّني لم أعُد قادرةً على قراءة الروايات المعاصرة؟ أظنُّ أنَّ السَّبب هو أنَّني أعرف كثيرًا من الأشخاص الذين يكتبونها. وأراهم دائمًا في الحفلات، يشربون النبيذ الأحمر، ويتحدَّثون عمَّن سينشر لمن في نيويورك. ويشتكون من أكثر الأشياء إملالًا في العالم: الدعاية غير كافية، عروض الكتب سيِّئة، أو شخصٌ ما يجني أموالًا أكثر منهم. من يهتمُّ لذلك؟ ثمَّ يذهبون ليكتبوا رواياتهم الحسَّاسة عن الـ«الحياة العاديَّة». الحقيقة أنَّهم لا يعرفون شيئًا عن الحياة العاديَّة. أغلبهم حتَّى لم يلقِ نظرةً عابرةً على الحياة الحقيقيَّة منذ عقود. هؤلاء الأشخاص يجلسون هذه الجلسة، وأمامهم مفارش مائدةٍ بيضاء من الكتَّان، ليشتكوا من عروض الكتب السيِّئة منذ عام 1983. وأنا لا أهتمُّ إطلاقًا بوجهة نظرهم في الأشخاص العاديِّين، وما يشغلني، هو أنَّهم يتحدَّثون من موضعٍ زائفٍ حين يتحدَّثون عن ذلك. لماذا لا يكتبون ببساطةٍ عن نوع الحياة التي يعيشونها فعلًا؟ وعن الأشياء التي تستحوذ على تفكيرهم فعلًا؟ لماذا يتظاهرون بأنَّهم مهووسون بالموت والفقد والفاشيَّة، في حين أنَّ ما يشغل تفكيرهم بالكامل هو ما إذا كان كتابهم الأخير سيحظى بعرضٍ على صفحات النيويورك تايمز؟ آه، وبالمناسبة، كثيرٌ منهم يأتي من أصولٍ عاديَّةٍ مثلي. ليسوا جميعًا أطفال أُسَرٍ برجوازيَّة. الفكرة أنَّهم خرجوا مباشرةً من الحياة العاديَّة. ربَّما لم يحدث ذلك عندما صدر كتابهم الأوَّل، ربَّما حدث ذلك مع الكتاب الثالث أو الرابع، لكن على كلِّ حال، فقد حدث ذلك منذ وقتٍ بعيد. والآن عندما ينظرون خلفهم، محاولين تذكُّر شكل الحياة

العاديَّة وقتها، فإنَّهم يجدونها بعيدةً لدرجة أنَّهم يحتاجون إلى تضييق أعينهم لتمييزها. لو أنَّ الروائيّين كتبوا بصدقٍ عن حياتهم، لما قرأ أحدٌ الروايات، وسيكونون على حقٍّ في ذلك بصراحة. ربَّما عندها سنضطرُّ أخيرًا إلى مواجهة مدى فساد، بالمعنى الفلسفيِّ العميق، النظام الحاليِّ للإنتاج الأدبيّ، وكيف أنَّه يأخذ الكُتَّاب بعيدًا عن الحياة العاديَّة، مغلقًا الباب من خلفهم، ومُخبرًا إيَّاهم مرَّةً تلو الأخرى كم هم مميَّزون ولأيِّ درجةٍ آراؤهم شديدة الأهمّيَّة. ثمَّ يعودون إلى بلادهم بعد عطلة نهاية أسبوعٍ في برلين، قضوها في أربع مقابلاتٍ صحفيَّة، وثلاث جلساتٍ تصويريَّة، وحفلتي توقيعٍ بيعت فيها كلُّ النسخ، وثلاث أمسيَّات عشاءٍ طويلةٍ مسترخية، يشكو فيها الجميع من عروض الكتب السيِّئة، ثمَّ يفتحون جهاز ماك بوك قديم ليكتبوا روايةً صغيرة، منتبهةً للتفاصيل، عن الـ«الحياة العاديَّة». يجعلَني ذلك أرغب في أن أكون مريضة، وأنا أعني ذلك تمامًا بلا أيِّ مبالغة.

مشكلة الرواية اليورو ـ أميركيَّة المعاصرة أنَّها تعتمد في سلامتها البنيويَّة على قمع الواقع الذي يعيشه أغلب البشر على ظهر الأرض. وبالتالي، فإنَّ الحديث عن الفقر والبؤس الذي يُجبر ملايين البشر على العيش فيه، ووضع حقيقة هذا الفقر وواقع هذا البؤس، جنبًا إلى جنبٍ مع حيوات الـ«شخصيَّات الرئيسيَّة» للرواية، سيوصَف إمَّا بانعدام الذوق أو ببساطة: بالفشل الفنِّيّ. باختصار، من سيستطيع الإبقاء على شعوره باهتمامه بمصائر أبطال الرواية، عندما يحدث ذلك في سياق الاستغلال، الذي يزداد سرعةً ووحشيَّة، تجاه غالبيَّة أفراد الجنس البشريّ؟ هل ينفصل بطلا الرواية أم يبقيان معًا؟ ما أهمّيَّة ذلك في هذا العالم؟ ولذلك فإنَّ الرواية تعمل بالضبط من خلال قمع حقيقة هذا

العالم، مُكدِّسةً إيَّاها بعنفٍ تحت سطح النصِّ اللَّامع. ويصبح بإمكاننا مرَّةً أخرى، مثلما نفعل في الحياة الواقعيَّة، أن نهتمَّ بما إذا كان الناس سينفصلون عن بعضهم أم يبقون معًا في حالة استطعنا «وفي هذه الحالة فحسب» أن ننسى كلَّ الأشياء الأكثر أهمِّيَّة. أي: كلَّ شيء.

ومن دون أدنى شكّ، فأعمالي الأدبيَّة هي أسوأ المتَّهمين في هذه المساحة. ولهذا السَّبب لا أظنُّ أنَّني سأكتب أبدًا روايةً أخرى.

كان مزاجك سيِّئًا حين كتبت لي آخر رسالة، وقلت أشياء مقبضةً عن الرَّغبة في الموت لأجل الثورة. أتمنَّى حين يصلك هذا الردّ، أن يكون تفكيرك قد توجَّه بدلًا من ذلك إلى فكرة الرَّغبة في الحياة من أجل الثورة، وكيف ستبدو حياةٌ كهذه. تقولين إنَّ قليلين هم من يهتمُّون بما يحدث لك، ولا أعرف بصراحةٍ إن كان ذلك حقيقيًّا، لكنَّني أعرف بالفعل أنَّ بعضًا منَّا يهتمُّون جدًّا، ولأقصى حدّ، مثال: أنا، سايمون، أمُّك. أنا متأكِّدةٌ كذلك أنَّه من الأفضل للمرء أن يحبَّه الناس بعمق (وهو ما يحدث معك) مقارنةً بأن يحظى بإعجاب كثيرٍ من الناس (وهو ما يحدث معك في الغالب أيضًا، لكنَّني لن أستفيض في هذه النقطة). أنا آسفةٌ من كثرة شكواي بشأن شهرة الكتاب، وهو شيءٌ لا يمكن لأيِّ شخصٍ عاقلٍ أن يهتمَّ بسماعه. وأنا أيضًا آسفةٌ لإخبارك أنَّني سآخذ إجازةً طويلةً من أعمال الترويج للكتاب، ثمَّ تجدينني أسافر إلى روما للترويج للكتاب لأنَّني جبانةٌ وأرفض خذل الآخرين. (أريد أن أعتذر لأنَّني لم أستطع رؤيتك قبل الرحلة، لكن هذه في الواقع لم تكن غلطتي. الناشر حجز لي عربةً إلى المطار). أنت محقَّةٌ في أنَّني أجني الكثير من المال وأعيش بطريقةٍ غير مسؤولة. أعرف أنَّني أثير مَلَلَكِ بالتَّأكيد، ولكن فقط

بقدر ما أثير مَلَل نفسي شخصيًا. ولكنّني أحبُّك أيضًا، وأشعر بالامتنان لك، على كلِّ شيء.

على كلِّ حال، أرجوكِ أن تأتي لزيارتي بعد الزفاف. هل يمكنني أن أدعو سايمون أيضًا؟ يمكننا لكلينا بالتَّأكيد أن نشرح له لماذا من الخطأ أن يواعد فتياتٍ خارقات الجمال، أعمارهنَّ أصغر منًّا. لست واثقةً تمامًا من سبب كون هذا أمرًا خاطئًا، لكنّني سأواصل التَّفكير حتّى نلتقي وسأصل بالتَّأكيد إلى شيءٍ ما. كلُّ الحبّ. أليس.

-11-

في المساء، بعد أن تلقَّت هذا الإيميل، كانت إيلين تسير في حيِّ تمبل بار متَّجهةً إلى شارع دام. أمسيَّة يوم سبتٍ هادئة، والشمس طالعة. بدايات شهر مايو، أشعَّة الشمس تنكسر بضوءٍ ذهبيٍّ على واجهات المباني. كانت ترتدي جاكيتًا من الجلد على فستانٍ قطنيٍّ يحمل نقشًا منقَّطًا، وعندما كانت تلفت انتباه رجالٍ يمرُّون بها: شبابٌ يرتدون سترًا شتويَّةً وأحذيةً طويلة الرقبة، رجالٌ متوسِّطو العمر في قمصانٍ أنيقة، كانت تبتسم بخفوتٍ وتحوِّل نظرتها بعيدًا. بحلول الثامنة والنصف، كانت قد وصلت إلى محطَّة الحافلات في مواجهة مبنى البنك المركزيِّ القديم. أخرجت قطعةً من علكة النعناع من حقيبتها، ونزعت غلافها، ثمَّ وضعتها في فمها. مرَّت السيَّارات بجوارها، وتحرَّكت الظلال ببطءٍ على الشارع ناحية الشرق، بينما كانت تحرِّك الغطاء الرَّقيق بين أظافرها حتَّى أصبح ناعمًا. وعندما رنَّ هاتفها، سحبته من جيبها ونظرت إلى الشاشة.

أمُّها تتَّصل. أجابت، وبعد تبادل التحيَّات، قالت: «حسنًا، أنا الآن في المدينة أنتظر الباص، هل أتَّصل بك في وقتٍ لاحق؟».

ـ أبوكِ متضايقٌ من الموضوع إيَّاه مع ديردر بريندير جاست.

نظرت إيلين بتمعُّنٍ في الباص الذي يقترب ناحيتها، محاولةً استجلاء رقمه، بينما كانت تمضغ العلكة.

ـ نعم.

ـ هل يمكن أن تتحدَّثي مع لولا؟

مرَّ الباص من دون أن يتوقَّف. لمست إيلين جبهتها بأصابعها. قالت: «أبي متضايقٌ من لولا إذن، لهذا تحدَّث معك، وأنتِ تتحدَّثين معي، والآن يفترض بي أنا أن أتحدَّث مع لولا. هل يبدو لك ذلك منطقيًّا؟».

ـ لو كان الأمر سيزعجكِ لهذه الدرجة، فانسي أنَّني طلبت شيئًا.

كان باصٌ جديدٌ قد وصل في تلك اللحظة.

ـ أنا مضطرَّةٌ للذهاب. سأتَّصل بك غدًا.

تسلَّقت إلى الباص بمجرَّد أن فتح أبوابه، استخدمت بطاقتها، ثمَّ صعدت للجلوس في الدور العلويِّ بجوار المقدِّمة. كتبت اسم حانةٍ في تطبيق خرائطِ على هاتفها، بينما تحرَّك الباص مخترقًا مركز المدينة ومتَّجهًا إلى الشمال. على شاشة هاتف إيلين، بدأت نقطةٌ زرقاء نابضةٌ في قطع الرحلة نفسها ناحية جهة الوصول النهائيَّة، والتي كانت على بُعد سبع عشرة دقيقة. أغلقت التطبيق، وبدأت في كتابة رسالةٍ إلى لولا.

ـ إيلين: هاي.. لم تبعثي دعوة حضور زفافك لديردر في النهاية؟

خلال ثلاثين ثانيةً، تلقَّت ردًّا.

ـ لولا: لول. أتمنَّى أن يكون المقابل الذي سيدفعه أبي وأمِّي لك يستحقُّ عناء التعامل مع هذه المهام الصعبة.

أثناء قراءة الرسالة، قرَّبت إيلين ما بين حاجبيْها، ثمَّ أطلقت زفرةً سريعةً من أنفها. ضغطت على أيقونة إرسال الردِّ وبدأت تكتب.

ـ إيلين: هل قرَّرت فعلًا أن تحرمي أفراد عائلتك من حضور الزفاف؟ هل تدركين لأيِّ درجةٍ هو تصرُّفٌ بغيضٌ وغير ناضج؟

أغلقت تطبيق الرسائل، وأعادت فتح الخريطة. معتمدةً على ما تُخبرها به النقطة على الشاشة، ضغطت إيلين جرس التوقُّف، ونزلت إلى الأسفل. شكرت السَّائق، وخرجت من الباص. نظرت إلى هاتفها مُحاذِرةً أكثر من مرَّةٍ وبدأت المشي في الشارع، على المسار نفسه الذي أتى منه الباص، مارَّةً بمصفِّفٍ للشعر، ومتجر ملابس نسائيَّة، وعبر ممرٍّ خاصٍّ بالمشاة، حتَّى ظهرت علامةٌ على الشاشة، تحمل نصًّا من سطرٍ واحدٍ يقول: «لقد وصلت إلى وجهتك». أخرجت العلكة ووضعتها في الغلاف مرَّةً أخرى، وألقتها في سلَّة مهملاتٍ قريبة.

كان المدخل يمتدُّ عبر رواقٍ ضيِّق، ويؤدِّي إلى حانةٍ أماميَّة، خلفها غرفةٌ خاصَّة، فيها أرائك وطاولاتٌ منخفضة، يغمرها ضوء مصابيح حمراء. كان المظهر منزليًّا بصورةٍ جذَّابة، وكأنَّها غرفة معيشةٍ خاصَّةٌ واسعةٌ من عصرٍ مبكِّر، لكنَّها غارقةٌ في ضوءٍ أحمر خافت. على الفور، تلقَّت إيلين ترحيب مجموعةٍ من الأصدقاء والمعارف، الذين وضعوا كؤوسهم وتركوا أماكنهم على الكنب ليحضنوها. عندما رأت رجلًا

يُدعى داراك، قالت بحماس: «كلّ سنة وأنت طيّب!». بعد ذلك طلبت مشروبًا، وجلست على أريكةٍ جلديَّةٍ ذات جلدٍ لزجٍ بعض الشيء، بجوار صديقتها باولا. كانت الموسيقى تخرج من مكبّرات صوتٍ مثبّتةٍ على الجدران، وفي نهاية الحُجرة يتأرجح باب الحمَّام من وقتٍ لآخر، مُطلقًا دفعةً قصيرةً من الضوء الأبيض قبل أن ينغلق مرَّةً أخرى. تفقَّدت إيلين هاتفها، ورأت رسالةً جديدةً من لولا.

ـ لولا: همممم. هل أريد فعلًا أن أسمع شخصًا يصفني بعدم النضج، حين يكون هذا الشخص بالذات عالقًا في وظيفةٍ خرائيَّةٍ لا يحصل فيها على أيِّ مالٍ ويعيش في عشِّه وهو في الثلاثين.....؟

نظرت إيلين إلى الشاشة لفترة، ثمَّ وضعت هاتفها في جيبها مرَّةً أخرى. بجوارها امرأةٌ اسمها روزين، تحكي قصَّةً عن نافذةٍ مكسورةٍ في شقَّتها التي تقع في الدور الأرضيّ على مستوى الشارع، والتي يرفض المالك إصلاحها، لمدَّةٍ تزيد عن شهر. بعد ذلك، بدأ الجميع في مشاركة قصصٍ مرعبةٍ عن عالم الشقق المؤجَّرة. مرَّت ساعةٌ أو ساعتان بهذا الشَّكل. طلبت باولا جولةً أخرى من الشراب. قُدِّم الطعام الساخن في أطباقٍ فضِّيَّةٍ من وراء البار: نقانق كوكتيل، بطاطا مشويَّة، أجنحة دجاجٍ تلمع في الصوص السائل. في الحادية عشرة إلَّا عشر دقائق، نهضت إيلين، وذهبت إلى الحمَّام، وأخرجت هاتفها من جيبها مرَّةً أخرى. لم تكن هناك إشعاراتٌ جديدة. فتحت تطبيق رسائل وكتبت اسم سايمون، وعرضت سلسلة محادثاتٍ من الليلة الماضيَّة.

ـ إيلين: في البيت بأمان؟

ـ سايمون: نعم، كنت سأكتب لك حالًا.

ـ سايمون: يحتمل أنَّ لك معي هديَّة.

ـ إيلين: فعلًا؟؟

ـ سايمون: سيكون من دواعي سرورك أن تعرفي أنَّ المتجر على متن العبَّارة كان يقدِّم عروضًا خاصَّة، معفاةً من الجمارك، على التولبيرون.

ـ سايمون: هل أنت مشغولةٌ مساء غد؟

ـ إيلين: في الحقيقة نعم على سبيل التغيير... سيقيمون حفلة عيد ميلادٍ لداراك. آسفة.

ـ سايمون: آه. حسنًا... هل سأراك هذا الأسبوع؟

ـ إيلين: نعم، أكيد.

كانت هذه هي الرسالة الأخيرة. قضت حاجتها وغسلت يديْها، وأعادت وضع أحمر الشفاه وهي تنظر في المرآة، ثمَّ حدَّدته مستخدمةً مربَّعًا من مناديل الحمَّام. طرق شخصٌ ما في الخارج على باب الحمَّام، فأجابت بصوتٍ عالٍ: ثانية واحدة. نظرت في المرآة بإنهاك. جذبت بيديْها ملامح وجهها إلى الأسفل، فبرزت عظام جمجمتها بطريقةٍ حادَّةٍ وغريبةٍ تحت ضوء الفلورسنت الأبيض من السقف. طرق الشخص مرَّةً أخرى على الباب. وضعت إيلين حقيبتها على كتفها، وفتحت الباب، وخرجت إلى الحانة. جلست بجوار باولا، وأمسكت كأسها نصف المملوء بالشراب، الذي كانت قد تركته على الطاولة. ذاب الثلج كلُّه. قالت: «عمَّ تتحدَّثون؟».

أجابت باولا أنَّهم كانوا يتحدَّثون عن الشيوعيَّة.

«كلُّ الناس يعتنقونها الآن. شيءٌ عجيب. عندما بدأت أتحدَّث عن الماركسيَّة، كان الناس يسخرون منِّي. الآن أصبح هذا هو الشائع.

ولكلِّ الأشخاص الجدُد الذين يحاولون جعل الشيوعيَّة رائجةً الآن، أحبُّ أن أقول: أهلًا وسهلًا يا رفاق. لا أحمل لك أيَّ ضغينة. المستقبل مشرقٌ بالنِّسبة إلى الطبقة العاملة»، قالت إيلين.

رفعت روزين كأسها، وكذلك فعل داراك. ابتسمت إيلين وبدا أنَّها ثملةٌ بعض الشيء. سألت: «هل رفعوا أطباق الطعام؟».

من الناحية الأخرى من الطاولة، علَّق رجلٌ يُدعى جاري: «لا أحد منَّا ينتمي إلى الطبقة العاملة بصراحة».

دعكت إيلين أنفها وردَّت: «نعم. حسنًا. ماركس كان ليخالفك الرأي، لكنَّني أفهم ما تحاول قوله».

ـ يحبُّ الناس الادِّعاء بأنَّهم طبقةٌ عاملة، لكن في الحقيقة ولا واحدٌ من الجالسين هنا ينتمي إلى خلفيَّة طبقةٍ عاملة.

ـ صح. لكن كلُّ الناس هنا يعملون من أجل الحصول على لقمة العيش، ولسداد الإيجار لصاحب البيت.

أجابها جاري، رافعًا حاجبيْه: «دفع الإيجار لا يجعل منك طبقةً عاملة».

ـ في الحقيقة يجعلني. العمل لا يجعل من المرء طبقةً عاملة، إنفاق نصف الراتب على الإيجار، وعدم امتلاك بيتٍ خاصّ، استغلال مديرك في العمل، لا شيء من هذا يجعلك طبقةً عاملة، صح؟ ما هو الشَّيء الذي يجعلنا كذلك إذن؟ أن تكون لديَّ لكنةٌ معيَّنةٌ في الحديث؟ صح؟

أطلق ضحكةً مغتاظةً وأجاب: «هل تظنين أنَّ بإمكانك قيادة عربة والدك البي إم دبليو، ثمَّ فجأةً تقرِّرين أن تقولي: أنا أنتمي إلى الطبقة

العاملة، لأنَّكِ لست على وفاقٍ مع مديرك؟ نحن لا نتحدَّث عن موضةٍ ما، كما تعرفين بالطبع، إنَّها هويَّة».

ابتلعت إيلين جرعةً من مشروبها، قبل أن تجيبه: «كلُّ شيءٍ هو هويَّةٌ هذه الأيَّام. وأنت لا تعرف شيئًا عنِّي بالمناسبة. لا أعرف لماذا تقول إنَّه لا يوجد هنا من ينتمي للطبقة العاملة، أنت لا تعرف أيَّ شيءٍ عنِّي».

ـ أعرفُ أنَّكِ تعملين في مجلَّةٍ أدبيَّة.

ـ يا إلهي. لديَّ وظيفة، بعبارةٍ أخرى. سلوكٌ برجوازيٌّ كلاسيكيّ.

تدخَّل داراك قائلًا إنَّه يظنُّ أنَّهما يستخدمان المصطلح نفسه، «الطبقة العاملة»، للتعبير عن مجموعتيْن متمايزتيْن من الناس: الأولى هي الجمهور الواسع من البشر، الذين يأتي دخلهم من العمل لا رأس المال، أمَّا الأخرى فهي بالأساس القسم الفرعيُّ الفقير من هذه المجموعة، والذي يعيش في الحضر، ويملك مجموعةً من التقاليد والدلالات الثقافيَّة.

قالت باولا إنَّ الشخص الذي ينتمي إلى الطبقة الوسطى لا يزال بإمكانه أن يكون اشتراكيًّا، فردَّت إيلين أنَّ الطبقة الوسطى ليس لها وجود. عند هذه اللَّحظة، بدأ الجميع في رفع أصواتهم على بعض.

تفقَّدت إيلين هاتفها مرَّةً أخرى. لم تكن هناك رسائل جديدة، وكان الوقت على الشاشة 23:21. شربت كأسها بالكامل، وبدأت في ارتداء سترتها. أرسلت قبلةً في الهواء للجميع على الطاولة، وودَّعتهم بتلويحةٍ من يدها قبل أن تقول: «سأذهب إلى المنزل. عيد ميلادٍ سعيد، يا داراك. أراكم قريبًا».

وسط الضوضاء والمحادثة، لم يبد أنَّ أحدًا انتبه لأنَّها تغادر إلَّا قليلًا من الجالسين، وهؤلاء لوَّحوا لها، ودعوها للبقاء.

مضت عشر دقائق، واستقلَّت إيلين حافلةً أخرى، هذه المرَّة عائدةً إلى وسط المدينة. جلست وحدها بجوار النافذة في الطابق العلويّ، سحبت هاتفها من جيبها ثمَّ فتحته، وبعدها اتَّجهت إلى تطبيق تواصلٍ اجتماعيّ، وكتبت اسم «إيدن لافين»، ونقرت على الاقتراح الثالث من نتائج البحث. بمجرَّد أن اكتمل تحميل الملفّ الشَّخصيّ، سحبت إيلين الصفحة إلى الأسفل بصورةٍ ميكانيكيَّة، وكأنَّها ساهيةٌ تمامًا، لعرض التحديثات الأخيرة، وكأنَّها مدفوعةٌ بالعادة لا الاهتمام التلقائيّ. من خلال بضع ضغطات، تنقَّلت إيلين من صفحة «إيدن لافين» إلى صفحة «أكشوال ديث جيرل»، وانتظرت حتَّى يكتمل تحميل الصفحة. كانت الحافلة تتوقَّف وقتها عند كلِّيَّة سانت ماري، انفرج الباب ونزل الركَّاب في الأسفل. اكتمل تحميل الصفحة، وانتقلت إيلين من دون انتباهٍ كبيرٍ إلى آخر تحديثات المستخدم. رنَّ جرس الباص مُعلنًا توقُّفه مرَّةً أخرى. جلس شخصٌ ما بجوار إيلين ونظرت هي إليه وابتسمت مجاملةً قبل أن تعيد انتباهها إلى الشاشة. قبل يوميْن، نشرت «أكشوال ديث جيرل» صورةً جديدةً لها، وكتبت فوقها: «ذلك الموقف الحزين». كانت الصورة تُظهر صاحبة الحساب وهي تضع ذراعيْها حول رجلٍ له شعرٌ داكن. فوق الرجل هناك وسم: «إيدن لافين». بينما تنظر إلى الصورة، انفتح فم إيلين قليلًا ثمَّ عاد لينغلق سريعًا. نقرت على الصورة لتكبيرها. الرجل يرتدي سترة كوردوري حمراء اللَّون. حول عنقه، كانت ذراعا المرأة: جذَّابان، ممتلئتان برشاقة. أُعجِب بهذه الصورة 34 شخصًا. توقَّفت الحافلة في محطَّةٍ أخرى، ونقلت إيلين انتباهها إلى خارج النافذة. كانوا متوقِّفين عند

جروف بارك، قبل القناة بقليل. مرَّت نظرة إدراكٍ على وجهها، عبست، نهضت بحدَّة، وضغطت نفسها لتعبر من الراكب الذي يجلس بجوارها. وعندما فُتح الباب، كانت تهبط بأنفاسٍ شبه مقطوعةٍ على السُّلَّم، وتشكر السَّائق في مرآة الرؤية الخلفيَّة، ثمَّ تنزل إلى الشارع.

اقترب الوقت الآن من منتصف الليل. ظهرت نوافذ الشقق بلونٍ أصفر، هنا وهناك، فوق واجهةٍ مظلمةٍ لمتجرٍ عند الزاوية. سحبت إيلين سوستة السترة للأعلى، وثبَّتت حقيبة يدها فوق الكتف، وسارت، بطريقةٍ بدت حاسمة، في اتِّجاهٍ محدَّد. وأثناء ذلك، أخرجت هاتفها مرَّةً أخرى ونظرت من جديدٍ إلى الصورة. ثمَّ تنحنحت. كان الشارع هادئًا. وضعت الهاتف في جيبها، ومسحت يدها بقوَّة، من أعلى لأسفل، في الجزء الأماميِّ من السترة، وكأنَّها تنظِّفها. حينما عبرت الشارع، بدأت تسير بخفَّةٍ أكبر، بخطواتٍ حرَّةٍ طويلة، حتَّى وصلت إلى منزلٍ ريفيٍّ أمامه ستُّ سلالٍ مهملاتٍ ملوَّنةٍ من البلاستيك، متراصَّةٍ خلف البوَّابة. نظرت إلى الأعلى، وأطلقت ضحكةً غريبة، ثمَّ فركت جبهتها بيديْها. عبرت الممشى المُغطَّى بالحصى، ورنَّت جرس الباب الأماميّ. لمدَّة خمس ثوان، عشر ثوان، لم يحدث شيء. خمس عشرة ثانية. كانت تهزُّ رأسها، وتتحرَّك شفتاها بصمت، وكأنَّها تتدرَّب على محادثةٍ تخيّليَّة. مرَّت عشرون ثانية. استدارت لتمشي. ثمَّ جاء صوت سايمون من مُكبِّر الصوت البلاستيكيّ: «من؟». استدارت عائدة، نظرت إلى المُكبِّر ولم تقل شيئًا. عاد صوته ليقول: «أهلًا». ضغطتْ على الزرّ.

ـ هاي. هذه أنا. آسفة.

ـ إيلين، هل هذه أنت؟

ـ نعم. آسفة. أنا إيلين.

ـ هل أنت بخير؟ اصعدي، سأفتح لك الباب.

انطلقت رنَّة فتح الباب، ودخلت. كانت الإضاءة ساطعةً للغاية في المدخل، وأحدهم ترك درَّاجته، سندها على صناديق البريد. بينما كانت إيلين تصعد السلَّم، أحسَّت أنَّ شعرها قد خرج من مشبكه في مؤخِّرة رأسها، وبعنايةٍ أعادت ترتيبه بأصابع طويلةٍ متمرِّسة. نظرت إلى الوقت في هاتفها، 23:58 ظهرت على الشاشة، ثمَّ فكَّت سوستة السترة. كان باب شقَّة سايمون مفتوحًا بالفعل، وهو واقفٌ أمامه حافي القدميْن، ينظر عابسًا إلى ضوء مصباح المدخل، وعيناه منتفختان قليلًا، وتبدو عليهما آثار النعاس.

توقَّفت عند السُّلَّم الأخير، ويدها على الدرابزين، وقالت: «يا ربِّي، أنا آسفة، هل كنتَ نائمًا؟».

ـ هل كلُّ شيءٍ على ما يرام؟

حنت رأسها، وكأنَّها تشعر بالإرهاق، أو الخزي، وأغلقت عينيْها. مرَّت عدَّة ثوانٍ قبل أن تُعيد فتحهما ثمَّ تجيب: «كلُّ شيءٍ تمام. كنت عائدةً إلى البيت فحسب بعد جلسة داراك تلك، وأردت أن أراك. لم أكن أعرف.. لا أعرف لماذا تخيَّلت أنَّك ستكون مستيقظًا. كنت أعرف أنَّ الوقت متأخِّر».

ـ ليس متأخِّرًا لهذه الدرجة في الواقع. هل ترغبين في الدخول؟

كانت لا تزال تحدِّق في السيجارة، قالت بصوتٍ متوتِّر: «لا، لا، لن أزعجك أكثر من ذلك. أشعر بالغباء، أنا آسفة».

أغلق عينًا واحدًا، ونظر إليها بتمعُّن، حيث تقف على السلّمة الأخيرة.

ـ لا تقولي ذلك. تعالي. سأحضر لك شيئًا تشربينه.

تبعته إلى الداخل. مصدر الضوء مصباحٌ واحدٌ في المطبخ، يلقي نوره على الشقَّة في دائرةٍ تخفت على الأطراف. مَنشر غسيلٍ داخليٌّ منصوبٌ أمام الجدار الخلفيّ، وعليه قطعٌ مختلفةٌ مُعلَّقةٌ لتجفّ: تي شيرت، جوارب، ملابس داخليَّة. أغلق الباب خلفها، بينما كانت تنزع السترة والحذاء. وقفت أمامه بعدها، تُحدِّق بغموضٍ في ألواح الأرضيَّة.

ـ يا سايمون، هل يمكنني أن أطلب منك خدمة، بإمكانك الرفض. لن أتضايق.

ـ طبعًا.

ـ هل يمكنني النوم في السرير معك؟

نظر إليها لفترةٍ أطول قبل أن يجيب «نعم. ليست مشكلة. هل أنت متأكِّدةٌ أنَّ كلَّ شيءٍ على ما يرام؟».

هزَّت رأسها من دون أن ترفع عينيْها. ملأ لها كوبًا من الماء من الصنبور، وذهبا معًا إلى حُجرته. كانت مرتَّبة، ولها ألواحٌ غامقة اللَّون. في المركز سريرٌ مزدوج، اللحاف مُلقى في الخلف، والمصباح بجوار السرير مضاء. أمام الباب توجد نافذةٌ عليها ستائر مسحوبةٌ إلى الأسفل. أغلق سايمون المصباح، وفكَّت إيلين أزرار فستانها، ثمَّ جعلته ينزلق من كتفيْها، ووضعته على ظهر كرسيِّ مكتبه. دخلا إلى السرير. شربت بعض الماء من كوبها، ثمَّ استلقت على جانبها. لبضع دقائق كانا صامتين وثابتيْن. تلفَّتت إليه، لكنَّه كان يدير ظهره لها، لم تستطع إلَّا رؤية مؤخِّرة رأسه وكتفيْه.

ـ هل يمكن أن تحضنني؟

تردَّد للحظة، وكأنَّه على وشكِ أن يقول شيئًا، لكنَّه استدار ووضع ذراعيْه حولها، مغمغمًا: «طبعًا».

تكوَّرت في مقابلته مقتربةً منه، كان وجهها يقابل عنقه، وانضغط جسداهما. أصدر صوتًا خفيضًا من حلقه، يشبه: «مم». ثمَّ ابتلع ريقه. وقال: «آسف».

كان فمها في مستوى عنقه.

ـ لا بأس. هذا لطيف.

أخذ نفسًا عندها، قال: «فعلًا؟ لم تفرطي في الشرب، صح؟».

كانت عيناها مغلقتان. قالت: «لا».

وضعت يدها داخل سرواله الداخليّ. أغلق عينيْه، وتأوَّه بخفوت. لفترةٍ من الوقت، استمرَّت في لمسه بهذه الطريقة، ببطء، وترفع عينيْها إليه، إلى جفنيْه المسبليْن، الرطبيْن، وإلى فمه المفتوح قليلًا. سألت: «ينفع؟».

ـ نعم.

نزعا ملابسهما الداخليَّة.

ـ سأحضر واقيًا.

قالت إنَّها تأخذ الأقراص، وبدا أنَّه متردِّد.

ـ آه. فعلًا؟

هزَّت رأسها. كانا نائميْن على جانبيْهما، وجهًا لوجه.

تحرَّك ليَدخلها ممسكًا وركها. سحبت نفسًا سريعًا، وفرك الطرف البارز من عظمة حوضها بيديْه. كانا ثابتيْن لعدَّة ثوان. ضغط مقتربًا منها. تنهَّدت وعيناها مغلقتان.

ـ مم. هل يمكن أن تنامي على ظهرك؟ تمام؟ أظنُّ أنَّني يمكنني الدخول أعمق بهذه الطريقة، لو أردت ذلك.

كانت عيناها مغلقتيْن. قالت: «نعم».

خرج منها، ثمَّ نامت على ظهرها. عندما دخلها مرَّةً أخرى، أطلقت صرخة، وشبكت قدماها حوله. حمل وزن جسمه على ذراعيْه، وأغلق عينيْه. بعد دقيقة قالت: «أنا أحبُّك».

أخرج نفسًا. وبصوتٍ خفيض ردّ: «آه. أنا لم.. أنا أحبُّك أيضًا، جدًّا».

كانت تحرّك يدها على خلفيَّة رأسه، وتأخذ أنفاسًا قويَّةً عميقةً عبر فمها.

ـ إيلين، أنا آسف. لكن أظنُّ أنَّني على وشك.. أنا فقط. لم.. لا أعرف. أنا آسف.

كان وجهها ساخنًا، منقطعة الأنفاس، هزَّت رأسها.

ـ لا بأس. لا تقلق. لا تتأسَّف.

بعد أن انتهى، استلقيا محتضنيْن بعضهما لفترة، يتنفَّسان، تتخلَّل أصابعها شعره. حرَّك يده بهدوءٍ ضاغطًا على بطنها، ثمَّ إلى الأسفل بين قدميْها.

ـ هل هذا جيِّد؟

تمتمت وهي مغمضة العينيْن: «نعم».

حرَّك إصبعه الأوسط إلى داخلها، ولمس بظرها بإبهامه، وكانت تهمس، نعم، نعم.

بعد أن افترقا، انقلبت على ظهرها، وركلت اللّحاف من على ساقيْها، والتقطت أنفاسها. كان مستلقيًا على جانبه، عيناه نصف مغمَّضتين، ينظر إليها. سأل: «تمام؟».

أطلقت ما يشبه الضحكة المرتجفة، وقالت: «نعم. شكرًا لك».

ظهرت ابتسامةٌ خافتةٌ على وجهه، بينما كانت نظرته تتحرَّك على جسمها الطويل النحيل المُمدَّد على المرتبة. أجاب: «العفو».

في الصباح، رنَّ المنبِّه عند الثامنة وأيقظهما، مال سايمون معتمدًا على كوعه ليطفئه، وكانت إيلين مستلقيةً على ظهرها، تفرك عينيْها بأصابعها. حول أطراف الستائر، تسرَّب مستطيلٌ من ضوء النهار الأبيض إلى الداخل.

ـ هل لديْكَ ما تفعله هذا الصباح؟

أعاد هاتفه إلى الطاولة بجوار السرير، قال: «كنت أخطِّط للذهاب إلى القدَّاس في التاسعة. لكن يمكنني الذهاب في وقتٍ لاحق، لن يشكِّل هذا فارقًا».

استلقت مغمضةً عينيْها، وبدت سعيدة، شعرها غير منتظمٍ على الوسادة.

ـ هل يمكنني الذهاب معك؟

نظر إليها للحظة، ثمَّ أجاب ببساطة: «طبعًا يمكنك».

نهضا من السرير معًا، أعدَّ هو القهوة بينما ذهبت لتستحمّ. خرجت من الحمام وهي تلفُّ نفسها بمنشفةٍ بيضاء كبيرة، وقبَّلا بعضهما من أمام طاولة المطبخ.

سألت: «ماذا لو راودتني أفكارٌ سيّئةٌ في القدّاس؟».

دلَّك مؤخَّرة عنقها حيث كان شعرها نديًّا، وقال: «أفكارٌ بشأن الأمس؟ لم نفعل أيَّ شيءٍ سيِّئ».

قبَّلت كتفه عند خياطة التي ـ شيرت. بعد ذلك، ذهب ليُعدَّ طعام الفطور بينما ترتدي ملابسها. قبل التاسعة بقليل، غادرا المنزل، وسارا إلى الكنيسة معًا. بالداخل كان الجوُّ لطيفًا، والكنيسة شبه فارغة، وشعَّت رائحة البخور والرطوبة. قرأ الكاهن من إنجيل لوقا، ثمَّ أعطى عظةً عن الرحمة. خلال طقس التناول، غنَّت الجوقة «**أنا هنا يا ربّ**». أفسحت إيلين الطريق لسايمون كي يخرج من المقعد الطويل، وشاهدته يقف في الصفّ مع أعضاء الطائفة الآخرين، أغلبهم كبارٌ في السنّ.

من المعرض خلفهم، كانت الجوقة تغنّي: «**سأنير ظلمتهم**».

غيَّرت إيلين مكانها لتتابع سايمون، الذي كان قد وصل إلى المذبح وتلقَّى القربان. ابتعد وهو يبارك نفسه. جلست ويداها على حِجرها. نظر إلى السقف المقبَّب الشاسع فوقهما، وحرَّك شفتيْه بصمت. كانت تنظر إليه وتعبيرٌ متسائِلٌ يرتسم على وجهها. جاء وجلس بجوارها، ووضع يده على يديْها، كانت يده ثقيلةً وثابتةً للغاية. ثمَّ جثا على ركبتيْه بجوارها، على وسادة الصلاة المرتبطة بالمقعد. حانيًا رأسه فوق يديْه، لم تبد عليه أمارات الجدِّيَّة أو العمق، بدا هادئًا لا أكثر، ولم تَعُد شفتاه تتحرَّكان. كانت تراقبه، عاقدةً أصابعها فوق حجرها.

غنَّت الجوقة: «**سمعت دعاءك في المساء**».

بارك سايمون نفسه مرَّةً أخرى، ونهض جالسًا بجوارها من جديد. حرَّكت يدها ناحيته، وبهدوءٍ، أخذها وأمسك بها، مُمرِّرًا إبهامه بلطفٍ

على الحوافّ الصغيرة لعقل أصابعها. جلسا على هذه الحال حتّى انتهى القدّاس. في الشوارع خارج الكنيسة كانا يبتسمان مرَّةً أخرى، وكانت ابتساماتهما غامضة. صباح أحدٍ لطيفٌ ومشمس، عكست واجهات المباني البيضاء ضوء الشمس، العربات تمرّ، والناس يمشون مع كلابهم، وينادون على بعضهم عبر الشارع. قبّل سايمون إيلين على خدّها، وودّعا بعضهما.

- 12 -

أليس، هل ترين إذن أنَّ مشكلة الرواية المعاصرة هي ببساطة مشكلة الحياة المعاصرة؟ أتَّفق معك في أنَّه يبدو من المبتذل والمنحطّ، بل وعلى درجةٍ من العنف الإبستومولوجيّ، أن نستثمر طاقتنا في الحديث عن تفاهات الجنس والصداقة، بينما تواجه الحضارة البشريَّة خطر الانهيار. لكنْ في الوقت نفسه، هذا ما أفعله كلَّ يوم. يمكننا الانتظار، لو كنت تريدين، حتَّى نتسامى إلى مستوى أعلى من الوجود، وعندها نبدأ في توجيه كافَّة مواردنا العقليَّة والماديَّة ناحية الأسئلة الوجوديَّة إيَّاها، وألَّا نولي أيَّ اهتمامٍ لعائلاتنا وأصدقائنا وأحبَّائنا وما إلى ذلك. لكن في رأيي أنَّ انتظارنا سيطول، بل وسنموت قبل حدوث أيٍّ من هذا. ففي النهاية، عندما يستلقي الأشخاص على سرير الوفاة، ألا يبدؤون دائمًا في الحديث عن أزواجهم وأولادهم؟ أليس موت الشخص هو بالنِّسبة إليه الأبوكاليبس الحقيقيّ؟ بهذا المعنى إذن، فليس هناك أكثر أهمِّيَّةً ممَّا تصفينه بسخريَّة: «الانفصال أو البقاء معًا»(!)، ففي

نهاية حياتنا، عندما لا يتبقّى أيُّ شيءٍ أمامنًا، لا يزال هذا هو الشيء الوحيد الذي نريد الحديث عنه. ربَّما لم نولد إلَّا لنحبَّ الأشخاص الذين نعرفهم ونهتمُّ بهم، وأنَّ نستمرَّ في الحبِّ والاهتمام، حتَّى عندما تظهر أمورٌ أكثر أهميَّةً ينبغي أنَّ نفعلها. ولو كان ذلك يعني أنَّ الجنس البشريَّ محكومٌ عليه بالموت، أليس هذا سببًا لطيفًا للموت، ألطف سببٍ يمكن للمرء أنَّ يتخيَّله؟ لأنَّه عندما كان يتوجَّب علينا التفكير في توزيع موارد العالم، والانتقال بصورةٍ جماعيَّةٍ إلى نموذجٍ اقتصاديٍّ أكثر استدامة، كنَّا بدلًا من ذلك نفكّر في الجنس والصداقة. لأنَّ مشاعر حبّنا كانت عارمة، ووجدنا أمورًا تستحقُّ الاهتمام عند بعضنا. وأنا أحبُّ ذلك الأمر في البشر، بل في الواقع هذا هو السَّبب الوحيد بالذات الذي يجعلني أشجّع البشريَّة على الاستمرار، لأنَّنا أغبياء تمامًا حين يتعلَّق الأمر ببعضنا بعضًا.

وبالنِّسبة إلى هذه النقطة الأخيرة، فأنا أتحدَّث بناءً على تجربةٍ شخصيَّة. في طريق عودتي بالأمس إلى البيت من حفلة عيد ميلاد، وبصورةٍ عشوائيَّةٍ تمامًا، نزلتُ من الباص عند جروف بارك، وذهبت إلى بيت سايمون. أظنُّ أنَّني كنت سكرانةً قليلًا، وأشعر بالأسى على نفسي، وربَّما تصوَّرت أنَّني سأعتمد عليه ليدلّك كتفي وأن يطري عليَّ قليلًا. أو ربَّما لم أكن أريده أن يكون في البيت. أو في البيت مع تلك الفتاة التي يخرج معها، حتَّى يداهمني شعورٌ أسوأ حتَّى عن نفسي. لا أعرف. لا أعرف ما الذي أردته، أو ما الذي ظننته سيحدث. على كلِّ حال، عندما صعدت إلى البيت، كان واضحًا أنَّ الجرس قد أيقظه من النوم، وأنَّه نهض من السرير ليدخلني. لم يكن الوقت قد تأخَّر، قرابة منتصف الليل بالكاد. كان يقف في المدخل، ويبدو متعبًا وكبيرًا في السنّ. لا

أقصد ذلك بالطريقة السَّيِّئة. لكنَّني أظنُّ أنَّني عندما أراه في العادة، أرى فيه المراهق الأشقر الجميل الذي لطالما رأيته، منذ أن كنت طفلةً صغيرة. ولكن عندما كان واقفًا في المدخل، الليلة الماضية، لاحظت أنَّه لم يَعُد شابًا على الإطلاق. ما الذي أعرفه فعلًا عن حياته؟ عندما اختبرت أولى مشاعر إعجابي المراهِقة الموجَّهة ناحية سايمون، لم أكن أفهم المشاعر الجنسيَّة بصورةٍ كاملة، واخترعت عبارة «اللَّمسة المميَّزة» لأصف لنفسي شعوري عندما يلمسني، والتي بالمناسبة كانت لمساتٍ تحدث بطريق الصدفة فحسب، وبأكثر الأشكال عفَّةً التي يمكنك تخيُّلها. أليست عبارةً مضحكة، هذه «اللَّمسة الخاصَّة»؟ أشعر بالرَّغبة في الضحك عندما أفكِّر فيها الآن. لكن بالأمس، ونحن في السرير، وضع ذراعيْه حولي، ومباشرةً ظهرت تلك الكلمات في دماغي، كأنَّ السنوات الخمس عشرة الأخيرة اختفت، والإحساس هو نفسه.

انتهى الأمر بنا ذاهبيْن إلى القدَّاس معًا في الصباح التالي. تقع الكنيسة في شارعه، لها رواقٌ حجريٌّ ساحرٌ يمتدُّ من المدخل، وتحمل اسمًا كاثوليكيًّا استثنائيًّا: «كنيسة مريم الطاهرة، ملجأ الخطاة». لم يطلب هو منِّي القدوم معه بالمناسبة، أنا التي رغبت في ذلك، رغم أنَّني لا أعرف بالضبط سبب رغبتي تلك. يُحتمل أن يكون السَّبب هو أنَّ رفقته كانت تجلب لي شعورًا لطيفًا، وأنَّني لم أرغب في الابتعاد عنه، ماديًّا، حتَّى لمدَّة ساعة. ولكن يحتمل أيضًا، ولا أعرف كيف أصيغ تلك الفكرة، أنَّني لم أرده أن يذهب من غيري لأنَّني سأشعر بالغيرة. والآن وقد قلت ذلك، لا أعرف فعلًا ما الذي أعنيه بالضبط. هل يضايقني أنَّه يحبُّ مفهوم الإله أكثر ممَّا يحبُّني أنا؟ تبدو الفكرة سخيفةً بوضوح. لكن ماذا بعدها؟ بعد أن وضعت نفسي في مساحةٍ حميمةٍ مع سايمون،

حتَّى وإن كان ذلك لفترةٍ وجيزة، هل كنت خائفةً من أنَّه سيذهب إلى القدَّاس ليتطهَّر منِّي؟ أو ربَّما لم أكن أصدِّق بشكلٍ ما أنَّه سيجاريني في ذلك، وأنَّني لو عرضت عليه الذهاب معه، فإنَّه سيضطرُّ للاعتراف بأنَّه لا يتعامل مع مسألة الدين هذه بجدِّيَّةٍ على كلِّ حال. في نهاية المطاف طبعًا، دخلنا إلى الكنيسة بهدوءٍ معًا. في الداخل، كان الأبيض والأزرق في كلِّ مكان، تماثيل مرسومة، وصناديق اعترافٍ داكنة الألواح، وستائر مخمليَّةٍ فاخرة. غالبيَّة الحضور كانت من نساءٍ مسنَّاتٍ يرتدين ستراتٍ بألوان الباستيل. عندما بدأت الصلاة، لم يتصرَّف سايمون فجأةً بطريقةٍ عاطفيَّةٍ أو روحانيَّة، أو يبكي تأثُّرًا بعظمة الإله أو الآب أو أيِّ شيءٍ من هذا، كان طبيعيًّا تمامًا. كان يجلس في أغلب الوقت من دون أن يبدو عليه أيُّ شيء. في البداية، عندما كان الحضور يُردِّدون: «ارحمنا يا يسوع» وعباراتٍ شعبيَّة، أظنُّ أنَّ جزءًا منِّي كان يريده أن يضحك ويقول لي إنَّ كلَّ ما يحدث هو مجرَّد نكتة. بشكلٍ ما، شعرت بالخوف من الطريقة التي كان يتصرَّف بها، قائلًا أشياء مثل: «فقد أذنبت ذنبًا كبيرًا».. قائلًا إيَّاها فعلًا من فمه بصوتٍ عاديّ، بالطريقة نفسها التي قد أقول بها: «إنَّها تُمطر»، لو كان لديَّ إيمانٌ صادقٌ بأنَّها تُمطر فعلًا، وأنَّني لا أشعر بأنَّ هذا الإيمان سخيفٌ بأيِّ شكل. نظرت إليه كثيرًا، وشعرت أنَّه يفترض بي الشعور بالقلق من جدِّيَّته هذه، وكان يبادلني الطريقة بطريقةٍ لطيفة، وكأنَّه يقول: «نعم، هذا قدَّاس، ماذا كنتِ تظنِّين؟». ثمَّ كانت هناك تلاوةٌ عن امرأةٍ تصبُّ الزيت على قدمي المسيح، حسبما أظنّ، ثمَّ تمسح القدميْن بشعرها؟ ما لم أكن قد فهمت خطأً. جلس سايمون في مكانه يستمع إلى هذه القصَّة الغريبة العجيبة ويبدو عليه الهدوء والعاديَّة تمامًا كما العادة. أعرف أنَّني أكرِّر الحديث عن لأيِّ درجةٍ كان يتصرَّف بطريقةٍ عاديَّة،

لكنَّ غياب أيِّ تغييرٍ واضحٍ في شخصيَّته، هذا الأمر بالتَّحديد، حقيقة أنَّه كان الرجل نفسه بصورةٍ كاملة، الذي يمكنني التعرُّف عليه بسهولة، مثلما هو الحال دائمًا، ذلك بالضبط ما أصابني بالحيرة الشديدة.

بعد نهاية القراءات، بدأ الكاهن في مباركة الخبز والنبيذ، ثمَّ طلب من الجميع أن يرفعوا قلوبهم. في وقتٍ واحد، وبهمسةٍ جماعيَّةٍ ناعمة، كلُّ الأشخاص في الكنيسة أجابوا: «نرفع قلوبنا إليكَ يا ربّ». هل من المعقول أنَّني شهدت حقًّا مشهدًا كذلك، في قلب دبلن، قبل ساعاتٍ قليلةٍ فحسب؟ هل يُعقل أنَّ شيئًا كهذا يحدث، في العالم الحقيقيِّ نفسه الذي نعيش فيه أنا وأنت؟ قال الكاهن: «ارفعوا قلوبكم»، والجميع ومعهم سايمون أجابوا من دون ذرَّة تردُّدٍ أو سخريَّة: «نرفع إليك قلوبنا يا ربّ». هل كانوا يظنُّون أنَّهم يقولون الحقيقة، وأنَّ قلوبهم في تلك اللحظة فعلًا ارتفعت إلى الربّ، أيًّا كان ما يعنيه ذلك؟ لو أنَّني سألت نفسي ذلك السؤال بالأمس، لأجبت بالنفي طبعًا. القدَّاس شعيرةٌ اجتماعيَّة، الأشخاص المتديِّنون لا يقضون أوقاتهم فعلًا وهم يفكِّرون في الإله، وهم بالتَّأكيد لن يحاولوا أبدًا أن يرفعوا قلوبهم أمامه، أو يتمعَّنوا في التَّفكير عمَّا يعينه شيءٌ كهذا. لكنَّني شعرتُ اليوم بشيءٍ مختلف. شعرت أنَّ بعض الناس على الأقلِّ في هذه الكنيسة، كانوا يؤمنون بصدقٍ أنَّهم يرفعون قلوبهم إلى الربّ. وأنا أظنُّ أنَّ سايمون يؤمن بذلك. أظنُّ أنَّه كان يعرف ما يقوله، وأنَّه قد فكَّر فيه، وآمن أنَّه الحقيقة. بعد ذلك، طلب منَّا الكاهن أن يعطي كلٌّ منَّا الآخر علامة السلامة، فصافح سايمون كلَّ السيِّدات المسنَّات فضِّيَّات الشعر، ثمَّ صافحني، وقال: «السلام عليكِ»، وفي تلك اللحظة، رغبت في أن يعني ما يقول. لم أعد أشعر بأنَّني أرغب في أن يكون كلُّ هذا نكتة، بل في الحقيقة شعرت أنَّني

أريده أن يكون جادًا كما يبدو، بل وأكثر جدِّيَّة، وأن يعني كلَّ كلمةٍ يقولها.

هل سبب ذلك قد يكون أنَّني خلال الصلاة بدأت فعلًا أقدِّر صدق إيمان سايمون؟ لكن كيف يمكن لي أن أحترم شخصًا لإيمانه بشيءٍ لا أؤمن أنا به، ولا أريد أن أؤمن به، بل وأظنُّه خاطئًا وسخيفًا بصورةٍ جليَّة؟؟ لو قرَّر سايمون مثلًا أن يعبد سلحفاةً ويقول إنَّها ابنة الإله، هل كنت لأحترم صدقه وإخلاصه؟ من منظورٍ عقلانيٍّ متماسك، فلا يوجد اختلافٌ كبيرٌ بين عبادة سلحفاةٍ وبين عبادة مُبشِّرٍ يهوديٍّ من القرن الأوَّل. ولو فكَّرنا أنَّ الإله غير موجود، فالمسألة كلُّها ستكون اعتباطيَّةً على كلِّ حال، يسوع أو دلوٌ بلاستيكيٌّ أو ويليام شكسبير، لا يهمّ. على كلِّ حال، أشعر أنَّني لا أستطيع الإعجاب بإخلاص سايمون إذا قرَّر أن يسير في طريق عبادة السلاحف. هل تعجبني الشعائر إذن؟ تعجبني قدرته على تلقِّي الحكمة بلطفٍ ومن دون تشكُّك؟ أم أنَّني أؤمن، من دون أن أعترف لنفسي، بأنَّ هناك شيئًا مميَّزًا في يسوع فعلًا، وأنَّ عبادته إلهًا هي أمرٌ مفهومٌ بطريقةٍ ما، رغم أنَّه غير منطقيٍّ بدرجةٍ كبيرة. لا أعرف. ربَّما كانت السكينة فحسب، الطريقة اللطيفة التي كان سايمون يتصرَّف بها في الكنيسة، والطريقة التي تلا بها صلواته بهدوءٍ ورزانة، مثلما كانت السيِّدات المسنَّات تفعلن، من دون أيِّ محاولةٍ للاختلاف عنهنّ، ومن دون أيِّ محاولةٍ لإظهار أنَّ حرارة إيمانه أكثر أو أقلُّ منهنّ، ولا أنَّ إيمانه نقديٌّ أو مثقَّفٌ مقارنةً بهنَّ. بالطريقة نفسها فحسب. وأنَّه لم يكن يشعر بالإحراج حتَّى من وجودي وأنا أراقبه، أقصد أنَّه لم يكن محرجًا بالنيابة عنِّي، بسبب كوني غريبةً بالكامل عن المكان، ولكنَّه لم يكن أيضًا مُحرجًا لنفسه، أن أراه وهو يعبد كائنًا أسمى، لا أؤمن أنا به.

بعد أن انتهينا، وقفنا في الشارع، وشكرني على المجيء معه. لثانيةٍ، خفت أن يسخر من هذا بعد كلّ شيء، بدافع الإحراج أو الارتباك، وأرعبتني الفكرة. لكنّه لم يفعل. كان يجب أن أعرف أنّه لن يفعل، هذه ليست شخصيَّته. شكرني فحسب، وذهب كلٌّ منّا في طريق. أرجو أن تفهمي قصدي عندما أقول إنَّ القدّاس كان رومانسيًّا بطريقةٍ غريبة. ربّما جعلني أشعر أنَّ سايمون يملك شيئًا عميقًا وجادًّا، وهو أمرٌ لم أره منذ كثيرٍ من الوقت، أو ربّما كان السَّبب هو رقَّة مصافحته ليدي. أو كما كان علم النفس التطوُّريُّ ليقترح: ربّما أنا أنثى صغيرةٌ هشَّة، وبعد النوم مع رجلٍ في سريره، أصبحت ضعيفةً وحسَّاسةً بشأن كلِّ ما يخصُّه. لا أدَّعي عكس ذلك على كلِّ حال، قد يكون هذا صحيحًا. وبالفعل أثناء كتابتي لهذا الإيميل، أشعر بدرجةٍ من الضعف والولع بسايمون، بل وبرغبتي في حمايته، من يعرف السَّبب. ولست متأكّدةً من أنّني كنت لأشعر بما أشعر به الآن، لو كنت قد عدت إلى المنزل مباشرةً في الصباح، بدلًا من الذهاب معه إلى الكنيسة. ولكن في الوقت نفسه، لو كنّا قد ذهبنا معًا إلى القدَّاس في الصباح من دون أن نمارس الجنس في الليلة الماضيَّة، فلا أظنُّ أيضًا أنّني كنت لأشعر بما أشعر به الآن. كان هذا المزيج، الذي يبدو متناقضًا، بين ممارسة الجنس، ثمَّ الذهاب بعد ذلك إلى القدَّاس، هو ما أظنُّه أعطاني ذلك الشعور. شعور الولوج إلى حياته، حتَّى ولو لفترةٍ وجيزة، ورؤية شيءٍ مميَّزٍ يخصُّه، لم أكن قد رأيته من قبل، وأن تكون النتيجة في النهاية هي معرفته بشكلٍ مختلف.

بالحديث عن الصداقة والرومانسيَّة: كيف هي روما؟ وكيف هو فيلكس؟ وماذا عنك؟ الأجزاء التي تحدَّثت فيها عن الجنسانيَّة في إيميليك كانت مضحكةً جدًّا. هل تظنّين أنّك الشخص الوحيد الذي

شعر برغبةٍ جنسيَّةٍ على الإطلاق؟ في حالة الإجابة بنعم، أرفق في الرسالة ملفَّ بي دي إف لمقال أودري لورد، «استخدامات الإيروتيكا». أنا متأكّدةٌ من أنَّك ستستمتعين به كثيرًا. في النهاية ـ نعم بالطبع، يجب عليك أن توجِّهي الدَّعوة لسايمون! أعرف أنَّه يريد أن يراك، ولا يمكنني التَّفكير في شيءٍ أريده من العالم أكثر من أن أحظى بكما لنفسي لمدَّة أسبوعٍ بجوار شاطئ البحر. مع حبِّي كالعادة. إي.

-13-

في يوم الأحد نفسه بروما، لم تستطع أليس إيقاف مياه الدوش في حمَّام حُجرتها. نشَّفت نفسها ووضعت روب الحمَّام، ثمَّ طلبت من فيلكس أن يفحصه. دخل إلى الحمَّام، وأدار رأس الدوش إلى الحائط ثمَّ فحص الجسم، ضاغطًا على زرِّ التشغيل مرَّةً تلو الأخرى من دون جدوى، بينما كانت تقف وراءه وشعرها يقطر ماءً على كتفيْها. أزال الغلاف البلاستيكيَّ الخارجيَّ للرأس، ثمَّ نظر إلى علامةٍ بالداخل. وبيده اليسرى أخرج هاتفه من جيبه، وحرَّك يده إلى الخلف ناحية أليس حتَّى تأخذه، وبمجرَّد أن فعلت، قال لها بصوتٍ عالٍ مصنعيَّة القطعة ورقمها، وطلب منها أن تبحث في جوجل، بينما يضغط مرَّةً أخرى على زرِّ التشغيل، ويتابع آليَّة العمل الداخليَّة وهي تتحرَّك. ضغطت على أيقونة متصفِّح الإنترنت في هاتفه، لتفتح مُظهِرةً موقعًا إباحيًّا مشهورًا، أظهرت الصفحة قائمةً من نتائج البحث تحت عنوان «جنس شرجيّ عنيف». في أعلى الصفحة صورةُ امرأةٍ منحنيَّةٍ على كرسيّ، بينما يقف رجلٌ خلفها

خانقًا إيَّاها من الحنجرة. تحتها صورةٌ أخرى تُظهر امرأة تبكي، بحمرة شفاهٍ ملطَّخة، والماسكارا تجري من عينيْها في صورة خطوطٍ سميكة.

من دون أن تلمس الشاشة أو تتفاعل مع الصفحة بأيٍّ طريقة، أعادت أليس الهاتف إلى فيلكس، وقالت: «ربَّما ينبغي عليك أن تغلق تلك الصفحة».

أخذ منها الهاتف مرَّةً أخرى، ونظر إليه، وأحمرَّ وجهه على الفور امتدادًا إلى رقبته. سقط الغطاء البلاستيكيُّ للوحدة مرَّةً أخرى إلى الأمام، وتوجَّب عليه أن يُمسكه مرَّةً أخرى ويعيد تثبيته بيده الأخرى.

ـ آه. آسف. يا إلهي. هذا محرج. آسفٌ جدًّا.

هزَّت رأسها، ووضعت يديْها في جيوب روب الحمَّام، ثمَّ أخرجتها، وبعدها ذهبت إلى حُجرتها.

بعد عدَّة دقائق، استطاع فيلكس أن يجد حلًّا للمشكلة في وحدة الدوش. غادر الشقَّة بعدها وذهب ليتمشَّى على قدميْه. مرَّت عدَّة ساعات، أليس تعمل في حُجرة نومها، وفيلكس يمشي في المدينة وحده. كان يتجوَّل في شارع كورسو مثبِّتًا سمَّاعتيْه في أذنه، ومتفحِّصًا نوافذ المحلَّات، ومن وقتٍ لآخر ينظر إلى هاتفه. في الشقَّة، ذهبت أليس إلى المطبخ وأكلت موزة، وبعض الخبز ونصف لوحٍ من الشوكولاتة، وعادت إلى حُجرتها بعد ذلك.

عندما عاد فيلكس، نقر على باب غرفة نوم أليس، ومن دون أن يفتحه، سألها إذا كانت ترغب في الذهاب لأكل شيءٍ ما.

ـ لقد أكلت بالفعل، شكرًا لك.

أومأ لنفسه، وقرص حاجز أنفه بأصابعه، وسار مبتعدًا عن الباب، ثمَّ عاد مرَّةً أخرى. هزَّ رأسه، وخبَّط على الباب من جديد.

ـ هل يمكنني الدخول؟

ـ طبعًا.

فتح الباب ووجدها تريح ظهرها على خلفيَّة السرير، واللابتوب في حِجرها. كانت النافذة مفتوحة. وقف على الباب، ولم يدخل، تاركًا يده على إطار الباب. أمالت رأسها إلى أحد الجوانب مستفسرة.

ـ أصلحتُ الدوش.

ـ لاحظتُ ذلك. شكرًا لك.

أعادت انتباهها إلى ما كانت تفعله على اللابتوب. بقي واقفًا، وبدا عليه الإحباط.

ـ هل أنتِ غاضبةٌ منِّي؟

ـ لا، لست غاضبة.

ـ أشعر بالسُّوء بشأن ما حدث.

ـ لا تشغل بالك.

فرك إطار الباب بيده، بينما استمرَّ في النظر إليها.

ـ هل تريدينني فعلًا ألا أشغل بالي بالموضوع، أم أنَّكِ تقولين ذلك فحسب؟

ـ ماذا تقصد؟

ـ تتصرَّفين معي بطريقةٍ غريبةٍ بعض الشيء.

هزَّت كتفها. انتظر أن تقول شيئًا لكنَّها لم تفعل.

ـ هل رأيتِ، هذا ما أقصده. أنتِ لا تتحدَّثين معي فعلًا.

ـ لا أعرف ما الذي تريدني أن أقوله. ما تُفضِّل مشاهدته هو شيءٌ يخصُّك. لكن لسوء الحظِّ أنَّك تركت الصفحة مفتوحة، لأنَّها شيءٌ يثير الإزعاج بالنِّسبة إليّ.

عبس وقال: «لم أكن لأصفها بالمزعجة بصراحة».

ـ لا. طبعًا.

ـ ماذا تقصدين؟

عند ذلك نظرت إليه، بتعبيرٍ أكثر شراسةً على وجهها، وقالت: «ما الذي تريد أن تسمعه يا فيلكس؟ هل تحبُّ مشاهدة فيديوهاتٍ تصوُّر أشياء عنيفةً تحدث لنساءٍ بلا حيلة، وما الذي تريدني أن أقول؟ أنَّه لا توجد مشكلةٌ في ذلك؟ أنا متأكِّدةٌ من أنَّه لا توجد أيُّ مشكلة. لن تذهب للسجن بسبب ذلك».

ـ وهل ترين أنَّني أستحقُّ ذلك؟

ـ ما أراه ليس من شأنك. صح؟

ضحك. كانت يداه في جيبه، وهزَّ رأسه. نقر بحذائه على إطار الباب، وقال: «تريدين أن تقولي إنَّه لا يوجد أيُّ شيءٍ مُحرجٍ في تاريخ متصفِّحك للإنترنت».

ـ ليس بهذه الصورة. لا.

ـ حسنًا، أنتِ شخصٌ مثاليٌّ إذن.

كانت تكتب شيئًا ما، ولم تَعد تنظر ناحيته. استمرَّ هو في مراقبتها.

في النهاية، قال: «لا أظنُّ أنَّكِ تهتمِّين فعلًا بأمر هذه النساء، أظنُّ أنَّك تشعرين بالضيق فحسب من أنَّني أحبُّ شيئًا لا تحبِّينه».

ـ ربَّما.

ـ أو ربَّما تشعرين بالغيرة منهنَّ.

نظرا إلى بعضهما للحظة. بهدوءٍ، قالت: «رأيي أنَّه من المؤسف أنَّ بإمكانك الحديث معي بهذه الطريقة. لا. لست غيرانةً من أيِّ شخصٍ يضطرُّ للحطِّ من نفسه للحصول على المال. أعتبر نفسي محظوظةً لأنَّني غير مضطرَّة».

ـ لكن مالك لم يبلغك الكثير معي، رغم ذلك، صح؟

من دون أن تجفل، أجابت: «على العكس، حظيت بشرف صحبتك على مدار الأيَّام الثلاثة الأخيرة. ماذا أطلب من الدنيا أكثر من ذلك؟».

نظر خلفه، إلى حجرة المعيشة، ثمَّ فرك يديْه على وجهه في إشارةٍ للإرهاق الذهنيِّ أو البدنيِّ الكامل. وكانت تنظر إليه من دون تعبير.

ـ هل هذا ما كنتِ تريدينه؟ شرف صحبتي؟

ـ نعم.

ـ وهل كانت ممتعة؟

ـ جدًّا.

نظر حوله، بينما يهزُّ رأسه ببطء. في النهاية دخل إلى الحُجرة، وجلس على الجانب الفارغ من السرير، موليًا ظهره لها.

ـ هل يمكنني الاستلقاء قليلًا؟

ـ أكيد.

استلقى على ظهره. وبجواره استمرَّت هي في الكتابة.

بدا أنَّها تكتب إيميلًا.

ـ أنتِ تشعرينني بدرجةٍ عنيفةٍ من الذنب على شيءٍ لم أكن أظنُّه سيِّئًا لهذه الدرجة.

أجابت، بينما كانت مستمرَّةً في الكتابة: «من اللطيف معرفة أنَّكَ تهتمُّ لهذه الدرجة برأيي».

ـ لو كنت تظنِّين هذا سيِّئًا، فلا يهمّ. أنا بأمانةٍ فعلت ما هو أسوأ بكثير. أقصد لو أنَّ النظر إلى شيءٍ على الإنترنت سيجعلك تنفرين منِّي، فلن نكون أصدقاء جيِّدين أبدًا، لأنَّ هذا لا يعني شيئًا بالنِّسبة إليّ. لقد فعلتُ أشياء فظيعةً مقارنةً بهذا».

توقَّفت عن الكتابة، ونظرت إليه. سألته: «مثل ماذا؟».

ـ أشياء كثيرة. لا أعرف من أين أبدًا. مثلًا.. مثلًا.. وستكرهين هذا. قبل قرابة سنةٍ مضت، جلبت فتاةً ما إلى البيت بعدما قضينا الليلة في الخارج. ثمَّ اكتشفتُ بعد ذلك أنَّها لا تزال في المدرسة. لا أقول هذا لمضايقتك أو العبث معك، أنا جادّ. ستَّ عشرة أو سبع عشرة سنة، هكذا أظنُّ.

ـ هل كانت تبدو أكبر من عمرها؟

ـ أريد أن أقول إنَّها بالتَّأكيد كانت كذلك. لكنَّني لم أفكِّر في الأمر وقتها. كنَّا سكرانين، وبدا أنَّها تستمتع بوقتها. أعرف أنَّ ما أقوله

سيِّئ. لم يكن الأمر أنَّني سعيت خلفها عمدًا لأنَّها كانت طفلة، لم أكن لألمسها لو عرفت ذلك وقتها، لكن كما هو واضح، لا يزال ما حدث خاطئًا. ولا أقول آه كان هذا مجرَّد خطأ يمكن أن يحدث لأيِّ إنسان. لأنَّه في الواقع، كان هذا غبائي أنا من البداية إلى النهاية. لا أريد أن أتحدَّث وأتحدَّث وأتحدَّث عن مدى شعوري بالسُّوء بشأن ذلك، لكنَّني أشعر فعلًا بالسُّوء، حسنًا؟

بهدوء قالت: «أنا أصدِّقك».

ـ وبصراحة، فعلت ما هو أسوأ من ذلك. أسوأ شيءٍ فعلته على الإطلاق، لو أردتِ أن تسمعي..

توقَّف بصورةٍ مفاجئة، وأومأت له كي يُكمل. نظر بعيدًا في الغرفة بينما يتحدَّث، مُكرمشًا وجهه بطريقةٍ غامضة، وكأنَّه ينظر في مصدر ضوء.

ـ أسوأ شيءٍ فعلته، أنَّني جعلت فتاةً تحمل حينما كنت في المدرسة، كانت في العام التمهيديِّ وكنت في الصفِّ الخامس. هل سمعت شيئًا أسوأ من ذلك؟ اضطرَّت أمُّها لأخذها إلى إنجلترا. أظنُّهم استقلُّوا مركبًا. كان عمرها أربعة عشر عامًا أو شيئًا كهذا، طفلة. لم يكن يفترض بنا أن نمارس الجنس أصلًا، أنا أقنعتها بذلك. أقصد، أنا قلت لها إنَّه سيكون أمرًا لطيفًا. وهكذا، على كلِّ حال، هذا هو أسوأ شيء.

ـ هل كانت ترغب في ذلك أم أنَّك أجبرتها؟

ـ قالت إنَّها كانت ترغب في ذلك، لكنَّها خائفةٌ من أن تحبل. وأخبرتها أنَّ ذلك لن يحدث. لا أظنُّ أنَّني ضغطت عليها أكثر من ذلك، قلت لها فحسب ألَّا تقلق من هذا. لكن ربَّما مثَّل هذا ضغطًا بصورةٍ ما. لا تفكِّرين في تلك الأمور وأنت في الخامسة عشرة، أو أنا لم أفكر

على كلِّ حال. لم أكن لأفعل ذلك الآن أبدًا. أقصد، أنَّني لم أكن لأحاول إقناع شخصٍ ما بفعل ذلك لو لم يكن هذا الشخص مهتمًّا، لن أشعر بالضيق حتَّى. يمكنك أن تصدِّقي ذلك أو لا، لن ألومك لو لم تصدِّقيني. لكن عندما أتذكَّر نفسي وأنا أقول هذه الكلمات لها أشعر فعلًا وكأنَّ ذلك الشخص لم يكن أنا. أبدأ بالشعور بدقَّات قلبٍ غريبةٍ وكلِّ هذه الأمور. وأفكِّر مباشرةً في الأشخاص الأشرار حقًّا، القتلة المتسلسلون وأشباههم، وأشعر أنَّني ربَّما أكون واحدًا منهم، ربَّما أنا واحدٌ من هؤلاء السيكوباتيِّين الذين تسمعين عنهم. لأنَّني قلت ذلك فعلًا لها، قلت لها فعلًا ألَّا تشعر بالقلق، وكنت أكبر سنًّا منها، ولهذا فقد فكَّرت غالبًا أنَّني أعرف ما الذي أتحدَّث عنه. لكنَّني لم أفكِّر فعلًا في أنَّ ذلك يمكن أن يحدث. بل وإنَّني لم أشعر بالذنب فعلًا بشأن هذا كلِّه وقتها. لكن بمرور الوقت، عندما أنهيت المدرسة، بدأت فحسب في التَّفكير بشأن شرِّ ما فعلت، ما فعلته بها. وانتابني شعور الخوف وكلُّ ما يرتبط به.

ـ هل تعرف ماذا تفعل هي هذه الأيَّام؟

ـ نعم، ما زلت أعرفها. لم تعد تعيش في البلدة، بل تعمل في سوينفورد. لكنَّني أراها أحيانًا في الأوقات القليلة التي تزور فيها البلدة.

ـ هل تُسلِّم عليك لو رأتك؟

ـ آه نعم. نحن لا .. لا نتصرَّف بطريقة أنَّ كلَّ واحدٍ منَّا قرَّر مقاطعة الآخر. أنا أشعر بالسُّوء الشديد فحسب حينما أراها لأنَّ ذلك يذكِّرني بما فعلته.

ـ هل قلت أنَّك آسفٌ في أيِّ وقت؟

ـ وقتها، ربَّما. لكنَّني لم أحاول التواصل معها بعدها حينما بدأت أشعر بالسُّوء الشديد بشأن ذلك. لم أرغب في أن أُعيد الماضي من جديدٍ وأن أضايقها من دون سبب. لا أعرف ما الذي تفكِّر هي فيه. ربَّما تجاوزت ما حدث، ولم يعد الأمر يجول ببالها لهذه الدرجة. أتمنَّى ذلك. يمكنك أن تحكمي عليَّ كما تشائين، لا أدافع عن نفسي.

كان قد استدار مواجهًا لها، بينما أراح رأسه على الوسادة، عيناه واسعتان، تلمعان تقريبًا في الضوء الأبيض القادم من النافذة خلفها. جلست مفرودة الظهر تنظر إليه، بوجهٍ مرهق.

ـ حسنًا، لا يمكنني الحكم عليك. عندما أتذكَّر أسوأ الأشياء التي فعلتها في حياتي على الإطلاق، أشعر بنفس ما تصفُه. الهلع والمرض وهذه الأمور. كنت أتنمَّر على فتاةٍ معي في المدرسة، بطريقةٍ بشعة. ومن دون سبب، إلَّا رغبتي في تعذيبها. لأنَّ الآخرين كانوا يفعلون ذلك. لكنَّهم كانوا يقولون إنَّهم يفعلون ذلك لأنَّني أفعله. عندما أتذكَّر ذلك الآن، تكون مشاعري هي الخوف في الغالب. لا أعرف السَّبب الذي جعلني أرغب في أن يعاني شخصٌ آخر بهذه الصورة. أرغب فعلًا في أن أصدِّق أنَّني لن أفعل أمورًا كهذه أبدًا مرَّةً أخرى، لأيِّ سببٍ كان، لكنَّني فعلتها مرَّةً بالفعل، وعليَّ أن أتعايش مع ذلك لباقي حياتي.

تابع كلامها بإنصاتٍ من دون أن يقول شيئًا.

ـ لا يمكنني التهوين عليك، بخصوص ما فعلتَه، وأنتَ أيضًا لا يمكنك التهوين عليّ. ربَّما نحن أشخاصٌ سيِّئون في النهاية.

ـ لا أمانع كثيرًا في أن أكون شخصًا سيِّئًا على درجة سوئك نفسها. فأن نكون كليْنا أشخاصًا بشعين أفضل من أن أكون أنا وحدي البشع.

قالت إنَّها تفهم شعوره. مسح أنفه بأصابعه وبلع ريقه، بينما حوَّل نظره بعيدًا عنها إلى السقف.

ـ أريد أن أعتذر عن التعليق السخيف الذي قلته.

ـ لا تشغل بالك. كنت سخيفةً أنا أيضًا. ما قلته عن النساء والحطِّ من شأن أنفسهنَّ من أجل الأموال. كان هذا غبيًّا. لا أفكِّر بهذه الطريقة، فعلًا. لا يهمّ. أنا وأنت كنَّا متضايقيْن.

قال وهو ينظر إلى أظافره: «أنتِ تزعجينني للغاية، ولدرجةٍ تُدهشني».

ضحكت قبل أن تجيبه: «ليس مدهشًا، كثيرٌ من الناس ينزعجون منِّي».

ـ سأشرح لك، أنتِ تتصرَّفين بطريقةٍ متغطرسةٍ فعلًا في بعض الأحيان. لكنَّني أعرف أشخاصًا آخرين يتصرَّفون بهذه الطريقة أيضًا، ولكنَّ الأمر لا يضغط على أعصابي معهم مثلما يحدث معك. ولكي أكون صادقًا معك، فأنا في الحقيقة أظنُّ أنَّ السَّبب يرتبط بحقيقة أنَّك تعجبينني. وعندما تتصرَّفين بطريقةٍ سيِّئةٍ يصيبني هذا بالجنون.

أومأت برأسها. ولمدَّة دقيقة، ودقيقتيْن، وثلاث دقائق، بقيا على السرير من دون كلمة. في النهاية، لمس ركبتها بطريقةٍ لطيفة، وقال إنَّه سيذهب ليأخذ حمَّامًا. بعد أن غادر الغرفة، بقيت جالسةً في مكانها بلا حراك.

في الحمَّام، فتح مياه الدوش ووقف ينظر في المرآة ريثما تدفأ المياه. كان من الواضح أنَّ لهذه المحادثة أثرًا على الاثنيْن، لكن كان من المستحيل معرفة هذا التأثير، ومعناه، والشعور الذي يتركه عند

كلٌّ منهما في تلك اللحظة، سواءً أكان ذلك شيئًا يتشاركانه في تلك اللحظة، أو أنَّهما يختبران مشاعر مختلفةً تجاه الشيء نفسه. ربَّما لم يكن أيٌّ منهما يعرف، وربَّما ليست لهذه الأسئلة إجاباتٌ محدَّدة، وكان العمل على خلق معنى منها لا يزال مستمرًّا.

* * *

في مساء ذلك اليوم، تناولت أليس العشاء مع مجموعةٍ من بائعي الكتب والصحفيِّين في المدينة، بينما تناول فيلكس عشاءه وحده في الشقَّة. وبعد ذلك، تقابلا ليتناولا مشروبًا وسارا إلى الكولوسيوم معًا. في الظلام بدا جافًّا وأصغر من حجمه، مثل البقايا المجفَّفة لحشرةٍ قديمة.

ـ المرء يرى الكثير من الأشياء الجميلة هنا فعلًا.

ابتسمت أليس، فنظر إليها، وقال: «ماذا؟ أنت تضحكين عليّ».

هزَّت رأسها وأجابت: «أنا سعيدةٌ أنَّك جئت معي لا أكثر».

عادا إلى الشقَّة، وتمنَّيا ليلةً سعيدةً لبعضهما، وذهبت أليس إلى السرير. جلس فيلكس في المطبخ ينظر إلى هاتفه، بينما استلقت هي على السرير في غرفتها مفتوحة العينيْن، تحدِّق في اللَّا شيء. بعد منتصف الليل، خبَّط على باب غرفة نومها.

ـ نعم؟

نظر إلى الداخل، بينما يمسك هاتفه في يده.

ـ هل أنت نائمة؟.

أجابته بالنفي.

ـ هل يمكنني أن أريك فيديو؟

جلست، وقالت: «حسنًا». دخل إلى الغرفة، وأغلق الباب، وجلس على السرير بجوارها، حيث تحرَّكت مُفسحةً له مكانًا. كان لا يزال يرتدي ملابسه نفسها. تي ـ شيرت وبنطال رياضيّ. في الفيديو يظهر راكون جالسٌ في وضعيَّةٍ تشبه جلسة البشر، ساقه ممدودة، وحول رقبته مريلةٌ مربوطة، ووعاءٌ من الكرز في حضنه. أدخل الراكون يده في الوعاء بيده الصغيرة المخلبيَّة، وأمسك حبَّة كرزٍ وبدأ في أكلها، كلُّ ذلك بطريقةٍ تشبه البشر تمامًا، ثمَّ أومأ برأسه كما يفعل الذوَّاقة تقديرًا لطعم الكرز. كان الوصف على الفيديو يقول: «راكون يستمتع بالفاكهة». كانت مدَّة الفيديو دقيقةً واحدة، وكلُّ ما فعله الراكون هو الأكل والإيماء برأسه.

ضحكت أليس، وقالت: «رائع». أخبرها فيلكس أنَّه شعر أنَّ ذلك سيعجبها. أغلق هاتفه وأمال جسده على ظهر السرير وبدا عليه التَّفكير. استلقت على جانبها مواجهةً إيَّاه، واللحاف يصل إلى خصرها.

سألها مرَّةً أخرى: «هل كنتِ نائمة؟».

ـ لا.

ـ لم أقاطع أيَّ شيءٍ كما آمل.

ـ ماذا تقصد؟ تقاطع ماذا؟

ـ لا أعرف. أيًّا كان ما تفعله الفتيات وهنَّ مستلقياتٌ في أسرَّتهنَّ بالليل.

نظرت إليه بفضول، وقالت: «آها. حسنًا. لم أكن أداعب نفسي، لو كان ذلك ما تُلمِّح إليه».

ـ أتوقَّع أنَّك لا تفعلين ذلك، أليس كذلك؟

ـ بالطبع أفعل، لكنَّني لم أكن أفعلها الآن.

مال بجسمه إلى الأسفل، فاستقرَّت رأسه على المخدَّة، وظهره على السرير، ثمَّ نظر إلى السقف. طوتْ ذراعها تحت رأسها ونظرت إليه.

ـ وما الذي تفكِّرين فيه حينما تفعلينها؟

ـ أشياء مختلفة.

ـ تخيُّلاتك الجنسيَّة المفضَّلة وأشياء من هذا القبيل.

ـ بالفعل.

ـ وما الدور الذي تلعبينه في هذه الخيالات؟

ـ ممم. أنا بالطبع.

أطلق ضحكةً بدت صادقةً للغاية.

ـ بالطبع، أتمنَّى ذلك. لكن مع من؟ ممثِّلون وأشخاصٌ مشهورون أم ماذا؟

ـ ليس بالتَّحديد.

ـ أشخاصٌ تعرفينهم إذن.

ـ في الغالب.

استدار ليواجهها حيث تستلقي بجانبه.

ـ وماذا عنِّي؟

عضَّت شفتها السفلى للحظة ثمَّ أجابت: «أفكِّر فيك في بعض الأحيان».

مدَّ يده ولمس ثياب نومها، تاركًا أصابعه تستقرُّ على خصرها. سألها: «وما الذي تتخيَّلن أنَّني أفعله بك؟».

ضحكت، وكان من المستحيل في هذا الظلام تبيَّن ما إذا كانت تشعر بالخجل. قالت: «أتخيَّلك لطيفًا جدًّا جدًّا معي».

بدا عليه الاستمتاع بما يجري.

ـ فعلًا؟ بأيِّ طريقة؟

استدارت وأخفت وجهها في الوسادة، ما كان له أثرٌ في الإيحاء بأنَّها كانت مُحرجةً في الواقع، لكنَّها كانت تبتسم حينما عادت للحديث وأجابت: «ستسخر منِّي لو أخبرتك».

ـ أعدك بأنَّني لن أفعل.

ـ حسنًا، أفكِّر في أشياء مختلفة. أقصد أنَّها ليست الخيالات نفسها كلَّ مرَّة. لكنَّ الشيء المشترك بين هذه الخيالات كلِّها هو.. ستضحك لأنَّه أمرٌ أبله. لم أكن لأقول هذا لأيِّ شخص، لكنَّك من سأل. أريد أن أتخيَّل أنَّك تريدني، بشدَّة، ليس بالطريقة العاديَّة.

حرَّك يده بلطفٍ على أضلعها.

ـ هذا التخيُّل، هل أقول لكِ هذا أم أنَّ الأمر واضحٌ ولا يحتاج؟

ـ إنَّه واضح. لكنَّنا نصل إلى جزءٍ تقول فيه هذه الأشياء كذلك.

ـ وهل تعطينني ما أريد، أم أنَّكِ تحبِّين إغاظتي فحسب؟

أدارت وجهها في الوسادة أكثر، فحرَّك يده مرَّةً أخرى إلى خصرها، ثمَّ إلى أعلى قفصها الصدريّ، حتَّى الخطِّ الناعم لثديها. وبنبرة غمغمةٍ خفيضة، قالت: «تحصل على ما تريد».

ـ إذن فما الذي يهمُّ في أن أريد أنا ذلك؟ هل أترجَّاك؟

ـ لا، لا، أنت لست لحوحًا. لكنَّك مُندمجٌ في الأمر جدًّا.

ـ هل يمكنني أن أسأل، هل أنا جيِّدٌ في ذلك؟ أم أنَّكِ تتخيَّلينني في صورةٍ مرتبكةٍ بدرجةٍ ما، لأنَّني أريد ذلك بشدَّة؟

استدارت لتواجهه، مستلقيَّةً على جانبها مرَّةً أخرى. تحرَّكت أصابعه إلى سطح ثديها، وصولًا إلى شريط ثوب النوم، وعودةً مرَّةً أخرى.

ـ أتخيَّلك مرتبكًا في بعض الأحيان بالفعل.

أومأ برأسه، وأظهر وجهه وطريقته اهتمامًا حقيقيًّا بالنقاش.

ـ هل يمكنني أن أسألك عن شيءٍ آخر؟ لستِ مضطرَّةً لإخباري. لكن عندما تبلغين الذروة، ما الذي تفكِّرين فيه؟

ـ أفكِّر فيك وأنت تقذف.

ـ أين، بداخلك؟

ـ عادةً.

ببطء، وكأنَّه يفكِّر بعمق، حرَّك ظهر يده على بطنها، مرورًا بسُرَّتها. كانت تنظر إليه من دون تعبير.

ـ أعرف ما الذي ستقوله الآن.

ـ فعلًا؟ ماذا؟

ـ سأسألكَ عمَّا إذا كنت تفكِّر فيَّ بهذه الطريقة، وستقول: لا بصراحة.

ضحكت، ومُمسِّدًا قماش ثوبها بظهر يده، قال: «لا، لم أكن سأقول ذلك. يمكنني أن أخبرك إذا أردت، لكنَّني أفضِّل أن أسمع ما

تفكّرين فيه أكثر. أعني.. أحبُّ سماع ذلك كما هو واضحٌ لأنَّ الموضوع يدور عنّي، لكنّني أظنُّ ذلك مثيرًا. حاولت في السّابق أن أسأل عن هذه الأمور لكن لم يخبرني أحدٌ بأيِّ شيءٍ عادة».

ـ آه. هل تحاول انتزاع المعلومات منّي؟ كنت أظنُّ أنّنا في حالةٍ حميميَّة.

كان يشوب ضحكته بعض الإحراج. أجاب: «نحن كذلك. سألت هذا السؤال في السّابق، كما قلت لك، لكنّني لم أحظ بأيِّ إجابات. وللإنصاف، فأنا لم أسأل إلّا أشخاصًا كنت في علاقةٍ معهم بالفعل. لم أحاول أبدًا أن أستخدم هذا كعبارة مغازلة».

ـ هذا غير تقليديٍّ بعض الشيء. لكنّني لا أظنُّ أنّك تحاول مغازلتي.

ـ حسنًا، كان يمكنني الانتظار حتّى الصباح لكي أريك فيديو الراكون.

ضحكت. وابتسم هو بسعادةٍ لأنّه جعلها تضحك.

ـ أنت تعرفين لماذا أنا هنا.

ـ لا، لا أعرف. نحن في روما منذ أربعِ ليالٍ بالفعل، ولم تؤثّر فيك الأجواء؟

ـ كنّا بالكاد نتعرّف على بعضنا.

ـ يا لك من جنتلمان.

استدار مرَّةً أخرى، وقال: «لا أعرف. تردَّدت في هذا الأمر. بصراحة، بإمكانكِ التحوُّل إلى شخصٍ مخيفٍ في بعض الأحيان، لا أعرف إن كنت تعرفين ذلك».

ـ سمعتُ ذلك أحيانًا، لكن يدهشني أن تقول أنت ذلك.

هزَّ كتفيْه ولم يقل شيئًا.

ـ ولم أعد أخيفك؟

ـ ما زلتِ تفعلين، بمعدَّلاتٍ أقلّ. لكن كما تعرفين، عندما يُخبرك شخصٌ عن كلِّ خيالاته الجنسيَّة، فإنَّ هذا يخفِّض درجة خوفك منه قليلًا. أقصد، ولا أعني أيَّ إساءة، أنَّ من الواضح أنَّكِ منجذبةٌ لي.

أجابت بهدوء: «أنت قلتَ لي إنَّك لن تسخر منِّي إذا قلت لك هذه الأشياء، قل ما تشاء، ذلك لا يضايقني، لكنَّني أظنُّ هذا سخيفًا».

استند على كوعه، ونظر إليها وقال: «أرأيتِ؟ هذا ما أقصده. هذا ما أقصده بالمخيف، أن تتحدَّثي بهذه الطريقة. لم أكن أسخر منك أصلًا، بالمناسبة، وأنا آسف لو أنَّك شعرتِ بذلك. لكن عندما أفعل شيئًا يغضبك فإنَّك تتصرَّفين دائمًا بهذه الطريقة، وكأنَّك أعلى منِّي بكثير. يشعرني ذلك وكأنَّني دودة».

لفترةٍ من الوقت استلقت في مكانها ولم تقل شيئًا. وبعدها، بحزن، ردَّت: «حسنًا، أنا أتصرَّف بطريقةٍ دفاعيَّة، وأتصرَّف وكأنَّني أعلى، وأشعرك بالسوء. وبجانب كلِّ ذلك، فمن الواضح أنَّني معجبةٌ بك على كلِّ حال. لهذا أظنُّ أنَّني مثيرةٌ للشفقة بالنِّسبة إليك، ولستُ بالشخصِ الذي يمكن لأحدٍ أن يحبَّ صحبته».

ـ طبعًا، بالضبط، هذا هو رأيي فيكِ طبعًا، ولهذا السَّبب فأنا قد قضيت الأيَّام الأربعة الأخيرة وأنا أسير خلفكِ في كلِّ مكانٍ مثل الأبله.

ـ لماذا جئت إلى هنا؟ لتغيظني فحسب؟

ـ غير معقول! لا أعرف. أحبُّ الحديث معك. عندما نذهب للنوم، أجد نفسي أفكّر فيك قليلًا. لهذا فكّرت أن آتي إلى هنا وأرى إن كنت تفكّرين بي كذلك. حسنًا؟

ـ ما نوع الأشياء التي تفكّر فيها؟

تحسّس سنّته الخلفيّة بلسانه، متأمّلًا، وأخبرها: «ليست مختلفةً كثيرًا عمّا قلته. أتخيَّل أنّك تريدين ذلك بشدّة. ربّما أغيظك قليلًا في البداية، وأجعلك تصلين للذروة أكثر من مرّة، هذه الأمور. لا يوجد شيءٌ على درجةٍ من الغرابة في التخيُّل نفسه. الشيء الغريب الوحيد هو ما حدث حين وصلنا إلى هنا، خاصّةً في أوّل ليلتيْن، عندما فكّرت فيك، شعرت أنّك تفكّرين فيَّ كذلك في غرفتك هنا. هل كان ذلك ما يحدث؟».

ـ نعم.

ـ أكاد أشعر بك جواري. في الواقع، صحوت ذلك الصباح غير قادر، لعدَّة ثوان، من تمييز ما إذا كان ذلك قد حدث بالفعل. أقصد أنّني كنت غير قادرٍ على تحديد ما إذا كنت وحدي في السرير أم أنَّك معي. لأنَّ الشعور كان حقيقيًّا للغاية.

بصوتٍ خفيضٍ سألته: «ماذا شعرت حينما عرفت أنّك كنت وحدك؟».

ـ بصراحة، ولجزءٍ من الثانية، شعرت بالإحباط. أو شعرت بدرجةٍ من الوحدة، لا أعرف.

توقّف للحظةٍ وسألها: «هل يمكنني أن ألمسك الآن، ما رأيك؟».

ـ نعم.

أدخل يديْه تحت ثوبها وداعب بأصابعه ملابسها الداخليَّة. فتحت فمها وأطلقت نَفَسًا صغيرًا. بلطفٍ، أدخل سبابته فيها، فأصدرت صوت أنين. احمرَّ وجهه. قال: «أنت مبتلَّةٌ للغاية».

أصبح صوت تنفُّسها عاليًا وسريعًا، وأغلقت عينيْها. لعق شفته العليا ثمَّ قال: «سأنزع عنك هذا». عدَّلت من وضع جسمها قليلًا، ونزع هو عنها ملابسها. بعد ذلك، نزع التي ـ شيرت الذي يرتديه، وبأطراف أصابعها، لمست انتصابه عبر ملابسه. قالت: «أريد هذا للغاية». احمرَّت أذناه وقال: «بجدٍ؟ هل تريدينه الآن؟» سألته إذا كان معه واقٍ ذكريٌّ فأجاب بالإيجاب، في محفظته. وبينما كانت مستلقيَّةً في مكانها على ظهرها، انتهى من خلع ملابسه، وأخرج محفظته من جيبه. كانت تنظر إليه، بينما كانت تقرص باطن كوعها بيديْها من دون تركيز.

ـ فيلكس. لم أفعل هذا من فترة، لن يضايقك ذلك؟

نظرا إلى بعضهما بارتباك. ربَّما كانت أليس مرتبكةً ممَّا قد يفكِّر فيه فيلكس، وربَّما كان ارتباك فيلكس ممَّا قد يعنيه هذا السؤال. أخرج مُغلَّفًا مربَّعًا أزرق اللَّون من محفظته.

ـ ماذا تعنين؟

هزَّت كتفيْها. بدت غير مرتاحة، واستمرَّت في قرص ذراعها. ضرب يدها مبعدًا إيَّاه، وقال: «توقَّفي عن ذلك، ستؤذين نفسك. ما الأمر؟ ليست هذه مرَّتك الأولى، صح؟».

أضحكها ذلك، ببعض الخجل، وضحك هو أيضًا، ببعض الارتياح ربَّما.

ـ لا. كانت حياتي غريبةً في الآونة الأخيرة. منذ سنتيْن تقريبًا. لكنَّها كانت طبيعيَّةً قبل ذلك.

مسح بكفٍّ يده على فخذها، وقال بلطف: «آه. لا بأس، هل أنت متوتِّرة؟».

أومأت برأسها. قطع المغلَّف وأخرج الواقي من الداخل.

ـ لا تقلقي. سأعتني بك.

نام فوقها وقبَّل عنقها. بعد ذلك، عندما افترقا، نامت أليس على ما يبدو فورًا، من دون أن تُحرِّك ذراعيْها أو قدميْها حتَّى، والتي كانت متشابكةً بطريقةٍ غريبةٍ في مفرش السرير. استلقى فيلكس على جانبه ناظرًا إليها، ثمَّ نام على ظهره وحدَّق في السقف.

-14-

العزيزة إيلين.. إيميلك الذي تحكين فيه عمَّا حدث مع سايمون أدخل السعادة إلى قلبي البائس. أنتِ تستحقِّين الرومانسيَّة! وأشعر أنَّه أيضًا يستحقُّ الشيء نفسه. هل أخبرك شيئًا عنه؟ كنت قد وعدته أنَّني لن أُخبركِ أبدًا، لكنَّني سأخرق هذا الوعد لأنَّ اللحظة ملائمة. قبل عدَّة أعوام، بعد أن انتقلت للعيش مع إيدن بفترةٍ قصيرة، جاء سايمون بعد الظهر لشرب القهوة معي. تحدَّثنا بلا هدف، وكان الأمر طبيعيًّا للغاية، وعندما كان على وشك المغادرة، وقف عند مدخل باب حُجرتك القديمة لينظر إلى الداخل. كانت فارغةً بالفعل، وكان السرير خاليًا من المرتبة والملاءات، وأتذكَّر وجود مستطيلٍ شاحبٍ على الجدار، حيث كنت تعلِّقين ملصقًا لمارجريت كلارك. وبصوتٍ يدَّعي الابتهاج الزائف نوعًا ما، قال سايمون: «ستفتقدينها». ومن دون أن أفكِّر فيما أقول أجبته: «وأنت أيضًا». لم يكن لهذا أيُّ معنًى في الحقيقة، لأنَّك كنت في الواقع تنتقلين إلى شقَّةٍ أقرب من الحيِّ الذي يعيش فيه سايمون، لكن لم يبد

أنَّه مندهشٌ ممَّا قلته. كان ردُّه بطريقة: «أجل بالطبع». توقَّفنا عند باب غرفتك لعدَّة ثوانٍ، ثمَّ ضحك، وقال: «أرجوكِ لا تخبريها بأنَّني قلت ذلك.

طبعًا كنت مع إيدن في ذلك الوقت، لهذا لم أُخبرك فعلًا. لا يمكنني القول بأنَّني كنت أعرف أنَّ ذلك سيحدث دائمًا، لأنَّ ذلك غير حقيقيّ. كنت أعرف أنَّك وسايمون مقرَّبان، وأعرف ما حدث في باريس. لكن لسببٍ ما، لم يخطر ببالي أنَّه كان يحبُّك كلَّ هذا الوقت. لا أظنُّ أنَّ أحدًا كان يعرف. على كلِّ حال، لم نتحدَّث أبدًا في ذلك مرَّةً أخرى. هل تظنين أنَّني شخصٌ سيِّئٌ لأنَّني أقول لك كلَّ هذا؟ أتمنَّى ألَّا تفعلي. لم يكن واضحًا في رسالتك ما إذا كنت ستستمرين في رؤيته... ما شعورك؟

في مساء البارحة، بعد أن تلقَّيت إيميلك مباشرةً في الواقع، حكى لي فيلكس عن أشياء ندم على فعلها في الماضي. أظنُّها كانت واحدةً من محادثات «أسوأ شيءٍ فعلته في حياتي» إيَّاها. وفي الحقيقة أنَّه فعل أشياء سيِّئةً فعلًا. لن أخوض في التفاصيل، لكن يمكنني القول إنَّ بعضها كان يرتبط بعلاقاته مع نساء. أشعر أنَّه ليس من حقِّي الحكم عليه، لأنَّني لا أعرف لماذا حدثت الأمور بهذا الشَّكل، ولأنَّني أحيانًا أغرق في الشعور بالذنب بشأن أشياء بشعةٍ فعلتها. حدسي كان أن أسامحه في الحقيقة، خاصَّةً ومن الواضح أنَّه أمضى وقتًا طويلًا يشعر بالذنب ويلوم نفسه. لكن كان عليَّ أن أفهم أنَّ ذلك ليس حقًّا من حقوقي أيضًا، فأفعاله التي حكى لي عنها ربَّما تكون قد أثَّرت على حياة أشخاصٍ آخرين للأبد، ولن يكون لها أيُّ أثرٍ على حياتي. لا يمكنني التدخُّل كطرفٍ ثالثٍ لا علاقة له بالأمر، وأسامحه على كلِّ ما ارتكب

من أخطاء، مثلما لا يستطيع هو أن يعفيني منها. لهذا أظنُّ أنَّ أيًّا يكن ما شعرتُ به ناحيته في تلك اللحظات التي اعترف فيها بأفعاله لي، فهو لم يكن «مسامحةً» بالمعنى المفهوم، لكن شيئًا آخر. ربَّما يكون أنَّني شعرت بالثقة في أنَّ ندمه حقيقيّ، وأنَّه لن يرتكب الأخطاء نفسها في المستقبل. دفعني ذلك للتَّفكير في الأشخاص الذين فعلوا أشياء سيِّئة. ما الذي يفترض بهم أن يفعلوا مع أنفسهم، وما الذي يفترض بنا كمجتمعٍ أن نفعل معهم. في هذه اللحظة، دائرة الاعتذارات العلنيَّة غير الصادقة تجعل الجميع في الغالب يشكُّون في معنى المُسامحة نفسها. لكن ما الذي يفترض أن يفعله الناس الذين فعلوا أشياء سيِّئةً في الماضي؟ الإعلان عن أخطائهم استباقًا للظهور العلنيّ أمام الجمهور؟ أن يحاولوا عدم إنجاز أيِّ شيءٍ قد يستجلب عليهم تدقيقًا من أيِّ نوع؟ ربَّما أنا مخطئة، لكنَّني أؤمن أنَّ عدد الأشخاص الذين فعلوا أشياء سيِّئةً للغاية ليس قليلًا أبدًا. أتكلَّم بصراحة، لو أنَّ كلَّ الرجال الذي أساؤوا التصرُّف بطريقةٍ ما، في سياقٍ جنسيّ، قد ماتوا في الغد، صدِّقيني لن يبقى على قيد الحياة إلَّا قرابة أحد عشر رجلًا. وليس الرجال فحسب، النساء أيضًا! والأطفال! كلُّ الناس. أظنُّ أنَّ ما أقصده هو: ماذا لو أنَّ عدد الأشرار في هذا العالم ليس عددًا صغيرًا، ينتظرون فضح أفعالهم السيِّئة. ماذا لو أنَّنا جميعًا كذلك؟

في إيميلك، حكيت عن حكايةٍ سمعتها في القدَّاس عن امرأةٍ تصبُّ الزيت على قدميْ المسيح. ربَّما أكون مخطئة، لأنَّ هناك بعض القصص المُشابهة لذلك في الإنجيل، لكنَّني أظنُّ أنَّ ما حكيت عنه هو مقطعٌ من إنجيل لوقا، حيث تمسح امرأةٌ خاطئةٌ أقدام المسيح. كنت قد قرأتُ هذه القصَّة مرَّةً أخرى قريبًا بترجمة دايوي رايمز التي أخذتها

معي إلى المستشفى. أنت على حقّ، هذه القصَّة غريبة، بل وحتَّى (كما وصفتها) العجيبة. لكن أليست هذه القصَّة مثيرةً بعض الشيء؟ المرأة في تلك القصَّة لا تملك إلَّا سِمَةً واحدةً تُميِّزها: حقيقة أنَّها عاشت حياة خطايا. من يدري ما الذي يفترض أن تفعله؟ ربَّما كانت منبوذةً اجتماعيًّا لا أكثر، بريئةً مهمَّشة. لكن على الناحية الأخرى، ربَّما فعلت أشياء سيِّئةً للغاية، أشياء كنَّا لنفكِّر فيها أنا وأنتِ باعتبارها خطأً كبيرًا. هذا محتملٌ على الأقلّ، أليس كذلك؟ ربَّما قتلت زوجها، أو أساءت إلى أطفالها، أو شيئًا كهذا. وعندما سمعت أنَّ المسيح يقيم عند سمعان الفريسيّ جاءت إلى المنزل، وأمام عينيْ المسيح، بكت بشدَّةٍ لدرجة أنَّها أغرقت الأرض بدموعها. وبعد ذلك، مسحت قدميْه بشعرها، ودهنتهما بزيتٍ مُعطَّر. وكما أشرت، فالأمر كلُّه يبدو سخيفًا بدرجةٍ ما، بل وعلى درجةٍ ما من الإيروتيكيَّة. وفي الحقيقة، يبدو أنَّ سمعان الفريسيّ كان مصدومًا وغير مرتاحٍ لفكرة أنَّ المسيح ترك امرأةً تلمسه بهذه الطريقة الحميمة. لكنَّ المسيح، وهو شخصٌ يتميَّز بأنَّه مُحيِّرٌ وغامض، سيقول ببساطةٍ إنَّ كافَّة خطاياها الكثيرة قد غُفِرت، لأنَّها تحبُّه حبًّا جمًّا. هل ينفع أن يكون الأمر بهذه السهولة؟ كلُّ ما علينا هو أن ننتحب ونسجد وسيغفر اللّـه كلَّ شيء؟ لكن أعود لأقول، ربَّما ليس هذا أمرًا سهلًا على الإطلاق. ربَّما يكون النحيب والسجود بصدقٍ خالصٍ هو أصعب شيءٍ يمكن للمرء تعلُّمه. أنا واثقةٌ من كوني لا أعرف كيف أفعل ذلك. نفسي تقاوم ذلك، تلك النواة الصغيرة القاسيَّة داخل الشيء، والتي أخشى أنَّها لن تسمح لي بالسجود أمام الإله حتَّى لو كنت أصدِّق في وجوده.

وبالحديث عن الأمر، دعيني أخبركِ أنَّني نمت مع فيلكس بالأمس. لم أرد إخبارك بصراحة، لكنَّني فكَّرت أنَّ ذلك سيكون غريبًا.

ليس الأمر أنَّني أشعر بالحرج، أو ربَّما أنا محرجة، لكن ليس لأمرٍ يتعلَّق به. الأمر أقرب للاهتمام بما سيفكِّر به أشخاصٌ آخرون عنِّي، عندما يكون هذا بالضبط ما لا أفعله، بل وأكون ماهرةً للغاية في عدم فعله. ليس هذا حقًّا بالأمر السهل عليَّ. أظنُّ أنَّنا حظينا بوقتٍ جيِّدٍ معًا، وأقصد بذلك أنَّني حظيت بوقتٍ جيِّد، وأنَّني لن أعرف أبدًا حقيقة ما يشعر هو به. ورغم أنَّ حياتنا كانت مختلفةً في كافَّة نواحيها الممكنة، فإنَّني أشعر بطريقةٍ ما أنَّنا وصلنا إلى نقاطٍ متشابهةٍ بطرقٍ مختلفة، وأنَّ هناك الكثير ممَّا يراه أحدنا في الآخر. لن تُصدِّقي كم استغرقني الأمر لكتابة هذه الفقرة. أشعر بالخوف من التعرُّض للأذى، ولا أتحدَّث عن المعاناة، والتي أعرف جيِّدًا أنَّني أستطيع التعامل معها، لكنَّني أقصد مهانة المعاناة، مهانة الحديث بوضوحٍ عن ذلك. أنا معجبةٌ به نوعًا ما، وأشعر بالبلاهة والحماس الشديد حين يعاملني بقدرٍ من العاطفة. إذن، في خضمِّ كلِّ شيء، وحالة العالم التي ترينها، وتلك الإنسانيَّة التي توشك على الانقراض، ها أنا ذا أكتب لك إيميلًا عن الجنس والصداقة. هل هناك غير ذلك نعيش من أجله؟ محبَّتي دائمًا. أليس.

-15-

في مساء يوم الاثنين، عند الثامنة والربع، كانت غرفة المعيشة في شقَّة سايمون خاليةً ومعتمة. من خلال النافذة الصغيرة فوق الحوض في المطبخ الصغير، والنافذة الأكبر في غرفة المعيشة على الناحية المقابلة، كان ما تبقَّى من ضوء النهار يلمس الأسطح الداخليَّة العديدة: استدارة الحوض الداخليَّة، بداخله طبقٌ متَّسخٌ وسكِّين، طاولة المطبخ، عليها فُتات خبزٍ هناك وهناك، طبق فاكهةٍ فيه موزةٌ تغيَّر لونها إلى البُنِّي وتفّاحتان، سلَّةٌ صغيرةٌ عليها نقوش تريكو تستقرُّ فوق الأريكة على نحوٍ غير منتظم، طبقةٌ رقيقةٌ من الغبار على حافَّة التلفزيون العلويَّة، رفوف كتب، مصابيح طاولة، رقعة شطرنج على طاولة القهوة تُظهِر ما يبدو أنَّه لعبةٌ لم تكتمل. وبينما تلاشى النور، استقرَّت الغرفة على هذا النحو في صمت، بينما الناس في الردهة خارجًا يصعدون الدرج وينزلونه، وتجتاح الشارع عرباتٌ مطلقةً موجاتٍ من الضوضاء البيضاء.

في التاسعة إلَّا عشرين دقيقةً، ظهر صوت مفتاحٍ يدخل في القفل، ثمَّ فُتح باب الشقَّة. دخل سايمون إلى البيت، متحدِّثًا في الهاتف، ثمَّ نزع حقيبةً من على كتفه بيده الخالية، قائلًا بصوتٍ عالٍ: «لا، لا أظنُّ أنَّهم قلقون من ذلك، حقًّا. الأمر يزعجهم قليلًا». يرتدي بذلةً رماديَّةً غامقة، عليها ربطة عنقٍ خضراء مثبَّتةٌ بدبوُّسٍ ذهبيّ. بهدوءٍ أغلق الباب خلفه بقدمه، وعلَّق حقيبته على المشجب. قال: «آها. هل هو معك؟ سأتحدَّث معه إذا أردت». ذهب إلى غرفة المعيشة وأضاء مصباح الأرضيَّة، وألقى مفاتيحه على طاولة القهوة. سأل: «أوكي، ما الحلُّ الأفضل في رأيك إذن؟». بدا متعبًا، وهو واقفٌ وحده في ضوء المصباح المائل إلى الصُفرة. ذهب إلى المطبخ ورفع غلَّاية الماء وكأنَّه يعاين وزنها. قال: «حسنًا، لا، لا توجد مشكلة. سأُخبره فحسب أنَّني تحدَّثت معك». أعاد وضع غلَّاية الماء في بيتها، ثمَّ أشعلها، وجلس على أحد كراسي المطبخ. قال: «حسنًا، لكن.. لو تظاهرت أنَّك لم تخبريني بشيء، فكيف سأبرِّر اتِّصالي به من الأصل؟». ثبَّت الهاتف بين وجهه وكتفه وبدأ في فكِّ رباط حذائه، لكن ملاحظةٌ من الطرف الآخر من المكالمة دفعته للاعتدال في مكانه وإمساك الهاتف بيده مرَّةً أخرى. قال: «ليس هذا ما كنت أعنيه طبعًا».

استمرَّت المحادثة بهذه الطريقة لبعض الوقت، كان سايمون قد خلع حذاءه خلالها، ونزع ربطة عنقه، وحضَّر كوبًا من الشاي. وعندما اهتزَّ الهاتف في يده، أبعده بسرعةٍ وتفحَّص الشاشة، بينما استمرَّ الصوت على الناحية الأخرى في الحديث. إشعارٌ بوصول إيميل يحمل عنوان: «مكالمة الثلاثاء». أعاد وضع الهاتف على أذنه، غير مهتمٍّ على ما يبدو، وحمل كوب الشاي إلى الكنبة حيث جلس.

تابع حديثه: «حسنًا حسنًا، لقد وصلت إلى البيت الآن. كنت على وشكِ مشاهدة الأخبار». أغلق عينيْه بينما يتحدَّث الصوت من الهاتف. قال: «طبعًا، سأُخبرك بالتفاصيل. أنا أحبُّك أيضًا، باي». كرَّر الكلمة الأخيرة عدَّة مرَّاتٍ قبل أن ينقر على أيقونةٍ في الشاشة لينهي المكالمة. نظر إلى الشاشة، ثمَّ فتح تطبيق رسائل وكتب اسم «إيلين ليدون». ظهرت أحدث الرسائل في آخر الشاشة، وكانت علامة الوقت 20:14.

ـ سايمون: «مرحبًا، الوقت الذي قضيناه في عطلة نهاية الأسبوع معًا كان جميلًا للغاية. هل تحبِّين أن نلتقي مرَّةً أخرى هذا الأسبوع؟».

أظهرت أيقونةٌ أنَّ إيلين قد رأت هذه الرسالة، لكنَّ الردَّ لم يصل بعد. أغلق التطبيق وفتح إيميل «مكالمة الثلاثاء»، والذي كان جزءًا من سلسلة رسائل. الرسالة السَّابقة قالت: «نعم، عرفت أنَّ لديهم سجلَّات الهاتف أيضًا. سايمون أو ليزا، فليتعامل أحدكما مع هذا رجاء، ويمكن التواصل مع أنتوتي إذا اقتضت الحاجة». جاء ردُّ أحد زملائه بـ: «إذا أضعنا المزيد من الوقت في التعامل مع هذا الهراء فسأفقد عقلي بالكامل». أحدث الرسائل تقول: «سايمون، مُرفقٌ بهذا الإيميل رقم سايمون والتفاصيل المطلوبة. اتَّصل به الليلة لو أمكن أو صباح الغد. لسنا سعداء بهذا، لكنَّ هذا هو الوضع».

أغلق سايمون هاتفه، وسمح لعينيْه بالانغلاق أخيرًا، ولعدَّة لحظاتٍ جلس على الكنبة من دون أن يتحرَّك، يصعد صدره ويهبط مع أنفاسه. بعد مضيِّ وقت، رفع يده ومرَّرها ببطءٍ على وجهه. وأخيرًا أمسك جهاز التحكُّم عن بعد الخاصِّ بالتلفزيون كي يُشغِّله. كانت أخبار التاسعة قد بدأت حالًا. جلس يشاهد مجموعةً من اللقطات الأولى وهي تمرُّ على

الشاشة، بعيْنٍ نصف مغلقة، وكأنَّه نائم. من وقتٍ لآخر، كان يشرب من كوب الشاي الذي أبقاه على ذراع الكنبة بجواره. أثناء فقرةٍ عن سلامة الطريق رنَّ هاتفه، وأمسكه على الفور. على الشاشة ظهرت رسالةٌ جديدة.

ـ إيلين: «تستخدم نبرةً رسميَّةً غريبةً يا سايمون».

حدَّق في الرسالة لبضع ثوان، ثمَّ كتب ردًّا.

ـ سايمون: «فعلًا؟».

عرضت الشاشة ثلاث نقاطٍ في حركة إهليلجيَّة، علامةً على أنَّ إيلين تكتب.

ـ إيلين: «هل عندكَ تفسيرٌ يجعل الرجال الذين تجاوزوا الثلاثين يكتبون الرسائل وكأنَّهم يُحدِّثون ملفَّهم على لينكد إن؟».

«مرحبًا [إيلين]، سعدت برؤيتك [يوم السبت]. هل يمكننا التواصل قريبًا؟ أرجو اختيار التاريخ والموعد المناسب من القائمة المنسدلة.

ابتسم لنفسه بخفوت، بينما تحرَّكت أصابعه على لوحة المفاتيح.

ـ سايمون: «أنتِ على حقّ».

«لو أنَّني كنتُ أكثر شبابًا، لأوقفت خاصيَّة الأوتوكابس على هاتفي، وكنت لأبدو أكثر استرخاءً ممَّا أنا عليه».

ـ إيلين: «في إعدادات الهاتف».

«يمكنني مساعدتك في العثور عليها لو كان الأمر صعبًا عليك».

في الجزء العلويِّ من الشاشة، وصل إيميل جديد في سلسلة رسائل «مكالمة الثلاثاء». كان السطر الافتتاحيُّ يقول: «مرحبًا جميعًا،

لقد تواصلت منذ قليلٍ مع تي جي...». أَبعَد سايمون الإشعار من دون أن يفتحه، وبدأ في كتابة رسالةٍ أخرى لإيلين.

ـ سايمون: «لا، لا تقلقي».

«أنا أستخدم خاصيَّة النسخ واللَّصق لأجلب الرسالة التي تقول إنَّني قضيت وقتًا لطيفًا في عطلة نهاية الأسبوع، هل تحبِّين أن نلتقي مرَّةً أخرى.. إلخ إلخ».

«لم أقابل أيَّ شكاوى في السَّابق».

ـ إيلين: «هاهاهاها».

«وتستطيع استخدام خاصيَّة النسخ واللَّصق؟! أنا مبهورة».

«على كلِّ حال، نعم، يمكننا أن نتقابل هذا الأسبوع».

«متى»؟

ظهرت رسالةٌ أخرى في أعلى الشاشة، من جهة اتِّصالٍ مُسجَّلةٌ بـ«جيرالدين كوستيجان».

ـ جيرالدين: «أبوكَ يقول إنَّه ينتظر اتِّصالك مساء غد لو كان ذلك يناسبك يا حبيبي. قبلاتي».

أطلق سايمون نفسًا طويلًا ببطء، ثمَّ سحب لأعلى على الشاشة ليُبعد الرسالة. تحرَّكت عيناه على الرسائل التي يستقبلها ويرسلها إلى إيلين، كتب: «**هل يمكنك**»، ثمَّ مسحها. عاد إلى الرسائل السَّابقة ونظر إليها مرَّةً أخرى، وفي النهاية، بدأ يكتب من جديد.

ـ سايمون: «هل أنت مشغولةٌ الآن؟».

أظهرت علامة الـ«صح» المزدوجة أنَّ إيلين قد رأت الرسالة، ثمَّ عادت حركة النقاط الثلاث.

ـ إيلين: «لا».

«كنت أنوي الاستحمام، لكنَّ شركاء السكن استخدموا المياه الساخنة كلَّها».

«انتهى الحال بي نائمةً في السرير أتصفَّح الإنترنت».

«لماذا تسأل؟».

على التلفزيون، كانت الأخبار قد انتهت، وبدأت أخبار الطقس. رسمة شمسٍ تخيِّم في الشاشة على دبلن. عاد سايمون إلى الكتابة.

ـ سايمون: «هل ترغبين في القدوم؟»

«مياهٌ ساخنةٌ ليس لها نهاية».

«وآيس كريم في الفريزر».

«ولا شركاء سكن».

مرَّت عدَّة ثوان. حكَّ ذقنه بيده، بينما ينظر في الشاشة، التي عكست على سطحها لمبة السقف في غلافها الزجاجيِّ فوق رأسه.

ـ إيلين: «!!»

«لم أكن أقول لك ذلك لتدعوني!!».

ـ سايمون: «أعرف ذلك».

ـ إيلين: «هل أنت متأكِّد؟».

ـ سايمون: «أجل».

ـ إيلين: «هذا لطفٌ بالغٌ منك».

ـ سايمون: «ماذا يمكنني أن أقول، شخصيَّتي لطيفةٌ جدًّا».

ـ إيلين: «يبدو ذلك ممتعًا..».

«لكنَّني لا أريد التطفُّل عليك مرَّةً أخرى!!».

ـ سايمون: «إيلين»

ـ «البسي حذاءك، سأطلب لك تاكسي».

ـ إيلين: «هاهاها».

«أمرُك يا دادي».

«شكرًا».

بدا سعيدًا، أغلق تطبيق الرسائل، وفتح تطبيق سيَّارات تاكسي، وطلب واحدةً على عنوان إيلين. نهض بعدها من على الكنبة، وأغلق صوت التلفزيون، وذهب إلى الحوض بكوب الشاي الفارغ. بعد أن انتهى من غسل سطح المطبخ ومسحه، ذهب إلى حُجرته ووضَّب سريره. وأثناء أداء تلك المهام، أخرج هاتفه أكثر من مرَّةٍ من جيبه لينظر إلى تطبيق التاكسي، حيث كانت أيقونةٌ صغيرةٌ تُمثِّل عربة إيلين تتحرَّك ببطءٍ وتردُّد بين علامات الشوارع في اتِّجاه الجنوب، وبعد ذلك، أغلق الهاتف، ووضعه في جيبه مرَّةً أخرى، وعاد إلى ما يفعله.

فتح الباب بعد عشرين دقيقة، فوجد إيلين واقفةً في الممرِّ ترتدي سترةً رياضيَّةً قصيرةً رماديَّة اللَّون، وتنُّورةً قطنيَّةً فيها عدَّة طيَّات، وتحمل معها حقيبةً قماشيَّةً مطبوعٌ عليها شعار مجلَّةٍ أدبيَّةٍ لندنيَّة. بدا وكأنَّها

وضعت أحمر شفاهٍ غامض اللَّون في وقتٍ سابق، لكنَّ لونه بهت الآن. وقف للحظاتٍ أمامها، قبل أن يضع يده على خصرها ويقبِّل خدَّها. قال: «سعيدٌ برؤيتك».

لفَّت ذراعيْها حول عنقه، وتركها تحتضنه في الممرّ.

ـ شكرًا لأنَّك دعوتني.

دخلا إلى البيت وأغلق الباب خلفهما. أخرجت من حقيبتها زجاجة نبيذٍ أحمر.

ـ جلبتُ لكَ هذه. ليس لنشربها بالضرورة، شعرتُ بالرعب فحسب من فكرة أن أذهب إلى بيت أحدهم من دون أن أجلب شيئًا. بيتك بالأخصّ. تخيَّل ما الذي كانت أمي ستقوله. دعك من أنَّني لم أجلب شيئًا في الزيارة الأخيرة أيضًا. هاها.

وضعت الزجاجة على الطاولة ووضعت حقيبتها عن كتفها. لمحت التلفزيون.

ـ أوه، كنتَ تشاهد كلير بيرن؟ لا أريد أن أزعجك، سأجلس بهدوءٍ على الكنبة.

كان يبتسم، وعيناه تتبعان إيلين أثناء تعليقها الحقيبة على ظهر كرسيٍّ من كراسي المطبخ، وإعادة ترتيب شعرها بفكِّ التوكة التي ربطته في هيئة كعكة.

ـ لا، لم أكن أشاهده. شكلك جميل. هل ترغبين في كوبٍ من الشاي؟ أو كأس نبيذٍ لو تفضِّلين ذلك؟

ذهبت لتجلس على الكنبة، وخلعت حذائها المنخفض المصنوع من الجلد، ثمَّ ثنت قدمها في الشراب الأبيض على الوسائد.

ـ سأشرب الشاي إذن. لا أرغب في شرب النبيذ بصراحة. هل هذه أحجيَّة؟

نظر إليها من المطبخ ورآها تشير إلى لوحة الشطرنج.

ـ لا، هذه لعبة. بيتر جاء ليلة أمس، لكنَّه اضطرَّ للمغادرة قبل أن ننهيها. لحسن حظِّي بصراحة.

استمرَّت في النظر إلى اللَّوحة بينما وضع غلَّاية الماء في الكهرباء، وأخرج كوبًا من المصفاة.

ـ هل كنت تلعب بالأسود؟

أجاب من دون أن يدير ظهره ليواجهها: «لا، الأبيض».

ـ أنت متفوِّقٌ عليه باثنيْن من العساكر، ويمكنك أن تكشَّ ملكه بالفيل.

أخرج ملعقةً من درج أدوات المائدة، مستمتعًا بالحوار.

ـ فكِّري فيها مرَّةً أخرى.

عقدت حاجبيْها ونظرت في اللَّوحة لفترةٍ أطول، بينما انتهى من إعداد الشاي وجلبه إلى طاولة القهوة

ـ حسنًا، فرصكَ أفضل.

جلس على الناحية الأخرى من الطاولة، وأغلق التلفزيون.

ـ تفضَّلي. الدور على الأبيض.

أمسكت الفيل الأبيض وحرَّكته، قالت: «كش ملك».

مال سايمون إلى الأمام، وحرَّك العسكريَّ الأسود ليعيق الهجوم ويهدِّد الفيل، فاستخدمت الفيل لأكل العسكريّ. حرَّك الحصان

الأسود إلى الأمام فأكل الفيل وأصبح يهدّد الملك الأبيض والطابيَّة في الوقت نفسه. تغيَّرت تعبيرات وجهها، وقالت: «أنا غبيَّة» . فردَّ بأنَّه خطؤه منذ البداية، أن يترك نفسه في هذا الوضع الضعيف. أمسكت كوب الشاي وجلست بجوار مسند الكنبة.

ـ هل أخبرتكَ أنَّ عائلتي في حالة حربٍ على خلفيَّة دعوات حفل زفاف لولا؟ أنا فعلًا لا أعرف لماذا تدخَّلت، هي شخصٌ لا يُطاق. هل أريك الرسائل التي أرسلتها لي؟

ـ نعم.

أخرجت هاتفها وأرته الرسائل. أرسلتهم لولا ليلة السبت.

ـ لولا: «هممم. هل أريد فعلًا أن أسمع شخصًا يصفني بعدم النضج، حين يكون هذا الشخص بالذات عالقًا في وظيفةٍ خرائيَّةٍ لا يحصل فيها على أيِّ مالٍ ويعيش في عشِّه وهو في الثلاثين....».

تحرَّكت عيناه على الشاشة، وبعدها مدَّ يده فأخذ الجهاز من يدها ليقرأها مرَّةً أخرى، عابسًا هذه المرَّة، غمغم: «يا إلهي، ما هذه العدائيَّة!».

أخذت إيلين الهاتف من يده، ونظرت فيه.

ـ لم أفتح موضوع الزفاف هذا إلَّا بعد أن طلبت منِّي ماري ذلك. ولكن عندما اشتكيت لها من هذه الرسائل السخيفة، ردَّت عليَّ بـ حسنًا، لا بأس، لا أعرف، هذه الأمور بينكما أنتما، لا دخل لي فيها.

ـ لكن لو أنَّكِ أنتِ من أرسل رسائل شبيهةً للولا...

ـ بالضبط! ستتَّصل أمِّي لتقول لي كيف تجرئين على الحديث مع أختك بهذه الطريقة.

ـ وبالطبع، ليست هناك فائدةٌ من الحديث مع والدك.

أغلقت الهاتف، ووضعته على الأرض الخشبيَّة.

ـ لا. هو الشخص الوحيد العاقل كما هو واضح. لكنَّه يعرف أنَّنا جميعًا مجانين، ولذا يخاف من التدخُّل جدًّا.

رفع قدمها ووضعها في حِجره.

ـ لستِ مجنونة. هما الاثنتان مجنونتان فعلًا، لكن أنتِ لست مثلهما.

ابتسمت، وعدَّلت من وضع جسمها ناحية مسند الكنبة.

ـ الحمد للّه، هناك شخصٌ في هذا العالم يرى ذلك.

ـ أيّ خدمة.

للحظةٍ نظرت إليه بينما يدلّك قوس قدمها بإبهامه. وبصوتٍ مختلفٍ، سألته: «كيف كان يومك؟».

رفع رأسه إليها ثمَّ خفضها.

ـ لا بأس، ويومك؟

ـ تبدو متعبًا بعض الشيء.

أجاب بخفَّةٍ من دون أن يرفع رأسه: «فعلًا؟».

استمرَّت في النظر إليه، بينما يتفادى عينيْها.

ـ سايمون، هل أنت حزينٌ اليوم؟

أطلق ما يشبه الضحكة المُحرجة، وقال: «مم. لا أعرف. لا أظنُّ ذلك».

ـ هل كنتَ لتخبرني؟

ـ هل أنا بهذا السُّوء؟

نكزته عابثةً بقدمها.

ـ أنا أسألكَ الآن بالفعل عن يومك، لكنَّك لا تخبرني بشيء.

أمسك كاحلها وأجاب: «ممم. فلنر. تحدَّثت مع أمِّي في الهاتف هذا المساء».

ـ فعلًا؟ كيف حالها؟

ـ بخير. تشعر بالقلق على أبي، لكن هذا ليس غريبًا. إنَّه.. هو بخير، لكنَّه يعاني من ارتفاع ضغط الدم، وهي تظنُّ أنَّه لا يأخذ أدويته بانتظام. الأمر نفسيٌّ أكثر من أيِّ شيء، أنت تعرفين كيف هي العائلات. وهو غاضبٌ منِّي لأنَّ.. هذا مملّ، الأمر كلُّه يتعلَّق بالعمل.

ـ لكنَّ أباك لم يَعُد يعمل، أليس كذلك؟

استمرَّ في تحريك يده بطريقةٍ دائريَّةٍ على كاحلها وهو شارد الذهن.

ـ صحيح. كنت أقصد عملي أنا. نحن نختلف في كلِّ شيءٍ يتعلَّق بالسياسة. لا بأس. فرق الأجيال طبيعيّ. وهو يرى أنَّ آرائي السياسيَّة هي نتيجةٌ لشخصيَّتي المبسترة.

قالت إيلين بهدوء: «ليس هذا لطيفًا».

ـ لا. أعرف ذلك. وإن كنت أظنُّ أنَّ ذلك يجرح مشاعر أمِّي أكثر منِّي. في الواقع.. لو أنَّك سمعته.. الأمر أشبه بأنَّه طوَّر نظريَّةً تفصيليَّة.

شيءٌ من قبيل عقدة المسيح. لن أستطيع وصف الأمر بدقّة، لأنّني بصراحةٍ أتجاهل ما يقوله نوعًا ما حين يبدأ الكلام بهذه الطريقة. لكن يبدو أنّه يرى أنّني أتجوّل هنا وهناك منقذًا الناس لأنّ ذلك يُشعرني بالقوّة والفحولة وأشياء كهذه. الشيء المضحك هو أنّ وظيفتي ليس لها أيُّ علاقةٍ بمساعدة الناس. ربّما كان ذلك ليصحّ لو أنّني أخصّائيٌّ اجتماعيٌّ أو طبيبٌ أو شيءٌ كهذا، لكنّ ما أفعله في الحقيقة هو الجلوس في المكتب طيلة اليوم. لا أعرف. آخر مرّةٍ ذهبت فيها إلى البيت خضنا نقاشًا حادًّا عجيبًا لأنّني استيقظت من النوم صباحًا وأنا أعاني من الصداع. لم يتحدّث معي طيلة اليوم، وفي المساء، وجّه لي خطبةً طويلةً لا تنتهي عن أنّ أمّي كانت تتوق لرؤيتي، وكيف أنّني دمّرت عطلة نهاية أسبوعها بهذا الصداع. وهو لا يقول أبدًا إنّه غاضبٌ منّي، بل يُسقط مشاعره على جيرالدين، وكأنّ صداعي النصفيّ هذا هو إهانةٌ شخصيّةٌ لها. الصداع النصفيّ يضغط على أعصابه، لأنّها تعاني منه هي الأخرى، وهو مقتنعٌ تمامًا أنّها مشكلةٌ جسديّةٌ نفسيّة. على كلٍّ حال، أرادت منّي أن أتّصل به غدًا لكي أتحدّث معه بخصوص الدواء، دواء الضغط. وكأنّ ما أقوله سيحدث أيّ فارق. أنا آسف. أشعر وكأنّني أتحدّث منذ سنة. سأتوقّف.

بينما يتحدّث، كان يلمس بأصابعه الجزء الخلفيّ من سمّانة إيلين، والجزء الخلفيّ من ركبتها، وبالتزامن مع جملته الأخيرة، سحب يده بعيدًا واعتدل.

ـ لا تتوقّف.

نظر إليها وسأل: «ماذا؟ الحديث أم ما كنت أفعله؟».

ـ الاثنان.

أعاد يده إلى حيث كانت، تحت ركبتها، وكان ردُّ فعلها أن أطلقت صوتًا مستمتعًا. تحرَّك بإبهامه ليدعك الجزء الداخليّ من فخذها، تحت تنُّورتها.

ـ يبدو لي أنَّ والدك يشعر بالغيرة منك.

استمرَّ في النظر إليها بإعجاب.

ـ ما الذي يدعوكِ لقول ذلك؟

استندت بظهرها على المسند، ونظرت إلى غطاء المصباح الزجاجيّ المضاء.

ـ حسنًا، أنت شابٌّ ووسيم، والنساء تحبُّك. لن يحبَّ أبوك أكثر من أن تتطلَّع إليه وترغب في أن تكون مثله. لكنَّك لا تفعل. أنا لا أعرفه جيِّدًا كما هو واضح، لكن من تجربتي معه، فهو شخصٌ متسلِّطٌ ووقح. وكونك شديد اللطف مع كلِّ الناس ولا يبدو أنَّ شيئًا يضايقك يصيبه بالجنون غالبًا.

كان سايمون يُمسِّد الجزء السفليّ من ركبتها، بينما يهزُّ رأسه.

ـ لكن في وجهة نظره، فإنَّ لطفي هذا مع الناس ليس له من سببٍ إلَّا رغبتي في الشعور بالرضا عن نفسي.

ظهر تعبير التعجُّب على وجه إيلين، وقالت: «وما هي المشكلة في ذلك؟ هذا أفضل من التنمُّر على الناس لتشعر بالرضا عن نفسك، أليس كذلك؟ لدينا ما يكفي من الساديِّين في العالم بحقِّ اللّه. ولماذا لا تشعر بالرضا عن نفسك؟ أنت إنسانٌ محترمٌ وكريمٌ وصديقٌ رائع».

رفع حاجبيْه قليلًا، وللحظةٍ لم يقل شيئًا، ثمَّ أجاب: «لم أكن أعرف أنَّك تحترمينني لهذه الدرجة».

أغلقت عينيْها وابتسمت.

ـ كنتَ تعرف.

نظر إليها، كانت مستلقيةً ورأسها ممدَّدةٌ إلى الخلف، وعيناها مغلقتان.

ـ أنا سعيدٌ جدًّا بأنَّك هنا.

رسمت تعبيرًا مضحكًا على وجهها وسألت: «تقصد، بطريقةٍ أفلاطونيَّة؟».

حرَّك يده إلى الأعلى تحت التنُّورة وهو مبتسم.

ـ لا، ليس بطريقةٍ أفلاطونيَّة.

أمالت جسمها مستندةً على مسند الكنبة.

ـ حين أرسلت لي الرسالة.. ماذا كانت تقول؟ البسي حذاءك وسأطلب لك تاكسي أو شيئًا من هذا القبيل. كان هذا لطيفًا.

ـ يسعدني ذلك.

ـ نعم، كان ذلك مثيرًا بطريقةٍ غريبة. أمرٌ مضحك. أظنُّني أستمتع بتحكُّمكَ فيَّ. جزءٌ منِّي يتحوَّل فحسب ليقول: نعم، أرجوك، أخبرني ماذا أفعل في حياتي.

ضحك عندها، بينما يلمس باطن فخذها بأصابعه.

ـ أنتِ على حقّ، هذا مثيرٌ فعلًا.

ـ يشعرني ذلك بالأمان الشديد والراحة. مثلما يحدث حينما أشتكي لك من أمرٍ ما، وتناديني «أميرة»، يثيرني ذلك بعض الشيء.

هل تتضايق من قولي لهذه الأشياء؟ الأمر فحسب أنَّني أشعر وكأنَّك تتحكَّم بكلِّ شيء. وأنَّك لن تسمح بحدوث أيِّ سوءٍ لي.

ـ لا، أحبُّ هذا النوع من الأشياء. فكرة أن أعتني بك، أو أن تحتاجي إلى مساعدتي أو هذه الأمور. في الغالب أتأثَّر بذلك أيضًا. كلَّما طلبت منِّي فتاةٌ أن أفتح لها برطمان المربى وقعت في حبِّها بطريقةٍ ما.

وضعت طرف إصبعها على فمها.

ـ وأنا التي ظننت أنَّني مميَّزة.

ـ الأمر معك أكثر من ذلك قليلًا، على كلِّ حال. في الواقع أذكر أنَّ ناتالي أخبرتني مرَّةً عنك.. أشعر أنَّ ما أقوله لك سيكون غريبًا، لكن على كلِّ حال. كنتِ قادمةً إلى باريس لزيارتنا، وأنا كنت قلقًا تقريبًا بشأن لحاقك برحلتك، شيءٌ كهذا. وناتالي علَّقت بجملةٍ تشبه: أوه. حبيبة أبوها الصغنونة وحدها، شيءٌ كهذا. كان هذا مضحكًا، أقصد أنَّني أظنُّ أنَّها كانت تمزح.

غطَّت إيلين عينيْها ضاحكة.

ـ لديَّ قصَّةٌ مماثلة. مرَّةً أرسلتَ لي رسالة، وإيدن كان لحظتها بالقرب من هاتفي لذا نظر إلى الرسالة. وعندما سألته من الذي أرسلها، أدار الشاشة لي وقال: إنَّه أبوكِ.

أعجبه ذلك مُحرجًا، بينما كان يهزُّ رأسه.

ـ أشعر أنَّني لو حاولت شرح ذلك لأيِّ شخصٍ آخر لاستدعى البوليس مباشرة.

ـ بسبب موضوع حبيبة أبوها هذا؟ أم أنَّك تنوي أيضًا أن تربطني وتعذّبني؟

ـ لا لا. لكن ذلك سيبدو طبيعيًّا أكثر، أليس كذلك؟ فكرتي أقرب لـ.. أرجو ألَّا أخيفك بما سأقوله. لكنَّ التخيُّل الذي أتحدَّث عنه هو أن تكوني بلا حولٍ ولا قوَّة، وآتي أنا لأخبرك كم أنت فتاةٌ جيِّدة.

نظرت إليه بخجلٍ عبر رموشها.

ـ وماذا لو لم أكن فتاةً جيِّدة؟ ألا ترغب في تركيعي ومعاقبتي؟

حرَّك يديْه وصولًا إلى القطن الرَّقيق المبلَّل للباسها الداخليّ.

ـ آه. لكن ليس بنيَّة إيذائك. فقط لجعلك تحسنين التصرُّف.

لم تقل شيئًا للحظة، ثمَّ سألت: «هل ستخبرني ماذا أفعل؟».

بصوته العاديِّ المسترخي، المستمتع قليلًا بما يحدث، أجاب: «هل ستفعلين ما آمرك به؟».

ضحكت فجأةً مرَّةً أخرى.

ـ نعم. من الغريب كم يثيرني ذلك. غريب. أشعر بالإثارة من التَّفكير فيما ستفعله فيَّ. آسفةٌ لأنَّني أخرج عن الشخصيَّة.

ـ لا، لا تكوني الشخصيَّة. كوني نفسك فحسب.

مال عليها وقبَّلها. رأسها على المسند، ولسانه رطبٌ في فمها. تركته ينزع عنها ملابسها من دون أن تتحرَّك، بينما تراقب يديْه وهي تفكُّ أزرار التنُّورة وتسحب اللباس الداخليّ. أمسك بقدمها من تحت الركبة، رفع قدمها اليسرى على ظهر الكنبة، وحرَّك يدها اليمنى واضعًا

إيّاها على الأرض، فانفرجت رجلاها تمامًا، وكانت ترتجف. قال: «آه. أنت مطيعةٌ حقًّا». أطلقت ضحكةً متوتّرةً وهي تهزُّ رأسها. لمسها برفقٍ بأصابعه، من دون أن يدخلها، وحرّكت فخذيْها إلى داخل الكنبة وهي مغمضةٌ عينيْها. وضع إصبعًا داخلها ثمَّ أطلقت نفسًا. غمغم: «فتاةٌ مطيعة. استرخي». بلطفٍ، أدخل إصبعًا آخر، فأطلقت صرخة، صرخةً خشنةً عالية.

ـ شش. أنتِ فتاةٌ مطيعةٌ للغاية.

هزّت رأسها مرّةً أخرى، بينما كان فمها مفتوحًا.

ـ لو واصلتَ الحديث بهذه الطريقة، سأصل إلى الذروة.

كان يبتسم، وينظر إليها من فوق. قال: «انتظري. ليس بعد». نزع عنه ملابسه، واستلقت هي بأعينٍ مغمضة، وإحدى ركبتيْها لا تزال معلّقةً على ظهر الكنبة. همس في أذنها: «لن تمانعي أن أقذف داخلك»؟ أمسكت مؤخّرة عنقه بيديْها. قالت: «أريدك أن تفعل».

أغلق عينيْه لدقيقة، وهزَّ رأسه من دون أن يتحدّث. عندما دخلها، أطلقت صرخةً جديدة، وتثبّتت به، وكان هو هادئًا.

ـ أنا أحبُّك.

تنفّس بحذرٍ ولم يقل شيئًا. نظرت إليه وسألته: «سايمون، هل يعجبك عندما أقول هذه الأشياء؟». حاول أن يبتسم، بغرابة، وأجاب: «نعم».

ـ يمكنني أن أشعر بذلك.

استمرَّ في التنفُّس، كانت شفته العليا نديّةً وجبينه.

ـ أنا أيضًا أحبُّك.

كانت تراقبه بينما تمصُّ شفتيْها.

ـ لأنَّني فتاةٌ مطيعة.

لمسها بطرف إصبعه السبابة، وقال: «أنتِ كذلك». أغلقت عينيْها من جديد، بينما كانت شفتاها تتحرَّكان من دون أن تصدرا صوتًا. بعد عدَّة دقائق، قالت له إنَّها تصل للذروة. كانت أنفاسها عاليةً ومتذبذبة، وجسمها مشدودٌ ومنقبضٌ بين يديْه.

عندما انتهت، سألها بهدوء: «هل أستمرُّ أم تريدينني أن أتوقَّف؟»، فأجابته بصوتٍ مرهقٍ: «آسفة»، وسألته لو كان سيستغرق وقتًا طويلًا. قال: «لا، سأسرع. لكن يمكنني التوقُّف لو أردتِ ذلك، لا بأس». أخبرته أنَّها لا تمانع. وضع يديْه على فخذها، وثبَّتها في الكنبة بينما يتحرَّك داخلها. كانت لحظتها مسترخيةً ومبتلَّةً تمامًا، ولا تقاوم، تطلق أنَّةً واهيةً من وقتٍ لآخر. تأوَّه. بعدما انتهيا، استلقى مواجهًا إيَّاها. كانا ثابتيْن هما الاثنيْن، يتنفَّسان ببطء، بينما يبرد العرق على جلده. حرَّكت يدها بلطفٍ على ظهره.

ـ شكرًا.

ابتسمت بينما تنظر له.

ـ ليس عليك أن تشكرني.

ـ كانت عيناه مغلقتان.

ـ صحيح، لكنَّني ممتن. ليس فقط.. أقصد فحسب أنَّه من الجيِّد أن أكون معك. أنا سعيدٌ أنَّك جئت. بصراحة، أحيانًا تكون الليالي هنا كئيبةً وأنا وحدي تمامًا. أشعر بالوحدة يمكن، أو شيءٍ كهذا.

ضحك ضحكةً مبتورة.

ـ أنا آسف، لا أعرف لماذا أقول هذا. أنا سعيدٌ لأنَّكِ هنا، هذا هو كلُّ شيء. هل جرَّبتِ قبلًا أن يفعل أحدهم شيئًا لطيفًا لك فتصبحين ممتنَّةً لدرجة الشعور بالسُّوء؟ لا أعرف إذا كان الآخرون يشعرون بذلك أم أنَّه أنا فحسب. لا عليك، أنا أتصرَّف ببلاهة.

نهض حينها وبدأ في ارتداء ملابسه. كانت مستلقيةً وهي عاريةٌ تنظر إليه.

ـ لكنَّني لم أكن أسدي لك خدمة. كان هذا متبادلًا.

من دون أن ينظر إليها، ضحك الضحكة المتوتِّرة نفسها، وبدا أنَّه يمسح عينيْه بيده.

ـ لا. أعرف ذلك. أنا أشعر بالامتنان فحسب لأنَّك أردت ذلك. أنا آسف. لا أعرف ماذا بي.

ـ لست متضايقة. لكنَّني لا أريدك أن تشعر بالسُّوء.

نهض من مكانه، وبدأ يرتدي قميصه.

ـ أنا بخيرٍ لا تقلقي. هل تريدين كأسًا من النبيذ؟ أو يمكننا أكل بعض الآيس كريم.

أومأت برأسها ببطء، ونهضت من مكانها.

ـ بالطبع. الآيس كريم فكرةٌ جيِّدة.

ذهب إلى المطبخ، ومن مكانها على الكنبة، راقبته بينما ترتدي ملابسها. من الخلف بدا طويلًا، قميصه مكرمشٌ قليلًا، وشعره ناعمٌ ذهبيٌّ تحت الضوء الذي يأتي من السقف.

ـ لم أكن أعرف أنَّكَ تعاني من الصداع النصفيّ.

دون أن يلتفت إليها أجاب: «من وقتٍ لآخر».

كانت تغلق حزام التنُّورة.

ـ أرسلت لكَ رسالة، آخر مرَّةٍ جاءتني النوبة، أشتكي لك فيها من سوء الأعراض. هل تذكر ذلك؟

أخذ ملعقتيْن من درج الأدوات المنزليَّة.

ـ نعم. أظنُّ نوباتك أسوأ منِّي.

هزَّت رأسها من دون أن تتحدَّث. في النهاية، قالت: «هل يمكنني أن أشغِّل التلفزيون؟ يمكننا أن نشاهد الأخبار المسائيَّة مثلًا. ما رأيك؟».

ـ تمام.

أحضر أطباق الآيس كريم، بينما رفعت صوت التلفزيون. على الشاشة، ظهر مقدِّم أخبارٍ إنجليزيّ، يقف أمام خلفيَّةٍ زرقاء، ويتحدَّث إلى الكاميرا عن انتخابات قيادة أحد أحزاب المملكة المتَّحدة. قالت إيلين، وعيناها على الشاشة: «هذه كذبة، أليس كذلك؟ هيا، قولي إنَّها كذبة. لكن لا، لن يفعلوا أبدًا».

كان سايمون جالسًا بجوارها، يرسل ملعقته في صحن الآيس كريم.

ـ أنتِ تعرفين أنَّها زوجة مدير محفظةٍ وقائيَّة.

استمرَّا في المشاهدة بينما واصلا حديثًا متقطِّعًا عن إمكانيَّة عقد انتخاباتٍ عامَّةٍ أخرى في البلاد قبل نهاية العام، ولو حدث ذلك، فمن أعضاء حزب سايمون الذين سيحتفظون بمقاعدهم على الأرجح. أبدى

قلقه من أنَّ الأشخاص الذين يفضّلهم سيخسرون، وأنَّ الوصوليّين هم على الأرجح من سيبقون. على التلفزيون كان المتحدّث الرسميُّ باسم أحد الأحزاب يقول: «رئيس الوزراء، عفوًا، آسف، رئيس الوزراء»، مرَّةً تلو الأخرى. رفعت إيلين صحن الأيس كريم من على طاولة القهوة، واسترخت في مقعدها بعد أن ضمّت قدمها تحتها على الكنبة.

ـ هل تذكر حينما ظهرت على التلفزيون؟

كان سايمون يأكل. قال: «لمدَّة ثلاث دقائق تقريبًا».

بأصابعها كانت تلمُّ شعرها بالتوكة مرَّةً أخرى.

ـ تلقَّيت في تلك الليلة مئة رسالةٍ تقول: صديقك سايمون في التلفزيون! وشخصٌ بعيْنه، لن أقول لك من هو. لكن شخصٌ بعيْنه أرسل لي صورةً لك، مع رسالةٍ تقول: هل هذا هو سايمون الذي تتحدَّثين عنه دائمًا؟

ابتسم ولم يقل شيئًا أو يحوّل عينيْه عن التلفزيون. لاحظت إيلين تعبيراته واستمرَّت في الحديث: «أنا لا أتحدَّث عنك في الحقيقة لهذه الدرجة. على كلِّ حال، ردَّدتُ قائلةً أن نعم. هذا هو سايمون، وردَّت هي عليَّ قائلة، بالحرف: لا أقصد أن أضايقك، أريد أن أحمل أطفاله في رحمي».

بدأ يضحك. قال: «لا أصدِّق ما أسمع».

كرَّرت إيلين: «بالحرف. كنت سأرسل لك تلك الرسالة لكنَّ الجزء الذي تقول فيه «لا أقصد أن أضايقك» ضايقني بصراحة. لماذا سأشعر بالضِّيق من ذلك؟ هل كانت تظنُّ أنَّ علاقتنا هي نوعٌ من

الصداقة الحزينة غير المتبادلة، حيث أنا في الحقيقة واقعةٌ في حبّك بينما لا تعرف أنّني موجودةٌ أصلًا؟ أكره أن يظنَّ الناس ذلك بشأننا».

كان سايمون ينظر إليها، وجهها يميل نحوه بينما تنظر إلى التلفزيون. بجانبها المقابل، ضوء مصباح السقف أبيض على عظم وجنتيْها، وزاوية جفنها.

ـ كلُّ أصدقائي يظنُّون العكس.

لم تُحوِّل وجهها عن شاشة التلفزيون، ولكن بدا عليه الرضا.

ـ ماذا؟ أنَّك تُحبُّني من طرفٍ واحد؟ هذا غريب. لا أمانع طبعًا أن يفترضوا ذلك، فهذا مفيدٌ لكبريائي. من قال ذلك؟ بيتر؟ أشكّ.

انتهى البرنامج على التلفزيون، وهبطت أسماء فريق العمل. لا تزال عيناها على الشاشة، استمرَّت في الحديث بهدوء: «حسنًا، أنا أعرف أنَّك لا ترغب في الحديث عن الأمر. لكن ما قلته منذ قليل، عن شعورك بالوحدة. أنا أشعر بشيءٍ كهذا طيلة الوقت. وأنا أقول ذلك فحسب لأنَّني أريدك أن تعرف أنَّك لست وحيدًا في هذا الشعور. لو كنت تظنُّ ذلك. ومن ناحيَّتي أنا، فكلَّما داهمني ذلك الشعور بحدَّة، فأنت الشخص الذي أتَّصل به، لأنَّ لك تأثيرًا مُهدِّئًا عليّ. أعني أنَّ الأشياء التي تُقلقني في العادة، تصبح غير مدعاةٍ للقلق حينما أتحدَّث معك. على كلِّ حال، ما أقصده هو، لو حدث وأردت أن تتَّصل بي عندما تشعر بهذه الأشياء، فبإمكانك فعل ذلك. لست مضطرًّا أصلًا لأن تقول لي سبب اتِّصالك، يمكننا الحديث أصلًا عن أشياء أخرى. سأشتكي لك من عائلتي في الغالب. أو يمكنني القدوم إلى هنا وفعل ما نفعله. حسنًا؟ لا أقول أنَّك مضطرٌّ للاتِّصال

بي، كما هو واضح، لكن بإمكانك أن تفعل ذلك. في أيِّ وقت. هذا كلُّ شيء».

لم يرفع عينيْه عنها أثناء ما كانت تتحدَّث، وعندما انتهت، لم يقل شيئًا لفترة. ثمَّ قال بعدها، بصوتٍ رفيقٍ هادئ: «إيلين، حينما كنَّا نتحدَّث في التليفون وقلت لي إنَّه ينبغي عليَّ الزواج؟...»

أدارت وجهها إليه ضاحكةً، وقالت: «نعم».

كان مبتسمًا، يبدو سعيدًا ومتعبًا.

ـ كنت تقصدين شيئًا شبيهًا بأن تظهر امرأةٌ ما جديدةٌ في حياتي وتتزوَّجني. امرأةٌ لم أقابلها أبدًا. ..

قاطعته إيلين قائلة: «وشديدة الجمال، وشابَّةٌ جدًّا، أظنُّنا اتَّفقنا على ذلك. والذكاء ليس ميزتها الأساسيَّة، لكنَّها لطيفة الطباع».

كان يومئ برأسه.

ـ صحيح. تبدو رائعة. والآن عندي سؤال. عندما أحصل على هذه الزوجة، والتي من اتِّجاه أوصافك، أفترض أنَّها ليست أنت. ..

قاطعته إيلين بامتعاضٍ ساخر: «بالطبع لست أنا. لسببٍ واحد: أنَّني مثقَّفةٌ أكثر منها بمراحل».

بقيت الابتسامة على وجهه، وأجاب: «طبعًا. لكن بمجرَّد أن أعثر عليها، حيثما كانت، هل سنبقى أنا وأنت أصدقاء؟».

اعتدل ظهرها على وسائد الكنبة، كما لو أنَّها تفكِّر في السؤال. وبعد توقُّفٍ، ردَّت: «لا. أظنُّ أنَّك بعد أن تعثر عليها ستضطرُّ للتخلِّي عنِّي. بل وقد يكون التخلِّي عنِّي هو الشرط المُسبق في المقام الأوَّل للعثور عليها».

ـ كما توقَّعت. لن أعثر عليها أبدًا.

رفعت إيلين يديْها بدهشةٍ، وقالت: «سايمون، لا تمزح، هذه المرأة هي توأم روحك. وضعها اللّـه على الأرض من أجلك».

ـ لو أراد اللّـه لي أن أتخلّى عنك، لم يكن ليجعلني من أنا الآن.

تبادلا النظرات لفترة. ثمَّ رفعت يدها إلى خدِّها، وكان وجهها متورِّدًا.

ـ لن تتخلّى عن صداقتنا إذن.

ـ لا يوجد ما يجعلني أفعل ذلك أبدًا.

مدَّت يدها ولمست يده.

ـ لن أتخلّى عنها أنا أيضًا. وبإمكانك أن تصدِّق ما أقول، لأنَّه لا يوجد أحدٌ من الرجال الذين صاحبتهم قد أحبَّك أبدًا، ولم يكن ذلك يؤثِّر فيَّ على الإطلاق.

ضحك بعدها، كلاهما ضحك. عند منتصف الليل، ذهبت لغسل أسنانها وأغلقت النور في المطبخ. وعندما خرجت من الحمَّام، قالت: «هل ترى؟ لديَّ دافعٌ خفيٌّ كما هو واضح، لأنَّني أحضرت فرشاة أسناني معي».

تبعته إلى الغرفة، أغلق الباب خلفهما بينما يقول شيئًا غير مسموعٍ بالكامل. ضحكت، ومن خلال الباب، كان صوت ضحكتها ناعمًا ومنغومًا. بقيت حجرة المعيشة في الظلام هادئةً من جديدٍ وساكنة. صحنان فارغان متروكان في الحوض، ملعقتان، زجاجة مياهٍ فارغةٌ تحمل على حافَّة مكان الشرب طبعةً خافتةً من مرطِّب شفاه. تسلَّلت الأصوات

عبر الباب وكأنَّها غمغماتٌ غير واضحة، كلماتٌ مُبعَّجة، غير واضحة، وبحلول الواحدة صباحًا، كان الصمت قد حلَّ على المكان.

في الخامسة والنصف، بدأت السماء تكتسب لونًا أفتح عبر نافذة حُجرة المعيشة التي تواجه الشرق، من الأسود إلى الأزرق إلى الأبيض الرماديّ. يومٌ آخر. نعيق غرابٍ يقف على عمود كهرباء. صوت الحافلات في الشارع.

ـ16ـ

أليس، هل تذكرين حينما أرسلت لك إيميلًا، قبل عدَّة أسابيع أو شهور، أتحدَّث فيه عن انهيار العصر البرونزيِّ المتأخِّر؟ أكملت القراءة في هذا الموضوع بعد ذلك، ورغم أنَّنا لا نعرف إلَّا القليل عن هذه الفترة، فإنَّ تأويلات الباحثين أكثر تنوُّعًا ممَّا ظننته بعد قراءة صفحة ويكيبيديا. نعرف بالفعل أنَّه قبل هذا الانهيار، كانت اقتصادات القصور الغنيَّة والمتعلِّمة في منطقة شرق البحر المتوسط تتاجر في سلعٍ باهظة التكلفة، وعلى ما يبدو فقد كانت ترسل من هذه السلع هدايا إلى حكَّام الممالك الأخرى وتستقبل منهم مثلها. ونعرف أيضًا أنَّ هذه القصور بعد ذلك دُمِّرت وهُجِّرت، واندثرت اللغات المكتوبة، ولم تَعُد تلك السلع الفاخرة تُنتج بالكمِّيَّات نفسها، أو يُتاجر بها على امتداد المسافات نفسها. لكن كم كان عدد الأشخاص.. عدد سكَّان تلك «الحضارة» ممَّن عاشوا فعليًّا في تلك القصور؟ كم منهم ارتدى المجوهرات وشرب في أكوابٍ برونزيَّةٍ وأكل الرمَّان؟ أمام كلِّ شخصٍ واحدٍ من هذه الطبقة العليا كان

هناك الآلاف من الفلَّاحين الأُميّين والمعدمين الذين يعيشون على الكفاف. وبعد «انهيار الحضارة»، انتقل الكثير منهم إلى أماكن أخرى، وربَّما مات بعضهم، لكنَّ حياتهم بصورةٍ عامَّةٍ لم تتغيَّر كثيرًا. استمرُّوا في زراعة محاصيلهم الزراعيَّة. كان موسم الحصاد جيِّدًا في بعض الأحيان، وسيِّئًا في أحيانٍ أخرى. وفي ركنٍ آخر من القارَّة، كان هؤلاء الناس أسلافكِ وأسلافي، لا ساكني القصور، بل الفلَّاحين. وفي لحظةٍ قديمةٍ من التاريخ، انتهت تلك الشبكة الدوليَّة الغنيَّة والمعقَّدة للإنتاج والتوزيع، لكن ها نحن هنا، أنا وأنت، وها هي البشريَّة أمامنا. ماذا لو أنَّ معنى الحياة على الأرض ليس رحلة نموٍّ أبديَّةً لتحقيق هدفٍ ما غير مُحدَّد، تصميم وإنتاج تقنيَّاتٍ أقوى وأقوى، وتطوير أشكالٍ ثقافيَّةٍ أعقد وأكثر غموضًا مرَّةً تلو الأخرى؟ ماذا لو أنَّ هذه الأشياء ترتفع ثمَّ تنحسر بصورةٍ طبيعيَّة، مثل الأمواج، بينما معنى الحياة باقٍ لا يتغيَّر. أن نعيش فحسب وأن نكون مع أشخاصٍ آخرين. بالنسبة إلى ملاحظاتك عن علاقتك بفيلكس: اسمحي لي أن أقول، بصفتي صديقتك، إنَّه بالنظر إلى حديثك السَّابق عن العلاقات التي ليس لها شكلٌ محدَّد، والروابط العاطفيَّة التجريبيَّة، فلم يكن ما قلته مفاجأةً بالنسبة إليَّ على الإطلاق. سأوافق عليه بلا شروطٍ لو كان لطيفًا معك، ولو أنَّه لا يتعامل معك بلطفٍ فسيكون عدوِّي للأبد. هل يبدو لك ذلك منطقيًّا؟ لكنَّني متأكِّدةٌ من أنَّه سيكون لطيفًا.

لا أعرف لو حكيت لك هذا من قبل، لكنَّني قبل عدَّة سنواتٍ بدأت كتابة يوميَّاتي، أسميتها «كتاب الحياة». بدأت بفكرة كتابة مقطعٍ قصيرٍ كلَّ يوم، سطرٍ أو اثنيْن لا غير، أصف فيها شيئًا لطيفًا. وبكلمة «لطيف»، أظنُّ أنَّني كنت أقصد بالتَّأكيد شيئًا يجعلني سعيدةً أو يجلب

لي شعورًا بالمتعة. ويومًا ما، رجعت إلى هذه اليوميَّات، وكانت كلُّ المقاطع الأولى في شهر الخريف، تقريبًا قبل ستِّ سنواتٍ من الآن. أوراق الجمَّيز الجافَّة المقلوبة تتدفَّق وكأنَّها مخالب على طول الطريق الدائريِّ الجنوبيّ. طعم الزبدة الصناعيَّة في فشار السينما. لون السماء الأصفر الفاتح في المساء، الضباب يلفُّ شارع توماس. أشياء من هذا القبيل. لم أفوِّت يومًا على مدار كلٍّ من سبتمبر، وأكتوبر، ونوفمبر من ذلك العام. أمكنني دائمًا التَّفكير في شيءٍ لطيف، بل وأحيانًا كنتُ أفعل أشياء بغرض تدوينها بعد ذلك في هذا الكتاب، مثل الاستحمام أو الذهاب في نزهةٍ على الأقدام. وقتها شعرتُ أنَّني أمتصُّ الحياة وأستوعبها بداخلي، وفي نهاية اليوم، لم أكن أجد صعوبةً في التَّفكير في شيءٍ جميلٍ رأيته أو سمعته، كان ذلك يخطر على بالي، وتنساب الكلمات، لأنَّ هدفي الوحيد كان إمساك الصورة بصفاءٍ وبساطة، لكي أتذكَّر ما شعرتُ به حين أقرأ الكلام في وقتٍ لاحق. وعندما أقرأ هذه المقاطع الآن، أتذكَّر فعلًا ما شعرتُ به، أو على الأقلِّ ما رأيته وسمعته ولاحظته. فحينما أسير في العالم، حتَّى في يومٍ سيِّئ، فإنَّني أرى أشياء، أقصد الأشياء التي أجدها أمامي فحسب. وجوه الناس، حالة الجوّ، الزحام المروريّ، رائحة البنزين من الجراج، ما أشعر به وأنا تحت المطر، أشياء طبيعيَّةٌ تمامًا. وبهذه الطريقة، كانت الأيَّام، حتَّى السيِّئة منها، جيِّدة. وسبب ذلك هو أنَّني كنت أشعر بهذه الأيَّام وأتذكَّر شعوري هذا. كان هنالك شيءٌ رقيقٌ في العيش بهذه الطريقة، وكأنَّني آلةٌ موسيقيَّة.. لمسني العالم، فتردَّد الصدى بداخلي.

بعد عدَّة شهور، بدأت الأيَّام تفلتُ منِّي. أحيانًا كنت أذهب للنوم ناسيةً أن أكتب أيَّ شيء، وفي بعض الأحيان أيضًا، كنت أفتح الكتاب

من دون أن أجد ما أكتبه، لم أكن قادرةً على التَّفكير في أيِّ شيءٍ على الإطلاق. وحتَّى عندما كنت أكتب بعض المقاطع، كانت النتيجة تخرج مبهمةً وخطابيَّةً على نحوٍ متزايد: عناوين أغاني، أو اقتباساتٌ من الروايات، ورسائل من الأصدقاء. وبحلول الربيع لم أكن قادرةً على الاستمرار في تلك العادة. بدأت أبتعد عن الكتاب لمدَّة أسابيع في كلِّ مرَّة، كان مجرَّد نوتةٍ سوداء رخيصةٍ حصلت عليها من العمل، وفي النهاية، كنتُ أخرجها لأنظر إلى مقاطع كتبتها من عامٍ سابق. وعند هذه النقطة، وجدت أنَّني عاجزةٌ عن تخيُّل أنَّني سأشعر في يومٍ ما بما يبدو أنِّي شعرتُ به تجاه المطر والأزهار. لم يكن الأمر أنَّ هذه التجارب الحسِّيَّة أصبحت غير قادرةٍ على إبهاجي. بل بدا أنَّني لم أعُد أمرُّ بها بعد الآن. كنتُ أذهب إلى العمل أو لشراء البقالة أو أيِّ شيءٍ آخر، وعندما كنت أعود إلى المنزل، لم أكن أتذكَّر أنَّني رأيتُ أو سمعتُ أيَّ شيءٍ مميَّزٍ على الإطلاق. أظنُّ أنَّني كنت أنظر لكن من دون أن أرى، كنتُ أستقبل العالم بصورةٍ بصريَّةٍ على أنَّه شيءٌ مسطَّح، دليل معلوماتٍ بشكلٍ ما. لم أعُد أرى الأشياء بالطريقة نفسها التي كنتُ أراها بها في السابق.

قراءة هذا الكتاب مرَّةً أخرى الآن تجلب لي شعورًا غريبًا للغاية. هل كنتُ هذا الشخص في وقتٍ ما؟ شخصٌ قادرٌ على أن يتمعَّن بكلِّ عمقٍ في أكثر الانطباعات تطايرًا، وأن يوسِّع مداها بشكلٍ ما، ويسكن فيها، ويجد الجمال والثراء. على ما يبدو كنت هذا الشخص، «لعدَّة ساعات، لكنَّني لست ذلك الشخص»[1]. أتساءل إذا ما كان الكتاب نفسه، وعمليَّة الكتابة نفسها، هي السَّبب في أنَّني عشت بهذه الطريقة،

(1) جملة من قصيدةٍ للشاعر الأميركيّ فرانك أوهارا.

أو في أنَّني كتبت تلك الأشياء لأنَّني رغبت في تسجيل هذه التجربة وقت حدوثها. حاولت أنَّ أتذكَّر حياتي وقتها، لعلَّ ذلك يساعدني في الفهم. أعرف أنَّني وقتها كنت في الثالثة والعشرين، وقد بدأت العمل في المجلَّة للتوّ، وأنا وأنت نعيش معًا في هذه الشقَّة الشنيعة في حيِّ ذا ليبرتيز، وكيت لا تزال في دبلن، وتوم وإيفه. حضرنا الحفلات معًا، استضفنا الناس على العشاء، شربنا الكثير من النبيذ، وانخرطنا في جدالاتٍ عنيفة. أحيانًا يتَّصل بي سايمون من باريس، فنشتكي لبعضنا من العمل ونحن نضحك، وأسمع صوت ناتالي في الخلفيَّة، تضع الأطباق في المطبخ. كافَّة مشاعري وخبراتي كانت، بمعنى من المعاني، شديدة الحدَّة، وبمعنى آخر، غير ذات قيمةٍ على الإطلاق، لأنَّ أيَّ قرارٍ من قراراتي لم تكن له أيُّ تبعات، ولم يبد لي أنَّ هنالك شيئًا في حياتي، وظيفتي، شقَّتي، رغباتي، علاقاتي الغراميَّة، سيدوم. شعرت أنَّ كلَّ الأشياء مُمكنة، وأنَّه لا يوجد أيُّ بابٍ يُغلق من خلفي، وفي مكانٍ ما هناك، لا أعرف بعد ما هو، هناك أشخاصٌ سيحبُّونني ويحترمونني ويرغبون في سعادتي. ربَّما يفسِّر ذلك بعضًا من الطريقة المنفتحة التي شعرت بها ناحية العالم، ربَّما من دون أن أعرف ذلك، كنتُ أتوقَّع مستقبلي، كنت في انتظار العلامات.

قبل عدَّة ليالٍ، كنتُ أستقلُّ تاكسي إلى البيت وحدي بعد حفل إطلاق كتاب. الشوارع هادئةٌ ومظلمة، والهواء دافئٌ وراكدٌ على نحوٍ غريب، وعلى الأرصفة كانت المباني الإداريَّة مُضاءة الأنوار بالداخل، وفارغة، وتحت كلِّ شيء، تحت سطح كلِّ شيء، بدأت أشعر بكلِّ شيءٍ من جديد، القُرب، إمكانية تحقُّق الجمال، مثل ضوءٍ يُتشعَّب بلطفٍ خلف العالم المرئيّ، ليُنير كلَّ شيء. بمجرَّد أن لاحظتُ ما أشعر به،

حاولت أن أتحرَّك بأفكاري ناحيته، لأصل إليه وأتفاعل معه، لكنَّه هدأ قليلًا، أو تقلَّص بعيدًا عنِّي، أو تسرَّب مبتعدًا عنِّي. أضواء المكاتب الفارغة ذكَّرتني بشيءٍ ما، وكنت أفكِّر فيك، محاولةً أن أتخيَّل منزلك، أظنُّ ذلك، وتذكَّرت أنَّك بعثت لي إيميلًا، وفي الوقت نفسه، فكَّرت في سايمون، وما يمثِّله هذا الشخص من لغزٍ، وبشكلٍ ما، بينما كنتُ أنظر من شبَّاك التاكسي، بدأت أفكِّر في وجوده الماديِّ في المدينة، أنَّه بشكلٍ ما، في أحد الأماكن بالمدينة، واقفًا أو جالسًا، عاقدًا ذراعيْه بطريقةٍ أو أخرى، مرتديًا ملابسه أو عاريًا، فهو موجود، ودبلن تخفيه وراء واحدةٍ من ملايين نوافذها، وأنَّ جودة الهواء ودرجة الحرارة كانا أمريْن راسخيْن، مع حضوره، مع إيميلك، ومع هذه الرسالة التي كنت أكتبها لك في رأسي. بدا العالم قادرًا على استيعاب هذه الأشياء، وعيناي ودماغي قادريْن على استقبال هذه الأشياء كلِّها وفهمها. كنتُ متعبة، والوقت متأخِّر، جالسةً نصف نائمة في الكنبة الخلفيَّة للتاكسي، أفكِّر على نحوٍ غريب، في أنَّني حيثما ذهبت ستذهبين معي، وهو كذلك، وطالما أنَّكما تعيشان في هذا العالم، فسيكون جميلًا بالنِّسبة إليّ.

لم أكن أعرف أنَّك كنت تقرئين الإنجيل في المستشفى. ما الذي جعلك ترغبين في فعل ذلك؟ وهل كانت مفيدةً؟ أظنُّ أنَّ ما قلته عن غفران الخطايا أمرٌ مثيرٌ للتأمُّل جدًّا. سألت سايمون قبل عدَّة ليالٍ عمَّا إذا كان يصلِّي للربّ، وأجابني أن نعم، «لأشكره». وفكَّرت أنَّني لو كنتُ مؤمنةً بالإله، فلم أكن لأرغب في السجود أمامه وطلب المغرفة. بل كنت لأرغب في شكره كلَّ يومٍ، على كلِّ شيء.



-17-

في أمسية الجمعة الثانية من شهر مايو، وقف فيلكس في طابور الأمن لثماني دقائق قبل أن يغادر العمل. انطلق جرس الإنذار من آلة الفحص عندما مرَّ بها الشخص الذي أمامه، وأخذوه إلى حُجرةٍ جانبيَّةٍ للتفتيش. على الباب ورقةٌ مكتوبٌ عليها: للمشرفين فقط، يرجى إبراز الهويَّة للدخول. توقَّف الطابور في الداخل، ومن داخل الحُجرة، خرجت أصواتٌ عالية. تبادل فيلكس نظرةً سريعةً مع الشخص الواقف أمامه، لكنَّ أيًّا منهما لم يقل شيئًا. وعندما عبر من جهاز الفحص ودخل سيَّارته، كانت الساعة قد تجاوزت السابعة بثلاث عشرة دقيقة. السماء بيضاء ممتلئةٌ بالغيوم فوقه، بينما تخترق أشعَّة الشمس السحب المنخفضة في أكثر من مكان. شغَّل مُشغِّل الأقراص، وأخرج السيَّارة من الموقف، وغادر المنطقة الصناعيَّة.

بعد عدَّة دقائق على الطريق، توغَّل في منطقةٍ أرضيَّتها من الحصى المستوي تُطلُّ على البحر. على المدخل نقطة استقبال زوَّار،

مصنوعةً من الخشب، وجدها مغلقة، ولم تكن هناك سيَّاراتٌ أخرى في الجوار. وعند أحد الجانبيْن، وجد لوحة إعلاناتٍ صفراء كبيرة الحجم، تعرض معلوماتٍ ذات أهمِّيَّةٍ جغرافيَّةٍ وتاريخيَّة. أوقف فيلكس سيَّارته عند الحافَّة الخارجيَّة من قطعة الأرض، بينما امتدَّ المحيط الأطلسيُّ أمامه هائجًا بلونٍ رماديٍّ عبر زجاج السيَّارة الأماميّ. فكَّ حزام الأمان، ثمَّ خفض سوستة سترته السوداء المنفوخة التي كان يرتديها، فكشفت عن سترةٍ حال لونها الأخضر، مُطرَّزٌ عليها شعارٌ أبيض صغير. أخرج هاتفه من جيبه، وفتحه، وبعدها فتح درج السيَّارة الأماميّ، وبدأ في لفِّ «جوينت». أصدر الهاتف أصوات اهتزازٍ متنوِّعة، متلقِّيًا الرسائل التي استقبلها أثناء وجوده في العمل، ونقَّل نظره بين شاشة الهاتف على حجره، وبين ورقة اللفِّ التي وضعها على عجلة القيادة. عندما انتهى ممَّا يفعل، وضع «الجوينت» في فمه دون أن يشعله، وتصفَّح الرسائل والإشعارات على شاشته: تنبيهاتٌ مختلفةٌ من تطبيقات وسائل تواصل اجتماعيّ، ورسالةٌ مباشرةٌ واحدة، جاءت من أخيه داميان.

ـ داميان: «متى ستغادر اليوم؟ يمكنك القدوم مباشرةً إلى هنا، ويمكنني أن أجلب كلَّ شيءٍ إليك لو كان ذلك يناسبك أكثر. أخبرني عندما تعرف».

أمال فيلكس مقعد السائق إلى الخلف، ونظر إلى سقف سيَّارته المُزغَّب الرماديّ، ثمَّ أشعل ولَّاعته. للحظةٍ أغلق عينيْه، واستنشق الدخان، ثمَّ رفع هاتفه وفتح الرسالة. آخر واحدة كان فيلكس قد أرسلها بالأمس، تقول: «سأذهب إلى العمل في مساء الغد، سأتَّصل بك». قبلها عدَّة إشعاراتٍ عن مكالماتٍ من داميان لم يُجب عليها. قبل ذلك بعشرة أيَّام، رسالةٌ من فيلكس تقول: «هاي آسف. لا. أنا مسافر». نظر في

سلسلة الرسائل من دون تعبيرٍ ثمَّ أغلقها. لفترةٍ، أخذ سحباتٍ طويلةً من «الجوينت» ثمَّ أخرج النفس ببطء. تصفَّح إشعاراته الأخرى، متجاهلًا إيَّاها أو قارئًا لها، بينما يستمرُّ في النظر. تلقَّى رسالةً جديدةً من تطبيق مواعدة، فتحها على الشاشة.

ـ باتريك: «هل أنت موجودٌ الليلة؟».

ضغط فيلكس على اسم باتريك، وتصفَّح الصور. في واحدةٍ منها، مجموعةٌ من الرجال تقف في حفلٍ ما، وأذرعهم على أكتاف بعضهم. في أخرى، رجلٌ ملتحٍ راكعٌ بجوار مُسطَّحٍ مائيّ، مُمسكًا سمكةً هائلة، يبدو جسمها مرقَّشًا برَّاقًا تحت ضوء الشمس. عاد فيلكس إلى الرسالة وكتب في خانة الردّ: «**ربَّما، ما الأخبار؟**». ومن دون أن يضغط على إرسال، عاد إلى الرسالة التي تلقَّاها من أخيه. أغلق هاتفه بعدها، واستمرَّ في التدخين والاستماع إلى الموسيقى. من وقتٍ لآخر، يهمهم أو يغني مع ما يسمع، شارد الذهن، صوته خفيفٌ وسعيد. وفي الخارج، بدأ المطر يهطل على النافذة الأماميَّة. عند الساعة الثامنة إلَّا خمس دقائق، ألقى عقب السيجارة من النافذة، وأخرج السيَّارة من مكانها. عيناه دامعتان بعض الشيء. عندما اقترب من البلدة، ضغط على المؤشِّر، والتقط هاتفه من اللَّوحة الأماميَّة، ونظر فيه مرَّةً أخرى. لم تكن هناك رسائل جديدة. ومن دون سببٍ ظاهر، أغلق نور المؤشِّر، واستمرَّ في القيادة من دون انحناءات. أطلقت السيَّارة خلفه بوقها، وتمتم فيلكس بهدوء: «نعم، حسنًا، حِلّ عنِّي». أبقى يدًا واحدةً على عجلة القيادة، واستخدم الأخرى في إجراء مكالمةٍ هاتفيَّة.

بعد رنَّتيْن، أجاب صوتٌ: «مساء الخير؟».

سأل فيلكس: «في البيت؟».

ـ في بيتي؟ نعم.

ـ مشغولة؟

ـ لا، على الإطلاق، لماذا؟

ـ خرجت من العمل للتوّ. ففكَّرت أن أمرَّ عليك لو كنت موجودة. ما رأيك؟

ـ حسنًا، في الواقع أنا موجودة. أنا هنا تمامًا.

ـ سأصل خلال دقيقة.

أغلق الهاتف، ورمى الهاتف على المقعد الجانبيّ من دون صوت. بعد عدَّة دقائق على الطريق، ظهر منزلٌ أبيض كبيرٌ على اليسار، شغَّل فيلكس المؤشّر مرَّةً أخرى.

عندما ضغط على الجرس، كان المطر لا يزال مستمرًّا. فتحت أليس الباب وهي ترتدي سترةً صوفيَّةً على تنُّورةٍ غامقة. قدماها عاريتان. عقدت ذراعيْها أمام صدرها، ثمَّ فكَّتهما. وقف فيلكس ينظر إليها، بينما يضع يدًا في جيبه، ويغلق إحدى عينيْه وكأنَّما يعاني من مشكلةٍ في التَّركيز.

ـ أهلًا، هل أعطِّلك عن شيءٍ ما؟

ـ نهائيًّا. هل ترغب في الدخول؟

ـ بالنظر إلى أنَّني قد وصلت بالفعل، فلا بأس طبعًا.

تبعها إلى الداخل، مُغلقًا الباب. اتَّجهت إلى حُجرة المعيشة، مساحةٌ كبيرة، مدهونةٌ باللَّون الأحمر، ونارٌ في المدفأة. هناك كنبةٌ أمام المدفأة. عليها مساند ووساداتٌ من ألوانٍ مختلفة. على طاولة القهوة

كتابٌ مفتوح، صفحاته على الجانبيْن، بجواره كوبٌ ساخنٌ من الشاي. وقف فيلكس عند المدخل، بينما دخلت أليس.

ـ المكان يبدو مريحًا للغاية.

مالت لتجلس على الكنبة، عاقدةً ذراعيْها من جديد.

ـ ماذا كنت تفعلين؟ تقرئين؟

ـ نعم.

ـ أتمنّى ألّا أكون قد أزعجتك.

ـ قلتَ ذلك بالفعل. وأخبرتك أنَّك لم تفعل.

للحظةٍ لم يقل أيُّهما أيَّ شيءٍ زيادة. نظر فيلكس إلى الأسفل محدِّقًا في السجّادة البيج، أو في حذائه.

ـ لم نتحدَّث منذ فترة.

لم يبدُ عليه الاندهاش بما تقول، واستمرَّ في النظر إلى السجّادة.

ـ نعم.

لم تقل شيئًا. وبعد قليل، اختلس نظرةً سريعةً إليها.

ـ هل أنت متضايقة؟

ـ لا لست متضايقة، لا. شعرت بالاستغراب. بصراحة، لكنَّني فكَّرت أنَّك لم تَعُد راغبًا في رؤيتي. خفت من أن أكون قد فعلت شيئًا ضايقك.

عبس وجهه.

ـ آه، لا. لم تفعلي أيَّ شيء. الفكرة. كلامك صح. كنت مدركًا لمرور الأيّام نوعًا ما.

أومأت برأسها، من دون تعبيرٍ على وجهها.

ـ هل تريدين أن أغادر؟

حرَّكت فمها غير متأكِّدةٍ لبعض الوقت، ثمَّ قالت: «لست واثقةً ممَّا يحدث بالضبط. لكن ربَّما هذا خطئي أنا».

بدا أنَّه يفكِّر فيما تقول، أو على الأقلِّ يحاول التظاهر بأنَّه يفعل.

ـ حسنًا، لن أقول إنَّه خطؤك أنت وحدك. أعرف ماذا تقصدين بهذا. أظنُّ أنَّ الخطأ مشترك. أنا فعلًا لا أرغب في أيِّ التزامٍ حقيقيٍّ في هذه الفترة من حياتي، بصراحة.

ـ فهمت.

ـ آه.

ـ وبعد موضوع الرحلة إلى إيطاليا، فكَّرت، لو تفهمين قصدي، في أنَّه ربَّما من الأفضل أن نتريَّث قليلًا في الأمر بعدها.

ـ صحيح.

هزَّ كعبيْه قليلًا.

ـ حسنًا إذن، سأغادر، تمام؟

ـ كما تحبّ.

لم يتحرَّك لعدَّة دقائق، وبقي في مكانه ينظر إلى الغرفة بغموض.

ـ الأمر لا يهمُّك على أيِّ حال، صح؟

ـ عفوًا؟

أخذ نفسًا عميقًا من أنفه، وكرَّر مرَّةً أخرى: «الأمر لا يهمُّك على أيِّ حال، صح؟».

ـ ما الذي يهمُّني؟

ـ أقصد، أن أغادر أو أبقى. لو أنَّني اتَّصلت أو لا. لا يهمُّك أيٌّ من الأمريْن.

ـ أظنُّ من الواضح أنَّني من يهتمُّ هنا. أنت من يقول إنَّك لا تهتمّ.

ـ لكنَّك لا تتصرَّفين وكأنَّك مهتمَّة.

أجابت، وابتسامةٌ مستغربةٌ تظهر على وجهها: «ما الذي تريدني أن أفعل، أن أقع على ركبتي، وأترجَّاك ألَّا ترحل؟».

ضحك. قال: «سؤالٌ جيِّد، لا أعرف. ربَّما أريد ذلك فعلًا».

ـ حسنًا. لن تحصل على ذلك أبدًا.

ـ على ما يبدو.

نظرا إلى بعضهما. وعبست في وجهه، فضحك هو مرَّةً أخرى، هزَّ رأسه ثمَّ أدار وجهه بعيدًا.

ـ لا أصدِّق! أنا عاجزٌ عن الفهم، لماذا أشعر دائمًا وكأنَّك رئيستي، وعليَّ أن أنفِّذ ما تقولينه لي.

ـ ليس عندي أيُّ فكرةٍ لماذا تشعر بهذه الطريقة. ولا أظنُّ أنَّني سبق لي وأخبرتُك بما يجب عليك أن تفعل.

استمرَّت في توجيه نظرها إليها، لكنَّه لم يبادلها النظر، محدِّقًا في خشب الأرضيَّة.

في النهاية، قالت: «بما أنَّك هنا، هل ترغب في شيءٍ تشربه؟».

نقَّل بصره في أرجاء الغرفة، ثمَّ هزَّ كتفيْه بصورةٍ ما.

ـ حسنًا، نعم، لم لا؟

ـ لديَّ زجاجة نبيذٍ هنا، هل أجلب كوبيْن؟

عقد حاجبيْه، وقال بعدها: «حسنًا، نعم». تنحنح وأضاف: «شكرًا».

ذهبت إلى المطبخ وخلع هو سترته ثمَّ علَّقها على ظهر أحد الكراسي، وجلس على الكنبة. أخرج هاتفه من جيبه ونظر إلى الشاشة التي أظهرت مكالمةً فائتةً من داميان. فتح الإشعار ثمَّ سحب بإصبعه على الشاشة، وبدأ في كتابة رسالة.

ـ فيلكس: «هاي، آسف، لست في المنزل الليلة، سأحاول الاتِّصال غدًا».

خلال بضع ثوانٍ، جاء الردّ.

ـ داميان: «مرَّت ثلاثة أسابيع تقريبًا. أين أنت؟».

تجعَّدت ملامح وجه فيلكس، ثمَّ عبس وبدأ في كتابة ردِّه، ألغى عدَّة كلماتٍ ثمَّ أعاد كتابتها، أثناء ذلك.

ـ فيلكس: «كنت مسافرًا في الأسبوع قبل الماضي، وهذا الأسبوع في العمل كما قلت. إجازتي غدًا، سأتَّصل بك عندها».

أرسل الردّ، وأغلق الهاتف، وجلس وهو ينظر إلى النار. عادت أليس إلى الحُجرة، وهي تحمل كأسيْن فارغيْن وزجاجة نبيذ. نظر إليها وهي تفتح الزجاجة وتملأ الكأسيْن.

ـ هل سنبدأ واحدةً من محادثاتنا العميقة عن الحياة الآن؟

ناولته الكأس، وجلست على الناحية الأخرى من الكنبة.

ـ همم. ما زلت أفكِّر في الأمر. لستُ متأكِّدةً من أنَّني مستعدَّةٌ لخوض محادثةٍ عميقة.

أومأ برأسه، وخفض بصره لينظر إلى مشروبه.

ـ هذا معقول. ما الذي تريدين فعله، مشاهدة فيلم مثلًا؟

ـ يمكننا ذلك لو أردت.

اقترحت أن ينظر في حسابها على نتفليكس، وبعد أن كتبت كلمة السرّ، ناولته اللابتوب. فتح المتصفّح بينما تشرب هي من الكأس، وتنظر إلى النار. باستخدام إصبعيْن، تنقَّل بلا هدى في مجموعةٍ من الصور المُصغَّرة، بينما ينظر إليها من وقتٍ لآخر، وكأنَّه مشتَّتٌ. في النهاية، قال: «تفضّلي، لا أعرف أيَّ نوعٍ من الأفلام تفضّلين، اختاري أنتِ. طالما أنَّه ليس مترجمًا، سأشاهده». ناولها اللابتوب من دون أن تُعلّق. أغمض عينيْه وترك مؤخّرة رأسه تلمس الجزء العلويّ من الكنبة.

ـ يا اللَّـه، أنا متعب. لو أنَّني شربت هذا الآن ربَّما لن أستطيع القيادة.

استمرّت هي في التصفُّح، وقالت: «يمكنك المبيت هنا إذا أردت».

لم يقل شيئًا. عرضت الشاشة قائمةً من التصنيفات مثل: «أفلامٌ عاطفيَّةٌ حظيت بإطراء النقَّاد»، «أفلام إثارةٍ عنيفة»، «مسلسلاتٌ مقتبسةٌ من كتب». قرقع غصنٌ جافٌّ في المدفأة، وأرسل حفنةً من الشرر، مُصدرًا صوت هسيس. نظرت أليس إلى فيلكس، الذي كان جالسًا بثباتٍ وعيناه مغمضتان. نظرت إليه لعدَّة ثوان، ثمَّ أغلقت اللابتوب. لم تصدر عنه أيُّ حركة. ولبعض الوقت، بقيت متربّعةً في جلستها على الكنبة، بينما تنظر إلى حركة اللهب في المدفأة، وتنهي كأس النبيذ، ثمَّ غادرت الغرفة، وأغلقت أنوار السقف.

أمضى فيلكس ساعتيْن ونصف، جالسًا في الوضعيَّة نفسها. ثمَّ استيقظ. كانت الغرفة مظلمةً باستثناء بقايا النار. بالإمكان سماع صوت جريان ماءٍ من مكانٍ ما داخل المنزل. اعتدل فيلكس في جلسته، مسح فمه، وأخرج هاتفه من جيبه. توشك الساعة على الحادية عشرة من الليل، ولم يكن قد تلقَّى إلَّا رسالةً واحدةً جديدة.

ـ داميان: «هل من الصعب عليك لهذه الدرجة أن تتَّصل بي من المكان الذي أنت فيه؟».

بدأ فيلكس في كتابة ردّ، كتب: «كيف هي الـ...»، ثمَّ مسح كلمة «كيف» وكتب: «هل أنت...»، ثمَّ توقَّف. ولبعض الوقت، جلس مُحدِّقًا في الأغصان اليابسة التي تحترق ببطءٍ في المدفأة، والتي ألقت بوهجٍ غامقٍ على وجهه وملابسه. في النهاية، نهض من على الكنبة وغادر الغرفة. الممرُّ في الخارج مضيء، وقف عند الدرج وحاجباه معقوديْن، وكأنَّه يسمح لعينيْه بالاعتياد على الإضاءة. سمع ضحكة أليس من المطبخ وهي تقول بصوتٍ عالٍ: «لا، لن أسمح لأمرٍ بسيطٍ كذلك بمضايقتي». سار في الممرّ، وتوقَّف عند الباب المفتوح. بالداخل وقفت أليس تنظر إلى الثلَّاجة، ورأى ظهرها. شكَّل ضوء الثلَّاجة إطارًا مستطيلًا أبيض اللَّون حول جسمها. تضع الهاتف على أذنها بإحدى اليديْن، أمَّا الأخرى فتسند بها باب الثلَّاجة لتُبقيه مفتوحًا. ربَّما تقليدًا لوضعيَّة جسمها من دون تركيز، وضع فيلكس يده اليمنى على دعامة باب المطبخ، وبقي ينظر إليها من دون أن يقول شيئًا. استمرَّت في الضحك. قالت: «هل يمكنك أن ترسل صورًا؟». تركت باب الثلَّاجة، فتحرَّك حتَّى انغلق، وسارت هي إلى الحوض. عكست نافذة المطبخ السوداء أمامها الجزء الداخليَّ المُضاء من المطبخ. ألقت نظرةً على

الانعكاس، ورأت فيلكس واقفًا وراءها. من دون أن تُبدي أيَّ اندهاش، قالت في الهاتف: «أنا مضطرَّةٌ لإغلاق المكالمة الآن، فقد حضر شخصٌ ما للتوّ، لكنَّني سأراك الأسبوع القادم أليس كذلك؟». وقف فيلكس في مكانه، ولم يَعُد ينظر إليها، بل نقل نظره إلى الأرضيَّة. قالت أليس في الهاتف: «أحبُّ أن أثير فضولك بصراحة. سأتَّصل بك قريبًا، إلى اللقاء».

وضعت الهاتف على سطح المنضدة ثمَّ استدارت لتواجه فيلكس. من دون أن ينظر إليها، تنحنح ثمَّ قال: «أنا آسف. ساعات عملي كانت عشوائيَّةً في الفترة الأخيرة، ومن الواضح أنَّني متعبٌ أكثر ممَّا كنتُ أظنّ». أخبرته ألَّا يشغل باله. حرَّك فكَّه قليلًا وهو يومئ برأسه. نظرت إليه لفترةٍ أطول، وبعدها، استدارت، وهي تلفُّ رغيف خبز، بينما استمرَّ هو في توجيه نظره بعيدًا عنها.

ـ هل كان يوم عملٍ طويل؟

وكأنَّما يُجاهد ليبدو غيرَ مبالٍ، أجاب: «كلُّ أيَّام العمل طويلةٌ في هذا المكان».

ولأنَّها الآن كانت قد أدارت له ظهرها، فقد بدأ ينظر إليها من جديد. أفرغت بعض فُتات الخبز من طبقٍ أبيض صغيرٍ في سلَّة مهملاتٍ بعد أن ضغطت بقدمها على الدوَّاسة.

ـ مع من كنت تتحدَّثين على الهاتف؟

ـ آه. مكالمةٌ عاديَّة.

ـ مع صديقتك إيلين؟

ـ لا، في الواقع من الغريب أنَّني أنا وإيلين لا نتحدَّث على الهاتف أبدًا. لا. صديقٌ لي اسمه دانيال، لا أظنُّ أنَّني تحدَّثت عنه قبلًا. يعيش في لندن، ويعمل كاتبًا.

استمرَّ فيلكس في الإيماء برأسه. سألها: «يبدو أنَّك تملكين كثيرًا من الأصدقاء الذين يعملون كُتَّابًا».

ـ يعني..

تلكَّأ قليلًا وهو واقفٌ عند المدخل، فرك جفنه الأيسر بقوَّةٍ مستخدمًا أطراف أصابعه. أخذت أليس قطعة قماشٍ من الحوض ومسحت سطح طاولة المطبخ.

ـ أنا آسف لأنَّني لم أراسلك خلال الأسبوع الماضي.

ـ لا بأس. لا تشغل بالك.

ـ أمضيتُ وقتًا ممتعًا معك في إيطاليا فعلًا، وأشعر بالسُّوء لأنَّك ظننت العكس.

ـ لا بأس. حظيتُ بوقتٍ ممتعٍ أنا أيضًا.

بلع ريقه ووضع يده من جديدٍ في جيبه.

ـ هل يمكنني المبيت هنا الليلة؟ بصراحةٍ لا أظنُّني قادرًا على قيادة السيَّارة. يمكنني النوم على الكنبة لو أردت.

أعادت قطعة القماش إلى الحوض، وقالت إنَّها ستجهِّز أحد السريرَيْن له. طأطأ بصره. تحرَّكت لتقف أمامه، وبنبرةِ صوتٍ لطيفةٍ، قالت: «فيلكس، هل أنت على ما يرام؟».

ابتسم نصف ابتسامة.

ـ نعم. أنا بخير. متعبٌ فحسب.

نظر إلى عينيْها أخيرًا، وقال: «ألا تريدين أن ننام في المكان نفسه؟ لا بأس لو كان الموضوع لا يهمُّك بعد الآن. أعرف أنَّني كنت سخيفًا بخصوص الأمر».

بادلته النظر، وعيناها تتحرَّك في أنحاء وجهه.

ـ شعرت بأنَّني مغفلةٌ فعلًا حين اختفيت. هل تفهم سبب شعوري هذا أم أنَّك تظنُّني مجنونة؟

أمكن رؤية أنَّه يشعر بعدم الارتياح الآن، قال إنَّه لا يظنُّ أنَّها تتصرَّف بطريقةٍ مجنونة، وإنَّه كان ينوي الردَّ على رسالتها، لكنَّ الوقت مرّ، وبدأ يشعر بالارتباك تجاه الأمر. وقف يمسّد كتفه بيده.

ـ حسنًا، سأغادر. يمكنني القيادة، أنا تمام. لم أشرب كأس النبيذ على أيِّ حال. آسف لو أنَّني قاطعت مكالمتك تلك، يمكنك الاتِّصال بصديقك هذا لو أردت.

ـ أفضّل أن تبقى، معي، لو كان هذا ما تريده، لا مانع عندي.

ـ لا مانع عندك أم أنَّك تريدينني أن أبقى؟

ـ أريدك أن تبقى. ولكن لو اختفيت بعد ذلك مرَّةً أخرى، فربَّما أبدأ في الشكِّ بأنَّك تكرهني في الحقيقة.

بدا عليه الارتياح، وأفلت كتفه من قبضة يده.

ـ لا، سأتصرَّف بطريقةٍ ألطف. ستتلقّين رسالةً لطيفةً طبيعيَّةً في الغد تقول إنَّني استمتعت بوقتي.

بابتسامةٍ معابثةٍ أجابت: «ها! هل هذا تعريفُ للشيء الطبيعيّ؟».

ـ حسنًا، العلاقة السَّابقة.. لم أكن أرسل لها تلك الرسالة أبدًا. أظنُّ أنَّها كانت تتضايق منِّي بسبب ذلك، لست متأكِّدًا.

ـ ربَّما عليك تجربة أن تظهر من العدم أمام منزلها، ثمَّ تغرق في النوم على كنبتها لمدَّة ساعتيْن.

وضع يده على صدره وكأنَّه مجروحُ.

ـ أليس، لا تعذِّبيني. أشعر بالحرج من ذلك. تعالي هنا.

ذهبت إليه وقبَّلته، حرَّك يده على جسمها وتنهَّدت بنعومة. بدأ هاتفه في الاهتزاز داخل جيبه، الطنين الذي يأتي مع اتِّصالٍ وارد.

ـ هل ترغب في الردّ؟

ـ لا. لا بأس، سأرفض الاتِّصال.

أخرج هاتفه من جيبه، وداس على زرٍّ ليرفض مكالمةً من رقم داميان، واستمرَّ: «هل تعرفين ما الذي أرغب في فعله حقًّا؟ أريد أن أصعد إلى الأعلى، وأن أستلقي على سريرك ثمَّ تخبرينني بكلِّ ما فعلته خلال الأسبوع الماضي».

قالت أليس إنَّ ذلك يبدو لها بريئًا للغاية.

ـ حسنًا، يمكنني أن أنزع عنك ملابسك بينما تتحدَّثين، ما رأيك في هذا؟

احمرَّ وجهها، ولمست شفتها، وقالت: «لو كنت تريد ذلك».

نظر إليها بنوعٍ من الاستمتاع الخبيث. سألها: «هل أجعل وجهك يتورَّد حينما أقول ذلك؟ لا يضايقني هذا، لكنَّكِ أنتِ من يعمل في كتابة الروايات الفاحشة».

قالت إنَّ كتبها ليست فاحشة، فأخبرها أنَّه قرأ على الإنترنت أنَّها كذلك.

ـ وأعرف أنَّك لا تشعرين بالحرج من الحديث عن الجنس علنًا، لأنَّني رأيت ذلك. على المسرح حينما كنَّا في روما، كنت تتحدَّثين عن ذلك.

ردَّت أليس بأنَّ ذلك يختلف تمامًا، لأنَّ الأمر لم يكن شخصيًّا، بل شيئًا مُجرَّدًا. تمعَّنَ فيها لفترة. هل يمكنني أن أسألك إذا كنت ستذهبين إلى لندن هذا الأسبوع، أو إذا كان صديقك سيأتي إلى هنا؟ لا أريد أن أتدخَّل فيما لا يعنيني، لكنَّني سمعتك وأنت تقولين له إنَّك سترينه الأسبوع القادم.

ابتسمت، قالت إنَّه يتعيَّن عليها الذهاب إلى لندن للعمل.

ـ يا لك من ثريَّةٍ لا تهدأ في مكان. وإن كان لا يوجد في لندن ما أحسدك عليه بصراحة. عشت هناك فترة.

بدأ هاتفه في الاهتزاز مرَّةً أخرى، فتنهَّد مُخرجًا إيَّاه من جيبه.

ـ لن أسألك عمَّن يتَّصل.

ضغط فيلكس على الزرِّ وأجاب من دون تركيز: «آه، أخي فحسب. لا أغافلك ثمَّ أذهب للنوم على كنبات أشخاصٍ آخرين، لا تقلقي».

ضحكت، وبدا أنَّ ذلك أسعده. أعاد هاتفه إلى جيبه، وقال: «هل يمكننا الصعود إلى الأعلى؟ أخشى أنَّنا لو بقينا هنا أكثر من ذلك فلن أكون ذا فائدةٍ لك، أنا متعبٌ تمامًا».

صعدا إلى حُجرة نوم أليس، وجلسا على السرير. أخذت يده وقبَّلتها، قبلةً تلو الأخرى، بدايةً من المفاصل وحتَّى أطراف الأصابع، ثمَّ

وضعت طرف إصبعه السبَّابة في فمها. لم يقل شيئًا في البداية، وبعد عدَّة ثوانٍ، قال: «آه، اللعنة». ودفع بإصبعه الأوسط إلى فمها، فحرَّكت هي لسانها على طول جانبه السفلى. سألها: «أليس، هل.. هل تحبِّين إعطاء الجنس الفمويّ؟ لا بأس لو لم تكوني ترغبين». أخرجت أصابعه من فهمها وأجابت: «نعم».

- هل يمكننا فعل ذلك الآن؟ ما رأيك؟

كان فمها مفتوحًا ويبدو مسترخيًا، اتَّجهت إلى حزام خصر سرواله الرياضيّ. استلقى على ظهره واستقرَّت رأسه على الوسادة، بينما تحرَّكت هي إلى الأسفل. كان ينظر إليها. خصلةٌ من شعرها الخفيف تسقط إلى الأمام، مخفيَةً جزءًا من وجهها. شفتاها رطبتان، وعيناها نصف مغمَّضتيْن. سألته لو كان هذا جيِّدًا. فأجاب: «نعم، جميل. تعالي هنا لحظة». صعدت بجانبه، ووضع يده داخل تنُّورتها. أغلقت عينيْها، واستندت على ظهر السرير خلفه.

- هل تريدين أن تعتليني؟

أومأت برأسها. سألته: «أترك ملابسي أم أخلعها؟».

ضمَّ حاجبيْه وكأنَّه يفكِّر: «عارية. لكنَّني لن أخلع ملابسي لو كان الأمر لا يهمُّك».

خلعت سترتها، وابتسمت، ثمَّ قالت: «هل هذه لعبة سيطرةٍ من نوعٍ ما؟».

وضع يده خلف رأسه، بينما ينظر إليها وهي تفكُّ أزرار القميص، وقال: «لا، أنا كسولٌ لا أكثر».

خلعت القميص وفكّت حمّالة صدرها. سألته: «هل أبدو جميلةً وأنا عارية؟» كان يلمس قضيبه ببطءٍ بينما ينظر إليها.

ـ نعم. شكلك جميل. ألم أقل لك ذلك من قبل؟

سحبت تنُّورتها ولباسها الداخليّ عبر كعبها، وقالت: «كنت أشعر بذلك وأنا مراهقة على ما أظنّ، ثمَّ اختفى ذلك الشعور».

اعتلته، تاركةً ملابسها تتدلّى من جانب السرير.

ـ أحببت الشعور بكَ في فمي.

عيناها مغلقتان، نظر إليها من مكانه بالأسفل.

ـ جميلٌ أن تقولي هذا، ما الذي يعجبك فيه؟

كانت تتنفّس بعمق.

ـ خفت أن تكون عنيفًا معي. لكنَّك على العكس، كنت شديد اللطف. لا أقصد العنف حتّى، أقصد فحسب.. كنت خائفةً من أن ترغب في أشياء أعرف أنّني لن أستطيع تحمُّلها.

يده اليسرى تستقرُّ على وركها.

ـ تقصدين أشياء يفعلها الأشخاص في الأفلام الإباحيَّة.

ـ نعم.

ـ حسنًا، لكنَّني أظنُّ أنَّ هذه الأشياء هي نوعٌ من المهارات المتخصِّصة التي يملكونها. لم أكن أتوقَّع أن يكون الشخص العاديُّ قادرًا على فعلها.

عينا أليس مغمضتان، قالت له إنَّها مستعدَّةٌ للتعلُّم لو كان هذا ما يريده. نظر إلى وجهها بتمعُّن.

ـ لا تشغلي بالك بهذه الأمور. بالمناسبة استمتعت بالجنس الفمويّ للغاية. هل هذه تسميةٌ تروق لك بالمناسبة؟ أم شيءٌ آخر؟

ابتسمت، وأخبرته أنّها ليست مهووسةً بالتسمية الصحيحة لكلّ شيء.

ـ لكن بالتّأكيد، هناك بعض الكلمات التي تشعرك بالنفور بعض الشيء. ليس هناك شيءٌ مماثل؟ مثل أن أقول لك: أريدك أن تمصّي قضيبي، لن تحبّي ذلك غالبًا. ضحكت، وقالت إنّها لن تمانع، لكن هذا سيضحكها أكثر من أن يكون مثيرًا. وافقها أنّ ذلك مُضحك، وقال إنّ هذا التعبير يبدو قادمًا من فيلمٍ ما. سألها: هل تكرهين تعبير «النوم معًا»، بعض الناس لا يحبّونه، لكنّه لا يضايقني، لكن لو قلت لك، هل يمكن أن أنام معك، ألن ينفّرك ذلك بعض الشيء؟

ـ إنّ ذلك لن يحدث.

ـ حسنًا، سأنام معك إذن.

سحب يده، لمعت أصابعه المبتلّة وتركت طبعات بللٍ على جلدها حين لمسها. وحينما اقترب منها، أخذت نفسًا عميقًا وأمسكت كتفه بيدها. كان لا يزال مرتديًا ملابسه بالكامل، السترة الخضراء نفسها التي تحمل شعارًا مطرّزًا.

ـ تبدين صغيرةً جدًّا وأنت عارية. لم ألاحظ أنّ حجمك صغيرٌ لهذه الدرجة قبل الآن.

أصدرت أنّةً وهزّت رأسها من دون أن تقول شيئًا. اعتدل قليلًا ونظر إليها.

ـ هل ترغبين في مزيدٍ من الوقت؟

كانت تأخذ أنفاسًا عميقةً وتطلقها ببطء، وعيناها مغمضتان. أجابت: «أنا بخير. هل انتهيت؟». ربَّما لأنَّها لم تكن تنظر إليه، سمح لنفسه بالابتسام. قال: «حسنًا، على وشك، هل أنتِ بخير؟». عنقها ووجهها تحوَّلا إلى اللون الأحمر.مكتبة سُر مَن قرأ

ـ أكثر ممَّا أحتمل.

مرَّر يده على جانبها بلطف

ـ مم. لكنَّه لا يؤلمك، أليس كذلك؟

بعينيْن مغمَّضتيْن لا تزالان، أجابت: «تألَّمت بعض الشيء في البداية».

لمس صدرها بنعومة. قال: «أوَّل مرَّةٍ لنا معًا؟ لم تخبريني بذلك».

هزَّت رأسها، وعقدت حاجبيْها وكأنَّها تُركِّز.

ـ لا، لكنَّني لم أرغب في أن تتوقَّف. كان هذا لطيفًا. شعرت وكأنَّني ممتلئةٌ تمامًا.

لعق شفته العليا، واستمرَّ في النظر إليها.

ـ آه. أحبُّ حين أجعلك تشعرين بهذا.

فتحت عينيْها ونظرت إليه. وضع يده على وركها وسحبها إلى الأسفل قليلًا، بلطف، حتَّى دخلها بالكامل. سحبت نفسًا طويلًا وهزَّت رأسها، واستمرَّت في النظر إليه. لعدَّة دقائق، مارسا الجنس من دون أن يقولا شيئًا. أغلقت عينيْها بقوَّةٍ وسألها عمَّا إذا كانت بخير. أجابت: «ألا تحسُّ بمشاعر كثيفة؟».

نظر إليها من الأسفل وعلى وجهه تعبيرٌ واضح.

ـ نعم. لا أظنُّك كنت أكثر جمالًا وقت مراهقتكِ ممَّا أنتِ عليه الآن بالمناسبة. تبدين مذهلة. وسأقول لك شيئًا آخر. أوضح شيءٍ مثيرٍ

فيك هو الطريقة التي تتحدَّثين بها، والأشياء البسيطة التي تفعلينها. وأراهن أنَّك لم تكوني تتصرَّفين بهذه اللطافة حينما كنت أصغر في السنّ، أليس كذلك؟ وحتَّى لو كنت هكذا، ولا أدَّعي الرومانسيَّة هنا، لكنَّني كنتُ لأختارك كما أنت الآن.

تحشرجت أنفاسها، وتحرَّكت لتُمسك يده، فأمسك يدها.

ـ سأصل.

كانت تُمسك يده بعنف. بهدوءٍ، قال: «انظري إليَّ لثانية».

نظرت إليه. انفتح فمها وأطلقت صوتًا عاليًا، صدرها وعنقها ورديًّا اللَّون. نظر إليها وهو يتنفَّس بعمق. في النهاية، استلقت على صدره، وركبتاها حوله. حرَّك يده على امتداد عمودها الفقريّ. مرَّت دقيقة، ثمَّ خمس دقائق.

ـ لا تنامي هكذا. دعينا ننام بوضعيَّةٍ أفضل.

دعكت عينيْها بظهر يدها، ونهضت عنه. أعاد ترتيب ملابسه بينما استلقت هي عاريةً على المرتبة بجواره. ثمَّ أمسك يدها وقبَّلها.

ـ كان هذا لطيفًا، أليس كذلك؟

غمرت رأسها في الوسادة وضحكت.

ـ لم أكن أعرف أنَّك عشتَ في لندن.

ابتسم بهدوء، من دون أن يفلت يدها.

ـ هناك الكثير ممَّا لا تعرفينه عنِّي.

حرَّكت كتفيْها على الملاءات بتلذُّذ.

ـ أخبرني بكلِّ شيء.

- 18 -

روح قلبي! آسفةٌ على التأخير. أكتب لكِ من باريس، وصلت إليها للتوّ من لندن، حيث توجّب عليّ الذهاب واستلام جائزةٍ ما. لا يملُّون من إعطائي الجوائز، أليس كذلك؟ من المخجل أنّني مللتُ بسرعةٍ من تلقّيها، ولولا ذلك الملل لكانت حياتي عبارةً عن سلسلةٍ لا تنتهي من المتعة. على كلِّ حال، أفتقدك. كنتُ جالسةً هذا الصباح في متحف أورسيه، أنظر إلى بورتريه صغيرٍ ولطيفٍ لمارسيل بروست، كنت أفضّل لو أنَّ جون سينجر سارجانت هو رسّام هذه اللوحة. يبدو بروست قبيحًا جدًّا في هذه اللوحة، لكن رغم هذه الحقيقة المؤسفة (وأعني «رغم» هذه الحقيقة فعلًا)، فإنَّ شيئًا في عينيْه ذكّرني بك. في الغالب هي لمعةٌ عبقريّةٌ ما. «ربّما لا يوجد بالفعل سوى ذكاءٍ واحد، يتشارك فيه كلُّ أفراد العالم، وإليه يوجّه كلُّ فردٍ نظره، من موقعه المختلف، وكأنّنا نجلس جميعًا في مسرح، صحيحٌ أنَّ لكلِّ واحدٍ منّا مقعده المنفصل،

إلَّا أنَّ هناكَ خشبةً واحدةً نرنو إليها جميعًا». أقرأ هذه الكلمات، وأشعر بسعادةٍ غامرة، حين أفكِّر أنَّني ربَّما أتشاركُ ذكاءً معكِ.

اليوم، في الطابق العلويّ من المتحف، لاحظت وجود عدَّة بورتريهات لبيرت موريسو، كلُّها لإدوارد مونيه. وفي كلِّ رسمةٍ، تبدو موريسو مختلفةً عن الرَّسمة الأخرى قليلًا، لهذا فمن الصعب تخيُّل كيف بدت حقًّا. كيف جمعت بين كلِّ هذه الظلال المختلفة من ملامحها في وجهٍ بشريٍّ مُكتملٍ يسهل التعرُّف عليه. بحثت عن صورةٍ لها بعد ذلك، وتفاجأت من قوَّة ملامحها، التي تظهر في أعمال مانيه عاديَّةً بصورةٍ غائمةٍ أو مرهفة. تبدو في إحدى اللوحات جميلةً غامضةً بملامح وجهٍ تمثاليَّة، ترتدي فستانًا أبيض، وتجلس في بلكونةٍ بجوار شخصيْن آخريْن، يستند ساعدها باسترخاءٍ على الحاجز، بينما تُمسك يدها بمروحةٍ مغلقة، وتنظر بعيدًا، بملامح شبه عابسة، وجهها مفعمٌ بالانفعالات والتعبيرات، مستغرقةً بالكامل في أفكارها. في لوحةٍ أخرى هي ناعمة الملامح، جميلة، تُحدِّق في الناظر إليها، وهي ترتدي قبَّعةً سوداء طويلة، ووشاحًا أسود، نظرتها متردِّدةٌ وكاشفةٌ في الوقت نفسه. هذه هي الموديل التي رسمها مانيه أكثر من أيِّ شخصٍ آخر، رسمها أكثر من زوجته نفسها. لكنَّني حين أنظر إلى هذه اللوحات، فإنَّني لا أراها جميلةً من الوهلة الأولى. فجمالها من النوع الذي يُجبرني على البحث عنه، ويتطلَّب نوعًا من المجهود في التأويل، بعض المجهود العقليِّ أو التجريديّ، وربَّما هذا هو ما فَتِن مانيه بها.. ربَّما لا. لستِّ سنوات، كانت موريسو تذهب إلى ستوديو مانيه، تحت إشراف والدتها، حيث يرسمها هناك، دائمًا وهي مرتديَّةٌ ملابسها. العديد من لوحاتها هي نفسها مُعلَّقةٌ في المتحف أيضًا. فتاتان تجلسان على مقعد حديقةٍ في منتزه بولونيا،

واحدةٌ ترتدي فستانًا أبيض، وقبّعةً عريضةً من القشّ، وتميل برأسها على حجرها، ربَّما لتقرأ. أمَّا الأخرى فتظهر في فستانٍ أسود، وشعرها الفاتح الطويل مربوطٌ للخلف بتوكةٍ سوداء، مُظهرًا للناظر عنقها الأبيض وأذنها. خلفهما خضرةٌ مبهمةٌ غامقةٌ للحديقة العامَّة. لكنَّ موريسو لم ترسم مانيه أبدًا. بعد ستِّ سنواتٍ من لقائها به، وبترشيحه على ما يبدو، تزوَّجت من أخيه. رسمها مرَّةً أخرى واحدةً بعد ذلك، خاتم الزواج يلمع داكنًا في يدها الرَّقيقة، ثمَّ لم يرسمها بعد ذلك. ألا تظنّين أنَّها قصَّة حبّ؟ تذكّرني بقصَّتك أنت وسايمون. ولأسمح لنفسي بالمزيد حتَّى.. سأقول بكلِّ أدب: حمدًا للّه أنَّه لا يملك إخوةً من الذكور.

المشكلة في المتاحف مثل أورسيه، بالمناسبة يعني وبالصدفة تمامًا، هي أنَّ الفنَّ يحيط بك أكثر من اللّازم، ولذلك فبغضِّ النظر عن قدرتك على وضع خطِّ سيرِك، أو لأيِّ درجةٍ كانت نواياك طيّبة، ستجدين نفسك دائمًا تمشين بارتباك، بين أعمالٍ لا تقدَّر بثمن العبقريَّة المذهلة، وتبحثين عن الحمَّامات. ثمَّ تشعرين بعدها بدرجةٍ من الرخص، وكأنَّك خذلت نفسك بطريقةٍ ما، على الأقلِّ هذا ما شعرت به. أراهن أنَّك لم تبحثي عن حمَّامٍ في المتاحف أبدًا يا إيلين. متأكّدةٌ من أنَّ بمجرَّد دخولك إلى القاعات المهيبة لصالات العرض الكُبرى في أوروبا، فإنَّك ببساطةٍ تضعين هذه الممارسات الفسيولوجيَّة وراء ظهرك. ذلك إن كنت تختبرين هذه الأشياء من الأصل. يصعب على المرء فعلًا أن يفكّر فيكِ ككيانٍ ماديٍّ متجسّدٍ لا كحزمةٍ من العقل الخالص. وفي اللحظة الحاليَّة، كم أتمنَّى لو أنَّ المزيد من إشراقاتكِ تنير حياتي.

مساء الأمس، أجريت ثلاث مقابلاتٍ وخضعت لجلسة تصويرٍ استمرَّت لساعة، وفي الوقت بين اثنتيْن من هذه المقابلات، اتَّصل بي

أبي ليخبرني أنَّه سقط على الأرض، وأنَّه ذهب إلى المستشفى لعمل أشعة. بدا صوته رقيقًا وحديثه مشوَّشًا. تلقَّيت هذه المشكلة بينما كنتُ أقف في رواق المبنى الذي يقع فيه مكتب ناشري في مونبارناس. أمامي مدخل حمَّام السيِّدات، وبجانبه مُلصَقٌ لغلاف كتابٍ من الأكثر مبيعًا لكاتبٍ فرنسيّ. سألته عن الوقت الذي سيجري فيه هذه الأشعة لكنَّه لم يكن يعرف. لست متأكِّدةً حتَّى كيف استطاع إجراء المكالمة. عندما أغلقتُ الهاتف، عدتُ مباشرةً إلى الرواق وإلى غرفة المكتب، حيث بدأت الصحفيَّة الأربعينيَّة اللطيفة في إجراء مقابلةٍ استمرَّت لقرابة ساعةٍ بصدد المؤثِّرات التي تعرَّضتُ لها وأسلوبي الأدبيّ. جلسة التصوير بعدها كانت في الشارع. توقَّف بعض المارَّة ليشاهدوا ما يحدث، ربَّما فضولًا لمعرفة من أنا بالضبط، ولماذا يهتمُّ أحدهم بتصويري، بينما يعطيني المصوِّر تعليماتٍ مثل: «لا تشدِّي وجهك»، و«حاولي أن تتصرَّفي بطبيعتك». في الثامنة مساء، أخذتني سيَّارةٌ إلى ساحة فعاليَّاتٍ في حيِّ مونمارتر، حيث شاركت في قراءةٍ عامَّةٍ لأحد أعمالي، وجاوبت على أسئلة الحضور، بينما أمسك من وقتٍ لآخر زجاجةً صغيرةً لأشرب منها ماءً فاترًا.

في صباح اليوم، متعبةً ومشوَّشة، تجوَّلتُ في الشوارع بالقرب من الفندق الذي أقيم فيه، ثمَّ وجدت كنيسةً فارغةً فدخلتها. وهناك جلست قرابة عشرين دقيقةً مغمورةً بهواءٍ مقدَّسٍ ساكنٍ يمتلئ بالصرامة، وذرفت بضع دموعٍ خلَّابةٍ تأثُّرًا بنبل المسيح. هذا كلُّه هو طريقتي في شرح اهتمامي بالمسيحيَّة لك. الأمر ببساطة أنَّ «شخصيَّة» المسيح تؤثِّر فيَّ وتفتنني تمامًا، بطريقةٍ هي بالأحرى عاطفيَّة، بل وربَّما جيَّاشة الشعور. كلُّ شيءٍ في حياته يؤثِّر فيَّ. فمن ناحية، أشعر تجاهه بدرجةٍ من القرب

والانجذاب الشخصيّ يذكّرني بشعوري تجاه شخصيّاتٍ خياليّةٍ معيّنةٍ أشعر ناحيتها بالحبّ، وهو أمرٌ منطقيٌّ، بالنظر إلى أنّني تعرّفت عليه من خلال الوسيلة نفسها تمامًا، أي القراءة عنه في الكتب. ومن ناحيةٍ أخرى، فإنّني أشعر أمامه بدرجةٍ من التأثّر والخشوع على نحوٍ مختلفٍ تمامًا. إنّه يمثّل لي على ما يبدو نوعًا من الجمال الأخلاقيّ، وإعجابي بهذا الجمال يدفعني للرّغبة في قول إنّني «أحبُّه»، رغم أنّني مدركةٌ تمامًا لأيِّ درجةٍ يبدو هذا سخيفًا. لكنّني أحبُّه يا إيلين، ولا يمكنني حتّى أن أتظاهر بأنَّ حبّي له هو من نوع مشاعري نفسه ناحية الأمير ميتشكين أو تشارلز سوان أو لإيزابيل آرتشر، شيءٌ مختلفٌ في الواقع، شعورٌ مختلف. وفي حين أنّني لا «أصدّق» فعلًا أنَّ المسيح قام من بين الأموات، مثلما لا أصدّق وجود هذه الشخصيّات فعلًا، فمن السليم القول بأنَّ بعضًا من أكثر المشاهد تأثيرًا في الأناجيل، وهي التي أرجع إلى بعضها في الأغلب، قد حدثت بعد قيامته. كما أنّني أجد من الصعب التفريق بين المسيح الذي ظهر بعد القيامة عن الرجل الذي ظهر قبلها، يبدوان لي الكائن نفسه. أظنُّ أنَّ ما أقصده هو أنَّ المسيح في صورته التي تلت القيامة من بين الأموات، استمرَّ في قول نوع الأشياء التي لا يستطيع أحد «سواه» قولها، لدرجة أنّني لا أستطيع تخيُّل أن يصدر ذلك الكلام عن أيِّ عقلٍ آخر. لكن هذا هو أقصى ما أستطيع الوصول إليه حين أفكّر في أمر ألوهيّته. أنا معجبةٌ به وأقدّره للغاية، وأتأثّر حين أفكّر في حياته وموته. هذا هو كلُّ شيء.

لكنَّ المثال الذي رسمه المسيح لا يملؤني بالسلام الروحيّ، بل يجعلني أشعر وكأنَّ وجودي تافهٌ وعديم المعنى بالمقارنة. عادةً ما أتحدَّث في الخطابات العامّة عن أخلاقيّات الرعاية وقيم المجتمعات

البشريَّة، لكن في حياتي الحقيقيَّة، فإنَّني لا أهتمُّ برعاية أيِّ إنسانٍ سواي. من في العالم يعتمد عليَّ لأيِّ شيء؟ لا أحد. لا ألوم إلَّا نفسي، وأنا أفعل. لكنَّني أظنُّ أنَّ هذا الفشل جماعيّ. في مثل أعمارنا، كان الناس يتزوَّجون وينجبون أطفالًا، ثمَّ يدخلون في علاقاتٍ غراميَّة، أمَّا الآن، فالكلُّ أعزبٌ في الثلاثين، ويعيش مع رفاق سكنٍ لا يراهم أبدًا. من الواضح أنَّ الزواج التقليديَّ لم يكن يؤدِّي الغرض، وبصورةٍ مؤكَّدة، تقريبًا، كان ينتهي بنوع فشلٍ أو آخر، لكنَّه على الأقلِّ كان مجهودًا يُبذل ناحية شيءٍ ما، لا مجرَّد احتجاز إمكانيَّة الحياة نفسها بطريقةٍ عقيمةٍ بائسة. سيكون بإمكاننا طبعًا أن نتلافى الكثير من المشاكل لو أنَّنا بقينا وحدنا وتعامل كلٌّ منَّا من منظور الشخص الأعزب، فارضًا نوعًا من الحماية الصارمة على مساحاته الشخصيَّة، لكن يبدو لي أنَّنا بذلك أيضًا نتخلَّى تقريبًا عن كلِّ شيءٍ يجعل للحياة قيمة. يستطيع الإنسان، في رأيي، أن يقول بأنَّ الطرق القديمة التي عاش بها البشر معًا كانت خاطئة، وهي كذلك بالفعل، وأنَّنا لم نرد إعادة ارتكاب الأخطاء القديمة، وهذا حقيقيٌّ أيضًا. لكن ما البديل الذي كنَّا نفكِّر فيه حينما هدمنا ما كان يقيِّدنا؟ لا أحاول الدفاع بأيِّ شكلٍ عن منظومة الزواج الأحاديِّ بين شخصيْن ينتميان إلى جنسيْن مختلفيْن لا غير، إلَّا أنَّ ذلك على الأقلِّ طريقةٌ لفعل الأشياء، طريقةٌ نرى الحياة من خلالها. لكن ما الذي بين أيدينا الآن بدلًا من ذلك؟ لا شيء. ونحن نكره الناس لأخطائهم أكثر ممَّا نحبُّهم بكثيرٍ لأجل أشياء صالحةٍ فعلوها، لدرجة أنَّ أسهل طريقةٍ للعيش هي ألَّا نفعل شيئًا وألَّا نقول شيئًا، وألَّا نحبَّ أحدًا.

على كلِّ حال: يعلِّمنا المسيح ألَّا نحكم على الناس. لا أوافق طبعًا على التطهُّريَّة غير المتسامحة أو أيِّ شكلٍ من أشكال الاستعلاء

الأخلاقيّ، لكنَّني لا أتقن الأمريْن على كلّ حال. كلُّ هوسي بالثقافة، بالأشياء «شديدة الجمال»، كلُّ معارفي عن تسجيلات الجاز والنبيذ الأحمر والأثاث الدنماركيّ، حتّى ما أعرفه عن كيتس وشكسبير وجيمس بالدوين، ماذا لو أنَّ كلَّ هذه الأشياء هي أحد أشكال الغرور والخيلاء، أو حتّى ما هو أسوأ، ضمّادةٌ صغيرةٌ أضعها فوق الجرح الأصليّ للطريقة التي نشأت بها؟ لقد وضعت بيني وبين والديَّ فجوةً من التكلُّف والثقافة الرفيعة لدرجةٍ أصبح من المستحيل عليهم معها أن يلمسوني أو أن يصلوا إليَّ حتّى من الأصل. وأنا أنظر إلى تلك الفجوة، لا بشعور ذنبٍ أو فقد، بل بشعورٍ من الراحة والرضا. هل أنا أفضل منهم؟ بالطبع لا، ربَّما محظوظةٌ أكثر. لكنَّني مختلفة، ولا أفهمهم جيِّدًا، ولا يمكنني أن أعيش معهم، أو أن أسمح لهم بالوصول إلى عالمي الداخليّ، أو أن أكتب عنهم في حالتنا هذه. كلُّ واجبات الابنة المطيعة ليست من ناحيتي إلّا سلسلةً من الطقوس المصمَّمة لحماية نفسي من الانتقادات، من دون أن أقدِّم أيَّ شيءٍ ذي قيمةٍ من نفسي. تأثَّرت بما قلته في الرسالة السّابقة عن انهيار حضارتنا واستمرار الحياة بعد ذلك. ورغم ذلك، لا أستطيع أن أتخيَّل حياتي بهذه الطريقة، أقصد أنَّ أيًّا كان ما سيحدث، فلن تكون حياتي بعد الآن، ليس بأيِّ صورةٍ أعرفها. فأنا، في جوهري العميق، لست إلّا قطعةً أثريَّةً من منتجات هذه الحضارة.. فقاعة نبيذٍ صغيرةً تنفثئ عند كأس هذه الحضارة[1]، وحين تنتهي سأنتهي، ولا أظنُّني أمانع ذلك على كلِّ حال.

على الهامش: كنت أتساءل.. بما أنَّ سايمون يقول إنَّه سيأتي معك، هل أعدُّ غرفتيْن أم غرفةً واحدة؟

---

(1) إحالة إلى قصيدة «أنشودة العندليب» للشاعر جون كيتس.

-19-

أمطرَت صباح الجمعة، واستقلَّت إيلين الباص إلى العمل. بحلول ذلك الوقت، كانت قد أنهت قراءة **الإخوة كارمازوف** وبدأت في **الكأس الذهبيّ**، تقف في الباص قابضةً بيدها على العمود الأصفر، بينما تُمسك بيدها الأخرى نسخةً من الرواية في طبعتها الورقيَّة. بعد النزول، وضعت وشاحها على رأسها وسارت لبضع دقائق تحت المطر حتَّى وصلت إلى مكتبها في شارع كلدار. بالداخل، كان زملاؤها يضحكون على فيديو يسخر من مفاوضات البريكسيت. وقفت إيلين عند جهاز الكومبيوتر الذي تحلَّقوا حوله ليشاهدوا الفيديو، ناظرةً إلى الشاشة من فوق أكتافهم، بينما يهطل المطر بهدوءٍ ونعومةٍ على الجزء الخارجيّ من نوافذ المكتب. قالت: «أوه، لقد رأيته من قبل، مضحك». بعد ذلك، أعدَّت قدحًا من القهوة وجلست على مكتبها. تفقَّدت هاتفها، ورأت رسالةً من لولا عن «تذوُّق الكيك» في هذا الأسبوع. كتبت إيلين: «سأكون مشغولةً مساء الغد، أيُّ وقتٍ آخر تمام. أخبريني عن الوقت الذي يناسبك».

ـ لولا: «ماذا ستفعلين غدًا؟».

ـ إيلين: «لديَّ خطط».

ـ لولا: «هيهي».

ـ لولا: «هل تقابلين أحدًا؟؟».

نقلت إيلين بصرها في أنحاء المكتب، وكأنَّها تتأكَّد من أنَّ أحدًا لا يراقبها، وبعدها، أعادت النظر إلى الهاتف، وبدأت في الكتابة من جديد.

ـ إيلين: «لن أجيبك».

ـ لولا: «هل هو طويل؟».



ـ إيلين: «ليس هذا من شأنك».

إيلين: «لكن نعم، 6‘3».

ـ لولا: «!!»

لولا: «هل قابلته على الإنترنت».

لولا: «هل هو قاتلٌ متسلسل؟».

لولا: «لكن لو أنَّه 6‘3»، فلا أظنُّ ذلك سيفرق معك كثيرًا».

ـ إيلين: «هذه المحادثة انتهت».

إيلين: «أخبريني عندما تعرفين ميعاد «تذوُّق الكيك».

ـ لولا: «هل ترغبين في دعوته للزفاف؟».

ـ إيلين: «ليس بالضرورة».

ـ لولا: «لم لا؟».

وضعت إيلين هاتفها جانبًا، وفتحت نافذة متصفِّح جديدةً على جهاز العمل. توقَّفت للحظة، وهي تنظر إلى شريط البحث في الصفحة الرئيسيَّة، وبعد ذلك، كتبت كلمات «إيلين لايدون» بسرعةٍ ورفق، وضغطت

زرَّ الإدخال. ظهرت صفحةٌ من النتائج على الشاشة، تضمُّ مجموعةً من الصور المعروضة في الأعلى. إحدى هذه الصور كانت لإيلين نفسها، بين صورتيْن تاريخيَّتيْن بالأبيض والأسود. أمَّا الصُوَر الأخرى فقد كانت بالأساس حسابات تواصلٍ اجتماعيٍّ تخصُّ أشخاصًا آخرين، إلى جانب بعض رسائل النعي، وقوائم طواقم العمل. في نهاية الصفحة، رابطٌ لموقع مجلَّة: «إيلين لايدون / مساعدة تحرير». ضغطت على الرابط فانفتحت صفحةٌ جديدة. لم تكن هنالك صورة، وكان النصُّ ببساطةٍ يقول: «**إيلين لايدون هي مساعدة التَّحرير، ومساهمةٌ في ذا هاركورت ريفيو.** نُشِر مقالها عن روايات ناتاليا جينزبيرج في العدد 43، شتاء 2015». الجزء الأخير من الفقرة كان يحيل إلى رابط، ضغطت إيلين عليه، فذهبت إلى صفحةٍ يمكن من خلالها شراء عدد المجلَّة عن طريق الإنترنت. أغلقت إيلين الصفحة، وبعدها فتحت بريد العمل الإلكترونيّ.

في البيت، اتَّصلت إيلين بوالديْها على الخطِّ الأرضيِّ في المساء، وأجاب أبوها، بات، على الهاتف. تحدَّثا لبضع دقائق عن قضيَّةٍ سياسيَّةٍ غير مهمَّةٍ تناولتها الأخبار في ذلك اليوم، بنبرة صوتٍ متشابهة، بل تكاد تكون متطابقة، من الضيق. قال بات: «فلنأمل ألَّا يطيل اللَّـه فترة ما قبل الانتخابات القادمة». ردَّت إيلين بأنَّها ستبقي أصابعها معقودة. سألها عن أحوال العمل، فأجابت أن لا جديد. كانت تجلس على السرير في غرفتها، تُمسك بالهاتف بيدٍ إلى أذنها، بينما ترتاح الأخرى على ركبتها.

ـ تحدَّثي مع أمِّك.

سمعت إيلين صوتًا خشنًا وما بدا أنَّه طقطقةٌ ما، قبل أن يأتي صوت ماري من سمَّاعة الهاتف: «ألو؟». ابتسمت إيلين بتوتُّر. «ألو. كيف حالك؟».

تحدَّثا لبعض الوقت عن العمل. حكت ماري لإيلين وهي تضحك عن قصَّة مدرِّسٍ جديدٍ في المدرسة خلط بين اثنتيْن من المدرِّسات تحملان الاسم نفسه، ميس والش. قالت إيلين: «هذا مضحك». بعد ذلك، تحدَّثتا عن الزفاف، رأت إيلين فستانًا في واجهة أحد المحلَّات، وزوجيْن مختلفيْن من الأحذية تحاول ماري أن تختار من بينهما، في النهاية انتقلا للحديث عن الطريقة التي تتصرَّف بها لولا، وعن ردِّ فعل ماري تجاه الطريقة التي تتصرَّف بها لولا، والرسائل الضمنيَّة التي تكشفها ردود أفعال ماري تجاه تصرُّفات لولا.

ـ عندما تنفعل عليكِ، تتوقَّعين منِّي أن آخذ صفَّك، لكن عندما تنفعل هي عليّ، تقولين إنَّ هذا ليس من شأنك.

تنهدت ماري بصوتٍ عال.

ـ حسنًا، حسنًا، أنا أمٌّ فاشلة، خذلتكما، ما الذي تريدينني أن أقول أكثر من ذلك؟

بصرامةٍ أجابت إيلين: «لا، لم أقل أيَّ شيءٍ من هذا».

بعد لحظة صمت، سألتها ماري عمَّا إذا كان لديْها خططٌ لنهاية الأسبوع. بنبرة صوتٍ حذرةٍ، أجابت إيلين بأنَّها كانت ستقابل سايمون مساء السبت.

ـ هل لا يزال مع صاحبته الجديدة تلك؟

أغلقت إيلين عينيْها وأجابت بأنَّها لا تعرف.

ـ كنتِ معجبةً به للغاية في الماضي.

لم تقل إيلين أيَّ شيءٍ لعدَّة ثوان، فاستمرَّت ماري بلهجةٍ مشجِّعة: «أليس كذلك؟».

ـ نعم يا أمّي.

بدا صوت ماري مبتسمًا وهي تُكمل: «فتًى وسيمٌ بصراحة. إنَّه في ثلاثينيّاته الآن، أليس كذلك؟ أنا متأكّدةٌ من أنَّ آندرو وجيرالدين يرغبان في رؤيته متزوّجًا ومستقرًّا».

كانت إيلين تحكُّ إظفرها فوق قطعةٍ من تطريز اللقاح. قالت: «ربّما سيتزوّجني أنا».

أطلقت ماري ضحكةً عاليةً مندهشة.

ـ آه. يا لكِ من مخادعة. بصراحة، لن أندهش كثيرًا، بالنظر للطريقة التي جعلتِه فيها كالخاتم في إصبعك، هل هذه خطّتك الجديدة؟

أجابت إيلين بأنَّه لا توجد أيُّ «خطّة».

ـ حسنًا، ستكونين امرأةً محظوظة.

للحظةٍ هزَّت إيلين رأسها بصمتٍ، ثمَّ سألت بعدها: «ألن يكون هو رجلًا محظوظًا أيضًا؟».

ضحكت ماري مرّةً أخرى، وقالت: «إيلين، تعرفين كم أحبُّك، لكن يجب عليَّ قول ذلك، فأنتِ ابنتي».

استمرَّت إيلين في تتبُّع الخطوط الخشنة المطرَّزة بسبّابتها.

ـ لو كان يتوجّب عليكِ قول ذلك، فلماذا لم أسمعك أبدًا تقولينها، أبدًا؟

توقّفت ماري عن الضحك.

ـ حسنًا، حبيبتي، لن أعطّلك أكثر من ذلك. ليلتك سعيدة. أحبُّك.

بعد أن أغلقت الهاتف، فتحت إيلين تطبيق الرسائل واختارت اسم سايمون. آخر محادثةٍ بينهما على الشاشة كانت من اليوم السَّابق، حرَّكت الرسائل لتُعيد قراءتها بالترتيب.

ـ إيلين: «ارسل لي صورة غرفتك».

الرسالة التالية كانت صورةً تكشف عن تفاصيل حُجرة فندق، فيها سريرٌ مزدوجٌ يحتلُّ غالبيَّة مساحة الأرض. على السرير غطاء سريرٍ أرجوانيٌّ ولحافٌ باللَّون نفسه ولكن بدرجةٍ مختلفة.

ـ إيلين: «والآن صورةً وأنت عليه...».

ـ سايمون: «هاهاه»، «فضيحة مستشارٍ سياسيٍّ أوَّل يُرسل صورًا فاضحةً من احتفاليَّة اليوم الوطنيّ».

ـ إيلين: «ما الذي قاتل الجيش الإيرلنديُّ من أجله إن لم يكن حريَّتنا يا سايمون؟».

ـ سايمون: «وفي تصريحٍ له قال المساعد السَّابق المعزول: «هذا ما أراده الأولاد دائمًا».

ـ إيلين: «آه، قبل أن أنسى».

«هل عرفت أنَّ أليس في باريس هذا الأسبوع؟».

ـ سايمون: «هل تمزحين؟».

«من أين سافرت؟».

ـ إيلين: «لم تقل لي. دبلن غالبًا».

ـ سايمون: «امرأة الغموض الدوليَّة».

ـ إيلين: «يا إلهي. لا تقل هذا».

«هذا بالضبط ما تريد أن يقوله الناس».

ـ سايمون: «لا.. آمل فقط أنَّها بخير».

«لو عدت مبكِّرًا سأتَّصل بك، حسنًا؟».

بعد ذلك، أرسلت إيلين رسمًا تعبيريًّا يُصوِّر إبهامًا مرفوعًا إلى الأعلى. انتهت الرسائل هنا. خرجت إيلين من سلسلة الرسائل، وعادت إلى الصفحة الرئيسيَّة لتطبيق الرسائل. حامت بإصبعها لبعض الوقت حول زرِّ إغلاق التطبيق، لكن بدلًا من ذلك، وكأنَّه خاطرٌ مفاجئ، ضغطت على اسم لولا. ظهرت آخر رسالةٍ للولا على الشاشة، أرسلتها في وقتٍ سابقٍ من اليوم: «لم لا؟؟». بدأت إيلين في كتابة ردٍّ بإبهاميْها.

ـ إيلين: «لأنَّه سيكون موجودًا في كلِّ الأحوال».

ضغطت زرَّ الإرسال، ومباشرةً ظهرت أيقونةٌ تُخبر عن أنَّ لولا قد «قرأت» الرسالة. ظهرت ثلاث نقاطٍ متحرِّكة، وخلال ثوانٍ كان الردُّ قد وصل.

ـ لولا: «يا إلهي».

«بالحديث عن القتلة المتسلسلين»، «أرجوكِ لا تقولي إنَّه سايمون كوستيجان».

عدَّلت إيلين وضع ظهرها على خلفيَّة السرير، ثمَّ كتبت.

ـ إيلين: «واو!».

«كلُّ هذه السنين وما تزالين غاضبةً من أنَّه معجبٌ بي أنا».

ـ لولا: «إيلين».

«أنت تمزحين، هل ستواعدين غريب الأطوار هذا؟».

ـ إيلين: «ليس من شأنك أن أفعل أو لا».

ـ لولا: «أنت تعرفين أنَّه يذهب إلى الاعتراف صح؟».

«أي أنَّه فعليًّا يذهب إلى قسٍّ ليُخبره بأفكاره السيِّئة».

ـ إيلين: «حسنًا».

«أوَّلًا، لا أظنُّ أنَّ ذلك ما يحدث في الاعتراف فعلًا».

ـ لولا: «أراهن بأموالٍ على أنَّنا سنكتشف أنَّه منحرفٌ جنسيًّا».

«بالتَّأكيد كان يريد النوم معك وأنت في الخامسة عشر».

«وقتها كان هو في العشرين على الأقلّ».

«أتساءل لو كان قد اعترف للقسّ بذلك».

ـ إيلين: «ههههههههههه».

«في حياتنا كلِّها، رجلٌ واحدٌ، رجلٌ واحدٌ يفضِّلني عليك».

«وما زلت غير قادرةٍ على تجاوز ذلك».

ـ لولا: «حسنًا يا حلوة».

«لا تأتِ إليَّ باكيةً فحسب حين تتزوَّجين وتحملين».

«وبصورةٍ غامضة.. تبدأ الفتيات الصغيرات في سنِّ المدرسة في الاختفاء من الحيِّ الذي تعيشون فيه».

مضت عدَّة ثوانٍ وإيلين تنظر في شاشة التليفون، ورأسها تتحرَّك من اليمين إلى اليسار من دون تركيز، قبل أن تبدأ في الكتابة من جديد.

ـ إيلين: «هل تعرفين لماذا تكرهينه يا لولا؟».

«لأنّه الشخص الوحيد الذي أخذ صفّي ضدّك».

رأت لولا الرسالة، لكن لم تظهر نقاطٌ على الشاشة، ولم يصل ردّ. أغلقت إيلين الهاتف، ورمته بعيدًا عنها، إلى جانب السرير. مدّت قدميْها، وفتحت اللابتوب، وبدأت في كتابة إيميل إلى أليس. مرّت عشرون دقيقة، واهتزّ هاتفها مرّةً أخرى، فاستعادته.

ـ لولا: «لول».

قرأت إيلين الرسالة، وأخذت نفسًا عميقًا قبل أن تسمح لعينيْها بالانغلاق. بهدوءٍ خرج النفس من جسمها وعاد إلى الغرفة. يختلط النفس الآن بهواء الغرفة، ويتحرّك عبر هوائها ويتشتّت، تنتشر القطرات وجزيئات الهباء المجهريّة عبر هواء الغرفة، وتهبط ببطء، ببطء، ناحية الأرض.

***

بحلول الساعة العاشرة من مساء اليوم التالي، وقفت إيلين في مطبخ منزلٍ يقع في بيملكو، تشرب الويسكي من كوبٍ بلاستيكيٍّ وتتحدّث إلى امرأةٍ اسمها ليان. كانت ليان تقول: «أحيانًا تكون ساعاتٍ طويلة، نعم. أبقى لعدّة مرّاتٍ في الأسبوع حتّى التاسعة». كانت إيلين ترتدي بلوزةً سوداء حريريّةً وتضع سلسلة ذهبٍ رفيعةً حول عنقها، تلمع تحت، ال ور القادم من إضاءة السقف. يأتي صوت الموسيقى من غرفة المعيشة، وبجانبهم، عند الحوض، شخصٌ يحاول أن يفتح زجاجة نبيذٍ فوّار. قالت إيلين إنّها تغادر العمل قبل السادسة في أغلب الأيّام. أطلقت ليان ضحكةً عالية، تكاد تكون مذعورة.

ـ يا اللّـه! السادسة مساء؟ أين تعملين؟

قالت إيلين إنَّها تعمل في مجلَّةٍ أدبيَّة. جاءت باولا، مضيفة الحفلة، وعرضت عليهما بعض النبيذ الفوَّار. رفعت إيلين كوبها وقالت: «أنا تمام، شكرًا». رنَّ جرس الباب، ووضعت إيلين الزجاجة وذهبت مرَّةً أخرى. بدأت ليان تحكي لإيلين عمَّا أمضته في المكتب من ليالٍ متأخِّرة، وأنَّها في إحدى المرَّات، أخذت تاكسي إلى البيت في السادسة والنصف صباحًا، قبل أن تعود إلى العمل في تاكسي آخر بعد ساعتيْن.

ـ لا بدَّ أنَّ هذا يؤثِّر على صحَّتك.

انفتح باب المطبخ حينها، والتفَّت إيلين لترى مَن الذي دخل للتوّ. كان سايمون، يرتدي سترةً علويَّة، ويحمل حقيبةً من القماش على كتفه. أصدرت ليان صوت ترحيبٍ بمجرَّد رؤيته. ألقت بذراعيْها مفتوحتيْن حوله، واستقبل هو عناقها، بينما ينظر من خلف ظهرها إلى إيلين مبتسمًا.

ـ مرحبًا، كيف حالك؟

قالت ليان: «يا إلهي، مضتْ فترةٌ طويلة. هل تعرف إيلين صديقة باولا؟».

وقفت إيلين مستندةً على طاولة المطبخ وهي تحرِّك قلادتها من دون تركيزٍ وتنظر إليه.

ـ آه. في الحقيقة نعرف بعضنا جيِّدًا.

ضحكت إيلين عندها، ولمست شفتها بلسانها.

قالت ليان: «آها. آسفة، لم أكن أعرف».

أخرج زجاجة نبيذٍ من حقيبته، وقال بنبرة صوتٍ مسترخية: «لا، لا بأس، أنا وإيلين نعرف بعضنا من فترة الطفولة».

ـ نعم، كان سايمون مغرمًا بي حينما كنت طفلة، كان يحملني في حديقة بيتنا الخلفيَّة ويقبّلني هناك. هكذا تقول لي أمِّي.

ابتسم بهدوءٍ وهو يزيل الفلّينة من زجاجة النبيذ.

ـ أملكُ ذوقًا جيِّدًا منذ الطفولة. لا أقبِّل إلَّا أجمل الأطفال.

ناقلةً نظرها بين الاثنيْن، سألت ليان سايمون إذا كان لا يزال يعمل في لينستر هاوس[1]، فأجاب: «نعم، تكفيرًا عن ذنوبي. هل هناك كأسٌ قريبٌ منك؟». قالت ليان إنَّ كلَّ الكؤوس متَّسخة، لكن هناك أكواب بلاستيك على الطاولة.

ـ لا بأس بكأسٍ متَّسخ، سأغسله.

أخبرَت إيلين ليان أنَّ سايمون لم يَعُد يستعمل الأكواب البلاستيكيَّة، نوعٌ من الاحترام لأمِّنا الطبيعة. قال سايمون، الذي كان يشطف كأس نبيذٍ تحت الماء البارد: «تجعلني أبدو شخصًا لا يُطاق، أليس كذلك؟ لكن أخبريني يا ليان، كيف هو حال العمل؟».

بدأت ليان في الحديث عن عملها، مع إحالاتٍ بعيْنها إلى بعض زملائها الذين يعرفهم. دخل رجلٌ يلبس سترة جينز إلى المطبخ من الفناء الخلفيّ، وهو يسحب الباب خلفه، ويقول بصوتٍ عالٍ من دون توجيه الحديث إلى شخصٍ بعينه: «الجوُّ يزداد برودةً في الخارج». عبر باب المطبخ، التقت عينا إيلين بعين صديقهم بيتر، ولوَّحت بيدها

(1) مقر البرلمان الأيرلنديّ.

لتحيّيه. بعد ذلك، التفتت من خلف كتفها لترى سايمون وهو يتحدَّث مع ليان، يستند سايمون على رخامة المطبخ، بينما تقف ليان أمامه، وتلعب بخصلةٍ من شعرها بين أصابعها.

غرفة المعيشة صغيرةٌ ضيّقة، فيها سُلَّمٌ يواجه أحد الجدران، وأواني النباتات على أرفف المكتبة، تتدلّى أوراقها لتغطي كعوب الكتب. وقف بيتر عند المدفأة وخلع سترته، وتحدَّث مع بولا عن الموضوع السياسيّ المثير للجدل الذي كانت إيلين قد تحدَّثت فيه مع أبيها في المساء السابق. بيتر يقول: «لا، لن يخرج أحد منتصرًا من هذا الوضع. حسنًا، باستثناء شين فين[1] كما هو واضح».

أوصل أحدهم هاتفه بمكبّرات الصوت، وبدأت أغنيَّة آنجل أولسن، وجاءت صديقتهم هانا إلى الداخل من الصالة. خفتت محادثة بيتر وإيلين من دون أن يحاولا تجديدها، بينما شقَّت هانا طريقها لتنضمَّ إليهم، وهي تحمل زجاجة نبيذٍ من رقبتها، وتشخلل الأساور في يدها. بدأت على الفور تحكي لهم قصَّة مشكلةٍ في باب المرآب بمنزلها، حدثت بعد الظهيرة، وكيف اضطرُّوا لانتظار وصول العامل، وأنَّها تأخَّرت على لقاء أمّها لتناول الغذاء في البلدة. استمعت إيلين إليها، بينما أرسلت عينها إلى باب المطبخ، حيث أمكن بالكاد رؤية جسم سايمون، وهو يستند على رخامة المطبخ، وقد انضمَّ إليه أشخاصٌ آخرون الآن. تتبَّع بيتر اتّجاه نظراتها، وقال: «هذا الرجل الكبير. لم أكن أعرف أنَّه هنا». وجدت هانا كوبًا بلاستيكيًّا نظيفًا على طاولة القهوة، وصبَّت لنفسها مشروبًا. سألت عن الشخص الذي

---

(1) حزبٌ سياسيٌّ أيرلنديّ، يُنظر إليه باعتباره الجناح السياسيّ للجيش الجمهوريّ.

يتحدَّثان عنه، فردَّ بيتر: «سايمون». أجابت هانا: «آها. أرجو أن يكون قد جلب كارولين».

استجابةً لهذه الجُملة، تحوَّل انتباه إيلين بسرعةٍ من باب المطبخ إلى هانا. قالت باولا: «لا، لم تأت الليلة». راقبت إيلين هانا وهي تُعيد وضع الفلّينة فوق الزجاجة. قالت هانا: «خسارة». تركَت الزجاجة على طاولة القهوة، وانتبهت لنظرة إيلين فأضافت: «هل سبق لكِ مقابلتها يا إيلين؟».

ـ كارولين، هل هي..؟

أجابت باولا: «الفتاة التي يواعدها سايمون».

ابتسمت إيلين، بمجهودٍ يمكن ملاحظته، قبل أن تقول: «لا، لم نتقابل».

أخذت هانا جرعة نبيذٍ وأكملت: «آه. إنَّها رائعة، ستحبّينها. لقد قابلتَها يا بيتر، أليس كذلك؟».

استدار وكأنَّه يوجِّه حديثه إلى إيلين، ثمَّ قال: «نعم، تبدو لطيفة. وهي أصغر منه بعشر سنواتٍ فقط، وهذا تقدُّمٌ كبيرٌ في حدِّ ذاته».

أجابت هانا: «يا لك من شرير!».

أطلقت إيلين ضحكةً قصيرة. وقالت: «لم ألتقِ بهنَّ أبدًا. لسببٍ ما، لا أعرفه، لا يرغب في تعريفي عليهنّ».

ردَّ بيتر: «غريبة».

قالت هانا: «أنا متأكّدةٌ من أنَّ ذلك غير حقيقيّ».

استمرَّ بيتر موجِّهًا حديثه لإيلين: «لأنَّ.. بالمناسبة.. كنت دائمًا أشكُّ فيكما أنتما الاثنيْن».

أطلقت هانا ضحكةً مندهشة، وأمسكت ذراع إيلين، وقالت: «لا تستمعي إليه. إنَّه لا يعرف ما الذي يتحدَّث عنه».

انضمَّت إليهم صديقتهم روزين، وسألت بيتر عن رأيه في القضيَّة السياسيَّة التي كانوا يتحدَّثون عنها. وعندما ذهبت إيلين إلى المطبخ، في منتصف الليل، لتصبَّ لنفسها كأسًا جديدًا، توقَّفت لتنظر عبر النافذة الخلفيَّة، حيث أمكنها رؤية شبح جسم سايمون، وهو يتحدَّث مع المرأة التي اسمها ليان، التي تُمسك باسترخاءٍ سيجارةً بين إصبعيْها الأوسط والسبَّابة، وباليد الأخرى كانت تلمس ياقة قميص سايمون. وضعت إيلين الزجاجة وغادرت المطبخ. في غرفة المعيشة، جلست روزين على حِجر بيتر لتمثيل قصَّةٍ مضحكةٍ تحكيها. وقفت إيلين عند الكنبة وهي ترتشف جرعاتٍ من شرابها، ابتسمت عند ذروة النكتة بينما ضحك الجميع. بعد ذلك، ذهبت إلى الردهة وأخذت سترتها من تحت بعض الملابس التي تركها الآخرون على الشمَّاعة نفسها. خرجت من الباب الأماميِّ وبعدها أغلقت الباب وراءها. الهواء باردٌ في الخارج. خلفها كانت غرفة المعيشة مضاءةً في منزل باولا، بلونٍ ذهبيٍّ غامقٍ ودافئ، ومن الداخل، جاء صوتٌ مكتومٌ تمتزج فيه الموسيقى بأحاديث الناس. أخرجت إيلين هاتفها من جيبها. الوقت على الشاشة 00:08. خرجت من البوابة الأماميَّة إلى الرصيف، ووضعت يديْها في جيب سترتها.

قبل أن تصل إلى زاوية الشارع، انفتح باب بيت باولا مرَّةً أخرى، وخرج سايمون إلى العتبة الأماميَّة. ومن دون أن يغلق الباب من خلفه، صاح مناديًا: «إيلين، هل ستغادرين؟».

التفتت إليه إيلين. امتدَّ الشارع بينهما خاليًا ومظلمًا، انعكست إنارة الشارع بخفوتٍ على مقدِّمات السيَّارات المركونة.

ـ نعم.

وقف في مكانه للحظةٍ ينظر إليها، ربَّما عابسًا. سألها: «حسنًا، هل يمكنني أن أسير معك إلى البيت؟».

هزَّت كتفيْها.

ـ انتظري ثانية.

عاد إلى الداخل، ووقفت واضعةً يديْها في جيبها، كوعها إلى الخارج، تنظر إلى سطح الرصيف المتشقِّق. حينما ظهر من جديدٍ وأغلق الباب من خلفه، تردَّد صدى الصوت على جدران الشرفة المقابلة. انحنى وفكَّ قفل عجلته من حاجز الفناء الأماميّ لبيت باولا، ثمَّ وضع قفل العجلة والمفتاح في الحقيبة القماشيَّة التي جلبها معه. وقفت تنظر إليه. فرد ظهره مرَّةً أخرى، وأمسك عجلته من المقود متوجِّهًا إلى حيث تقف.

ـ آه. هل كلُّ شيءٍ على ما يرام؟

هزَّت رأسها.

ـ غادرتِ بشكلٍ مفاجئ. كنت أبحث عنك.

ـ لا بدَّ وأنَّك لم تبحث لوقتٍ طويل، فالبيت صغيرٌ للغاية.

ارتسم على وجهه نوعٌ مرتبكٌ من الابتسامة.

ـ لا. حسنًا. لم تختفي إلَّا منذ وقتٍ قليل. ولم تبتعدي إلَّا لخمسة عشر مترًا عن الباب.

عادت إيلين للمشي من جديد، وتبعها سايمون، بينما تصدر عجلته صوت طقطقةٍ بينهما.

ـ كان لطيفًا حين قدَّمتنا ليان إلى بعضنا.

ـ نعم، لاحظت كذلك أنَّها حصلت على عناقٍ ولم أحظ أنا بمصافحةٍ حتَّى.

ضحك. قال: «أعرف، سيطرت على نفسي تمامًا، أليس كذلك؟ لكن أظنُّها فهمت».

بنبرة صوتٍ محايدةٍ، أجابت إيلين: «فعلًا».

تفحَّصها بعناية، وعاد للعبوس مجدَّدًا.

ـ حسنًا، لم أرغب في أن أتسبَّب بإحراجك. ما الذي كان يجب عليَّ أن أقوله في رأيك؟ أوه، إيلين. لستِ بحاجةٍ إلى تعريف. فنحن في الحقيقة عشَّاق.

ـ وهل نحن؟

ـ همم. أظنُّ أنَّها إحدى الكلمات التي لم يَعُد أحدٌ يستخدمها هذه الأيَّام.

وصلا إلى ركن الشارع وانعطفا إلى العقار، مغادرين إلى الطريق الرئيسيّ. فوقهما أشجارٌ طويلة، تمتلئ بالأوراق، مزروعةٌ على امتداد مسافات الممشى. يدا إيلين لا تزالان في جيبها.

تنحنحت ثمَّ قالت بصوتٍ واضح: «كان أصدقاؤك يُخبرونني عن روعة صديقتك كارولين هذه. الفتاة التي تواعدها. يبدو أنَّهم كلُّهم يحبُّونها. من الواضح أنَّها تركت لديْهم انطباعًا جيِّدًا للغاية».

كان سايمون ينظر إلى إيلين وهي تتحدَّث، بينما كانت هي تنظر بثباتٍ إلى الطريق أمامها.

ـ صحيح؟

ـ لم أكن أعرف أنَّكَ عرَّفتها على الجميع.

ـ ليس الجميع، خرجت معنا عدَّة مرَّات، وذهبنا لتناول المشروبات معًا، هذا كلُّ شيء.

بدرجة صوتٍ تكاد أن تكون غير مسموعةٍ، غمغمت إيلين: «يا ربّي».

مرَّت فترةٌ من الوقت لم يتحدَّث فيها أيٌّ منهما. وفي النهاية، قال: «أنا قلت لكِ بالفعل إنَّني أواعد شخصًا ما».

ـ وأنا الوحيدة من بين أصدقائك التي لم تقابلها؟

ـ أعرف كيف يبدو ذلك، لكنَّني فعلًا كنت أحاول فعل الصواب هنا. الأمر فحسب.. أنت تعرفين، الوضع كلُّه غير واضحٍ تمامًا.

أطلقت إيلين ضحكةً حادَّة. قالت: «آه أكيد، لا بدَّ وأنَّ الوضع صعب. لا يمكنك أن تمارس الجنس مع العالم كلِّه، صح؟ أو يمكنك ذلك، ثمَّ تصبح الأمور غريبةً بعد ذلك».

بدا على سايمون التَّفكير في ذلك.

ـ اسمعي. أفهم أنَّكِ متضايقة. لكنَّني أشعر أنَّكِ تظلمينني هنا.

ـ لست متضايقة.

تحرَّكت عيناه لتنظر إلى الطريق أمامهما. مرَّت الثواني في صمتٍ وهما يمشيان، تعبر السيَّارات بهما على الطريق. في النهاية، قال: «حسنًا. حينما دعوتك للخروج في فبراير، قلت لي إنَّك تريديننا أن نبقى أصدقاء. لا أحاول اتِّهامك بأيِّ شيء، أقول لك وجهة نظري.

لكنَّك لم تظهري أيَّ اهتمامٍ بي، على الإطلاق، حتَّى أخبرتكِ أنَّني أواعد فتاةً أخرى. لو كنت مخطئًا فيما أقول أخبريني».

رأس إيلين منحنٍ إلى الأمام، ويمكن رؤية رسمة رقبتها الطويلة من ياقة السترة، عيناها على الرصيف. لم تقل شيئًا.

- وعندما اكتشفتِ أنَّني أواعد شخصًا ما، قرَّرتِ أن تبدأي المغازلة، تتَّصلين بي على الهاتف بالليل، حسنًا، وبعدها تطلبين زيارتي في البيت وأنا في السرير، ونعبث هنا وهنا، لا بأس، لا أمانع كلَّ هذا. لكن حسبما أرى من كلِّ هذا، فأنا واضحٌ تمامًا معك منذ اللحظة الأولى: هناك شخصٌ آخر، وهذه العلاقة ليست حصريَّة، إذا أردتِ أن تأتي للنوم في بيتي فأنا لن أمانع. ولن أضغط عليكِ لاتِّخاذ أيِّ قراراتٍ بشأن علاقتنا، أنا سعيدٌ بتمضية الوقت معك، ولنر أين ستذهب الأمور. ومن كلِّ ما قلته لي في السَّابق، افترضتُ أنَّ هذا هو ما تريدينه أنتِ أيضًا. والأمور كلُّها كانت لطيفةً جدًّا، بالنِّسبة إليَّ على الأقلّ. أنا متفهِّمٌ تمامًا أن تشعري بالغرابة حين تسمعين أصدقاءنا يتحدَّثون عن شخصٍ آخر أواعده، لكن من فضلك لا تصوِّري الأمر وكأنَّك لم تعرفي أنَّها موجودة.

بينما كان يتحدَّث، رفعت إيلين يدها إلى وجهها، ودفعت شعرها بخشونةٍ بعيدًا عن جبهتها، وبدا التوتُّر في كتفيْها وعينيْها، وفي الحركة الحادَّة، التي تكاد تكون عشوائيَّةً لأصابعها.

- يا إلهي. كم أنتَ مسيحيٌّ طيِّب.!

- ما الذي تعنينه بهذا؟

بضحكةٍ بدت للحظةٍ وكأنَّها خائفة، أجابت: «لا أصدِّق أنَّني كنت بلهاء لهذه الدرجة».

توقَّفا عن المشي خارج مدخل مبنى يضمُّ مجموعةً من الشقق، وتحت ضوء الشارع. كان ينظر إليها بقلق.

ـ لا، لستِ بلهاء. وآسف لو أنَّني ضايقتك. ليس هذا ما أردته على الإطلاق. صدِّقيني. لم أر كارولين حتَّى هذا الأسبوع. لو كنت قد أعطيتكِ انطباعًا بأنَّني أنهيت الأمر معها بعد نهاية الأسبوع الماضي، فأنا آسفٌ فعلًا.

غطَّت وجهها، يداها تفرك عينيْها، وصوتها حينما تحدَّثت مخنوقٌ وغير واضح المعالم. تمتمت: «يا إلهي. ظننتُ فحسب.. لا، لا أعرف حتَّى ما الذي ظننته».

ـ إيلين، ما الذي تريدينه؟ لأنَّكِ صدقًا لو كنت تريديننا أن نكون معًا، فبإمكاني إنهاء الأمور مع كارولين في أيِّ وقت. سأكون سعيدًا بذلك، وأكثر من سعيد. لكن لو لم يكن هذا ما تريدينه، ولو كان ما نفعله فحسب هو العبث وقضاء وقتٍ ممتع، فعندها.. أنتِ تعرفين ما أقصده. لا يمكنني البقاء في هذه الحالة لباقي حياتي لأنَّ ذلك هو ما يناسبك. في وقتٍ ما.. عليَّ أن أتجاوز الأمر. هل تفهمين قصدي؟ أنا أحاول معرفة ما تريدينه فحسب.

أغمضت عينيْها، ولم تقل شيئًا لبضع ثوان. ثمَّ قالت بنبرةٍ خفيضة: «أريد أن أعود إلى البيت».

ـ حسنًا. هل تقصدين الآن؟

هزَّت رأسها وعيناها مغمضتيْن.

ـ الحلُّ الأفضل هو أن نستمرَّ في المشي. تمام؟ سأوصلكِ إلى الباب.

ـ نعم.

بصمتٍ واصلا المشي إلى شارع توماس، ثمَّ انعطفا يسارًا، وسارا تجاه سانت كاترين. عند إشارة المرور، تتباطأ عدَّة سيَّارات، وتاكسي أنواره مضاءة. سارا من دون حديثٍ في شارع بريدج فووت ثمَّ قطعا الجسر عند جزيرة آشر. تتفتَّت أضواء الشارع وتنعكس على سطح النهر الأسود. وصلا في النهاية إلى مدخل البناية التي تقع فيها شقَّة إيلين، ووقفا معًا تحت القوس البارز للممرِّ الخارجيّ. نظر إليها، وبادلته النظر ورأسها مستقيم. أخذت نفسًا عميقًا، وقالت بعناء: «فلننس ما حدث رجاءً».

انتظر للحظةٍ وكأنَّه يسمح لها باستكمال حديثها، لكنَّها لم تفعل.

ـ آسف لو كان سؤالًا غبيًّا، لكن ننسى ماذا بالضبط، ما الذي تقصدينه؟

استمرَّت في النظر إليه، وجهها شاحبٌ وضعيف.

ـ الأمر كلُّه على ما أظنّ. بإمكاننا أن نعود أصدقاء لا غير مرَّةً أخرى.

بدأ يومئ برأسه وهو ينظر إليها. قال: «طبعًا. لا بأس. أنا سعيدٌ أنَّنا تحدَّثنا عن الأمر». توقَّف للحظاتٍ ثمَّ أضاف: «وأنا آسف لو أنَّك ظننتِ أنَّني أتجاهلك في بيت باولا. كنت متشوِّقًا لرؤيتك. جدًّا. لم أقصد أن أجعلك تشعرين بالتجاهل. هذا كلُّ شيء. سأذهب إلى البيت الآن، حسنًا؟ ربَّما لن نتقابل خلال الأسبوع، لكن على كلِّ حالٍ سنتقابل في حفل الزفاف».

بدا أنَّها تبتلع ريقها، ثمَّ سألت بصوتٍ متردِّد: «هل ستكون كارولين هناك؟ أذكرُ أنَّكَ قلتَ إنَّك تفكِّر في إحضارها».

نظر عندها إلى إيلين وتسلَّلت ابتسامةٌ إلى وجهه.

ـ لا. لم أدعُها في كلِّ الأحوال. لكن لو كان ذلك ما أردته، كان بإمكانك أن تخبريني فحسب. لا داعي لكلِّ هذه التكتيكات الاستباقيَّة.

أدارت وجهها بعيدًا، وهي تهزُّ رأسها.

ـ لا، ليس الأمر كذلك.

استمرَّ في النظر إليها لمزيدٍ من الوقت، ثمَّ قال بنبرة صوتٍ ودودة: «ليس هنالك داعٍ للقلق. سأراك قريبًا».

سار مبتعدًا، عجلات درَّاجته المبطَّنة تتحرَّك بهدوءٍ على سطح الشارع المرصوف.

أخرجت إيلين مفاتيحها من جيبها، ودخلت إلى المبنى، متَّجهةً مباشرةً إلى السلالم، وعبر الباب الأماميِّ لشقَّتها. دفعت باب غرفة نومها لتفتحها من دون تركيز، ثمَّ أغلقت الباب بقوَّة، واستلقت على السرير وبدأت في البكاء. وجهها أحمر، وبالإمكان رؤية عرقٍ في جبينها. ضمَّت ركبتيْها إلى صدرها وانتحبت بصوتٍ متألِّمٍ متقطِّعٍ من الحنجرة. نزعت فردةً من الحذاء الجلديِّ المسطَّح، ورمته بقوَّةٍ على الجدار المقابل، فسقط برخاوةٍ على السجَّادة. أطلقت صوتًا بدا وكأنَّه صرخةً بعدها، ووضعت وجهها بين يديْها وهي تهزُّ رأسها. مرَّت دقيقة. واثنتان. نهضت ومسحت وجهها، تاركةً بقعًا سوداء من مسحوق التجميل تحت عينيْها وعلى يديْها. ثلاث دقائق. أربع. نهضت على قدميْها، وذهبت إلى النافذة ونظرت من بين الستائر. مصابيح السيَّارات الأماميَّة تعبر أمامها. عيناها مُحمرَّتان ومنتفختان. دعكتهما مرَّةً أخرى بيدها، وأخرجت هاتفها من جيبها. الوقت 00:41. فتحت تطبيق رسائل وضغطت على

اسم سايمون. على الشاشة، ظهرت محادثةٌ في وقتٍ سابقٍ من اليوم. في حقل الردِّ كتبت إيلين ببطءٍ هذه الكلمات: «**يا إلهي سايمون. أنا أكرهك**». نظرت بهدوءٍ إلى الرسالة، وبعدها، وبتردُّدٍ واضح، أضافت هذه السطور: «**ففي رأيك نحن كنَّا فعلًا طيلة هذا الأسبوع «نستمتع بوقتنا» لا أكثر، وأنت تواعد شخصًا آخر طيلة هذا الوقت؟ عندما كنت تبكي طيلة الليل وتخبرني كم أنَّك وحيد، هل كانت هذه فكرتك عن المزاح؟ هل أنت مجنون؟**».

تحرَّكت عيناها مرَّةً أخرى فوق النصّ، ببطء، وتروٍّ. ثمَّ ضغطت بإبهامها على زر الإلغاء، ومسحت كلَّ ما كتبت. أخذت أنفاسًا عميقةً بصعوبة، ثمَّ بدأت في الكتابة من جديد.

سايمون، أنا آسفة. أشعر بالسوء. لا أعرف ما أفعل. أحيانًا أكره نفسي لدرجة أنَّني أتمنَّى أن يسقط شيءٌ ثقيلٌ على رأسي ويقتلني. أنت الشخص الوحيد الذي يعاملني بلطف، وفي الغالب أنت لا تريد حتَّى رؤيتي مرَّةً أخرى. لا أعرف لماذا أفسد كلَّ الأشياء الجيِّدة في حياتي. أنا آسفة.

عندما انتهت من الكتابة، كانت الساعة على الشاشة 00:54. سحبت لتصل إلى أوَّل الرسالة، ومرَّةً أخرى أعادت قراءة السطر الأخير. بعدها ضغطت بإبهامها مرَّةً أخرى على زرِّ الإلغاء. ومرَّةً أخرى، عادت مساحة الردِّ فارغة، ينبض المؤشِّر فيها بإيقاعٍ ثابتٍ فوق نصٍّ شاحبٍ مُلوَّنٍ بالرماديّ، يقول: «اكتب رسالة». أغلقت الهاتف واستلقت بظهرها على السرير.

ـ20ـ

أليس، أشعر ببعض الاستغراب من أنَّك ذهبت في رحلة عملٍ جديدةٍ بالفعل. كان انطباعي من حديثنا في شهر فبراير السَّابق أنَّك ستغادرين دبلن لأنَّك غير راغبةٍ في مقابلة الناس، وأنَّك بحاجةٍ إلى بعض الوقت للراحة والتعافي. بل وعندما عبَّرتُ لك عن قلقي من أنَّك ستكونين وحدك طيلة الوقت، قلت لي إنَّ هذا بالضبط ما تريدينه في الحقيقة. لهذا لا أستطيع منع نفسي من الاستغراب قليلًا وأنا أقرأ هذه الإيميلات المسهبة التي ترسلينها لي عن حفلات الجوائز التي تحضرينها في باريس. لو أنَّك تشعرين بتحسُّنٍ يجعلك قادرةً على العودة إلى العمل من جديد، فهذا رائع. طبعًا. لكن على فرض أنَّك تسافرين من مطار دبلن متَّجهةً إلى كلِّ هذه الرحلات، ألم يكن بإمكانك إخبار أيٍّ من أصدقائك بالأوقات التي ستكونين فيها بالمدينة؟ يعني أنت لم تُخبري سايمون ولم تُخبريني، وللتوِّ أخبرَتني روزين أنَّها راسلتك قبل

أسبوعيْن ولم تردّي عليها. أتفهَّم تمامًا أنَّ مزاجك هذه الفترة لا يميل إلى الاجتماعيَّات، لكن هذا يعني أنَّك ربَّما تدفعين نفسك للعودة إلى العمل بأسرع ممَّا ينبغي. هل تفهمين قصدي؟

لعدَّة أيَّامٍ وأنا أفكِّر في الأجزاء الأخيرة من رسالتك، تحديدًا ما تسمِّينه «الفشل الجماعيّ». أعرف أنَّنا متَّفقتان على أنَّ الحضارة الإنسانيَّة تعيش في الوقت الحاليّ مرحلة تدهورٍ وانحطاط، وأنَّ القبح المروِّع هو السِمة البصريَّة الغالبة على الحياة المعاصرة. السيَّارات قبيحة. البنايات قبيحة. السلع الاستهلاكيَّة، المُعدَّة للاستخدام مرَّةً واحدةً والتي تُنتج بكمِّيَّاتٍ هائلة، قبيحةٌ لدرجةٍ لا توصف. الهواء الذي نتنفَّسه ملوَّث، الماء الذي نشربه مليءٌ بجزيئيَّات البلاستيك الدقيقة، وطعامنا يختلط بكيماويَّات التيفلون المُسبِّبة للسرطان. جودة الحياة تتداعى، ومعها جودة التجارب الجماليَّة المُتاحة لنا. الرواية المعاصرة (باستثناءاتٍ قليلةٍ للغاية) غير ذات صلةٍ بالواقع. السينما الرائجة هي كابوسُ بورن صديقٌ للعائلة، تموِّله شركات السيَّارات ووزارة الدفاع الأميركيَّة، والفنُّ البصريُّ تحوَّل بالأساس إلى سوق سلعٍ للأوليغارشيَّة. من الصعب في ظروفٍ كتلك التي نعيشها ألَّا نشعر بأنَّ نمط الحياة المعاصرة أقلُّ في الجودة بكثيرٍ من طرق الحياة القديمة، والتي اتَّضح أنَّها تمثِّل شيئًا أكثر قيمة، وأكثر ارتباطًا بجوهر الوضع البشريّ. وبالطبع فإنَّ هذا الزخم النوستالجيّ قويٌّ لدرجةٍ لا توصف، وقد جرى استغلاله مؤخَّرًا، بدرجةٍ كبيرة، لصالح الحركات السياسيَّة الرجعيَّة والفاشيَّة، لكنَّني غير مقتنعةٍ بالضرورة أنَّ هذا الزخم فاشيٌّ في جوهره. أظنُّ أنَّ المنطق يقول إنَّ الناس يتطلَّعون بحسرةٍ إلى أوقاتٍ سبقت موت العالم الطبيعيّ، لأوقاتٍ سبقت تحلُّل

الأشكال الثقافيَّة المشتركة وتفكُّكها لتُصبح حالةً من التسويق الشامل، ولوقتٍ سبقَ تحوُّلَ مدننا وبلداتنا إلى مراكز توظيفٍ مجهولة الهويَّة.

أعرف أنَّك، عن نفسك، تشعرين أنَّ العالم لم يَعُد جميلًا بعد لحظة انهيار الاتِّحاد السوفييتيّ. (ملحوظةٌ جانبيَّة: ألا تشعرين أنَّ من الغريب أنَّ هذا الحدث قد تزامن بالكامل تقريبًا مع تاريخ ميلادك؟ ربَّما يساعدنا هذا في تفسير أنَّكِ دائمًا ما تشعرين بوجود قواسم مشتركةٍ بينك وبين المسيح، والذي أؤمن أنَّه كان يظنُّ نفسه هو الآخر نذيرًا بنهاية العالم). لكن دعيني أسألك، هل سبق لك وأن شعرتِ بنوعٍ أبسط، وأكثر شخصيَّةً من هذا الشعور، أي أنَّ حياتك الخاصَّة، عالمك الخاصّ، يتحوَّل ببطء، وبصورةٍ ملحوظةٍ في الوقت نفسه، إلى مكانٍ أكثر قبحًا؟ أو حتَّى ذلك الشعور بأنَّك لم تعودي قادرةً على استيعاب الخطاب الثقافيّ، رغم أنَّ ذلك لم يكن يمثِّل لك مشكلةً في السَّابق، فينتابك الشعور بأنَّك تبتعدين عن عالم الأفكار، مغتربة، بلا موطنٍ فكريّ؟ ربَّما تكون لحظتنا التاريخيَّة الخاصَّة هي ما يصنع الفرق كلَّه، أو ربَّما يكون الأمر كلُّه مرتبطًا بالتقدُّم في العمر والشعور بخيبة الأمل، وهو أمرٌ يحدث لجميع البشر. عندما أفكِّر فيما كنَّا عليه حين التقينا للمرَّة الأولى، فإنَّني لا أظننا أخطأنا بشأن أيِّ شيء، إلَّا أنفسنا. الأفكار صحيحة، لكنَّ الخطأ تمثَّل في توهُّمنا الأهمِّيَّة. حسنًا.. كلانا تكشَّف فيه هذا العطب تحديدًا بأشكالٍ مختلفة، أنا بتحقيقي اللَّا شيء على أكمل وجه، على مدار عقدٍ كاملٍ من حياتي كشخصٍ بالغ، وأنت (سامحيني) بتحقيق كلِّ ما استطعت تحقيقه، من دون أن يُحدِث ذلك أدنى تغييرٍ في أداء المنظومة الرأسماليَّة السلس. عندما كنَّا صغارًا، ظننَّا أنَّ مسؤوليَّاتنا تمتدُّ لتشمل

الأرض بأكملها، وكلَّ ما يعيش عليها. والآن نكتفي بأن نحاول ألَّا نخذل أحبَّاءنا، وألَّا نستخدم من البلاستيك أكثر ممَّا ينبغي، وفي حالتك، أن نكتب كتابًا مثيرًا للاهتمام، مرَّةً كلَّ عدَّة أعوام. لا بأس بهذا على كلِّ حال. هل بدأت العمل على كتابٍ جديدٍ بالمناسبة؟

ما زلت أنظر لنفسي على أنَّني شخصٌ مهتمٌّ بتجربة الجمال، لكنَّني لا أجرؤ على وصف نفسي (إلَّا حينما أتحدَّث معك، في هذا الإيميل) بأنَّني «مهتمَّةٌ بالجمال»، لأنَّ الناس حينها سيفترضون أنَّ ما أقصده هو أنَّني مهتمَّةٌ بمساحيق التجميل. أظنُّ أنَّ هذا هو المعنى الغالب على كلمة «جمال» في حياتنا الثقافيَّة الآن. ويبدو لي أنَّ الإقرار بهذا المعنى لكلمة «جمال» هو أمرٌ يدلُّ على شيءٍ بالغ البشاعة. الرفوف البلاستيكيَّة في متاجر المحلَّات باهظة الثمن، الخصومات في الصيدليَّات، العطور المُصنَّعة، الرموش الصناعيَّة، عبوات المنتجات. بالتَّفكير في كلِّ هذه الأشياء الآن، أظنُّ أنَّ صناعة الجمال مسؤولةٌ عن كثيرٍ من أبشع الأشياء التي نراها في بيئتنا البصريَّة على الإطلاق، وعن النموذج الجماليِّ الأسوأ والأكثر زيفًا على الإطلاق، وهو نموذج النزعة الاستهلاكيَّة. كلُّ أنماطها وأشكالها المختلفة تدلُّ على المبدأ نفسه في النهاية: مبدأ الإنفاق. وبالتالي، فإنَّ الانفتاح بطريقةٍ جادَّةٍ على التجربة الجماليَّة يتطلَّب منَّا أن نرفض بشكلٍ كاملٍ هذا النموذج. بل ونطمح في ردِّ فعلٍ شاملٍ ضدَّه، حتَّى لو بدا أنَّ ذلك يتطلَّب نوعًا ما من القبح السطحيّ.. سيكون ذلك أفضل بكثير، وأكثر «جمالًا» في جوهره، من تكلفة شراء جاذبيَّةٍ شخصيَّةٍ لا تنتهي. كنت أتمنَّى بالطبع عن نفسي لو كان شكلي أحلى، وبالطبع أسعد حين يؤكِّد أحدُ شعوري بأنَّني جميلة،

لكنَّ الخلط بين هذه الدوافع، سواءٌ أكانت بالأساس إيروتيكيَّةً تلقائيَّةً أو مدفوعةً بالرغبة في تعزيز المكانة، وبين التجربة الجماليَّة الحقيقيَّة يبدو لي خطأً فادحًا لأيِّ شخصٍ يهتمُّ بالثقافة. هل سبق وأن كانت هناك فترةٌ من التاريخ اختلط فيها الأمران لهذه الدرجة من العمق وعلى هذا النطاق الواسع؟

هل تذكرين مقالي عن ناتاليا جينزبيرج، الذي نشرته قبل عدَّة سنوات؟ لم أُخبركِ وقتها، لكن أحد الوكلاء الأدبيِّين في لندن تواصل معي وقتها، ليسألني إذا ما كنت أعمل على كتاب. لم أخبركِ لأنَّكِ كنت مشغولة، وبسبب.. أظنّ.. أنَّ ذلك بدا تافهًا مقارنةً بكلِّ ما كان يحدث في حياتك وقتها. أشعر بالخجل الآن حتَّى من الاعتراف بمجرَّد المقارنة. على كلِّ حال، شعرت بالسعادة حين قرأت هذا الإيميل في البداية، وعرضته على إيدن، رغم أنَّه لم يكن يعرف على الإطلاق أيَّ شيءٍ يخصُّ عالم النشر أو يهتمُّ بأيِّ درجة، بل وأخبرت أمِّي أيضًا. ولكن بعد يومٍ أو اثنيْن، بدأت مشاعر القلق والتوتُّر تتسلَّل إليَّ، لأنَّني في الواقع لم أكن أعمل على أيِّ كتاب، ولم أكن أعرف إطلاقًا ما الذي يمكن أن أكتب كتابًا عنه، وبصراحةٍ لم أرَ في نفسي قدرةً على إنهاء مشروعٍ كبيرٍ كهذا في كلِّ الأحوال. وكلَّما أمعنتُ التَّفكير في ذلك الأمر، تنامى بداخلي شعورٌ بأنَّه حتَّى المحاولة نفسها ستكون ثقيلةً ومؤلمةً عليَّ، لأنَّني لا أمتلك أيَّ عمقٍ فكريٍّ ولا أفكارًا أصيلة. وسؤالٌ آخر: لماذا سأفعل ذلك على كلِّ حال؟ لأقول إنَّني فعلته فحسب؟ أو لأشعر أنَّني أنا وأنت متساويتان؟ أنا آسفةٌ لو أنَّ كلَّ ما أقول يجعل الأمر يبدو وكأنَّك تخيِّمين على حياتي الداخليَّة. اطمئنِّي، لا تفعلين

في العادة، أو تفعلين بطريقةٍ جيِّدة. على كلِّ حال، لم أردَّ أبدًا على هذا الإيميل. وبقي هناك في صندوق الرسائل، يُشعرني بالسُّوء، أكثر، فأكثر، فأكثر، حتَّى أرسلته إلى سلَّة المهملات. كان بإمكاني على الأقلّ أن أشكر المرأة وأرفض العرض، لكنَّني لم أفعل، أو لم أستطع، لا أعرف السَّبب. أظنُّ كلَّ ذلك لا يهمُّ الآن. الشيء السخيف هو أنَّني استمتعت فعلًا بكتابة هذا المقال، وأردت فعلًا أن أكتب واحدًا آخر، ولم أفعل ذلك أبدًا بعد أن تلقَّيتُ هذا الإيميل. أعرف أنَّني لو كنت أملك أيَّ موهبةٍ لكنتُ قد فعلت شيئًا في حياتي بحلول هذا الوقت. لن أخدع نفسي في هذه الأمور. حتَّى لو حاولت كنت سأفشل، ولهذا لم أحاول أبدًا.

في واحدةٍ من إيميلاتك قبل عدَّة شهور، كتبتِ أنَّني وإيدن لم نكن سعداء أبدًا معًا. ليس هذا صحيحًا تمامًا، كنَّا سعداء في البداية، ولفترة. لكنَّني أفهم ما تقصدينه. وأتساءل فعلًا لماذا أمضيت ذلك الوقت كلَّه وأنا أشعر بالسُّوء حول نهاية شيءٍ لم يكن مجديًا بأيِّ حال. أظنُّ أنَّه على مستوى من المستويات، من السيِّئ للمرء أن يصل إلى سنِّ الثلاثين من دون علاقةٍ واحدةٍ سعيدةٍ وراءه. وأظنُّ كذلك أنَّني كنت لأشعر بدرجةٍ أكبر من الحزن الظاهريّ، لكنَّني لن أكون إنسانةً محطَّمةً بالكامل، لو كان شعوري بالحزن هذا يأتي من انفصالٍ ما، لا أن أكون حزينةً على انعدام قدرتي طيلة حياتي على الحفاظ على علاقةٍ سليمةٍ واحدة. لكن على الناحية الأخرى، ربَّما الحقيقة هي شيءٌ آخر. كلُّ هذه الأوقات التي فكَّرت فيها بالانفصال عن إيدن بل وتحدَّثت عن ذلك حتَّى، أليس كذلك؟ لا أرى أنَّ سبب ذلك هو أنَّني أحببته، وقد

فعلت، ولا أرى أنَّ السَّبب كان فكرة أنَّني سأفتقده، لأنَّه لم يخطر ببالي على الإطلاق أنَّني سأفعل، ولأكون صريحةً مع نفسي، فأنا لم أشعر بذلك. أحيانًا أفكِّر في أنَّني كنت خائفةً من أنَّ حياتي دونه ستكون على حالها لا أكثر، أو حتَّى أسوأ، وسيكون عليَّ أن أتقبل أنَّ تلك هي غلطتي أنا. وكان من الأسهل والآمن أن أبقى في موقفٍ سيِّئٍ كهذا على أن أواجه مسؤوليَّاتي وأنسحب من هذه العلاقة. ربَّما، ربَّما، لا أعرف. أقول لنفسي إنَّني أريد أن أعيش حياةً سعيدة، وأنَّ الظروف المواتية لتحقيق هذه السعادة لم تتشكَّل حتَّى الآن. لكن ماذا لو لم يكن هذا حقيقيًّا؟ ماذا لو أنَّني من يمنع نفسي من السعادة؟ لأنَّني خائفة، أو لأنَّني أفضِّل الانغماس في حالةٍ من الرثاء الذاتيّ، أو حتَّى أنَّني مقتنعةٌ بكوني لا أستحقُّ أشياء جيِّدة، أو لأيِّ سببٍ آخر. كلَّما حدث لي شيءٌ جيِّد، أجد نفسي دائمًا أفكِّر: أتساءل إلى متى سيستمرُّ هذا ثمَّ يتحوَّل إلى شيءٍ سيِّئ. بل وأكاد أرغب في أن يحدث الأسوأ في أسرع وقتٍ ممكن، عاجلًا لا آجلًا، وعلى الفور إذا أمكن، على الأقلّ لكي أتخلَّص من الشعور بالقلق حول هذا الأمر.

لو أنَّني لم أنجب أيَّ أطفال، ولم أكتب أيَّ كتب، وهو ما أظنُّه أمرًا محتملًا بقوَّةٍ الآن، فلن يكون لي أيُّ أثرٍ على الأرض يدلُّ عليَّ. وربَّما هذا أفضل، فذلك يجعلني أشعر أنَّه بدلًا من القلق والتنظير حول حالة العالم، وهو أمرٌ لا يساعد أحدًا، ينبغي عليَّ أن أضع طاقتي في محاولة العيش وأن أكون سعيدة. وعندما أحاول أن أتخيَّل الشَّكل الذي يمكن للحياة السعيدة أن تتَّخذه، فإنَّ الصورة التي تخطر ببالي لم تتغيَّر كثيرًا منذ طفولتي. منزلٌ تحيطه الأشجار والأزهار، على مقربةٍ من أحد الأنهار،

وحجرةٌ مليئةٌ بالكتب، وشخصٌ ما يحبُّني. هذا كلُّ شيء. أن أصنع بيتًا هناك، وأن أعتني بوالديَّ حينما يكبران في السنّ. لم يكن ما أريده هو السفر أبدًا، ولا أن أركب طيارةً مرَّةً أخرى، أن أعيش بهدوءٍ فحسب، وأن أُدفن في الأرض. ما هي الحياة غير ذلك؟ لكن حتَّى هذه الأمور تبدو بعيدةً عنّي، لدرجة أنَّها تشبه الحلم، مقطوعة الصلة بأيِّ شيءٍ في الحياة. أمَّا بالنِّسبة إليَّ وسايمون، فنعم، حجرتا نومٍ من فضلك.

كلُّ حبّي كالعادة. إي.

- 21 -

في الليلة التالية، يوم الأربعاء، خرجت أليس لتقابل فيلكس وبعض أصدقائه في حانةٍ تحمل اسم «ذا سايلورز فريند»، عند ناصية شارعٍ بالقرب من رصيف دبلن. وصلت إلى الحانة قرابة الساعة التاسعة، ووجهها مُحمرٌّ من المشي، ترتدي بلوزةً ذات عنقٍ طويلٍ وبنطلونًا مخروطيَّ الشَّكل. المكان دافئٌ وصاخب. على امتداد الجدار الأيسر يمتدُّ رفٌّ طويلٌ أسود اللون، وخلفه، فوق زجاجات المشروبات الكحوليَّة، مجموعةٌ من البطاقات البريديَّة الملوَّنة. أمام المدفأة، يرقد كلبٌ سلوقيٌّ نائمًا، ووجهه مستقرٌّ على كفَّيْه الأماميَّيْن. جلس فيلكس وأصدقاؤه بالقرب من نافذةٍ في الخلف، وكانوا في خضمِّ مناقشةٍ هادئةٍ حول تسويق القمار الإلكترونيّ. عندما رأى فيلكس أليكس تقترب، وقف من مكانه، وحيَّاها، ولمس وسطها، وسألها عمَّا ترغب في شربه. أشار إلى أصدقائه من جديد، وأضاف: «أنت تعرفين الشباب، قابلتهم مرَّةً في السَّابق. اجلسي. سأذهب وأجلب لك شيئًا تشربينه». جلست

مع أصدقائه بينما ذهب هو إلى البار. امرأةٌ اسمها شيفون تحكي قصَّةً عن رجلٍ تعرفه اقترض 60 ألف يورو من البنك لتغطية ديون القمار. بدا أنَّ أليس وجدت القصَّة مثيرةً للاهتمام جدًّا، وسألت عدَّة أسئلةٍ محدَّدة. عندما عاد فيلكس ومعه كوبٌ من الفودكا تونيك، جلس بجوارها ووضع يده على أسفل ظهرها، ممسِّدًا صوف بلوزتها تحت أصابعه. عند منتصف الليل، خرجا من البار وسارا معًا إلى منزله. في الأعلى، استلقت أليس على ظهرها فوق السرير، وفيلكس فوقها. جفونها ترفُّ وتتنفَّس بسرعة، بصوتٍ عالٍ. أراح وزنه على كوعٍ واحد، ضاغطًا ساقها اليمنى على صدرها.

سألها: «هل تفكِّرين فيَّ وأنتِ بعيدة؟».

بصوتٍ متوتِّرٍ أجابت: «أفكِّر فيك كلَّ ليلة».

أغلق عينيْه. بدا وكأنَّ أنفاسها تأتي في موجات، تغمر رئتيْها ثمَّ تخرج منها مرَّةً أخرى عبر فمها المفتوح. قال وعيناه لا تزالان مغمضتيْن: «أليس، سأقذف، تمام؟».

لفَّت ذراعيْها حوله.

في الصباح، أوصلها إلى البيت في طريقه إلى العمل. قبل أن تنزل من السيَّارة، سألته إذا كانا سيتناولان طعام العشاء معًا الليلة، فأجاب بالإيجاب.

ـ هل يظنُّ أصدقاؤك أنَّني صاحبتك؟

ابتسم وأجاب: «حسنًا.. منذ فترةٍ ونحن نتحرَّك معًا في كلِّ الأماكن. لا أظنُّهم يهتمُّون كثيرًا بالأمر، لكن أجل. ربَّما يفترضون

ذلك». توقَّفَ عن الكلام برهةً قبل أن يتابع: «والناس في البلدة يقولون ذلك. لا أهتمّ. أنا أُخبرك فقط لكي تعرفي».

ـ ما الذي يقوله الناس في البلدة، بالضبط؟

ضمَّ فيلكس حاجبيْه وهو يقول: «آه. الأشياء المعتادة، لا شيءَ مهمٌّ فعلًا. هذه المرأة الكاتبة، التي تعيش في بيت كاهن الأبرشيَّة، تتسكَّع مع فتى برادي. أشياء من هذا القبيل».

قالت أليس إنَّهما في حقيقة الأمر، وعلى كلِّ حال، «يتسكَّعان معًا» بالفعل، ووافقها فيلكس على ذلك. أضاف: «ربَّما نجد بعض الحواجب المرفوعة هنا وهناك، لكنَّني لا أهتمّ».

ـ لماذا سيرفع أيُّ شخصٍ حاجبيْه استغرابًا لفكرة أن يرى شابَّيْن عازبيْن يتسكَّعان معًا في الأنحاء؟

حرَّك ذراع نقل السرعة تحت يديْه وهو يفكِّر، ثمَّ قال: «لا يراني الكثيرون شخصًا «لُقطة».. دعيني أصيغ الأمر بهذه الطريقة. ولستُ الشخصيَّة التي يثق فيها الجميع. وبصراحةٍ يعني.. أنا مدينٌ ببعض المال لبعض الناس في البلدة. تنحنح. لكن يعني.. بالتَّأكيد، لو أنَّني أعجبك، فهذا شأنك بالكامل. ولن آتي في يومٍ لاقترض منك المال، لا تقلقي. والآن اذهبي وإلَّا سأتأخَّر يا حلوة».

فكَّت حزام الأمان. وقالت: «أنا معجبةٌ بك فعلًا».

ـ أعرف ذلك. هيَّا. مع السلامة.

في ذلك الصباح، وبينما فيلكس في العمل، أجرت أليس مكالمةً هاتفيَّةً مع وكيلها الأدبيّ، ناقشا فيها مجموعةً من الدعوات التي تلقَّتها

لحضور مهرجاناتٍ أدبيَّةٍ والذهاب إلى جامعات. وأثناء تلك المكالمة، استخدم فيلكس ماسحًا ضوئيًا محمولًا للتعرُّف على شحنات بضائع مختلفة، ثمَّ تصنيفها في عربات شحنٍ تحمل كلٌّ منها ملصقًا محدَّدًا، والتي يجري جمعها بعد ذلك بواسطة عمَّالٍ آخرين ثمَّ نقلها إلى الخارج على عجلات. بعض هؤلاء العمَّال ألقوا التحيَّة على فيلكس عندما جاؤوا لأخذ هذه الصناديق، وبعضهم لم يفعل. كان يرتدي سترةً سوداء لها سوستة رفعها إلى الأعلى، ومن وقتٍ لآخرَ كان يدسُّ ذقنه تحت الياقة المرفوعة، وبدا أنَّه يشعر على نحوٍ واضحٍ بالبرد. بينما تتحدَّث إلى وكيلها، كتبت أليس بضع ملاحظاتٍ على اللابتوب في مسوَّدة إيميل تحمل عنوان «مواعيد الكتب الصيفيَّة». وبعد أن أنهت المكالمة، أغلقت الإيميل وفتحت ملفَّ نصوصٍ يحتوي على ملاحظاتٍ وضعَتها لعرض كتابٍ تُعدُّه لصالح مجلَّةٍ أدبيَّةٍ مقرُّها لندن. في المستودع، يدفع فيلكس إحدى عربات الشحن الطويلة وهو يمرُّ عبر ممرٍّ من الأرفف التي تنيرها لمبات فلورسنت أبيض. يقف من وقتٍ لآخر، ويركِّز في إحدى الملصقات، ثمَّ ينظر إلى الماسح الضوئيّ، ويمسح هذا الصنف ثمَّ يضعه في العربة. تناولت أليس قطعتيْن من الخبز بالمربَّى من طبقٍ صغير، وقطَّعت تفاحة، وأعدَّت لنفسها كوب قهوة، ثمَّ فتحت مسوَّدة إيميل إلى إيلين.

***

أنهى فيلكس مناوبته في السابعة مساء، بينما تطهو أليس. في طريق خروجه من المستودع، أرسل لها رسالة.

فيلكس: «هاي، آسف. غالبًا لن آتي إلى العشاء».

«سأخرج مع بعض الأصدقاء من الشغل».

«لن تكون صحبتي ممتعةً على كلِّ حال.. حسُّ دعابتي في حالةٍ سيِّئة».

«ربَّما نتقابل غدًا.. حسب درجة التوهان التي سأكون عليها».

أليس: «أوه».

«خسارة أنَّني سأفوت ذلك».

فيلكس: «لا يفوتك الكثير لو نظرت لحالتي الآن صدِّقيني».

أليس: «أنت تعجبني في أيِّ حالة».

فيلكس: «حسنًا.. يمكنك أن تكتبي لي رسالة حبٍّ هنا بينما أنا في الخارج أسكر حتَّى الضياع».

«سأقرؤها عندما أرجع للبيت».

وضعت أليس هاتفها بجانبها، ولعدَّة ثوانٍ، حدَّقت في حوض المطبخ الفارغ من دون تعبيرٍ على وجهها. قال فيلكس لصديقه برايان إنَّ بإمكانه توصيله إلى شارع ميلروي، وهناك سيوقف السيَّارة عند البيت ويتابع طريقه مشيًا. أمضت أليس الساعات القليلة التالية في إعداد صوص للباستا، وغلي الماء، وتجهيز الطاولة، وتناول الطعام. قاد فيلكس سيَّارته إلى البيت، أطعم الكلبة، واستحمَّ سريعًا، وغيَّر ملابسه، ونظر في «تندر»، ثمَّ سار إلى القرية لمقابلة أصدقائه من العمل. وخلال الساعات التي تفصل بين الثامنة مساءً وبين منتصف الليل، شرب فيلكس ـ كؤوسًا كبيرةً من الجعة الدنماركيَّة. غسلت أليس الأطباق بعد العشاء، وقرأت مقالًا على الإنترنت عن آني إرنو. قرابة منتصف الليل، خرج فيلكس وأصدقاؤه لركوب حافلة أجرةٍ صغيرة، وذهبوا إلى ملهى ليليٍّ

خارج البلدة، وفي طريقهم إلى هناك غنُّوا عدَّة مقاطع من «كام آوت يا بلاك آند تانس»[1]. جلست أليس في كنبةٍ بحُجرة المعيشة تكتب إيميلًا لصديقتها التي تعيش الآن في ستوكهولم، تسألها فيه عن حال وظيفتها وعلاقتها الجديدة. في الملهى الليليّ، أخذ فيلكس حبَّتيْن، وشرب قدح فودكا، ثمَّ ذهب إلى الحمَّام. فتح تطبيق «تندر» مرَّةً أخرى، وسحب بإصبعه إلى اليسار عدَّة مرَّاتٍ على الملفَّات الشخصيَّة التي تظهر على الشاشة، ثمَّ تفقَّد رسائله، ونظر إلى الصفحة الرئيسيَّة لـ«بي بي سي» الرياضيَّة، ثمَّ خرج ليعود إلى الملهى. بحلول الساعة الواحدة صباحًا، كانت أليس تشرب شايًا بالنعناع وتعمل على عرض الكتاب، بينما فيلكس في صالة الرقص مع اثنيْن من أصدقائه واثنيْن آخريْن لم يقابلهما من قبل. لفيلكس طريقة رقصٍ طبيعيَّةٌ وتلقائيَّة، وكأنَّه لا يحتاج إلى مجهودٍ في ذلك، محرِّكًا جسمه بخفَّةٍ مع إيقاع الموسيقى وعكسها أحيانًا. بعد جولة شرابٍ أخرى، ذهب إلى الخارج وتقيَّأ خلف حاوية قمامة. أليس مستلقيةٌ على سريرها في ذلك الوقت، تقرأ رسالةً أرسلها لها فيلكس في وقتٍ سابق، وشاشة هاتفها تلقي بضوءٍ بين الأزرق والرماديِّ على وجهها. أخرج فيلكس هاتفه من جيبه في اللحظة نفسها، وفتح تطبيق الرسائل.

فيلكس: «هاي».

«صاحية؟».

أليس: «في السرير لكن صاحية».

«تستمتع بوقتك؟».

(1) أغنية مقاومة أيرلندية شهيرة.

فيلكس: «سأكون صريحًا أليس».

«سكران على الآخر».

«تقياتتت من قليلف».

«لكن ليلةٌ جميلةٌ حتًى الآن».

أليس: «حسنًا، سعيدةٌ لأجلك».

فيلكس: «ماذا تفعلين في السرير؟».

«هل ترتدين شيئًا أم؟».

«قولي».

أليس: «أرتدي رداء نومٍ أبيض.»

«أتمنّى أن أراكَ غدًا».

فيلكس: «نعممممم أو...»

«يمكهنني أن أستقلَّ تاكسي اليك».

«أصقد الآن».

«أقصد».

أليس: «لو أردت، طبعًا».

فيلكس: «نعم أنتِ متأكّدة؟».

أليس: «أنا مستيقظةٌ على كلِّ حال، لا مانع».

فيلكس: «رائع».

«أراك».

نهضت عن السرير وخلعت رداء النوم، ثمَّ أضاءت المصباح المجاور للسرير، ونظرت إلى نفسها في المرآة. اتَّصل فيلكس بشركة

سيّارات الأجرة، وعاد إلى الداخل، أخذ سترته، وطلب قدح فودكا آخر، ألقاه كلّه في فمه، وابتلع، وجد برايان وأخبره أن يخبر الآخرين بأنّه سيغادر، وبعدها خرج ليستقلّ سيّارة الأجرة. فتحت أليس ملفّه الشخصيّ على تطبيق المواعدة الذي التقيا عليه للمرّة الأولى، وقرأت النبذة الشخصيّة التي كتبها عن نفسه مرّةً أخرى.

في طريقه إلى بيتها، انخرط فيلكس في محادثةٍ مع سائق السيّارة عن مواطن القوّة والضعف لفريق «مايو جي آيه آيه». وعندما أشار فيلكس إلى البيت، سأله السائق إذا ما كان والداه يعيشان هناك.

ـ لا، قطّتي تعيش هنا.

بصوتٍ مبهورٍ، أجاب السائق: «لا بدّ أنّها سيّدةٌ غنيّة».

ـ نعم. إنّها مشهورة. ابحث عنها في غوغل. تكتب كتبًا.

ـ فعلًا؟ عليك أن تحافظ عليها إذن.

ـ لا تقلق. إنّها معجبةٌ بي.

دخلت العربة إلى ممرّ السيّارات. استدار السائق إليه، وقال: «لا بدّ أنّها كذلك، لتسمح لك بقرع بابها في الثانية صباحًا. أكّد لي أنّك دخلت، لن أتفاجأ لو اتّصلت بي ثانيةً بعد عدّة دقائق عندما تلقي هي نظرةً عليك. عشرة يوروهات وثمانية سنتات، لو سمحت».

ناول فيلكس السائق المال.

سأله السائق: «هل تريدني أن أنتظرك؟».

ـ لا تكن غيورًا يا صديقي العزيز. اذهب واستمتع بالراديو.

خرج من السيّارة وقرع الباب. نزلت أليس لتجيبه، بينما تخرج السيّارة بظهرها من البوّابة. دخل فيلكس إلى البيت، ركل الباب فأغلقه،

ولفَّ ذراعيْه حول أليس، رفعها قليلًا، وضغط ظهرها على الحائط. تبادلا القبلات لبعض الوقت، ثمَّ فكَّ رباط رداء نومها، لكنَّها أمسكت طرفيْه بيدٍ واحدة.

ـ أوه، أنت سكران.

ـ أعرف، نعم، قلت لك ذلك في الرسائل.

حاول فتح الرداء مرَّةً أخرى، لكنَّها عقدت ذراعيْها بقوَّةٍ لتمنعه.

ـ ما المشكلة؟ هل أنتِ في الدورة أو شيءٌ من هذا؟ لا يهمُّني، أنا شخصٌ ناضج.

أعادت أليس ربط ردائها بقوَّةٍ، وقالت: «أنت تحاول إحراجي».

ـ لا لا، أتساءل ما الأمر فحسب. لا أحاول أيَّ شيء. أنا سعيدٌ لأنَّني هنا. سائق التاكسي انبهر حين أخبرته أنَّ صاحبتي تعيش في هذا البيت الواسع.

نظرت أليس إليه ثمَّ سألته في النهاية: «هل تعاطيت أدوية؟».

ـ يا إلهي. نعم. لن تكون الليلة حلوةً من غير ذلك.

وقفت هناك وذراعاها معقودتيْن.

ـ لا أعرف. هل يتركك الآخرون تتصرَّف بهذه الطريقة؟ صاحباتك وأصحابك السابقين؟ هل هذا طبيعيّ؟ تخرج مع أصدقائكَ وتنسطل ثمَّ تظهر في منتصف الليالي بحثًا عن الجنس؟

بدا عليه التُّفكير في ذلك، وهو يستند بذراعه على الحائط جوار رأسها

ـ عادةً ما أحاول نعم بصراحة. لكن لن يكون الجميع على استعدادٍ ذلك، كما هو واضح.

ـ صح. لا بدَّ أنَّك تظنُّ أنَّني مخبولةٌ تمامًا.

ـ لا، أظنُّ أنَّكِ شديدة الذكاء، لكن لسوء حظِّك بصراحة، من نواحٍ كثيرة. لو أنَّكِ أغبى قليلًا ربَّما كانت حياتك لتصبح أسهل.

وقف مستقيمًا، ووضع يديْه على وركيْها، بطريقةٍ بدت تعبيرًا عن الولع بل وحتَّى الندم.

ـ سائق التاكسي قال لي إنَّكِ ستطردينني شرَّ طردٍ من البيت. أخبرني بذلك، مستحيلُ أن تسمح لكَ بالقدوم إلى البيت في هذه الساعة وأنت على هذه الحالة. كيف أبدو، لا أعرف بصراحة. لم أرَ نفسي. لكنَّني أتخيَّل، ليس بحالٍ جيِّدة.

ـ تبدو سكرانًا فحسب.

ـ آه، بجدّ؟ لا أعرف. أظنُّ أنَّه لم يكن عليَّ أن أرسل إليك هذه الرسالة. الشيء المختلف، هو، أنَّ ليلتي فعلًا كانت حلوة. أقصد. حسنًا. فقدت السيطرة على نفسي وتقيَّأت، لكن بعيدًا عن ذلك، كنت أحظى بوقتٍ جيِّد. وغالبًا كنت تحظين بوقتٍ جيِّدٍ أنتِ أيضًا. مستلقيةً في السرير على ما يبدو. لذا ربَّما لم يكن عليَّ أن أبعث تلك الرسالة فعلًا.

ـ صحيح، لكنَّك شرحت أنَّك تريد ممارسة الجنس.

ـ حسنًا.. أنا مجرَّد إنسان. لا، لكن لو كان هذا ما أردته فحسب، فقد كان باستطاعتي الذهاب إلى مكانٍ آخر، أليس كذلك؟ ما من داعٍ لإزعاجك لهذا فقط.

أغلقت عينيْها، وقالت بصوتٍ هادئٍ محايد: «طبعًا أكيد».

ـ أليس، لا داعي لمعاملتي بهذه الطريقة الجافَّة. لم أكن مع أيِّ شخصٍ آخر. بإمكاني فعل ذلك لو أردت كما هو واضح، لكن بإمكانك أنتِ أيضًا فعل المثل. اسمعي. أنا آسفٌ لو ضايقتك. حسنًا؟

للحظةٍ لم تقلُ شيئًا.

ـ وأنت في الغالب لا تحبِّين الوجود وسط أشخاصٍ سكرانين على كلِّ حال.

ـ لا، لا أحبُّ ذلك.

ـ لا، ولماذا ستفعلين أصلًا؟ أنا متأكِّدٌ من أنَّك حظيتِ بحصَّتكِ من هذه الأشياء.

حدَّقت فيه، بينما استقرَّت يداه على وركيْها، مثبِّتًا جسمها إلى الجدار.

ـ نعم. هذا صحيح.

ـ لو أردت أن أعود إلى المنزل، قولي ذلك فحسب.

هزَّت رأسها. فقبَّلها مرَّةً أخرى. صعدا إلى الطابق العلويِّ معًا، أليس تُمسك بيد فيلكس وتتبعه. في غرفتها، نزع عنها الروب، ثمَّ نزع عنها رداء النوم من فوق رأسها. استلقت على ظهرها في السرير، بينما نزل هو إلى ما بين فخذيْها. بدا جسدها صغيرًا، لا تظهر عليه ملامح أنثويَّة واضحة. وضعت كفَّ يدها مفتوحًا على فمها. استقام في مكانه لينزع عن نفسه ملابسه، ثمَّ خلع ساعته. نظر إليها من الأعلى، حيث استلقت ممدَّدةً على المرتبة، قال بابتسامةٍ على وجهه: «هل تعرفين ماذا تشبهين الآن؟ واحدًا من تماثيل الفتيات تلك التي رأيناها في روما».

ضحكت، وغطَّت وجهها.

ـ أليس هذا لطيفًا؟ قصدت الجانب اللطيف منه.

قالت إنَّه لطيفٌ بالفعل. استلقى بجوارها، رأسه مسنودٌ على المخدَّات، ويده تتحرَّك بهدوءٍ على صدرها الصغير الناعم.

ـ كنت أفكِّر فيكِ اليوم وأنا في العمل. لاحظت أنَّ ذلك جعلني أحسُّ بشعورٍ أفضل بعض الشيء، لكن ذلك استمرَّ لفترة، قبل أن تغمرني المشاعر السيِّئة، لأنَّكِ مستلقيةٌ هنا طيلة اليوم، وأنا في المستودع أعبِّئ الصناديق. لا أحاول أن أضايقك بخصوص هذا الأمر. لا أظنُّني قادرًا على شرح تلك الفكرة بطريقةٍ صحيحة، لكنَّ الفرق بين ما نفعله الآن، وما كنت أفعله طيلة اليوم.. لا أعرف كيف أصفه. يصعب التصديق أنَّني استخدمت الجسم نفسه لفعل الأمريْن. سأقولها بهذه الطريقة. والشعور الذي أحسُّه مختلف. أأستخدم هاتيْن اليديْن اللتيْن ألمسك بهما في تعبئة الصناديق؟ لا أعرف. في العمل أشعر بأنَّ يديَّ دائمًا على وشك التجمُّد. وأنَّها بالأساس دائمًا: خدِلة. حتَّى وأنا ألبس قفَّازات، في النهاية أجد أنَّني أشعر بالخدل فيهما، كلُّ الناس يعانون من ذلك. أحيانًا أكشط يدي أو أجرحها جرحًا صغيرًا، أو شيئًا كهذا، ولا ألاحظ حتَّى أرى الدم. هل هي اليد نفسها التي تلمسك؟ لا أعرف. ربَّما تظنِّين أنَّني جننت لأتحدَّث بهذه الطريقة. لكنَّك ناعمة، جدًّا، وملمسك جميل. هذا كلُّ شيء. ودافئ. عندما تتركينني أقذف بداخلك، أحسُّ بشعورٍ جميل، لا يمكنني وصفه حتَّى. كنت أفكِّر في ذلك اليوم وأنا في العمل، ورغبت فيه بقوَّةٍ لدرجةٍ ضايقتني. ضايقتني فعليًّا، نعم. أغضبتني. هذا هو الشيء الآخر الذي سأُخبرك به عن العمل، مشاعر المرء ترتبك بقوَّةٍ هناك. ويبدأ المرء في الإحساس بمشاعر لا معنى لها. لا بدَّ أنَّني فعلًا كنت أتطلَّع للقائك،

لكنَّني في الحقيقة كنت غاضبًا. ثمَّ لم أعد راغبًا في رؤيتك -حتَّى. ليس هنالك جدوى من محاولة الشرح، لأنَّ كلَّ ذلك لا معنى له، أقول فقط ما شعرت به، أنا آسف.

قالت له أن لا بأس. ولبعض الوقت قبَّلها ولم يقل شيئًا. ثمَّ سألها إذا كانت ترغب في أن تعتليه، لأنَّه متعب، فأجابت بنعم. بعد أن دخلها، بقيت ثابتةً لعدَّة ثوان، تتنفَّس بصعوبة.

ـ هل أنتِ بخير؟

هزَّت رأسها. بدا راضيًا بالانتظار.

ـ قال: فرجُك جميل.

مرَّت رعشةٌ بجسدها، من رأسها إلى عظام حوضها. وضعت يدًا على كتفه. مارسا الجنس ببطءٍ لبعض الوقت بينما كان يتلمَّسها.

بصوتٍ عالٍ غير متماسكٍ، قالت: «يا إلهي، أحبُّك. أحبُّك بجدّ».

نظر إليها من الأسفل، وقال: «فعلًا؟ فعلًا؟ رائع. قوليها مرَّةً أخرى».

مرتجفةً ولاهثة، ثنت رأسها إلى الأسفل، وقالت: «أنا أحبُّك. أنا أحبُّك».

وضع يديْه حول وسطها، ضغطت أصابعه على لحم ظهرها، وجذبها إلى الأسفل بقوَّةٍ فيه، مرَّةً وأخرى بسرعة، وكانت تجفل وكأنَّها تتألَّم.

بعد أن انتهيا، بقيا ساكنيْن لبعض الوقت، يرتاح كلاهما في مواجهة الآخر. ثمَّ نهضت من عليه، جلست على أحد جوانب المرتبة وأخذت جرعةً من زجاجة المياه على الطاولة المجاورة للسرير. استلقى بينما غمر رأسه في المخدَّات، وهو ينظر إليها.

ـ ناوليني إيَّاها حين تنتهين.

أعطته الزجاجة فشرب من دون أن يرفع رأسه.

أعاد لها الزجاجة، وقال: «هاك، أريد أن أعرف شيئًا. أتعرفين أنَّك دائمًا تقولين أنَّكِ غنيَّة، ما الذي تقصدينه بذلك، هل أنت مليونيرة أم ماذا؟».

لفَّت غطاء الزجاجة عليها.

ـ تقريبًا.

نظر إليها بهدوءٍ وسأل: «مليون. فعلًا؟ هذا مالٌ كثير».

ـ نعم.

ـ وكلُّ هذا من الكتب فحسب؟

أومأت برأسها.

ـ وهل هذه الأموال تقبع في حسابك، أم أنَّها مربوطةٌ كلُّها بأشياء أخرى؟

فركت عينيْها، وقالت إنَّ أغلبها يقبع في حسابها لا أكثر. استمرَّ في النظر إليها، وعيناه تتحرَّكان بسرعةٍ وقلقٍ على وجهها وذراعيْها وكتفيْها. بعد فترةٍ من الوقت، قال: «تعالي هنا وقولي لي إنَّك تحبِّينني مرَّةً أخرى. بدأت أحبُّ ذلك».

بحركةٍ ثقيلةٍ ومتعبةٍ، استلقت على ظهرها بجواره.

ـ أحبُّك.

ـ ومتى عرفتِ ذلك؟ هل كان حبًّا من النظرة الأولى؟

ـ لا، لا أظنُّ ذلك.

ـ بعد ذلك، في روما؟

استدارت إليه، فلفَّ ذراعه جول جسمها. عيناها نصف مغمَّضتيْن. ووجهه متأهِّبٌ ويبدو عليه التَّفكير.

ـ أظنُّ ذلك.

ـ وقتٌ سريعٌ ليطوِّر المرء مشاعر حبّ. كم كان؟ ثلاثة أسابيع ربَّما؟

تركت جفنيْها ينغلقان وقالت: «تقريبًا».

ـ هل هذا معتادٌ بالنسبة إليك؟

ـ لا أعرف. لا أطوِّر تلك المشاعر كثيرًا.

استلقى ناظرًا إليها لثانيةٍ أو اثنتيْن. قال: «والعكس صحيح كذلك حسبما أظنّ».

ابتسمت بخفوت.

ـ هل تقصد أنَّ الناس لا يحبُّونني في كثيرٍ من الأحيان؟ لا. لا يفعلون ذلك فعلًا.

ـ ولا يبدو أنَّ لديْكِ الكثير من الأصدقاء أيضًا.

توقَّفت عن الابتسام حينها. واستدارت لتنظر إلى فيلكس في صمتٍ لعدَّة ثوان، بينما اختفت كافَّة التعبيرات من ملامحها.

ـ لا، لا أظنُّ ذلك.

ـ لا، نعم. لأنَّه منذ انتقلتِ إلى هنا، لا أظنُّ أنَّني رأيت أحدًا أتى لزيارتك، أليس كذلك؟ لم تأت عائلتك. وصديقتك إيلين، التي تتحدَّثين عنها كثيرًا، لكنَّها لم تكلِّف نفسها عناء المجيء. أظنُّ أنَّني الشخص الوحيد الذي جاء إلى هذا المنزل منذ وصولك، أليس هذا صحيحًا؟ وأنتِ هنا منذ عدَّة أشهرٍ تقريبًا.

نظرت أليس إليه من دون أن تقول شيئًا. وأخذ ذلك على ما يبدو باعتباره تصريحًا بالاستمرار في الحديث. وضع ذراعه تحت الوسادة بعناية.

ـ كنت أفكِّر في ذلك الأمر ونحن في إيطاليا. وأنا أراكِ في جلسات القراءة، توقِّعين الأوتوغرافات وهذه الأمور. لن أذهب إلى حدِّ القول بأنَّ عملك شاقّ، فوظيفتكِ لا تقارن صعوبتها بوظيفتي مثلًا. لكن حولك الكثير من الناس الذين يرغبون في أشياء منك. وأنا أفكِّر فحسب.. قياسًا لكلِّ الصخب الذي يثيرونه حولك، لا أحد منهم في الحقيقة يهتمُّ لأمركِ على الإطلاق. لا أعرف لو كان أحدهم يفعل.

بقيا ينظران إلى بعضهما لعدَّة ثوانٍ طويلة. وبينما ينظر فيلكس إليها، اختفت ثقته المبدئيَّة بنفسه، وحتَّى انتصاره الساديّ، وتحوَّلا بالتدريج إلى شيءٍ آخر، وكأنَّه يُدرك، متأخِّرًا للغاية، سوء فهمه.

قالت بهدوء: «لا بدَّ أنَّك تكرهني للغاية».

ـ لا، لا أكرهك. لكنَّني لا أحبُّك أيضًا.

ـ بالطبع لا، لماذا ستفعل؟ لم أتوهَّم ذلك أبدًا.

أدارت ظهرها، بهدوءٍ شديد، ثمَّ أطفأت المصباح على خزانة الأدراج المجاورة للسرير. أذاب الظلام وجهيْهما، ولم يَعُد مرئيًّا إلَّا حدود جسميْهما تحت الأغطيَة. لم يتحرَّك أيٌّ منهما على الإطلاق، وكلُّ خطّ.. كلُّ ظلٍّ في الحجرة كان ثابتًا.

ـ يمكنك المغادرة إن أردت. لكنَّ وجودكَ مرحَّبٌ به طبعًا. ربَّما تُطري على نفسك ظانًّا أنَّك قد جرحتني بقسوة، لكن صدِّقني، مررت بما هو أسوأ.

بقي مستلقيًا في صمت، ولم يرد.

ـ وعندما قلت إنَّني أحبُك، كنت أقول الحقيقة.

أصدر صوتًا يبدو وكأنَّه ضحكةٌ مخنوقة. ثمَّ قال: «آه. أحبُّ طريقتك. لا بدَّ وأن أعترف لكِ بذلك على الأقلّ. لا يَسهل التحكُّم بك، أليس كذلك؟ مضحك، لأنَّك تتصرَّفين دائمًا وكأنَّك ستسمحين لي بفعل ما أريده معك، تجيبين عن رسائلي في الثانية صباحًا، ثمَّ تخبرينني أنَّك تحبِّينني.. أيُّ كلامٍ في أيِّ كلام. لكن هذه طريقتك في إخباري: يمكنك المحاولة كما تشاء، لن تحظى بي أبدًا. وبإمكاني رؤية أنَّني لن أفعل. لن تسمحين لي أبدًا ولو لدقيقة. بهذه الطريقة، ستخدعين تسعة أشخاصٍ من كلِّ عشرة. سيكونون في قمَّة السعادة والفخر بأنفسهم، متصوِّرين أنَّهم فعلًا يتحكَّمون بك. نعم. بالطبع. لكنَّني لست أبلهًا. أنتِ لا تسمحين لي بمعاملتك بهذه الطريقة السَّيِّئة إلَّا لأنَّ ذلك يجعلك فوقي، وهذا هو المكان الذي تحبِّين أن تكوني فيه. فوق. فوق. ولا يضايقني ذلك على نحوٍ شخصيٍّ بالمناسبة، فلا أظنُّ أنَّك ستسمحين لأيِّ شخصٍ بالتواجد قربك. في واقع الأمر: أحترم ذلك. أنتِ تعتنين بنفسك، وأنا واثقٌ أنَّ لديْكِ أسبابك. آسفٌ لأنَّني كنت قاسيًا فيما قلته لك، لأنَّك على حقّ، أنا كنت أحاول أن أجرحك فحسب. وربَّما فعلت ذلك، مشكلةٌ كبيرة. بإمكان أيِّ شخصٍ أن يجرح شخصًا آخر لو أراد ذلك. لكن بدلًا من أن تغضبي منِّي، تقولين لي إنَّه مرحَّبٌ بي لو أردتُ تمضية الليل هنا؛ إنَّك ما زلت تحبِّينني، وكلُّ هذه الأشياء. لأنَّه ينبغي أن تكوني مثاليَّةً تمامًا، أليس كذلك؟ لا، لديْك طريقةٌ مميَّزةٌ فعلًا، أعترف لك بذلك. وأنا آسف، حسنًا؟ لن أحاول التسخيف عليك مرَّةً أخرى. تعلَّمت الدرس. لكن من الآن فصاعدًا

لستِ في حاجةٍ للتصرُّف وكأنَّني أتحكَّم فيك تمامًا، في وقتٍ يعرف فيه كلانا أنَّني لستُ قريبًا منك على الإطلاق. حسنًا؟».

ساد صمتٌ طويلٌ آخر. كلا الوجهيْن غير مرئيٌّ في الظلام. في النهاية، وبصوتٍ عالٍ ومجهَد، ربَّما كان إجهاده في محاولةٍ غير ناجحةٍ للوصول إلى نبرةٍ عاديَّةٍ أو خفيفة، أجابت: «حسنًا».

- لو أنَّني حصلت عليكِ في أيِّ وقتٍ في المستقبل، فلن تكوني في حاجةٍ لإخباري بذلك. سأعرف. لكنَّني لن أطارد ذلك كثيرًا. سأبقى في مكاني فحسب وأرى إذا ما كنتِ ستأتين إليَّ.

- نعم، هذا ما يفعله الصيَّادون مع الغزال. قبل أن يقتلوه.



-22-

إيلين، آسفةٌ لو أقلقكِ إيميلي الأخير. صحيحٌ أنّني قد ألغيت بالفعل، كما تعرفين، كلَّ الارتباطات المتعلّقة بالمناسبات العامّة خلال الأشهر القادمة، لكنّني دائمًا كنت أخطّط للعودة إلى العمل. هذا هو عملي في النهاية كما تعرفين. وأنا أكثر شخصٍ في العالم يجد هذا العمل مهينًا وشاقًا، لكنّني لم أرغب أبدًا في تصدير صورةٍ لكِ عن كوني قد تقاعدت من الظهور في الحياة العامّة تمامًا. لكنَّك، الشخص الذي لم يأخذ أبدًا إجازةً مرضيّةً من العمل تزيد عن أربعة أيّام، لا بدّ وأنّك تعاملتِ مع فكرة انقطاعي عن العمل لمدّة أربعة شهورٍ كاملةٍ بوصفها استراحةً طويلة الأمد. وفي الحقيقة نعم، لقد سافرت من دبلن في السابعة صباحًا، وعدت إليها في الواحدة صباحًا. وبما أنَّ لديْك وظيفة، لها حسبما فهمت ساعات عملٍ منتظمة، لم أفكّر بإيقاظك في منتصف الليل لنحتسي كوب شايٍ وندردش، لم يبد لي هذا فعلًا مهذّبًا على وجه التّحديد. لا يُعقل أن تكوني قد فكّرتِ في أنّني لا أرغب في رؤيتك، فأنا كنتُ أطلب منك،

بشكلٍ متكرِّرٍ على مدار عدَّة شهورٍ متتاليةٍ أن تأتي لزياتي، وأنا أعيش على مسافة ثلاث ساعاتٍ لا أكثر. بالنسبة إلى الرسائل النصِّيَّة التي أرسلتها روزين ولم أردَّ عليها.. أنا مستغربةٌ قليلًا. هل تكتبين لي بصفتك الشخصيَّة، أم بصفتك سفيرة الصداقة لمنطقة دبلن الكُبرى؟ أنتِ على حقّ، لم أردَّ على رسالتها، لأنَّني كنت مشغولة. ومع كلِّ الحبِّ والمودَّة، لا أنوي أن أقدِّم تقريرًا مفصَّلًا في كلِّ مرَّةٍ أتأخَّر فيها عن المراسلة.

أمَّا بالنسبة إلى باقي رسالتك: ما الذي تقصدينه بالضبط حين تستخدمين كلمة «جمال»؟ كتبتِ أنَّ الخلط بين الغرور الشخصيِّ وبين التجربة الجماليَّة خطأٌ فادح. لكنَّ هناك خطأً آخر، وربَّما يرتبط بالأوَّل، يتمثَّل في أخذ التجربة الجماليَّة بجديَّةٍ في المقام الأوَّل. لا شكَّ في أنَّ بالإمكان التأثُّر بالجمال الفنِّيِّ بطريقةٍ شخصيَّةٍ حياديَّة أو التأثُّر بالجمال في العالم الطبيعيّ. بل إنَّني أظنُّ بإمكانيَّة الاستمتاع بشكل أشخاصٍ آخرين، وجوههم أو أجسامهم، بطريقةٍ جماليَّة «نقيَّة». أي: من دون وجودٍ لعنصر الشهوة. وعن نفسي، عادةً ما أرى أنَّ هناك أشخاصًا يمتلكون من الجمال ما يُمكن النظر إليه دون أن أشعر بأيِّ رغبةٍ في جذبهم إلى علاقةٍ من نوعٍ معيَّنٍ معي. في الواقع، لا أجد في الجمال مُحفِّزًا قويًّا للرَّغبة على كلِّ حال. بعبارةٍ أخرى، أُدرك الجمال من دون اختيار، ولا يُنتِج ذلك في نفسي أيَّ إرادةٍ واعية. أظنُّ أنَّ هذا هو الشيء الذي كان فلاسفة عصر التنوير يقصدونه بتعبير الحُكم الجماليّ، وهو ما يتوافق بصورةٍ حقيقيَّة، وبدرجةٍ كبيرة، مع نوعٍ معيَّنٍ من التجربة التي أختبرها مع أعمالٍ فنِّيَّةٍ بصريَّةٍ محدَّدة، أو مقطوعاتٍ موسيقيَّة، أو مناظر طبيعيَّةٍ خلَّابة، وغير ذلك. أجد هذه الأشياء جميلة، وجمالها يؤثِّر فيَّ، ويحفِّز بداخلي شعورًا ممتعًا. ولذلك، فإنَّني موافقةٌ على أنَّ مشاهد النزعة الاستهلاكيَّة

التي يُسوَّق لها بوصفها «الجمال»، هي في الحقيقة أمرٌ شنيعٌ لا يجلب لي أيَّ متعةٍ جماليَّةٍ أحصل عليها من أشياء مثل ضوء الشمس الذي يتخلَّل أوراق الشجر، أو لوحة أنسات أفينيون، أو أغنيَّة «كايند أوف بلو». لكنَّني أجد في نفسي كذلك ميلًا لطرح سؤال: ما أهمِّيَّة ذلك؟ حتَّى لو افترضنا أنَّ جمال «كايند أوف بلو» يتفوَّق بمعنى من المعاني، وبصورةٍ موضوعيَّة، على جمال حقيبة يدٍ من ماركة «شانيل»، وهو شيءٌ يتطلَّب كثيرًا من الشجاعة لقوله، فلماذا سيكون هذا شيئًا ذا أهمِّيَّة؟ يبدو أنَّك ترين أنَّ التجربة الجماليَّة ليست ممتعةً فحسب، بل تحمل أيضًا أهمِّيَّةً بشكلٍ ما. والسُّؤال الذي أريد معرفة إجابته: بأيِّ شكلٍ هي مهمَّة؟

لست رسَّامةً ولا موسيقيَّة، لأسبابٍ واضحة، لكنَّني روائيَّة، وأنا أحاول بالفعل أن أتعامل مع فنِّ الرواية بجدِّيَّة، وجزءٌ من ذلك يرجع لأنَّني واعيةٌ بالامتياز الاستثنائيِّ الذي يسمح لي بكسب عيشي من فعل شيءٍ لا قيمة له، بالتعريف، مثل الفنّ. لكن لو حاولت أن أصف تجربتي في قراءة الأعمال الروائيَّة العظيمة، فلن يكون ذلك الوصف قريبًا بأيِّ حالٍ من الأحوال من التجربة الجماليَّة التي وصفتها منذ قليل، التي لا يكون فيها للإرادة أيُّ مكان، ولا تُثار فيها أيُّ رغباتٍ شخصيَّة. بالنِّسبة إليّ، يتوجَّب عليَّ أن أمارس درجةً كبيرةً من السيطرة على نفسي أثناء القراءة، وأن أفهم ما الذي أقرؤه، وأن أضع كلَّ ذلك في اعتباري لفترةٍ كافيةٍ تسمح لي بفهم الكتاب على امتداد مرحلة القراءة كلِّها. ولا أشعر بأيِّ حالٍ من الأحوال أنَّ ما يحدث هو عمليَّةٌ سلبيَّةٌ ينتقل فيها الجمال إليَّ من دون تدخُّلٍ منِّي، بل يبدو على العكس، جهدًا نشطًا، يُنتج في النهاية بنيَّةٍ محدَّدة، هي ما أختبره من التجربة الجماليَّة. لكنَّ الأهمَّ من ذلك، في نظري، هو أنَّ الروايات العظيمة تستحوذ على تعاطفي

وتجعلني أرغب في أشياء. عندما أنظر إلى لوحة «آنسات أفينيون»، لا أشعر بـ«رغبة» في أيِّ شيءٍ منها. المتعة هي في رؤيتها كما هي. لكن عندما أقرأ الكتب، أشعر بالرَّغبة فعلًا. أريد لإيزابيل آرتشر أن تكون سعيدة، أريد أن تنجح علاقة آنا وفرونسكي، بل أريد العفو للمسيح بدلًا من باراباس. مرَّةً أخرى، ربَّما يكون السَّبب هو أنَّني قارئةٌ ضيِّقة الأفق، بل وتافهةٌ لدرجةٍ ما، وبطريقةٍ سنتمنتاليَّة أتمنَّى الأفضل للجميع (باستثناء باراباس)، لكن لو أنَّني أتمنَّى العكس، أن تحظى إيزابيل بزيجةٍ تعيسة، وأن تلقي آنا بنفسها تحت القطار، فلن يكون ذلك إلَّا تنويعًا على التجربة نفسها. الفكرة كلُّها هي أنَّ تعاطفي متورِّط، وأنَّني توقَّفت عن اللَّامبالاة.

هل تحدَّثت مع سايمون في أيٍّ من هذه الأمور؟ أظنُّ أنَّ بإمكانك الاعتماد عليه لتقديم وجهة نظرٍ أكثر تماسكًا ممَّا قلته، لأنَّ وجهة نظره عن العالم تملك تماسكًا تفتقده وجهة نظري. في المذهب الكاثوليكيّ، حسب فهمي على الأقلّ، الجمال والحقيقة والخير هي صفات الكائن الذي يدخل في حالة توحُّدٍ وتواصلٍ مع الإله. وبشكلٍ يكاد يكون مباشرًا، فالإله «هو» الجمال (والحقيقة أيضًا، ربَّما كان هذا ما يقصده كيتس، لست متأكِّدة). ويسعى البشر جاهدين لامتلاك هذه الصفات وفهمها، على أساس أنَّها طريقٌ يقودهم إلى الإله وفهم طبيعته. وبهذا فإنَّ أيَّ شيءٍ جميلٍ يقودنا في الحقيقة إلى الألوهة. بالطبع لو فعلنا كما يفعل النقَّاد، فقد نخوض جدالاتٍ طويلةً حول ما هو جميل، وما هو غير ذلك، لأنَّنا بشرٌ لا أكثر، ولأنَّ إرادة الإله ليست في متناول يدنا تمامًا، لكن بإمكاننا جميعًا أن نتَّفق على الأهمِّيَّة الفائقة للجمال نفسه. كلُّ هذا شديد الجمال وقائمٌ بذاته، أليس كذلك؟ دعيني أستفيض قليلًا هنا بخصوص انغماسي العاطفيّ مع الروايات العظيمة. على سبيل المثال، خلقنا اللّٰـه كما نحن،

مخلوقاتٍ بشريَّةً شديدة التَّعقيد، لها رغباتٌ واندفاعات، والتعلُّق الوجدانيُّ بشخصيَّاتٍ نعرف أنَّها خياليَّةٌ بالكامل، ومن الواضح أنَّنا لا ننتظر منها أيَّ منفعةٍ أو إشباعٍ ماديّ، هو طريقتنا في فهم التعقيدات العميقة للحالة الإنسانيَّة، وبالتالي تعقيدات حبِّ الإله لنا. بل بإمكاني أن أذهب إلى ما هو أبعد من ذلك: أكَّد المسيح، بحياته وموته، على ضرورة محبَّة الآخرين من دون أخذ مصلحتنا الشخصيَّة في الاعتبار. وبمعنى من المعاني، أليس ما نشعر به من حبٍّ تجاه شخصيَّاتٍ خياليَّة، نعرف أنَّها لن تبادلنا هذا الحبَّ أبدًا، هو طريقةٌ مصغَّرةٌ نمارس بها نوعًا من الحبِّ النقيّ، البريء من الغرض، الذي يدعونا المسيح إليه؟ أقصد أنَّ الارتباط العاطفيَّ هو شكلٌ من أشكال الرَّغبة، نمارسها مع «موضوع» ليس له «ذات»، طريقةٌ نعيش بها شعور الرَّغبة من دون أن نرغب. أن أرغب للآخرين لا **الأشياء** التي أرغبها لنفسي، بل **بالطريقة** التي أريدها لنفسي.مكتبة سُر مَن قرأ

أظنُّ أنَّ النقطة التي أطرحها هنا هي أنَّه لا توجد حدودٌ للمتعة التي يمكن للمرء الحصول عليها بمجرَّد أن يضع نفسه في العقليَّة المسيحيَّة. بالنِّسبة إلى أشخاصٍ مثلك ومثلي، فالأمر أصعب، لأنَّنا على ما يبدو لا نستطيع التخلُّص من قناعةٍ تقول إنَّه لا يوجد شيءٌ يهمّ، وأنَّ الحياة عشوائيَّة، وأنَّ أصدق مشاعرنا يمكن اختزالها في صورة تفاعلاتٍ كيميائيَّة، وأنَّ تصميم هذا الكون لم يعتمد على قانونٍ أخلاقيٍّ موضوعيّ. بالإمكان التعايش مع تلك القناعات بالطبع، ولكن ليس من المُمكن فعلًا، لا أظنُّ صدقًا، أن نصدِّق الأشياء التي نقول أنا وأنت إنَّنا نصدِّقها. إنَّ بعض تجارب الجمال جادَّةٌ وبعضها عديمة الأهمِّيَّة. أو أنَّ بعض الأشياء صحيحةٌ وأخرى خاطئة. إلى أيِّ معيارٍ نلجأ هنا؟ من الذي يقضي بين حججنا التي نقدِّمها؟ لا أحاول التسفيه من وجهة

نظرك بالمناسبة، فأنا أتبنَّى موقفك نفسه تمامًا حسبما أظنّ. لا يمكنني القبول بأنَّ الفرق بين الصواب والخطأ هو ببساطةٍ مسألة ذوقٍ أو تفضيل، لكنَّني لا أستطيع كذلك إجبار نفسي على الإيمان بالأخلاق المطلقة، أي بعبارةٍ أخرى: الإيمان بالإله. وهذا الموقف يتركني في لا مكانٍ فلسفيّ، مفتقرةً إلى شجاعة الإيمان بقناعاتي التي تنتمي إلى كِلتا الناحيتيْن. لا أجد في نفسي شعورًا بالارتياح من أنَّني أطيع الإله بفعل الصواب، لكنَّني أتقزَّز في الوقت نفسه من فعل الخطأ. وأكثر من ذلك، أجد عملي الخاصّ بلا قيمةٍ من الناحية الأخلاقيَّة أو السياسيَّة، ومع ذلك، فإنَّ ما أفعله في حياتي، هو الشيء الوحيد الذي أريد فعله.

حينما كنت أصغر سنًّا، كنت أظنُّ أنَّ ما أرغب فيه فعلًا هو السفر حول العالم، لأعيش حياةً فاتنة، أصبح فيها مشهورةً بسبب أعمالي الروائيَّة، وأتزوَّج مثقَّفًا عظيمًا، وأرفض كلَّ ما نشأت عليه وأنا طفلة، وأقطع كلَّ صِلاتي بالعالم الضيّق. كلُّ هذا يشعرني الآن بالحرج الشديد، لكنَّني وقتها كنت وحيدةً وتعيسة، ولم أكن أعرف أنَّ هذه المشاعر طبيعيَّةٌ في الواقع، وأنَّ وحدتي وتعاستي تلك ليست شيئًا فريدًا. ربَّما لو كنت قد فهمت ذلك وقتها، مثلما أظنُّني قد فعلت الآن، ولو بدرجةٍ بسيطة، لما كنت قد كتبت أبدًا هذه الكتب، ولم أكن لأصبح الشخص الذي أصبحت عليه. لا أعرف. أعرف أنَّني لم أكن لأستطيع الآن كتابة ما كتبته في الماضي، أو أن أشعر تجاه نفسي بما شعرت به ناحيتها في ذلك الوقت. كان من المهمّ بالنِّسبة إليَّ وقتها أن أثبت أنَّني شخصٌ مميَّز. وفي محاولة منِّي لإثبات ذلك، تحوَّل الأمر إلى حقيقة. وبعد ذلك، بعد أن حصلت على المال والتَّقدير الذي ظننت أنَّني أستحقُّه، فهمت أنَّه ليس بإمكان أيَّ شخصٍ أن يستحقَّ هذه الأشياء، لكنَّ الوقت

كان قد تأخَّر عندها. كنت قد أصبحت بالفعل الشخص الذي تقت لأكونه، وهو شخصٌ أحتقره من كلِّ قلبي. لا أقول هذه الأشياء بغرض التقليل من شأن عملي. لكن بأيِّ حقٍّ يصبح الشخص مشهورًا وغنيًّا بينما يعيش أشخاصٌ آخرون في حالةٍ من الفقر المدقع.

آخر مرَّةٍ أحببت فيها.. انتهت الأمور بطريقةٍ سيِّئة، كما تعرفين. وفي المحصِّلة النهائيَّة، كتبتُ روايتيْن. وبينما كنت غارقةً في مشاعر الحبّ، حاولت أن أكتب قليلًا هنا وهناك، لكنَّ أفكاري دائمًا ما كانت تعود إلى الموضوع الذي تتوجَّه ناحيته عاطفتي، وتوَّجت أفكاري إليها بلا هوادة، لهذا لم يستطع العمل الفنِّيُّ أبدًا أن يُطوِّر جوهرًا يخصُّه هو وحده، لم يكن عندي له أيُّ مكانٍ ذي معنى في حياتي. كنَّا سعداء، ثمَّ لم نعد، تلا ذلك بعضٌ من البؤس وتبادل الاتِّهامات، ثمَّ انفصلنا، وبعدها فقط استطعت أن أنغمس في عملي بطريقةٍ جادَّة. وكأنَّني أخليت مساحةً بداخلي، وتوجَّب عليَّ أن أملأها بطريقةٍ ما، وهكذا انتهى بي الحال جالسة، أكتب. توجَّب عليَّ في البداية أن أُخلي حياتي، ثمَّ أبدأ من هناك. وبالنظر إلى الفترة التي كتبت فيها تلك الكتب، أشعر أنَّها كانت فترةً جيِّدةً من حياتي، كان عندي عملٌ يتوجَّب عليَّ تأديته، وقد فعلت ذلك. كنتُ مفلسةً على الدوام، ووحيدة، وقلقةً بشأن المال، لكن كان لديَّ شيءٌ آخر، هذا الجزء السرِّيُّ والحصين من حياتي، والذي ترجع إليه أفكاري طيلة الوقت، وتدور حوله مشاعري، وينتمي إليَّ بالكامل. بصورةٍ بدت وكأنَّها قصَّة حبّ، أو حالةٌ من الافتتان، باستثناء أنَّ الأمر يتعلَّق بي أنا فحسب، وأنَّه بالكامل تحت سيطرتي. (على العكس من علاقة الحبِّ إذن). ورغم كلِّ الإحباط والصعوبات التي تكتنف كتابة رواية، عرفت منذ بداية تلك الرحلة أنَّني قد حظيت بشيءٍ شديد الأهمِّيَّة، هديةٍ من نوعٍ خاصّ، نعمة. وكأنَّ الإله وضع يده على رأسي وملأني بأشدّ

رغبةٍ شعرت بها في حياتي، ليست رغبةً في شخصٍ آخر، بل في جلب شيءٍ لم يوجد أبدًا إلى حالة الوجود، وعندما أتأمّل هذه السنوات، أشعر بالتأثُّر، بل وبشعورٍ يكاد يؤلمني، حين أتذكّر بساطة الحياة التي كنت أعيشها، كنت أعرف ما يتوجَّب عليَّ فعله، وكنت أفعله. وهذا كلُّ شيء.

لم أكتب شيئًا منذ قرابة عامَيْن، باستثناء بعض المقالات النقديَّة القصيرة، وبعض الإيميلات مفرطة الطول. وأظنُّ أنَّ هذه المساحة في حياتي قد أصبحت خاليةً في هذه المرحلة، وهي فارغةٌ الآن، ورَبَّما قد حان وقت الحبِّ في حياتي من جديد، لهذا السَّبب بالذات. أرغب في الشعور بأنَّ حياتي تملك صورةً ما من المركز، مكانًا تعود إليه أفكاري وتستريح. أعرف بالمناسبة أنَّ غالبية الناس لا يحتاجون إلى شيءٍ كهذا، وأنَّني كنتُ لأصبح في حالةٍ أفضل بكثيرٍ لو كان ذلك هو الحال معي. لا يشعر فيلكس بالحاجة إلى تنظيم حياته حول مبدأ مركزيّ، ولا أظنُّك تحتاجين ذلك أيضًا. سايمون بحاجةٍ إلى ذلك، لكن لديْه إلهه. وعندما يتعلَّق الأمر بوضع شيءٍ في مركز الحياة، يبدو الإله لي اختيارًا ممتازًا. أفضل على الأقلّ من اختلاق القصص حول أشخاصٍ لا وجود لهم، أو الشعور بالحبِّ ناحية أشخاصٍ يكرهونني. لكن ها نحن ذا. لا يزال من الأفضل أنَّ نحب شيئًا مقارنةً بألَّا نحبّ. من الأفضل أن نحبَّ أحدًا مقارنةً بألَّا نحبَّ أحدًا، وها أنا ذا، أعيش في العالم، ولا أتمنَّى ولو للحظةٍ ألَّا أفعل. أليست هذه، بطريقتها المتفرِّدة، هديةً من نوعٍ خاصّ، نعمة، شيئًا شديد الأهمِّيَّة؟ إيلين، أنا آسفة، وأنا أفتقدكِ فعلًا. عندما سنتقابل بعد كلِّ هذه الإيميلات، سأصاب بالخجل الشديد، وسأخفي رأسي تحت جناحي مثل طيرٍ صغير. أبلغي أختك وعريسها خالص تهانيَّ في نهاية هذا الأسبوع. وبعد أن تنتهي، لو لم يكن هذا مرهقًا لك، أرجوك تعالي لزيارتي.

-23-

في صباح يوم الزفاف، جلست إيلين على السرير في جناح العرسان بينما لولا عند منضدة الزينة. لمست لولا وجهها بإصبعها وقالت: «أظنُّ أنَّها بالغت في وضع مساحيق العين». ترتدي إيلين ثوب زفافٍ أبيض، بسيط الشَّكل، بلا حمَّالات.

علَّقت إيلين: «شكلك جميل». التقت عيناهما في المرآة، كشَّرت إيلين، نهضت من مكانها، وذهبت إلى النافذة. في الخارج، اكتسى ذلك الوقت المبكِّر من فترة بعد الظهر باللَّون الأبيض، وضوءٍ رقيقٍ عديم اللَّون يكسو كلَّ شيء، لكن لولا وقفت وظهرها للزجاج، في مواجهة إيلين، تنظر إليها بعنايةٍ حيث تجلس الأخرى على المرتبة الفسيحة. لبعض الوقت، تبادلتا النظرات، مظلومتيْن، مذنِبتيْن، مرتابتيْن، نادمتيْن.

في النهاية، قالت لولا: «حسنًا؟».

نظرت إيلين إلى ساعتها الذهبيَّة الرقيقة التي ترتديها في معصمها الأيسر. ردَّت: «بقيت عشر دقائق».

كانت ترتدي فستانًا أخضر شاحبًا، بلون البيلادون تحديدًا، وشعرها مثبَّتٌ للخلف، وتفكِّر في شيءٍ آخر حينها، كلتاهما تفعل. تذكَّرت لولا التجديف في البحر عند ستراندهيل، أم كان ذلك يومها في روزيس بوينت أم إينيسكرون؟ الملمس الخشن للرمل تحت أظافرها وفي فروة رأسها، وطعم الملح كذلك. ثمَّ سقطت ووجدت نفسها تبتلع مياه البحر، لها أثرٌ مؤلمٌ في الأنف والحلق، اختلال الضوء والإحساس، تذكَّرت البكاء، وأنَّها بين ذراعَيْ والدها، يحملها إلى الشاطئ. منشفةٌ تحمل اللَّونيْن الأحمر والبرتقاليّ. في وقتٍ لاحق، تركب في عربةٍ متَّجهةٍ إلى بلدة سليجو، مثبَّتةً في المقعد الخلفيّ للسيَّارة، صوت طقطقةٍ يصدر من الراديو، نقاط ضوءٍ مرئيَّةٌ على البُعد، في الظلام على جانب الطريق، شاحنة طعامٍ تبيع النقانق وشرائح البطاطس، غطاؤها مفتوح، لسعة الخلّ. نامت تلك الليلة في حجرة أحد أبناء عمومتها، كتبٌ مختلفةٌ على الرفّ، يلقي الأثاث ظلالًا مختلفةً تحت الضوء الذي يأتي من نافذةٍ غير مألوفة. في منتصف الليل، انطلقت أجراس الكاتدرائيَّة. في الطابق السُّفليّ يتحدَّث الكبار، في الطابق السُّفليّ الأنوار مضاءةٌ وهناك أكوابٌ من البيرة. كانت إيلين تفكِّر هي الأخرى في فترة الطفولة، في إحدى ألعاب لولا التي تعتمد على التقمُّص والخيال، مملكةٌ خفيَّة، قصور، دوقات وفلَّاحون، أنهارٌ مسحورة، غابات، أضواءٌ في السماء. نسيت كلَّ الحبكات والتقلُّبات الدراميَّة الآن، الأسماء المخترعة بلغاتٍ سحريَّة، الولاءات والخيانات. ما بقي هو الأماكن الحقيقيَّة التي احتلَّتها العوالم الخياليَّة: حظيرة البقر خلف المنزل، أعشاب الحديقة مفرطة النموّ على أطرافها، الفجوات وراء السياج، الصخور الرطبة التي تمتدُّ على طول النهر. وفي المنزل: السقيفة، السلَّم، خزانة المعاطف.

لا تزال تلك الأماكن تجلب لإيلين شعورًا مميَّزًا، أو على الأقلّ بإمكانها، إذا حاولت ذلك، أن تضبط نفسها لتصل إلى ما كانت تشعر به في تلك الأماكن، وكأنَّها تتوقَّف عند موجةٍ جماليَّةٍ في الراديو. تملؤها تلك الأماكن بالمتعة، بالتشوُّق لشيءٍ ما يشبه الإثارة. مثل الأدوات المكتبيَّة الجيِّدة، الأقلام الجافَّة الثقيلة، الأوراق غير المسطَّرة، كلُّ هذه الأشياء تمثِّل لها إمكانيَّة الخيال، إمكانيَّةً أدقَّ في حدِّ ذاتها، وأكثر حساسيَّة، من أيِّ شيءٍ استطاعت أن تتخيَّله على الإطلاق. لا. خذلها خيالها. كان ذلك شيئًا إمَّا امتلكه الآخرون أو لم يريدوه على أيِّ حال. أرادت إيلين ذلك ولم تحصل عليه. مثل أليس في فلسفتها الأخلاقيَّة، وجدت إيلين نفسها عالقةً بين موقفيْن. ربَّما كلُّ الناس كذلك، فيما يتعلَّق بكلِّ شيءٍ ذي أهمِّيَّة. سمعتا طرقةً على الباب، فرفعتا رأسيْهما، ودخلت أمُّهما، ماري، ترتدي فستانها الأزرق، وحذاءها اللَّامع، وريشةً تتدلَّى مستقيمةً في شعرها. ثمَّ بدأن جميعًا بالكلام، بسرعة، ضاحكات، ومحتجَّات، ومتذمِّرات، بينما تُعدِّل كلُّ واحدةٍ منهنَّ ملابس الأخرى، وأصبح النشاط في الغرفة سريعًا وصاخبًا، مثل حركة الطيور. أرادت لولا إعادة تثبيت شعر إيلين، لتجعله مرخيًا قليلًا في الخلف، وأرادت ماري في اللحظة الأخيرة أن تُجرِّب زوجًا آخر من الأحذية، وإيلين، بذراعيْها البيضاويْن الرفيعتيْن مثل القصب، مثل غصنَيْ شجرة، بدأت في فكِّ شعرها، ووضعت شالًا على كتفي ماري، وأزالت رمشًا شاردًا من على خدِّ لولا الذي تكسوه المساحيق، وهي تضحك، وتتحدَّث بنبرة صوتٍ مرحةٍ سريعة، تفلت منها ضحكةٌ جديدة. كانت ماري تفكِّر هي الأخرى في طفولتها، في منزلهم الصغير، والمتجر المجاور، قطع الآيس كريم بين البسكويت المحشيّ، والمشمَّع على طاولة المطبخ، والأواني

الفخاريَّة المنقوشة خلف الزجاج. أيَّام الصيف المشرقة الباردة، والهواء صافٍ مثل الماء البارد، ووهج نبات الجولق الأصفر. التَّفكير في طفولتها جلب إليها شعور ارتباكٍ غريب، لأنَّ كلَّ ذلك كان حياةً حقيقيَّةً في وقتٍ ما، والآن أصبح شيئًا آخر. مات الكبار، وكبر الأطفال. وسيحدث هذا أيضًا لإيلين وللولا، الفتاتان الشابَّتان الجميلتان، تحبُّ أحدهما الأخرى وتكرهها، تضحكان بأسنانهما البيضاء، وتفوح منهما رائحة العطر. طرقةٌ جديدةٌ على الباب. دخل بات، الأب. قال: «كيف حال النساء؟».

إنَّه وقت الذهاب إلى الكنيسة إذن، السيَّارة جاهزة. يرتدي بات بذلته. كان يفكِّر في زوجته، في ماري، كم بدت غريبةً بالنِّسبة إليه في أوَّل حملٍ لها، كيف حدث شيءٌ ما غيَّرها، بعض الجدِّيَّة، نوعٌ من النوايا الغريبة في كلماتها، وفي حركاتها، وكيف جعله ذلك يشعر بعدم الراحة، وأنَّه يريد الضحك، لم يعرف السَّبب. كانت تتغيَّر، تشيح بوجهها عنه، وترنو إلى تجربةٍ أخرى. ثمَّ اختفى ذلك، وولدت لولا، بصحَّةٍ جيِّدةٍ والحمد للَّـه، وقال لنفسه لن نفعل ذلك مرَّةً أخرى أبدًا. يكفي ما رأيناه من غرابة. وكالعادة، كالعادة، كان مخطئًا.

في الخارج، تُحرِّك الريح الشجر، ثمَّ تصبُّ هواءَها البارد على وجوههم. استقلُّوا السيَّارة معًا. ضغطت لولا بنفسها على النافذة، وتركت دائرةً صغيرةً من البودرة على الزجاج. الكنيسة عريضةٌ ورماديَّة اللَّون، لها نوافذ طويلةٌ ورفيعة، زجاجيَّةٌ يمتزج فيها اللَّون الورديُّ بالأحمر والكهرمانيّ. عندما دخلوها بدأ عزف الأُرغن، لمستهم رائحة البخور، مشبعةً وعطرة. حفيف القماش، صرير المقاعد، بينما يقف الجميع وينظرون إليهم وهم يتحرَّكون على الأرضيَّة المصقولة للمشي، تبدو لولا مهيبةً ورائعةً في اللَّون الأبيض، متألِّقةً بتحقُّق الخطط المنشودة، تستقبل

برباطة جأشٍ النظرات التي تُوجَّه إليها. مستقيمة الظهر بلا انحناء، وبات في بذلته، جليل، رقيقٌ في شعوره بالحرج، ماري تبتسم بتوتُّر، تمسك يد إيلين براحة يدٍ مُتعرِّقة، وإيلين نفسها، نحيفةٌ وشاحبةٌ في اللَّون الأخضر، وشعرها مثبَّتٌ بربطِة غير متماسكةٍ في الخلف، ذراعاها عاريتان، يرتفع رأسها عاليًا فوق رقبةٍ طويلة، وكأنَّها وردة، حرَّكت عينيْها بهدوءٍ بحثًا عنه، لكنَّها لم تره. ماثيو ينتظر عند المذبح، خائفًا، مبتهجًا، والكاهن تحدَّث، وتبادلا النذور، يا حمامتي، في محاجئ الصخر، في ستر المعاقل، أريني وجهك، أسمعيني صوتك، لأنَّ صوتك لطيف، ووجهك جميل. بعد ذلك، على ممرِّ الحصى خارج الكنيسة، ضوء النهار أبيض، والريح باردة، أوراق الشجر النحيلة، الجميع يضحكون، ويتصافحون، ويتعانقون. وقف الحضور معًا تحت شجرةٍ لالتقاط صورة، مقتربين من بعضهم ومبتعدين، بينما يتحدَّثون مغمغمين إلى بعضهم بابتسامةٍ ثابتة. عندها فقط رأته إيلين، سايمون، واقفًا عند باب الكنيسة ينظر إليها. نظرا إلى بعضهما للحظةٍ طالت من دون أن يتحرَّكا، من دون حديث، وفي تراب هذه النظرة، دُفنت سنواتٌ كثيرة. تذكَّر حين ولدت، طفلة آل لايدون، والمرَّة الأولى التي سمحوا له فيها برؤيتها، الوجه الأحمر المجعَّد، الذي يليق بمخلوقٍ قديمٍ أكثر ممَّا هو لشيءٍ جديد، إيلين الصغيرة، وقال له أبواه إنَّه بعد ذلك لم يكفَّ عن طلب أخت، لا أخ، أخت، مثل ما تحظى به لولا. تذكَّرته هي أيضًا. الفتى الأكبر في السنّ، الذي يذهب إلى مدرسةٍ مختلفة، الذكيُّ المُفعم بالحيويَّة، وهذه النوبات الغريبة التي يعاني منها، موضوعٌ للتعاطف بين الكبار، ما جعله، رغم أنَّه كان طفلًا جميلًا، مسخًا من نوعٍ ما. أمُّها تثني دائمًا على أدبه وأخلاقه، جنتلمان صغير. وكانت هي الفتاة المراهقة التي يتذكَّرها، نحيلةً ووجهها مليءٌ

بالنمش، واقفةً عند طاولة المطبخ، لافَّةً إحدى قدميْها على الأخرى، في الخامسة عشرة، دائمًا عابسة. صامتةً تمامًا أو منطلقةً فجأةً في الحديث، ولأكثر من اللَّازم، مزاجها المتعكِّر، وطريقتها غير الودودة. وتلك النظرات الجادَّة التي ترميه بها، ووجهها الورديُّ الذي يكاد يكون عابسًا. بالنِّسبة إليها، فقد كان هو الآخر الشيء نفسه، الولد الشابُّ في عشرينيَّاته، الذي يساعد في أعمال المزرعة في شهور الصيف، رأته، بحنانٍ لا مثيل له، وهو يرضع نعجةً صغيرةً من زجاجةٍ يحملها، نظرةٌ خاطفةٌ منه كانت تتركها في حالةٍ من الألم لمدَّة أسبوع، انقطاع نَفَسها حين تدخل إلى غرفةٍ فتجده فيها. اليوم الذي ركبوا فيه العَجَل إلى الغابة، وتركوها في مساحةٍ خالية. السحب الداكنة، سرياليَّة المنظر، خلف قمم الأشجار التي يضيئها نور الشمس. لولا تحكي قصَّةً طويلةً متماسكةً عن شخصٍ ما قُتل في هذه الغابة، سايمون يتمتم بأشياء مثل: «همم. لست متأكِّدًا، و، يا إلهي، هذا أمرٌ مخيفٌ بعض الشيء، أليس كذلك؟».

إيلين مستغرقةٌ في ركل الحصى أمامها على طول الطريق، تنظر من وقتٍ لآخر إلى سايمون متأمِّلةً وجهه.

لولا تتابع: «طعنوه أكثر من مرَّةٍ لدرجة أنَّهم فصلوا رأسه عن جسده».

يردُّ سايمون: «يا إلهي. لا أريد تخيُّل ذلك»».

تضحك لولا وتخبره بأنَّه جبان. أجابها: «بصراحةٍ أنا كذلك قليلًا لو وصلت الأمور لهذه الدرجة».

بدأ المطر يهطل، وفكَّت لولا الجاكيت عن وسطها، وقالت: «أنت تشبه إيلين».

اختلس بدوره نظرةً إلى إيلين قبل أن يُعلّق: «أريد أن أكون مثلها أكثر».

قالت لولا إنَّ إيلين مجرَّد طفلة، لتردَّ الأخيرة بسرعة، وبنبرةِ صوتٍ عاليةٍ غريبة: «تخيَّلي لو أنَّ شخصًا قال لكِ ذلك وأنتِ في سنِّي».

نظرت لولا إليها بتعاطف. أجابت: «لكن للإنصاف، كنتُ أكثر نضجًا بكثيرٍ وأنا في سنِّك».

ردَّ سايمون بأنَّه يرى أنَّ إيلين ناضجةً جدًّا.

عبست لولا، وقالت: «أنتَ غريب الأطوار، توقَّف».

احمرَّت أذنا سايمون، وخرج صوتُه بطريقةٍ غريبة «أقصد من الناحية العقليَّة». لم يقل أيَّ شيءٍ آخر بعد ذلك، ولم تَعُد لولا إلى الحديث، لكن كلاهما لم يكن سعيدًا. وضعت لولا قلنسوة السترة على رأسها لتحميها من المطر، وتقدَّمتهما، وبخطواتٍ سريعةٍ طويلة، سارت في انحناء الطريق، واختفت عن الأنظار.

نظرت إيلين إلى الطريق، كان ترابيًّا جافًّا، وبدأ في التحوُّل إلى طين، مجارٍ صغيرةٌ من الماء بين الصخور. اشتدَّ سقوط المطر، وبقَّع الماءُ مقدِّمة بنطلونها الجينز بنقاطٍ غامقة، وبلَّل شعرها. وحتَّى عندما وصلا إلى انحناءة الطريق، لم يستطيعا رؤية لولا.

سألت إيلين: «ربَّما تقدَّمتنا في الطريق، أو ربَّما سارت في طريقٍ آخر. هل تعرف أين نحن؟».

ابتسم سايمون وقال إنَّه يظنُّ ذلك أيضًا. أضاف: «لن نضلَّ الطريق، لا تقلقي. لكن ربَّما نغرق بصراحة».

مسحت إيلين جبهتها بكُمّها.

ـ أتمنّى ألّا يخرج علينا شخصٌ ما ليطعننا ثمانٍ وثلاثين طعنة.

ضحك سايمون، وقال: «يبدو أنَّ الضحايا دائمًا ما يكونون بمفردهم في هذه القصص. أظنُّ أنَّنا في أمانٍ إذن».

أخبرته إيلين أنَّهم في أمان، إلّا لو كان هو القاتل.

ضحك مرَّةً أخرى، ثمَّ قال: «لا، لا، أنتِ بأمانٍ معي».

نظرت إليه مرَّةً أخرى، بخجل.

ـ هذا ما أشعر به.

حوَّل نظره إليها وسأل: «فعلًا؟».

هزَّت رأسها، ومسحت وجهها بكُمّها مرَّةً أخرى، وبلعت ريقها.

ـ أشعر أنَّني بأمان. وأنا معك.

لعدَّة ثوانٍ بقي سايمون صامتًا. ثمَّ قال على الفور: «هذا لطيف. يسعدني سماع ذلك».

استمرَّت في النظر إليه. وفجأةً، من دون سابق إنذارٍ، توقَّفت عن المشي، ووقفت تحت شجرة. وجهها وشعرها غارقيْن في الماء. عندما انتبه سايمون لأنَّها لم تَعُد تمشي بجواره، استدار إليها.

ـ ها! ماذا تفعلين؟

حدَّقت فيه، وفي عينيْها تركيزٌ شديد.

ـ تعالَ إلى هنا، لو سمحت.

سار نحوها عدَّة خطوات. بهدوءٍ شديد، يشوبه بعض الانفعال.

ـ لا، أقصد هنا. حيث أقف.

تسمَّر في مكانه. قال: «حسنًا، لماذا؟».

بدلًا من الإجابة على سؤاله، استمرَّت فحسب في النظر إليه بنوعٍ من الرجاء، وعلى وجهها تعبيرٌ بائس. تقدَّم ناحيتها، ووضعت يدها على ساعده وأمسكتها. كان قماش قميصه مبتلًّا. جذبته قليلًا إليها، لدرجةٍ أوشك معها الجسدان أن يتلاصقا، شفتاها مبتلَّتين، والمطر ينهمر على خدَّيْها وأنفها. لم يجذب نفسه بعيدًا عنها، بل وقف في الحقيقة قريبًا منها للغاية، وفمه تقريبًا عند أذنها. لم تقل شيئًا، وخرج نفسها سريعًا وعاليًا.

قال بلطفٍ: «إيلين، أنا أعرف، أنا فاهم. لكن لا يمكن لذلك أن يحدث، حسنًا؟».

كانت ترتجف، وبدت شفتاها شاحبتيْن.

ـ أنا آسفة.

لم يبتعد عنها، تاركًا إيَّاها تُمسك ذراعه.

ـ ليس هناك ما تتأسَّفين عليه. لم تفعلي أيَّ شيءٍ خاطئ. أنا فاهم. حسنًا. ليس هناك ما تعتذرين عنه. هل يمكننا الاستمرار في المشي الآن؟ ما رأيك؟

عادا إلى طريقهما، وإيلين تنظر إلى قدميْها. في المساحة الخالية وراء البوَّابة، وقفت لولا منتظرة، وهي تقف بجوار درَّاجتها. عندما رأتهما، ركلت بدَّالًا واحدًا بنفاذ صبر، فبدأ يلفُّ حول نفسه. صاحت: «أين كنتما؟» بينما كانا يقتربان منها.

ردَّت إيلين: «لقد ركضتِ فسبقتنا بكثير».

استعاد سايمون درَّاجة إيلين من العشب، وناولها إيَّاها، قبل أن يرفع درَّاجته.

قالت لولا: «بالكاد ركضت». ثمَّ اقتربت من إيلين وبعثرت شعرها المبتلَّ قبل أن تقول: «تبدين مثل جرذٍ مبتلّ. هيا بنا».

تركهما تمشيان معًا. وبصمت، وعيناه مثبَّتتيْن على مقود درَّاجته، دعا: «يا إلهي الرحيم، اجعلها تعيش حياةً سعيدة. سأفعل أيَّ شيء، أيَّ شيء، أرجوك، أرجوك».

عندما بلغت الحادية والعشرين، ذهبت لرؤيته في باريس، حينما كان يمضي الصيف هناك، ويسكن في بنايةٍ سكنيَّةٍ قديمة، لها مصعدٌ ميكانيكيّ. كانا صديقيْن وقتها، يرسلان إلى بعضهما بطاقاتٍ بريديَّةً مُضحكةً تحمل رسوماتٍ عاريةً شهيرة. عندما سارا معًا في شارع الشانزليزيه، كانت النساء يدرن رؤوسهنَّ للنظر إليه، رجلٌ جميلٌ طويل القامة، صارم الملامح للغاية، لم يكن يبادلهنَّ النظر أبدًا. في الليلة التي وصلت فيها إلى شقَّته، حكت له الطريقة التي فقدت بها عذريَّتها، قبل عدَّة أسابيع فحسب، وبينما تتحدَّث، أصبح وجهها ساخنًا لدرجةِ آلمتها، كانت القصَّة غريبة، بل وبشعة السُّوء، لكنَّها استمتعت بحكيها له، بطريقةٍ ما منحرفةٍ بعض الشيء، أحبَّت النبرة المضحكةِ الثابتة التي تجاوب بها معها. بل إنَّه جعلها تضحك. مستلقييْن جنبًا إلى جنب، وكتفاهما يكادان يلتصقان. كانت هذه هي المرَّة الأولى؛ أن يضمَّها بين ذراعيْه، وأن تشعر به يتحرَّك بداخلها، هذا الرجل الذي أبقى نفسه بعيدًا عن كلِّ إنسانٍ آخر، أن تشعر به مستسلمًا، يهدأ بداخلها، كانت هذه هي

فكرتها الكاملة عن الجنسانيَّة، ولم تتجاوزها أبدًا بعد ذلك. أمَّا بالنِّسبة إليه، فأن يحصل عليها بهذه الطريقة، وهي على هذه الدرجة من التوتُّر والبراءة، يرتجف جسمها بالكامل، ويبدو عليها أنَّها غير مدركةٍ بالكامل لما تعطيه إيَّاه، كاد أن يشعر بالذنب. لكن معها، يستحيل أن يكون هذا خطأ، مهما يكن ما يفعلانه، لأنَّها لا تحمل بداخلها أيَّ شرٍّ، وهو على استعدادٍ للتضحيَّة بحياته لإسعادها. حياته، بغضِّ النظر عمَّا يعينه ذلك.

لكنَّ السنوات التي تلت ذلك، مع ناتالي في باريس، ذهب شبابه، ولم يَعُد بالإمكان استعادته. «العيش معكَ يشبه العيش مع الاكتئاب»، هذا ما قالته ناتالي. أراد، وحاول، أن يجعلها سعيدة، لكنَّه لم ينجح. وحيدًا بعدها، يغسل صحونه بعد العشاء، طبقٌ واحدٌ وشوكةٌ في منشفة الأطباق. ولم يَعُد شابًّا، لا.

بالنِّسبة إلى إيلين، مرَّت تلك السنوات بطريقةٍ ما أيضًا، جالسةً على ألواح الأرضيَّة، تفكُّ صناديق الأثاث المسطَّحة، مشاحنات، تشرب النبيذ الأبيض الدافئ من أكواب البلاستيك. تشاهد كلَّ أصدقائها ينتقلون إلى أماكن أخرى، ويتحرَّكون في حياتهم، إلى نيويورك، إلى باريس، بينما بقيت في الخلف، تعمل في المكتب الصغير نفسه، تخوض الجدالات الأربعة نفسها مرَّةً تلو الأخرى مع الرجل نفسه. غير قادرةٍ على تذكُّر شكل الحياة التي توقَّعت أن تعيشها. ألم يمرَّ عليها وقتٌ كان لكلِّ هذا معنى، أن تكون حيَّة، أن تعيش، لكن متى؟

في إحدى نهايات الأسبوع من العام الماضي، عادا كلاهما إلى البيت، واقترض سايمون سيَّارة أبويْه لتوصيلها إلى جالواي. ارتدت سترةً صوفيَّةً من التويد، حمراء اللَّون، وعلَّقت حليَةً على الطيَّة، شعرها منسدلٌ حول كتفها، داكن، ناعم، ويداها مستقرَّتيْن على حجرها،

بيضاوان كأنَّهما حمامتان. تحدَّثا عن عائلتيْهما، عن أمِّها، عن أمِّه. كانت وقتها لا تزال تعيش مع صاحبها. في طريق العودة تلك الليلة، القمر هلالٌ غير متكافئ، ذهبيٌّ مثل كأس شامبانيا، أزرار قميصها العلويّ مفكوكة، وضعت يدها بالداخل، لامست عظامَ صدرها، كانا يتحدَّثان عن الأطفال، لم تكن ترغب في الإنجاب قبل ذلك، لكنَّ الفكرة عادت لتراودها مؤخَّرًا، أمَّا بالنِّسبة إليه، فمن المستحيل عدم التفكير في ذلك، شعر بألمٍ حادٍّ بداخله في منطقة البطن، وأراد أن يقول لها: «دعيني أفعل بك ذلك. لديَّ المال، وسأتكفَّل بكلِّ شيء. يا إلهي».

سألته: «ماذا عنك؟ هل ترغب في الأطفال؟».

ـ للغاية. نعم.

الصوت المكتوم عندما أغلقت باب العربة خلفها. تلك الليلة فكَّر في ذلك مرَّةً أخرى، متخيّلًا أنَّها ستسمح له بذلك، أنَّها سترغب في أن يفعل ذلك، وبعدها شعر بالخواء بداخله، والخجل من نفسه. بعد عدَّة أسابيع، في شهر أغسطس، رآها في شارع أوكونيل، تسير مع صديقٍ لم يكن يعرفه، يقطعان الشارع، متَّجهيْن إلى النهر، ترتدي فستانًا أبيض، كان يومًا حارًا. كم بدت فاتنةً بين الناس، تبعتها عيناه، عنقها الطويل الجميل، كتفاها يلمعان تحت ضوء الشمس. وكأنَّه يراقب حياته تبتعد عنه.

في إحدى الأمسيات بدبلن في فترة عيد الميلاد، رأته من نافذة الباص، يعبر الشارع، في طريقه إلى المنزل عائدًا في الغالب من العمل، يرتدي معطفه الشتويّ، طويلٌ وذهبيُّ الشعر تحت نور الشارع، توقيتٌ سيِّئٌ يا اللّـه، أليس في المستشفى، وإيدن يقول إنَّه بحاجةٍ للتَّفكير في الأشياء، وهناك، من نافذة الباص، ها هو سايمون، يعبر الشارع. مجرَّد

النظر إليه ملأها بشعورٍ مسالم، جسمه الجميل الرفيع، يشقُّ طريقه في ظلمة ديسمبر غامقة الزرقة، وحدته الهادئة، تحفُّظه، شعرت بالسعادة الغامرة، بالامتنان الشديد لكونهما يعيشان في المدينة نفسها، حيث بإمكانها أن تراه حتَّى ولو لم تنوِ ذلك، حيث يمكن أن يظهر بهذه الطريقة أمامها، في أحوج أوقاتها لرؤيته، شخصٌ أحبَّها طيلة حياتها. كلُّ شيءٍ من ذلك، ومكالماتهما الهاتفيَّة، الرسائل التي كتباها لبعضهما، قاموسهما من اللمسات الصغيرة. كلُّ القصص التي حكياها لبعضهما، عن أنفسهما. كلُّ هذا كان في عينيْهما، يمرُّ بينهما.

قال المصوِّر: «انظروا إلى هذه الناحية لو سمحتم».

أمال سايمون رأسه، وتركها تنظر بعيدًا. عندما انتهت فقرة الصور، تفرَّق جمع الحفلة على امتداد الطريق المغطَّى بالحصى، يتحدَّثون ويلوِّحون، في حين ذهبت هي إليه، حيث يقف عند العتبة.

ـ تبدين جميلةً للغاية.

تورَّد وجهها. كانت تمسك باقة وردٍ في يدها. نادى عليها شخصٌ ما بالفعل، يريد شيئًا ما منها. قالت: «سايمون». ابتسما لبعضهما برقَّة، تكاد تبدو مؤلمة، ولم يقل أيٌّ منهما شيئًا، وكانت أسئلتهما واحدة؛ هل أنا الشخص الذي تفكِّرين فيه؟ عندما مارسنا الجنس بدوتِ سعيدة، هل آذيتك؟ هل تحبُّني؟ هل ستبقى دائمًا؟

تنادي عليها أمُّها وهي واقفةٌ عند بوَّابة الكنيسة.

مدَّت إيلين يدها لتلمس يد سايمون، وقالت: «سأعود».

هزَّ رأسه، وابتسم ناحيتها. ردَّ: «لا تقلقي. سأبقى هنا».

-24-

الأعزّ إيلين، هذه رسالةٌ سريعةٌ لأخبرك أنَّ حفل الزفاف كان جميلًا للغاية. نحن على متن قطارٍ متَّجهٍ إلى بالينا. أنسى دائمًا أنَّ سايمون بالأساس (رغم أنَّه ينكر ذلك) سياسيّ، وبالتالي فهو يعرف، فعليًّا، كلَّ فردٍ في البلد. وهو منخرطٌ حاليًا في محادثةٍ طويلةٍ مع شخصٍ ما عشوائيٍّ لم أره في حياتي، بينما أجلس في مكاني لأكتب لك هذه الرسالة. يجعلني هذا أفكِّر فيما كتبتِه في إيميلك عن الجمال، وكم هو صعبٌ أن يؤمن المرء بأنَّ الجمال قد يكون ذا أهمِّيَّةٍ أو مغزى، عندما يكون على هذه الدرجة من العشوائيَّة. لكنَّه يجلب بعضًا من المتعة إلى الحياة، أليس كذلك؟ لا يحتاج المرء، حسبما أظنّ، إلى أن يكون متديِّنًا لكي يقدِّر قيمته. من الغريب أنَّني لا أمتلك إلَّا صديقيْن مقرَّبيْن في هذا العالم، لكنَّ أيًّا منهما لا يذكِّرني بنفسي على الإطلاق. بل إنَّ أكثر شخصٍ يذكِّرني بنفسي هي أختي، لأنَّها مخبولةٌ بالكامل، وأنا كذلك، ولأنَّها تجعلني غاضبةً للغاية، وهو ما أفعله أنا أيضًا. بالمناسبة..

بدت في منتهى الجمال بالأمس، رغم أنَّ فستانها كان بلا حمَّالات، وأنا أعرف أنَّك لا تحبِّين هذه الفساتين. الرجل العشوائيّ، الذي يتحدَّث سايمون إليه، يجلس الآن إلى طاولتنا ويريه شيئًا على هاتفه. أظنُّ أنَّها قد تكون صورة طائر. هل هو من عشَّاق الطيور ربَّما؟ لا أعرف. لم أكن أستمع إلى حديثهما. على كلِّ حال. أتطلَّع لرؤيتك. أظنُّ أنَّني أمتلك فكرةً في خيالي عمَّا يكون الجمال، أو عن حفل الزفاف، أو عنك أنت وسايمون، وكيف أنَّكما لا تذكِّرانني بنفسي، لكنَّني لا أستطيع تذكُّر ما كانت هذه الفكرة. هل تعرفين أنَّه قد مضت عشر سنواتٍ على المرَّة الأولى التي نمت فيها مع سايمون؟ أحيانًا أفكِّر بأنَّني كنت لأعيش حياةً جميلةً لو أنَّه فعل الشيء المسيحيَّ الصواب وطلب منِّي الزواج منه. كنَّا لنحظى بعدَّة أطفالٍ في الوقت الحاليّ، وربَّما كانوا ليجلسوا الآن معنا في القطار، في هذه اللحظة بالذات، يسترقون السمع إلى محادثة والدهم مع عاشق الطيور. يخامرني فحسب ذلك الشعور بأنَّه لو كان سايمون قد احتضنني في مرحلةٍ مبكِّرةٍ من حياتي، لربَّما أصبح حالي أفضل بكثير. وربَّما الأمر بالمثل بالنسبة إليه، لو أنَّ له شخصًا يعتني به ويثق به طيلة ذلك الوقت. لكن يؤسفني القول إنَّ الوقت قد تأخَّر كثيرًا على محاولة تغيير الطريقة التي صارت إليها الأمور. لقد انتهت عمليَّة التحوُّل والتغيير، وإلى حدٍّ كبير.. أصبحنا من نحن عليه. أبواي يكبران، ولولا قد تزوَّجت، وسأستمرُّ على الأغلب في اتِّخاذ قراراتٍ حياتيَّةٍ بلهاء، والمعاناة من موجات اكتئابٍ متكرِّرة، وسيستمرُّ سايمون على الأغلب في كونه الشخص عالي الكفاءة، دمث الأخلاق، والنائي بنفسه عاطفيًا في الوقت نفسه. لكن ربَّما كان الأمر دائمًا على هذا النحو، ولم يكن هناك أبدًا ما يمكن فعله. يدفعني ذلك إلى التَّفكير في أوَّل يومٍ

على الإطلاق رأيتكِ فيه، أتذكَّر السترة المحبوكة التي كنت ترتدينها، والطوق في شعرك. أقصد تلك الحياة التي عشناها بعد ذلك الوقت، معًا ومفترقتيْن، أيًّا كان ذلك، فقد كان في قبضة يدنا ذلك اليوم. الحقيقة أنَّني أحبُّ لولا فعلًا، وأحبُّ أمِّي، وأظنُّهما يحبَّانني كذلك، رغم أنَّنا غير متوافقاتٍ على ما يبدو مع بعضنا بعضًا، وربَّما لن نفعل أبدًا. وبطريقةٍ ما غير مفهومة، ربَّما ليس من المهمّ أن نتوافق، الأهمُّ من ذلك أن نحبَّ بعضنا فحسب على كلِّ حال. أعرف، أعرف، تقولين بالتَّأكيد: ذهبت إلى القدَّاس عدَّة مرَّات، وفجأةً ترغب أن تسكب مشاعر الحبِّ على الجميع. على كلِّ حال، وصلنا فعلًا إلى أثلون، لذا يجب أن أتوقَّف عن كتابة الإيميل. ذكِّريني فحسب بأن أحكي لك عن فكرة مقالٍ أريد كتابته عن رواية «كأس الذهب»، هل قرأت في حياتك روايةً فاضحةً على هذه الدرجة من الإثارة؟؟ ألقيت بها إلى الجانب الآخر من الغرفة بمجرَّد أن انتهيت منها. لا أطيق الانتظار لرؤيتك. أحبُّك أحبُّك أحبُّك.

إيلين.

-25-

على رصيف محطَّة القطار، في وقتٍ متأخِّرٍ من الصباح، بدايات شهر يونيو: امرأتان تحضنان بعضهما بعد فراقٍ استمرَّ لعدَّة أشهر. خلفهما، ينزل من القطار رجلٌ طويلٌ أشقر، يحمل حقيبتيْن. لم تتبادل المرأتان أيَّ حديث، عيناهما مغلقتيْن بقوَّة، وذراعا كلٍّ واحدةٍ تلتفُّ حول الأخرى، لثانية، وثانيَّتيْن، وثلاث ثوان. هل كانتا على علم، وهما في حمَّى عناقهما، أنَّ هناك شيئًا سخيفًا بدرجةٍ ما في هذه اللَّوحة، شيئًا يكاد يكون هزليًّا، مثل شخصٍ بالقرب منهما يعطس بعنفٍ في منديلٍ متهالكٍ، أو زجاجةٍ بلاستيكيَّةٍ مُتَّسخةٍ ومهملة، سقطت من على الرصيف بدفعةٍ من الرياح، أو لوحة إعلاناتٍ ميكانيكيَّةٍ على حوائط المحطَّة، تتحوَّل من إعلانٍ لمنتجٍ من منتجات الشعر إلى إعلانٍ عن التأمين على السيَّارات، أو الحياة في عاديَّتها بل وابتذالها القبيح، الذي يجثم على كلِّ ناحيةٍ حولهما؟ أم كانتا في تلك اللحظة غير مدركتيْن.. أو حتَّى بتعبيرٍ أقوى من عدم الإدراك.. هل كانتا بشكلٍ ما محصَّنتيْن،

منيعتيْن ضدَّ الابتذال والقبح، وهما تحدِّقان للحظةٍ في شيءٍ أعمق، شيءٍ مخفيٍّ تحت سطح الحياة، ليس اللّا واقع، بل واقعٌ مَخفيّ: عالمٌ جميلٌ موجود، في كلِّ الأوقات، في كلِّ الأماكن، دفعةً واحدة.

***

عندما وقف فيلكس خارج منزل أليس، بعد العمل في تلك الليلة، أمكنه رؤية الأنوار مضاءةً من النوافذ. تجاوز الوقت الساعة السابعة، لا تزال السماء مضيئةً في الخارج، لكنَّ الجوَّ أبرد، وخلف الأشجار أمكن رؤية البحر، ظاهرًا باللونيْن الأخضر والرماديّ. مع حقيبة ظهرٍ على كتفه، اتَّخذ فيلكس طريقه بخطواتٍ راكضةٍ حتَّى وصل إلى الباب الأماميّ، وقرع المطرقة مرَّتيْن، بإيقاعٍ سريع، على اللَّوحة النحاسيَّة. اجتاحه هواءٌ باردٌ مالح، وشعر بيديْه باردتيْن. عندما فُتح الباب أخيرًا، لم تكن أليس هي الواقفة بالداخل، بل امرأةٌ أخرى، من العمر نفسه، أطول، وشعرها أغمق، وعيناها داكنتان.

ـ أهلًا. لا بدَّ أنَّك فيلكس، أنا إيلين. تفضَّل.

دخل وتركها تغلق الباب خلفه. على وجهه ابتسامةٌ مشتَّتة.

ـ نعم، إيلين، سمعت عنك.

ألقت عليه نظرةً خاطفَة، وقالت: «سمع خيرٍ كما آمل». أخبرته أنَّ أليس تُعدُّ طعامَ العشاء، وتبعها في ردهة البيت، وهو ينظر إلى مؤخِّرة رأسها، وكتفها الضيِّق الأنيق، وهي تتقدَّمه لتتجاوز باب المطبخ.

بالداخل، جلس رجلٌ إلى الطاولة، ووقفت أليس عند الموقد، مرتديَّةً مئزرًا أبيض متَّسخًا معقودًا حول خصرها.

ـ أهلًا. كنت أجفِّف الباستا حالًا. أنت قابلت إيلين، أقدِّم لك سايمون.

أومأ فيلكس برأسه، ممسكًا حزام حقيبة ظهره بين أصابعه، بينما ألقى سايمون عليه التحيَّة. المطبخ مظلمٌ قليلًا، وأضواء السطح الصغيرة هي المُضاءة لا غير، مع بعض الشموع على الطاولة. النافذة الخلفيَّة عابقةٌ بالغبار، والزجاج مخمليٌّ أزرق. سأل فيلكس: «هل أساعد في أيِّ شيء؟».

كانت أليس تربِّت بظهر رسغها على جبهتها، وكأنَّها تُبرِّد نفسها. أجابته: «أظنُّ كلَّ شيءٍ تحت السيطرة، لكن شكرًا لك».

كانت إيلين تحكي لها للتوِّ عن حفل زفاف أختها. تردَّد فيلكس للحظة، ثمَّ جلس إلى الطاولة. سأل: «في نهاية الأسبوع الماضي؟». أولت إيلين انتباهها له وعلى وجهها تعبيرٌ مبتهج، ثمَّ بدأت الحديث مرَّةً أخرى عن حفل الزفاف. تحدَّثت بلطافةٍ وخفَّة، بينما تُحرِّك يديْها كثيرًا. من وقتٍ لآخر تدعو سايمون للاشتراك في الحديث، وكان يتحدَّث بصوتٍ هادئٍ ويبدو عليه الاستمتاع بكلِّ هذا. أولى فيلكس قدرًا معتبرًا من الانتباه، ناظرًا في عينيْه من وقتٍ لآخر، ومبتسمًا بطريقةٍ غامضةٍ تآمريَّة، وكأنَّه يستمتع بوجود رجلٍ آخر، أو سعيدٌ بوجود المرأتيْن، لكن راغبًا في مشاركة هذه السعادة مع فيلكس، أو ساعيًا إلى الحصول على اعترافه بذلك. كان وسيمًا، يرتدي قميصًا من الكتَّان، ويوجِّه الشكر لأليس بطريقةٍ لطيفةٍ مطاوعةٍ عندما تعيد ملء كأسه بالنبيذ. على الطاولة أطباقٌ جانبيَّةٌ مزخرفة، صغيرة الحجم، وأدوات مائدةٍ فضِّيَّة، ومناديل من القماش الأبيض. وعاءٌ أصفر كبيرٌ للسلطة، والأوراق بداخله زيتيَّةٌ لامعة.

جلبت أليس طبقًا من الباستا إلى الطاولة، ووضعته أمام إيلين. قالت: «فيلكس، ستكون آخر من أقدّم له الطعام، لأنَّ هذا العشاء على شرف هذيْن الاثنيْن».

تلاقت عيناهما. ابتسمَ لها، بتوتُّرٍ بسيط، وردَّ بصوتٍ عالٍ: «لا بأس، أنا أعرف مكاني».

رسمت على وجهها تعبيرًا ساخرًا، وعادت إلى الموقد. بينما كان ينظر إليها.

***

عندما انتهوا من تناول الطعام، نهضت أليس لترفع الأطباق عن الطاولة. قعقعة أدوات المائدة واحتكاكها ببعضها، الصوت العالي عند حوض المطبخ. سايمون يسأل فيلكس عن العمل. إيلين مرهقةٌ وممتلئة، تجلس بهدوءٍ وعيناها نصف مغمَّضتيْن. كراميل الفواكه يسخُن في الفرن. على الطاولة بقايا الوجبة، ومنديلٌ متَّسخ، أوراقٌ رطبةٌ في وعاء السلطة، على مفرش المائدة قطراتٌ ناعمةٌ من الشمع الأزرق والأبيض. سألتهم أليس إذا ما كان أحدهم يريد القهوة. ردَّ سايمون: «أنا من فضلك». علبة آيس كريم من الكارتون تذوب ببطءٍ على رخامة المطبخ، تاركةً عددًا من المجاري المائيَّة الصغيرة على الجوانب. فكَّت أليس قاعدة وعاء القهوة الفضيّ، بينما يسألُ فيلكس: «وما هي وظيفتك إذن؟ قالت لي أليس إنَّك تعمل في السياسة أو شيءٍ كهذا».

في الحوض قدرٌ صغير، ولوح تقطيعٍ خشبيّ. صوت هسهسةِ وشرارة موقد الغاز، بينما تقول أليس: «لا تزال تشرب القهوة سوداء؟».

إيلين تفتح عينيْها بتمهُّلٍ لترى سايمون يستدير بنصف جسده ليواجه أليس حيث تقف عند الموقد، ويجيب من فوق كتفه: «نعم، شكرًا لك، لا

أحتاج إلى سكَّر، شكرًا». أعاد توجيه انتباهه بعدها إلى فيلكس، واستقرَّ في مكانه الأوَّل، رفَّت عينا إيلين مرَّةً أخرى وهما شبه مغلقتيْن. بياض حلقه. عندما ارتجف فوقها، خجلًا، متمتمًا: «هل يضايقك هذا، أنا آسف».

صوت إغلاق باب الفُرن، رائحة الزبد والتفَّاح. مئزر أليس الأبيض مُلقى على ظهر الكرسي، تتدلَّى شرائطه. سايمون يقول: «نعم، عملنا معه على شيءٍ ما العام الماضي. لا أعرفه جيِّدًا، لكنَّ فريقه يتحدَّثون عنه باحترامٍ شديد».

المنزل حولهم هادئٌ ومتماسكٌ بألواحه الخشبيَّة المُسمَّرة، التي يلمع كلُّ واحدٍ منها تحت ضوء الشموع. والحديقة مظلمةٌ وهادئة. يتنفَّس البحر بسلامٍ في الخارج، يتنفَّس هواءه المالح عبر النوافذ. يصعب على المرء التَّفكير في أن أليس قد عاشت هنا، وحيدةً أو غير وحيدة، كانت تقف عند رخامة المطبخ، تغرف الكراميل في أوعيَّةٍ مستخدمةً ملعقة. كلُّ شيءٍ في مكانٍ واحد. الحياة بأكملها معقودةٌ في هذا المنزل طوال الليل، مثل قلادةٍ متشابكةٍ في قاع أحد الأدراج.

* * *

بعد العشاء، خرج فيلكس ليدخِّن، وصعدت إيلين إلى الطابق العلويِّ لتجري اتِّصالًا هاتفيًا. في المطبخ، غسل سايمون وأليس الأطباق معًا. وعبر النافذة فوق الحوض، كان بإمكانهما، من وقتٍ لآخر، رؤية جسم فيلكس، صغيرًا ورفيعًا، بينما يتجوَّل في أرجاء الحديقة المظلمة. طرف سيجارته مشتعل.

راقبته أليس من مكانها، بينما تجفِّف الأطباق بمنشفةٍ عليها نقش مربَّعاتٍ شطرنجيَّة، ثمَّ ترصُّها في دولاب المطبخ. عندما سألها سايمون عن أحوال عملها، هزَّت رأسها.

ـ أوه، لا يمكنني الحديث عن ذلك، إنَّه سرّ. لا. لقد تقاعدت. لم أعُد أكتب الكتب بعد الآن.

ناولها وعاء السلطة الذي يتقاطر الماء منه، فربّتت عليه بالمنشفة.

ـ يصعب عليَّ تصديق ذلك.

لم يعد بالإمكان رؤية فيلكس من النافذة، اتَّجه إلى الجانب الآخر من المنزل، أو ابتعد بين الأشجار.

ـ سيتوجّب عليك أن تفعل. أنا مستنزفةٌ تمامًا. كانت عندي فكرتان جيّدتان لا أكثر. لا. على كلِّ حال، كلُّ ذلك كان صعبًا عليّ. وأنا غنّيّةٌ الآن، كما تعرف. أظنُّني أغنى منك أصلًا.

ترك سايمون مغرف السلطة على الرفِّ السلكيِّ بجوار الحوض .

ـ أنا متأكّدٌ من ذلك طبعًا.

وضعت أليس الوعاء جانبًا وأغلقت رفَّ دولاب المطبخ مرَّةً أخرى.

ـ دفعت العام الماضي رهن أمِّي العقاريّ، هل أخبرتك بذلك؟ لديَّ قدرٌ كبيرٌ من المال لدرجة أنَّني أفعل الأشياء بطريقةٍ عشوائيَّة. سأفعل المزيد، لديَّ خطط، لكنَّني غير منظَّمةٍ على الإطلاق.

نظر سايمون إليها لكنَّها نظرت إلى الناحية الأخرى، ملتقطةً مغرف السلطة من الرفِّ السلكي، ثمَّ لفَّته في المنشفة لتجفيفه.

ـ هذا كرمٌ منك.

بدت مُحرجة.

ـ حسنًا، نعم، أخبرتك بذلك لكي تراني شخصًا جيّدًا. أنا أتوق دائمًا للحصول على إعجابك، كما تعرف.

ألقت المغرف في درج أدوات المائدة.

ـ أنا معجبٌ بكلِّ ما تفعلين تمامًا.

رفعت كتفيْها، وأجابت نصف مازحة: «ها! لا، لستُ الشخص الذي يجب أن يحظى بإعجابكَ على كلِّ ما يفعل. لكن يمكنك أن تُعجب ببعض الأشياء».

بقي صامتًا للحظة، بينما يُصبِّن طبق التحميص بالإسفنجة. قلقةً الآن، نظرت من النافذة مرَّةً أخرى، ولم تر شيئًا. النور يتلاشى. سيلويت الأشجار.

ـ ورغم ذلك، فإنَّها لم تَعُد تتحدَّث معي. كلاهما لم يَعُد يفعل.

توقَّف سايمون، ثمَّ وضع الطبق على السلك. سأل: «أمُك وأخوك؟».

رفعت الطبق، وبدأت تجفيفه بالمنشفة، بمسحاتٍ سريعةٍ قويَّةٍ صغيرة، وهي تقول: «أو أنَّني لم أعد أتحدَّث إليهما. لا أتذكَّر بالضبط. تشاجرنا حينما كنت في المستشفى. إنَّهما يعيشان معًا الآن كما تعرف، مرَّةً أخرى».

ترك الإسفنجة تطفو على ماء الصحون حتَّى وصلت إلى قاع الحوض.

ـ يؤسفني سماع ذلك. يبدو ذلك سيِّئًا.

أطلقت ضحكةً خشنةً ساخرةً من حلقها. واستمرَّت في تجفيف طبق التحميص.

ـ الشيء الحزين هو أنَّني أشعر بتحسُّنٍ حين لا يتوجَّب عليَّ رؤيتهما. لا يبدو هذا «مسيحيًّا» تمامًا، أعرف ذلك، أتمنَّى لهما السعادة. لكنَّني أفضِّل الوجود بين أشخاصٍ يحبُّونني.

أمكنها أن تشعر بنظراته موجَّهةً إليها، بينما تنحني، وتلقي بطبق التحميص إلى آخر دولابٍ في المطبخ، فيحدث صوتًا عاليًا.

ـ لا أظنُّ أنَّ هذا «غير مسيحيّ».

خرجت منها ضحكةٌ مرتجفةٌ أخرى

ـ آه. لطيفٌ منكَ أن تقول هذا. شكرًا. أشعر بتحسُّنٍ كبير.

استعاد الإسفنجة من قاع الحوض.

ـ وكيف حالكَ أنت؟

ابتسم مواجهًا مياه غسيل الأطباق، ابتسامةً هادئة. قال: «أنا بخير». استمرَّت في النظر إليه. نظر إليها وسأل بنبرةٍ مازحة: «ماذا؟».

رفعت حاجبيْها بطريقةٍ لطيفة.

ـ لا أعرف ما هي القصَّة بالضبط. بينكَ وبين إيلين أقصد.

أعاد تركيزه إلى الحوض.

ـ أهلًا بك معنا في الفريق نفسه.

لفَّت المنشفة بين يديْها، وهي تفكِّر.

ـ لكنَّكما صديقان الآن فحسب.

كان يومئ برأسه، ملقيًا بالملعقة إلى رفِّ التجفيف السلكيّ، ومجيبًا بنعم.

ـ وأنتما سعيدان بذلك.

ضحكت في النهاية

ـ لن أبالغ بقول ذلك. لا. إنَّها حياة الإحباط الهادئ القديمة بالنِّسبة إليّ، مع الأسف.

فُتح الباب الخلفيّ، ودخل فيلكس، داس بحذائه بقوّةٍ على الحصيرة، وأغلق الباب خلفه. قال: «المساء جميلٌ في الخارج».

سمعوا صرير خطوات، دوسات إيلين الناعمة على السلالم. طوت أليس المنشفة الرطبة الذابلة بين يديْها. جاؤوا كلُّهم لرؤيتها. لهذا السّبب كانوا جميعًا في منزلها، لا لأيِّ سببٍ آخر، ولأنّهم هنا الآن، لم يَعُد يهمُّ كثيرًا ما قالوه أو فعلوه. فيلكس سأل سايمون عمَّا إذا كان قد دخَّن السجائر في أيِّ فترةٍ من حياته.

ـ لا، لا أظنُّ ذلك.

ـ ومظهرك صحّيٌّ تمامًا، أراهن أنَّك تشرب الكثير من الماء، أليس كذلك؟

حوارٌ وضحكات، توافقٌ جميلٌ للأصوات في الهواء. إيلين واقفةٌ في الرَّدهة، وأليس تنهض لصبِّ كأسٍ آخر من النبيذ لها، ولتسألها عن العمل. لقد جاءت لزيارتها، وأصبحتا معًا من جديد، لم يَعُد يهمُّ الآن ما قالتاه أو فعلتاه.

* * *

بعد الواحدة صباحًا بقليلٍ، صعدوا إلى الطابق العلويِّ للنوم. أُشعلت الأنوار ثمَّ أُطفئت مرَّةً أخرى، أصوات جريان المياه من الصنبور، ثمَّ إعادة تعبئة الخزَّان المنزليّ، الأبواب تُفتح وتُغلق. أسدلت أليس الستارة في حُجرتها، بينما جلس فيلكس على جانب السرير. توجَّهت إليه، وشرع في فكِّ أزرار فستانها. قال: «أنا آسف».

وضعت يدها على رأسه ومسحت على شعره للخلف، وسألته: «لماذا تقول ذلك؟ بسبب شجارنا؟». زفر ببطء، وللحظةٍ لم يقل شيئًا. ثمَّ

أجاب: «لم يكن ذلك شجارًا حقيقيًا على كلِّ حال، أليس كذلك. لا يهمُّني. يمكنك أن تطلقي عليه ما تشائين. لن يحدث ذلك مرَّةً أخرى، أيًا كان ذلك».

استمرَّت في النظر إليه بحزنٍ لفترةٍ أطول قليلًا، ثمَّ استدارت بعيدًا، وأكملت فكَّ أزرار الفستان.

ـ هل ترغب بالانفصال عنِّي؟

راقبها وهي تنزع الثوب عن كتفيْها، وتلقيه في سلَّة الغسيل.

ـ لا، لا، سأحاول من الآن فصاعدًا أن أكون لطيفًا معك لفترةٍ من الوقت.

فكَّت حمَّالة صدرها، وأطلقت ضحكةً عالية.

ـ ربَّما لا يعجبني ذلك.

صعد إلى السرير، وهو يبتسم لنفسه. قال: «نعم، أظنُّ ذلك. لكن لا يمكنك دائمًا أن تحصلي على ما تريدين».

استلقت على السرير بجواره. مسَّد صدرها بيده.

ـ أنتِ سعيدةٌ لأنَّها هنا، أليس كذلك؟ صديقتك.

ـ نعم. نعم.

ـ حبُّكما الشديد لبعضكما لطيفٌ جدًّا. الفتيات هكذا. ينبغي أن تحصلي على بعض الوقت الخاصِّ معها وهي هنا، لا تدعي الشباب يشتِّتونك.

ابتسمت أليس.

ـ لم نتقابل منذ وقتٍ طويل. نشعر بالخجل من بعضنا الآن.

استلقى على ظهره، ونظر إلى السقف.

ـ لن يستمرَّ ذلك إلى الأبد. أحببتُها بالمناسبة.

حرَّكت يدها ببطءٍ على كتفه، وصولًا إلى ذراعه.

ـ هل يمكن أن تقضي معنا بعض الوقت غدًا.

حرَّك كتفيْه بما يشبه اللَّامبالاة. قال: «نعم، لم لا؟». أغلق عينيْه، وأعاد التَّفكير، ثمَّ أضاف: «يسعدني ذلك».

***

ببطءٍ سحبت أنفاس البحر المدَّ بعيدًا عن الشاطئ، تاركةً الرمل مسطَّحًا ولامعًا تحت ضوء النجوم. أعشاب البحر مبلَّلة، رطبة، تزحف الحشرات عليها. الكثبان كثيفةٌ وهادئة، وعشب الكثبان ناعمٌ بأثر الرياح الباردة. الممرُّ المرصوف من الشاطئ يقبع الآن تحت حالةٍ من الصمت، تحت شريطٍ من الرمال البيضاء، أسطح الكارافانات المقوَّسة تتوهَّج بخفوت، السيَّارات المركونة متجمِّعةٌ في الظلام فوق العشب. ثمَّ الملاهي، كشك الأيس كريم بمصراعه المسحوب لأسفل، وصعودًا في الشارع ونحو البلدة، مكتب البريد، الفندق، والمطعم. حانة «ذا سايلورز فريند» وبابها مغلق، ملصقاتٌ غير مقروءةٍ على النافذة. مسارات المصابيح لسيَّارةٍ تمرُّ في الطريق. الأضواء الخلفيَّة متوهِّجةٌ مثل الفحم. صعودًا في الشارع، صفٌّ من المنازل، النوافذ تعكس أضواء الشارع بخواء، صناديق القمامة مصفوفةٌ في الخارج، ثمَّ طريق الساحل إلى خارج المدينة، ساكنًا، خاليًا، الأشجار قائمةٌ تتخلَّل الظُّلمة. البحر إلى الغرب، بطول قطعةٍ من القماش الغامق. وإلى الشرق، عبر البوَّابات، منزل كاهن الأبرشيَّة القديمة، أزرق مثل الحليب. بالداخل، أربعة أجسادٍ نائمة،

تستيقظ، ثمَّ تنام من جديد، على جنوبهم، أو مستلقين على ظهورهم، تُركل الألحفة، عبر أحلامٍ يرونها في هدوء. وخلف المنزل الآن، تُشرق الشمس بالفعل. وعلى جدران المنزل الخلفيَّة، وعبر أغصان الشجر، ومن خلال أوراقها الملوَّنة، وعبر الأعشاب الخضراء الرَّطبة، كان ضوء الشمس يتسلَّل. صباحٌ صيفيّ. ماءٌ صافٍ باردٌ في كفٍّ يد.

ـ 26 ـ

في التاسعة صباحًا، جلسوا معًا لتناول الطعام في المطبخ. سحب البخار من الغلّاية الكهربائيّة، اصطكاك الأطباق والأكواب، أشعّة الشمس تتكاثف عبر النافذة الخلفيّة. خطواتٌ أعلى الدرج، ثمّ أسفله، وأصواتٌ تنادي. ألقت أليس سلّةً من القشّ مملوءةً بمناشف الشاطئ في صندوق السيّارة، بينما وقف فيلكس مستندًا إلى صندوق السيّارة. نظّارتها الشمسيّة فوق رأسها، تحجب شعرها الرَّطب عن وجهها. جاء ووضع ذراعيْه حولها من الخلف، قبّل مؤخّرة عنقها، وهمس شيئًا في أذنها، فضحكت. الأربعة في السيّارة بعد ذلك، والنوافذ مسحوبةٌ إلى الأسفل، ورائحة البلاستيك الساخن، وبقايا من دخان السجائر، فرقة «ثين ليزي» على الراديو، مصحوبةً بوشيشٍ إستاتيكيّ. سايمون في المقعد الخلفيّ، يقول لأليس: «يا ربّي. لا، لم نتحدّث منذ دهور». وجه إيلين عند النافذة المفتوحة، تخفق الريح عبر شعرها. ركنوا السيّارة، الشاطئ أمامهم أبيض متلألئ، ينتشر فيه المصيّفون، أشخاصٌ في

ملابس السباحة، عائلاتٌ تحمل معها شمسيَّاتٍ وجرادل ملوَّنةً من البلاستيك. الحادية عشرة صباحًا من يوم الثلاثاء. على الرمال فرشت أليس وإيلين مناشفهما على الرمال، إحداهما برتقاليَّة اللَّون، والأخرى تحمل أنماطًا على شكل قواقع بحريَّة، باللونيْن الورديّ والأصفر. خلع سايمون حذاءه، وقال إنَّه سيجرِّب السباحة في البحر.

فيلكس، الذي كان يعبث برباط شورت السباحة، ابتسم ابتسامةً خافتة. ردَّ: «كنت متأكِّدًا من أنَّك ستقول ذلك. هيَّا، سأذهب معك. لم لا؟».

كان المدُّ منحسرًا، اغمقَّت الرمال تحت قدميْهما كلَّما سارا أكثر، وأصبحت أكثر تماسكًا، عليها أحجارٌ ملوَّنةٌ وقطع أصداف، أعشاب بحرٍ جافَّة، بقايا السلطعونات التي حال لونها إلى الأبيض. أمامهما البحر. الشمس ترسل أشعَّةً ساخنةً على عنقيْهما وكتفيْهما. بدا فيلكس، بجوار سايمون، صغيرًا وقصيرًا، غامق الشعر، رشيق التكوين. ظلُّ سايمون أطول على الرمل المبلَّل المنبسط. بدأ فيلكس يسأل عن وظيفته مرَّةً أخرى، مستفسرًا عمَّا يفعله فعلًا طيلة اليوم. أجاب سايمون بأنَّه في الغالب يحضر الاجتماعات، أحيانًا مع رجال سياسة، وأحيانًا مع نشطاء ومجموعات مجتمعٍ مدنيّ. قدرٌ بسيطٌ من المياه المالحة على قدميْهما، ثمَّ أصبحت باردةً عند الكعبيْن، وأبرد عندما وصلت إلى الركبتيْن. استطرد سايمون قائلًا إنَّهم في الشهور الأخيرة تعاونوا كثيرًا مع منظَّمات اللَّاجئين.

ـ لمساعدتهم؟

ـ نحاول. بالمناسبة، هل الماء باردٌ هكذا دائمًا؟

ضحك فيلكس، اصطكَّت أسنانه.

ـ نعم، سيِّئةٌ دائمًا. لا أعرف لماذا جئت، لا أفعل ذلك أبدًا. وأنت تعيش في دبلن، في شقَّةٍ مؤجَّرةٍ أم أنَّها مُلكك؟

احتضن ذراعيْه أمام صدره وهو يتحدَّث، ارتجفت كتفاه.

ـ نعم. لديَّ شقَّة. أقصد، لديَّ رهنٌ عقاريّ.

حرَّك فيلكس يده بكسلٍ على سطح الماء، فارتفع بعض الرذاذ الأبيض قليلًا في اتِّجاه سايمون. من دون أن يرفع عينيْه، قال: «نعم، توفِّيت أمِّي هناك قبل ثلاث سنواتٍ وتركت لنا المنزل. لكن تبقَّت عشر سنواتٍ على الرهن». ثمَّ فرك مؤخِّرة عنقه بأصابعه المبتلَّة وأضاف: «لا أعيش هناك على كلِّ حال. في الحقيقة، بدأ أخي إجراءات البيع هذه الأيَّام».

استمع سايمون في هدوء، خائضًا بقدمه في الماء ليبقي على المسافة بينهما، وقد أصبحت المياه عند وسطيْهما الآن. علَّق بلطفٍ أنَّه يحزنه ما سمع عن فقدان فيلكس لوالدته. نظر فيلكس ناحيته، مُغلقًا إحدى عينيْه، قبل أن يعيد نظره إلى الماء، ويقول: «نعم». ثمَّ سأل سايمون عن شعوره تجاه بيع المنزل، وضحك فيلكس ضحكةً عاليةً غريبة.

ـ الأمر مضحك. أتجنَّب الحديث مع أخي منذ ستَّة أسابيع، محاولًا الهروب من التوقيع النهائيّ. أليس هذا جنونًا؟ لا أعرف لماذا أفعل ذلك. مع أنَّني لا أريد العيش هناك. وأنا بحاجةٍ حقيقيَّةٍ للمال. لكن هذا أنا، لا أجيد الطرق السهلة لفعل الأشياء.

ضرب بيده من جديدٍ بلا هدفٍ في الماء.

ـ من الجيِّد أن تفعل الأشياء التي تقول إنَّك تفعلها، بخصوص طالبي اللجوء هؤلاء. اللَّـه يحبُّهم.

بدا على سايمون التَّفكير في ذلك للحظة، ثمَّ قال إنَّ شعورًا متزايدًا بالإحباط يخيِّم عليه بخصوص عمله، لأنَّ ما يفعله فعلًا هو الذهاب إلى الاجتماعات وكتابة التقارير التي لا يقرؤها أحدٌ أبدًا.

ـ لكنَّك تهتمُّ على الأقلّ. كثيرٌ من الناس لا يفعلون.

ردَّ سايمون بأنَّه بينما يهتمُّ على الأقلّ، من الناحية النظريَّة، فلا يبدو أنَّ اهتمامه من عدمه يشكِّل فارقًا كبيرًا. أضاف: «في أغلب الأوقات، أمضي في حياتي وكأنَّها لا تحدث حتَّى. أقصد.. أقابل هؤلاء الناس الذين مرُّوا بأشياء لا يمكنني التَّفكير فيها حتَّى. وبقدر ما أنا في صفِّهم، من حيث المبدأ، وأنَّني أذهب إلى العمل كلَّ يومٍ وأؤدِّي ما أنا مُكلَّفٌ به، ففي الحقيقة أمضي أغلب وقتي مفكِّرًا في.. لا أعرف».

أشار فيلكس إلى الخلف ناحية الشاطئ، إلى أشكال إيلين وأليس المتَّكئتين. «شيءٌ من هذا القبيل». ارتسمت على وجه سايمون ابتسامة، وهو يدير عينيْه بعيدًا، ويقول: «نعم، شيءٌ من هذا القبيل».

تفحَّصه فيلكس بعنايةٍ.

ـ أنت متديِّن، أليس كذلك؟

توقَّف سايمون للحظة قبل أن يبادله النظر.

ـ هل أخبرتكَ أليس بذلك، أم أنَّه مجرَّد تخمين؟

أطلق فيلكس ضحكةً مرحةً أخرى.

ـ عقدة الذنب الكاثوليكيِّ هي ما وشت بك. لا! . هي من أخبرتني.

لعدَّة ثوانٍ بقيا صامتيْن، وهما مستمرَّيْن في السَّيْر. بهدوءٍ، قال سايمون إنَّه قد فكَّر في فترةٍ ما من حياته في الانضمام إلى الكهنوت. كان فيلكس ينظر إليه، بهدوءٍ واهتمام.

ـ ولماذا لم تفعل؟ لو لم يضايقك سؤالي.

سايمون ينظر إلى الأسفل في الماء البارد المتعكّر، ينكسر السطح هنا وهناك بشظايا من الضوء المعكوس.

ـ كنت سأقول إنّني ظننتُ السياسة ستكون أكثر عمليَّة، لكنَّ الحقيقة أنّني لا أريد البقاء وحيدًا.

ابتسم فيلكس ابتسامةً عريضة.

ـ هذه هي مشكلتك، أنتَ تقسو على نفسك لأنَّك لا تشبه المسيح أكثر. عليك أن تفعل ما أفعله، تكون حقيرًا وتستمتع بالحياة.

رفع سايمون رأسه حينها، مبتسمًا.

ـ لا تبدو حقيرًا. لكنّني سعيدٌ بمعرفة أنَّك تستمتع بحياتك.

تقدَّم فيلكس قليلًا وهو يخوض في الماء، ومن دون أن يلتفت إلى الخلف، قال: «لقد فعلت بالتّأكيد أشياء لم يكن ينبغي عليَّ أن أفعلها، لكن لا فائدة من البكاء على الماضي، أليس كذلك؟ أقصد بالطبع أنّني أفعل ذلك أحيانًا، لكنّني أحاول ألّا أفعل».

راقبه سايمون لثانيةٍ أو ثانيتيْن، والماء يتحرَّك حول جسمه الأبيض الصغير.

ـ حسنًا، جميعنا خطأة.

استدار فيلكس ونظر إليه حينها. قال: «آه بالطبع». وبدأ في الضحك مرَّةً أخرى. أضاف: «نسيت أنَّك تؤمن بذلك. مخبولون تمامًا، لا تتضايق منّي. هيَّا بنا، لن نسبح على الإطلاق إذا ما بقينا هنا».

سار بضع خطواتٍ أبعد، ثمَّ غمس بجسمه كاملًا تحت سطح الماء، واختفى تمامًا.

على الشاطئ، جلست إيلين، عاقدةً قدميْها، تقلّب صفحات مجموعةٍ من القصص القصيرة. أليس مستلقيَّةٌ على منشفةٍ بجوارها، تلمع أشعَّة الشمس على رموشها الرَّطبة. نسمة ريحٍ ثنت صفحةً من كتاب إيلين، وأعادت إيلين وضعها بيدها في مكانها بنفاذ صبر. من دون أن تفتح عينيْها، سألَت أليس: «ما الأخبار؟».

لم تردَّ إيلين في البداية، ولم ترفع رأسها حتَّى. ثمَّ قالت: «مع سايمون، تقصدين؟ لا أعرف ما الأخبار. تعرفين أنَّ رأيي هو أنَّنا شخصان مختلفان تمامًا».

عينا أليس مفتوحتيْن الآن، تحجب عنهما الشمس براحة يدها، وتنظر من مكانها في الأسفل إلى إيلين.

ـ ماذا يعني هذا؟

عقدت إيلين حاجبيْها وهي تنظر إلى صفحةٍ من الطباعة الكثيفة السَّوداء، ثمَّ أغلقت الكتاب.

ـ إنَّه يواعد امرأةً أخرى، لكنَّني لا أعرف إذا ما كانت الأمور لتنجح بيننا على كلٍّ حال. نحن مختلفان تمامًا كما تعرفين.

بقيت أليس ثابتةً في مكانها، ويدها تحمي عينيْها.

ـ قلتِ ذلك سابقًا، لكن ماذا تعنين به بالضبط؟

خفضت إيلين كتابها، وأخذت جرعةً من زجاجة الماء. وبعدما ابتلعت، قالت: «تتصرَّفين بطريقةٍ متطفِّلة».

أنزلت أليس يدها وأغلقت عينيْها مرَّةً أخرى وردَّت: «آسفة». أعادت إيلين وضع الغطاء على الزجاجة وهي تقول: «إنَّه موضوعٌ حسَّاس». هبطت حشرةٌ على منشفة أليس، وانزلقت مرَّةً أخرى عبر الهواء.

ـ مفهوم.

تنظر أليس إلى الأفق، جسمان يهبطان تحت سطح الماء في تلك اللحظة، ثمَّ يخرجان في أخرى، يتبادلان الأماكن.

ـ كنت سأصاب بالإحباط لو لم تنجح الأمور.

اعتمدت أليس على مرفقيْها، فخلقت حفرتيْن صغيرتيْن في الرمل الناعم.

ـ لكن لو نجحت.

ـ هذه طريقة تفكير مقامرة.

هزَّت أليس رأسها، وعيناها تجوب جسم صديقتها بجوارها من الأعلى إلى الأسفل. حزام الكتف الأسود الرَّفيع لرداء السباحة.

ـ وهذه طريقة تفكير تجنُّب المخاطر.

ابتسمت إيلين نصف ابتسامة. وأجابت: «سلوك تدمير ذاتٍ إذن». ابتسمت أليس هي الأخرى وهي تميل برأسها إلى جانبٍ واحد. قالت: «هذا الأمر يقبل الجدل على الناحيتيْن. إنَّه يحبُّك بالفعل على كلِّ حال». أدارت إيلين رأسها إليها وسألت: «ماذا، هل قال لكِ ذلك؟». هزَّت أليس رأسها وأجابت: «لا، أقول إنَّ هذا واضح».

أمالت إيلين جسدها على رجليْها المعقوديْن، مثبتةً يديْها على المنشفة الخشنة المنقوشة باللَّون الورديِّ أمامها، فظهرت فقراتها الظهريَّة كالتلال عبر القماش الصناعيِّ الرَّفيع لثوب سباحتها.

ـ صحيح، بطريقةٍ ما يحبُّني. لأنّني الحمقاء الصغيرة التي لا تستطيع فعل أيِّ شيءٍ بنفسها، هذا هو ما يهمُّه.

استقامت في جلستها مرَّةً أخرى ودعكت عينيْها بيديْها. ثمَّ تابعت القول: «في وقتٍ مبكرٍ من هذا العام، في يناير أو فبراير، بدأت أصاب بنوبات صداعٍ شديدة السُّوء. وفي إحدى الليالي، دخلت في دائرةٍ لا تنتهي من القراءة على الإنترنت حول الأعراض التي أعاني منها، وأقنعت نفسي أنّني مصابةٌ بورمٍ في الدماغ. هذه قصَّةٌ غبيَّةٌ جدًّا، بالمناسبة. لكن على كلِّ حال، اتَّصلت بسايمون في الواحدة صباحًا تقريبًا لأحكي له أنّني كنت خائفةً من أنّني قد أكون مصابةً بسرطان المخّ، فأخذ تاكسي وجاء إلى شقّتي، وسمح لي بالبكاء على كتفه لمدَّة ساعةٍ تقريبًا. لم يَبْدُ عليه الضيق حتَّى، كان مسترخيًا تمامًا. ليس أنّني أريده أن يتضايق. لكن هل كنت لأفعل المثل له؟ لو أنَّه اتَّصل بي في منتصف الليل قائلًا: مرحبًا إيلين، كيف حالك، لقد أقنعتُ نفسي بطريقةٍ غير منطقيَّةٍ تمامًا أنّني مصابٌ بشكلٍ نادرٍ من السرطان، هل يمكنك القدوم والسماح لي بالبكاء على كتفك حتَّى أتعب وأذهب في النوم؟ ليست هناك فائدةٌ من مجرّد تخيُّل الطريقة التي كنت لأتصرّف بها. لأنَّ هذا ليس شيئًا سيفعله هو على الإطلاق في أيِّ وقتٍ كان. بصراحةٍ حتَّى لو فعل ذلك، فسأظنُّ فعلًا أنَّ هناك مشكلةً في دماغه».

ضحكت أليس.

ـ كلُّ هذه القصص عن وساوس المرض، ولم تتَّصلي بي في إحداها أبدًا.

أخرجت إيلين نظَّارتها الشمسيَّة من حقيبتها، وبدأت تنظيفها بركن السترة التي خلعتها.

ـ لا، هذا ما أقوله. سايمون يحظى بكلّ قذارات شخصيَّتي. لا أعرف لماذا أنتقده، ينبغي عليَّ أن أتضايق من نفسي أنا. هل هناك امرأةٌ بالغةٌ تتصرَّف بهذه الطريقة؟ أمرٌ سيِّئ.

كانت أليس تحفر بمرفقيْها في المنشفة وهي تفكّر. وبعد لحظةٍ، قالت بصوتٍ واضح: «تقصدين أنَّك لا تحبّين الشخص الذي تكونين عليه وأنت معه». عقدت إيلين حاجبيْها، وفحصت نظّارتها تحت الضوء.

ـ لا، لا أقصد هذا، أشعر فحسب أنَّ علاقتنا تسير في اتّجاهٍ واحد. وكأنَّه دائمًا ما يُصلح الأمور لي، ولا أفعل المثل له. أقصد.. من الرائع أنَّه يساعدني بهذه الطريقة، وأنا بحاجةٍ إلى ذلك بشكلٍ ما. لكنَّه لا يحتاج إلى أيِّ شيءٍ منّي في المقابل... على كلِّ حال، لا يهمّ. لديْه الآن صاحبته ذات الثلاثة والعشرين عامًا، التي يقول الجميع إنَّها رائعة.

استلقت أليس على منشفة الشاطئ. لم يَعُد بالإمكان رؤية شكل سايمون وفيلكس من مكان جلوسها، ضبابٌ هائلٌ من النور والماء فحسب، موجٌ رقيقٌ يتكسَّر مثل الخيط. خلفهم تلمع القرية بلونٍ أبيض على امتداد الساحل، وصولًا إلى الفنار، وناحية اليسار كثبان الرمل الخالية. أراحت أليس مؤخّرة يدها على جبهتها. سألتها إيلين: «هل ترين أنَّ بإمكانك العيش هنا فعلًا؟».

نظرت أليس إليها من دون اندهاشٍ من السؤال.

ـ أنا أعيش هنا بالفعل.

ومضت موجة عبوسٍ على ملامح إيلين ثمَّ انحسرت سريعًا.

ـ لا. أنا أعرف ذلك. أقصد على المدى الطويل.

ـ لا أعرف. أحبُّ ذلك.

خلفهم، شقَّت عائلةٌ شابَّةٌ طريقها من باحة الكارافانات. يتهادى طفلان أمام الأبويْن بسلوبيتات متطابقة. سألت إيلين: «لماذا؟». فابتسمت أليس وردَّت: «لم لا؟ المكان جميل، أليس كذلك؟». بنبرة صوتٍ خفيضةٍ، أجابت إيلين: «بالطبع، واضح». كانت تنظر حينها إلى المنشفة، وتُنعِّم التجاعيد بأصابعها الطويلة، بينما تنظر إليها أليس.

ـ يمكنك دائمًا القدوم للعيش معي يا إيلين.

أغلقت إيلين عينيْها ثمَّ فتحتها من جديد.

ـ للأسف أنا مضطرَّةٌ للعمل.

تردَّدت أليس للحظةٍ ثمَّ أجابت برفق: «أليس هذا الحال معنا جميعًا»؟

ظهر الرجلان من الماء واقتربا وهما يلمعان بللًا، يعكسان ضوء الشمس، ويتحدَّثان إلى بعضهما، في البداية بصوتٍ غير مسموع، بينما يرتمي ظلَّاهما خلفهما على الرمل، مرقَّطان باللون الأزرق، سكتت المرأتان ونظرتا إليهما.

***

في الثانية مساء، خرج فيلكس ليذهب إلى العمل، بينما تجوَّل الثلاثة الآخرون في القرية. الجوُّ حارٌّ بعد الظهر، بقعٌ سوداء من القار تلين على الطرقات، طلَّاب المدارس، عائدين من امتحاناتهم، متباطئين في مشيتهم. في المتجر الخيريّ بجوار الكنيسة اشترت إيلين بلوزة حريريَّةً خضراء بستَّة يوروهات ونصف. في غضون ذلك، يدفع فيلكس

عربة بضائع طويلةً عبر ممرّات المستودع، مائلًا بجسده بزاويةٍ تعاكس حركة عربة النقل، بطريقةٍ محدَّدةٍ دقيقة، كي يتمكَّن من توجيهها عند الأركان، يضع قدمه اليسرى خلف العجلات الخلفيَّة بالضبط، بينما تخفُّ يديْه عن المقابض، ثمَّ تعيد إمساكها بقوَّة. كرَّر تلك الحركات بصورةٍ متطابقة، مرَّةً تلو الأخرى، ولم يبد عليه أبدًا التَّفكير فيما يتوجَّب عليه فعله، باستثناء اللحظة التي أخطأ التقدير فيها، وانزلق وزن العربة لفترةٍ وجيزةٍ خارج سيطرته. في مطبخ أليس، سايمون يُعدُّ طعام العشاء، وأليس تشجِّع إيلين على البدء في كتابها. لسببٍ ما، تُمسك إيلين في حِجرها البلوزة الحريريَّة التي اشترتها في وقتٍ سابقٍ من اليوم. من حينٍ لآخر، بينما تتحدَّث أليس، كانت إيلين تربِّت على البلوزة بشرود ذهنٍ وكأنَّها تربِّت على حيوان. وبمعنى ما، بدا أنَّها تولي لمحادثتها مع أليس اهتمامًا عميقًا ومتماسكًا، لكن بمعنى آخر، بدا أنَّها بالكاد تسمع ما يُقال. نظرت إلى البلاط في الأسفل، مُفكِّرةً على ما يبدو، وشفتاها تتحرَّكان بصمتٍ في بعض الأحيان، وكأنَّها تكوِّن الحروف، لكنَّها لا تقول شيئًا.

بعد العشاء، خرجوا مشيًا لمقابلة فيلكس واحتساء مشروب. ضوءٌ لطيفٌ يتلاشى فوق البحر، أزرق وأصفر خافت. عندما وصلوا، كان فيلكس واقفًا خارج حانة «ذا سايلورز فريند»، يتحدَّث إلى الهاتف. لوَّح إليهم بيده الحرَّة، وقال في الهاتف: «سنرى، سأسأل، اسمع، سأغلق الخطَّ الآن، حسنًا؟».

بمجرَّد أن دخلوا إلى البار معًا، أعلن الساقي: «آه. ها هو فيلكس برادي العظيم. زبوني المفضَّل». قال فيلكس للمجموعة: «هذه فكرته عن المزاح». جلس أربعتهم في حجرةٍ بالقرب من مدفأةٍ خالية، يشربون، ويتحدَّثون عن المدن المختلفة التي عاشوا فيها. سأل فيلكس أليس

عن نيويورك، وقالت إنَّها موتِّرةٌ ومُربكةٌ بالنِّسبة إليها. أخبرتهم أنَّ الجميع هناك يعيشون في أبنيةٍ غريبة الشَّكل للغاية، لها ردهاتٌ وسلالم تقود المرء إلى اللَّاشيء، وأنَّ الأبواب كلَّها هناك لا تُغلق بسهولة، حتَّى أبواب الحمَّامات، حتَّى في الأماكن الباهظة. تحدَّث فيلكس عن أنَّه انتقل إلى لندن بعد أن أنهى دراسته وأمضى بعض الوقت هناك، حيث عمل ساقيًا في الحانات، منها مرحلةٌ قضاها في نادٍ للتعرِّي، وقال لهم إنَّها كانت أكثر وظيفةٍ بائسةٍ حصل عليها مطلقًا. ثمَّ وجَّه حديثه إلى سايمون وسأله: «هل ذهبت يومًا إلى أحد نوادي التعرِّي؟».

بأدبٍ، أجاب سايمون أن لا.

ـ أماكن فظيعة. ينبغي عليك الذهاب مرَّة، إذا أردت يومًا أن تشعر بالبؤس.

قال سايمون إنَّه لم يعش أبدًا في لندن، لكنَّه أمضى بعض الوقت هناك أثناء مرحلة دراسته الجامعيَّة، وبعدها ذهب للعيش في باريس عدَّة أعوام. سأله فيلكس عمَّا إذا كان يتحدَّث الفرنسيَّة، وأجاب سايمون بالإيجاب، مضيفًا أنَّ صاحبته وقتها كانت باريسيَّة، وأنَّهما كانا يتحدَّثان الفرنسيَّة في البيت. «هل عشتما معًا؟». سأل فيلكس.

تناول سايمون جرعة شرابٍ من زجاجته، وأومأ برأسه.

ـ لكم من الوقت؟ آسف. أبدو كأنَّني أستجوبك الآن. أشعر بالفضول فحسب.

ـ لمدَّة أربعة أعوامٍ أو خمسة.

رفع فيلكس حاجبيْه وهو يقول: «آه حسنًا. وأنت الآن أعزب، أليس كذلك؟».

ابتسم سايمون ابتسامةً ملتويةً عندما سمع ذلك، فضحك فيلكس. كانت إيلين تضفّر خصلةً من شعرها بأصابعها وهي تنظر إليهما.

ـ نعم، أنا أعزب.

تدخَّلت إيلين، ملقيةً الضفيرة نصف المنتهية من بين أصابعها: «حسنًا. أنت تقابل شخصًا ما بالفعل». بدا أنَّ هذه الملاحظة أثارت انتباه فيلكس، وحوَّل نظره بسرعةٍ إلى سايمون الذي أجاب: «لا، ليس في الوقت الحاليّ. أنتِ تقصدين كارولين، لا. لم نَعُد نرى بعضنا». رسمت إيلين على وجهها تعبيرًا مندهشًا، وضمَّت فمها على هيئة دائرة، وبعدها، ربَّما للتغطية على بعض الاندهاش الحقيقيّ، عادت إلى تضفير شعرها.

ـ غامضٌ جدًّا، لم تكن ستُخبرني؟

ثمَّ استدارت إلى فيلكس قائلة: «لا يُخبرني بأيِّ شيءٍ أبدًا».

نظر سايمون إليها مستمتعًا.

ـ كنتُ سأُخبرك. كنت أنتظر الوقت المناسب.

أطلقت ضحكةً صغيرة، وتورَّد وجهها.

ـ مناسبٌ بأيِّ معنى؟

أعاد فيلكس زجاجته على الطاولة بطريقةٍ مرحةٍ، وقال: «الآن فقط نستمتع بوقتنا حقًّا».

بعد جولة مشروبٍ أخرى، ثمَّ أخرى، غادروا الحانة وذهبوا لتناول الآيس كريم. أليس وإيلين تضحكان، وتتحدَّثان عن شخصٍ ما كانتا تكرهانه في الجامعة، تزوَّج قريبًا من فتاةٍ كانتا تكرهانها أيضًا في الجامعة.

في الوقت نفسه، سأل فيلكس سايمون: «هل كانتا دائمًا تتصرَّفان بهذا اللؤم؟». أجاب سايمون بنبرةٍ مرحةٍ أنَّ إيلين في الواقع كانت فتاةً لطيفةً حتّى قابلت أليس، وردَّت أليس عليه: «كنت متأكِّدةً من أنَّك ستقول ذلك».

المتجر عند الزاوية، له أبوابٌ أوتوماتيكيَّةٌ منزلقة، وتركيبات إضاءةٍ بيضاء صاخبة، بلاط الأرضيَّة لامع. بجانب صناديق الفواكه والخضراوات، تُعرض زهورٌ نضرة. علبٌ من حبيبات جريفي، لفّاتٌ من ورق الخبَّيز، وزجاجاتٌ متطابقةٌ من الزيت النباتيّ. فتحت أليس الباب المنزلق للثلاجة، واختار كلٌّ منهم عبوة آيس كريم معبَّأةً سلفًا. ثمَّ تذكَّرت أنَّهم سيحتاجون اللبن وخبز الصودا للإفطار، ولفائف مطبخٍ كذلك، كما أرادت إيلين معجون أسنان. وعندما اقتربوا من أمين الصندوق، ومعهم هذه الأشياء، أخرجت إيلين محفظتها من الحقيبة، لكنَّ سايمون قال: «لا. لا. عليَّ هذه المرَّة». نظرت إليه إيلين وهو يخرج محفظته من جيبه، محفظةٌ جلديَّةٌ أنيقة، فتحها بيدٍ واحدةٍ ليخرج بطاقة الائتمان، رفع رأسه على أعلى فانتبه إلى أنَّها تنظر إليه، ابتسمت بخجل، ولمست أذنها، وبادلها الابتسامة. نظر فيلكس بهدوء، بينما تضع أليس الأغراض في حقيبةٍ قماشيَّة. ساروا عائدين على الطريق الساحليّ، وهم يأكلون الآيس كريم، ويتحدَّثون عمَّا إذا كانوا قد تعرَّضوا لأيِّ حروق شمسٍ من جلستهم على الشاطئ مبكِّرًا. تأخَّرت أليس وإيلين معًا، ذراعًا في ذراع، تتحدَّثان عن هنري جيمس. تقول أليس: «لا أعرف أبدًا ما هو رأيي إلَّا حينما أتحدَّث إليك».

سايمون وفيلكس يخطوان في الأمام ناحية التلّ، وفيلكس يسأل عن أسرة سايمون، وعن المكان الذي نشأ فيه، وعن علاقاته السابقة.

سايمون يجيب عن هذه الأسئلة بأدبٍ ولطف، أو يبتسم ويكتفي بالقول: «لا تعليق». في أحيانٍ أخرى. فيلكس يومئ برأسه، مستمتعًا، ويداه في جيبه. قال: «فتياتٌ فقط، صح؟». حوَّل سايمون جسده ليسأل: «معذرة؟». بتعبيرٍ هادئ، نظر فيلكس إليه، وقال: «تحبُّ الفتيات فقط أعني». لم يقل سايمون شيئًا للحظة، ثمَّ بنبرةٍ منخفضةٍ لطيفةٍ أجاب: «حتَّى الآن». ضحكة فيلكس العالية تردَّدت فوق واجهات المنازل. ساروا متجاوزين مدخل الشارع إلى ساحة ركن الكارفانات، مسالك الجولف صامتةٌ وزرقاء، ردهة الفندق من الزجاج اللامع.

في البيت، تمنَّوا لبعضهم ليلةً سعيدة، وصعدوا إلى الطابق العلويّ. في حمَّام غرفتها، غسلت أليس أسنانها، بينما جلس فيلكس على السرير يقلِّب إشعارات هاتفه.

ـ هل حكيت لكِ عن صديقتي داني؟ ستدعو الناس لحفلة عيد ميلادها غدًا. لن يكون حفلًا صاخبًا، قريباتها وأقرباؤها سيكونون هناك، وأشياء كهذه. ربَّما أذهب سريعًا، تمام؟

ظهرت أليس على باب حُجرة النوم، وهي تنشِّف شعرها بالمنشفة. قالت: «بالطبع».

أومأ برأسه، وهو يمعن النظر فيها، أضاف: «يمكنكِ المجيء لو أردت. وكذلك صديقاك».

علَّقت المنشفة، وجاءت للجلوس بجواره على السرير، ثمَّ خلعت قلادتها. قالت:

ـ أظنُّ ذلك سيكون ممتعًا. ألن تُمانع داني؟

عدَّل جلسته ليساعدها في فكِّ قفل السلسلة.

ـ لا، على الإطلاق. طلبت منّي أن أقول لك أصلًا.

تركت أليس السلسلة تنسكب في يدها، ثمَّ ألقتها في خزانة الأدراج المجاورة للسرير. أضاف فيلكس: «وسيمٌ هو، أليس كذلك؟ صديقك سايمون». ابتسمت أليس بمكرٍ وبعدها دخلت السرير. قالت: «أخبرتكَ بذلك».

وضع فيلكس يده خلف رأسه، وهو ينظر إليها، ثمَّ ردَّ: «إنَّه يذكِّرني بك. متحفِّظٌ في كلامه».

التقطت وسادتها وضربته بها. قالت: «لسوء حظِّكَ أظنُّه لا يهتمُّ بالرجال». حمل فيلكس الوسادة ووضعها تحت رأسه، ثمَّ ردَّ بهدوء: «فعلًا؟ سنرى».

ضحكت ثمَّ اعتلته. سألت: «لن تتركني لأجله، أليس كذلك؟».

مسح بيديْه على وركيْها، وصولًا إلى فخذها، وقال: «أتركك؟ لا لا مستحيل. ألا ترين أنَّ بإمكان ثلاثتنا أن نحظى ببعض المتعة معًا؟».

هزَّت رأسها وسألت: «وأين إيلين في هذا السيناريو؟ في الأسفل تمارس الحياكة؟».

عضَّ فيلكس على شفته السفلى مُفكِّرًا، ثمَّ قال: «لن أستبعدها».

مرَّرت أليس إصبعًا على أحد حاجبيْه الغامقيْن.

ـ هذه عاقبة أن يحظى المرء بأصدقاء جيِّدي المظهر.

ـ لا بأس بك أنت أيضًا كما تعرفين. تعالي إلى هنا.

في تلك الأثناء، جلست أليس على سريرها مُمسكةً هاتفها، تتصفَّح عددًا من صور الزفاف التي أرسلتها أمُّها إليها. على الأرض، سترةٌ مُلقاة، وبذلة سباحتها وأشرطتها متداخلة، صندل إبزيمه مفتوح. على خزانة السرير مصباحٌ يطلق ضوءًا ورديًّا مائلًا. عندما سمعت صوت طرقاتٍ ناعمةٍ على الباب، نظرت وقالت بصوتٍ عالٍ: «من؟». فتح سايمون الباب قليلًا، ونظر من شقِّ الباب. وجهه في الظلّ، ويداه على المقبض. سأترك معجون أسنانك في الحمَّام. نامي جيِّدًا. أشارت بيدها تدعوه للدخول.

ـ كنت أنظر في صور الزفاف.

أغلق الباب خلفه، وجلس على جانب السرير. على الهاتف صورةٌ للولا وماثيو، يقفان جنبًا إلى جنب خارج الكنيسة، لولا تُمسك باقةً من الزهور البيضاء والورديَّة. قال سايمون: «لطيفة». قلَّبت إيلين إلى الصورة التالية، حضور حفل الزفاف يقفون معًا، إيلين في فستانها الأخضر الفاتح، نصف مبتسمة. علَّق سايمون: «آه. تبدين جميلة». تحرَّكت في السرير، وربَّتت على المرتبة لتدعوه. جلس بجوارها، يستند ظهرهما على خشبة السرير. أكملت لولا تقليبها. صورٌ من حفل المشروبات. لولا تضحك وفهمها مفتوح، كأس شمبانيا في يدها. تثاءبت إيلين، ووضعت رأسها مستقرَّةً على كتف سايمون، استقرَّت ذراعه حوله، دافئةً وثقيلة. بعد دقيقةٍ أو دقيقتيْن، وضعت الهاتف على حجرها، وتركت عينيْها تنغلقان. قالت: «كان اليوم ممتعًا». تحرَّكت أصابعه بلطفٍ على مؤخِّرة عنقها، وصولًا إلى شعرها، فأصدرت تنهيدةً مستمتعةً ناعمة.

أراحت يدها على صدره، وعيناها نصف مغمضتيْن. سألته: «ما الذي حدث مع كارول إذن؟». نظر إلى يدها، وأجاب: «قلت لها إنَّ هناك شخصًا آخر».

صمتت إيلين، وكأنَّها تنتظره أن يكمل.

ـ هل هي شخصٌ أعرفه؟

أصابعه خلف أذنها، تتخلَّل شعرها.

ـ آه.. الفتاة نفسها التي كنت مغرمًا بها طيلة الوقت. من وقتٍ لآخر، تحبُّ أن تتلاعب بمشاعري لترى إذا ما كنت لا أزال مهتمًّا.

ضغطت على شفتها ثمَّ أطلقتها. قالت: «امرأةٌ بلا قلب».

ـ حسنًا.. الخطأ منِّي، فقد دلَّلتها أكثر من اللَّازم. فأنا متيَّمٌ بها تمامًا.

حرَّكت يدها على أزرار قميصه، وصولًا إلى توكة حزامه.

ـ سايمون، هل تذكر عندما جئت إلى شقَّتك، وكنَّا نائميْن.

ـ نعم.

ـ عندما ذهبنا إلى السرير تلك الليلة، نمت على جنبك، بعيدًا عنِّي، هل تذكر؟

بابتسامةٍ خجولةٍ، أجاب أنَّه يتذكَّر. كانت تحرِّك يدها على توكة الحزام بأصابعها.

ـ لم تكن ترغب في لمسي؟

أطلق ما يشبه الضحكة، ونظر إلى يدها الصغيرة البيضاء بالأسفل.

ـ لا، بالطبع أردت. لكن عندما صعدت إلى الطابق العلويّ، فكَّرت أنَّه يبدو عليك الضيق من شيءٍ ما.

صمتت متأمِّلةً للحظة.

ـ كنت كذلك بصورةٍ ما. أظنُّني كنت أفكِّر أنَّني سأشعر بالتحسُّن لو نمنا معًا. أنا آسفةٌ لو تضايقتَ من ذلك. لكن عندما استدرت بعيدًا عنِّي، شعرت وكأنَّني.. ربَّما لم تكن ترغب فيَّ من الأصل.

كان يحرِّك يده على مؤخِّرة عنقها.

ـ أوه. لم يخطر هذا ببالي أصلًا. لم أفكِّر في الأصل أنَّك ترغبين في النوم معي لتحسين حالتك. كنت أفعل ذلك ببساطةٍ لأنَّني أريد ذلك، ولأنَّكِ سمحت لي. لم أكن واثقًا بالكامل لماذا تسمحين لي، بصراحة. أظنُّ أنَّني فكَّرت.. ربَّما سيرفع من معنوياتك أن تذهبي إلى السرير مع شخصٍ يريدكِ بشدَّة. شعرتُ بذلك من قبل. وكأنَّه من الممتع أن يكون المرء موضوعًا للرَّغبة، وربَّما من المُمتع والمثير بطريقةٍ ما حتَّى. لكن لم يخطر ببالي أبدًا أنَّك ستظنين أنَّني لم أكن أرغب فيك. أظنُّ أنَّ الطريقة التي أتعامل بها مع هذه الأمور.. أقصد، حتَّى حينما نمارس الجنس، أشعر أحيانًا أنَّ هذا شيءٌ أقدِّمه لك، لأسبابي الخاصَّة. وربَّما تشعرين بنوعٍ ما من المتعة الجسديَّة البريئة من هذا، أتمنَّى ذلك، لكنَّ الأمر بالنِّسبة إليَّ مختلف. أعرف أنَّك ستقولين أنَّ هذا متحيِّزٌ جنسيًّا.

ضحكت، وفمها مفتوح.

ـ إنَّه كذلك بالفعل. ليس أنَّني أمانع. أشعر بالإطراء، يعجبني ما تقول، لديْك تلك الرَّغبة البدائيَّة في السيطرة عليَّ وامتلاكي. أشعر أنَّه رجوليٌّ تمامًا، بل ومثير.

رفع يده، ولمس شفتها السُّفلى بإبهامه.

ـ أشعر بذلك. لكن في الوقت نفسه، ينبغي أن تريدي ذلك.

رفعت رأسها إليه، عيناها واسعتان وغامقتان. قالت: «أريده».

استدار إليها وقبَّل فاها. ولفترةٍ من الوقت، استلقيا على هذه الحال، وذراعاهما معقودان حول بعضهما، ويده تداعب العظمة

الصغيرة الصلبة لفخذها، نفسها دافئٌ ورطبٌ على عنقه. وعندما أدخل يده تحت فستانها، أغلقت عينيْها وأطلقت نفسًا منخفضًا. تمتم: «آه. أنتِ جميلةٌ جدًّا». أطلقت ما يشبه الصيحة الحيوانيَّة، وكانت تهزُّ رأسها. قالت: «يا إلهي! أرجوك!». ضحك مرَّةً أخرى وسألها: «ماذا تقصدين بـ«أرجوك»؟». استمرَّت في هزِّ رأسها مقابل الوسادة. أجابت: «أنت تعرف ما الذي يعنيه ذلك». حرَّك أصابعه بنعومةٍ على خصلةٍ من شعرها خلف أذنها. قال: «ليس لديَّ واقٍ». أخبرته أنَّ لا بأس. ثمَّ أضافت: «طالما لا تمارس جنسًا غير آمنٍ مع فتياتٍ أخريات». احمرَّت أذناه. ابتسم وقال: «لا لا، أنتِ فقط. هل يمكنني أن أخلع ذلك عنك؟».

اعتدلت بينما رفع رداءها من فوق رأسها، تحته كانت ترتدي حمَّالة صدرٍ بيضاء ناعمة، حرَّك يده تحتها ليفتحها. كانت تراقبه وهو يحرّك الشريطيْن لينزلقا عن كتفيْها، وارتجفت ارتجافةً صغيرة. استلقت على ظهرها، وخلع هو لباسها الداخليّ. قالت: «سايمون». كان يفكُّ أزرار قميصه، وهو ينظر إليها بانتباه. سألته: «هل تفعل كذلك مع صاحباتك؟ أقصد، الطريقة التي تتحدَّث بها معي، وتُخبرني بها أنَّني جميلة. هل تفعل كلَّ ذلك؟ ليس ذلك من شأني، لكنَّني أشعر بالفضول وحسب».

رسم على وجهه ما يشبه الابتسامة.

ـ لا، أبدًا. بصراحة. إنَّني أرتجل. هل يضايقك هذا؟

ضحكت عندها وضحك هو أيضًا، شاعرًا بالحرج.

ـ ها! إنَّني أحبُّه جدًّا. كنتُ أتساءل فحسب، بعد المرَّة الأخيرة. هل تفهمني؟ كنت أفكِّر، ربَّما هذه طريقته. ربَّما يكون على هذه الحال مع كلِّ النساء الأخريات.

ترك ملابسه على الأرض.

ـ ليس هناك نساءٌ كثيراتٌ لهذه الدرجة مثلما تظنّين. آسفٌ لو كنت أفسد تخيُّلاتك.

أسدلت جفونها قليلًا، وابتسمت.

ـ كم عددهنّ؟

نام فوقها، وقال: «لا داعي».

ألقت بذراعيْها حول عنقه.

ـ عشرون مثلًا؟

عبس بطريقةٍ مضحكة، وقال: «أقلّ، نعم. هل هذا العدد الذي يدور في ذهنك؟ عشرون؟».

كانت تبتسم، ولعقت أسنانها.

ـ أقلّ من عشر؟

أخذ نفسًا بصبرٍ وأجاب: «ظننتُ أنَّكِ ستكونين لطيفة». عضَّت شفتها وقالت: «أنا كذلك». عندما دخلها أصدرت صوت لهاثٍ قويٍّ ولم تقل شيئًا. أغلق عينيْه وغمغم: «أحبُّك». بصوتٍ ضعيفٍ طفوليٍّ أجابت: «وأنا الوحيدة التي تحبُّها؟». قبَّل جانب وجهها، وقال: «آه. نعم. أحبُّك للغاية».

بعدها، استدارت لتنام على بطنها، ذراعاها معقودان على الوسادة، ورأسها مائلٌ لتنظر إليه. سحب طرف اللحاف ليغطّي به نفسه، واستلقى على ظهره ويده خلف رأسه. عيناه مغلقتان، يتصبَّب عرقًا بشدَّة.

ـ أحيانًا أتمنَّى لو أنَّني زوجتك.

التقط أنفاسه، وابتسم.

ـ أكملي.

أسندت ذقنها على ذراعيْها.

ـ لكن حين أفكّر فيما سيحدث حين نتزوّج، أتخيَّل الأمر كذلك. وكأنَّه يُتاح لنا أن نقضي اليوم بأكمله مع أصدقائنا، ثمَّ في الليل، نستلقي في السرير ونمارس الجنس. في الحياة الحقيقيَّة، ستكون على الأرجح مسافرًا طيلة الوقت لحضور مؤتمراتٍ ما. ثمَّ ستدخل في علاقاتٍ غراميَّةٍ سرِّيَّةٍ مع الفتيات اللواتي يعملنَ سكرتيرات.

من دون أن يفتح عينيْه، أجاب بأنَّه لم يدخل أبدًا في علاقةٍ سرِّيَّةٍ على مدار حياته. فنوَّهت إلى أنَّه لم يتزوَّج من قبل.

ـ كما ترى، صاحباتك دائمًا في العمر نفسه. لكنَّ الزوجة تكبر في السنّ.

ضحك.

ـ أنتِ سخيفة. لو أنَّك زوجتي لكنتُ أعطيتكِ درسًا الآن.

نظرت إليه في صمتٍ لدقيقة.

ـ لكن لو أنَّنا متزوّجان لما كنَّا صديقيْن.

ببطءٍ فتح عينًا واحدة لينظر إليها، سأل: «ما الذي تقصدينه؟». نظرت إلى ذراعيْها، رفيعتيْن، عليهما نمشٌ من الشمس.

ـ كنت أفكّر في تلك المواقف فحسب. حينما يدخل الأصدقاء في علاقات. عادةً ما تنتهي الأمور بشكلٍ سيِّئ. أقصد أنَّ ذلك بالطبع

ممكنٌ في أيِّ حالةٍ يدخل الناس فيها إلى العلاقات. لكن في أغلب الحالات، يحظر الشخص رقم هاتف الآخر ويمضي في حياته. في حين أنَّني لا أريد فعلًا أن أحظر رقم هاتفك، من ناحيةٍ شخصيَّة.

دعمت نفسها على مرفقيْها لتنظر إليه من الأعلى.

ـ هل تذكر حين كنت في الرابعة عشرة أو الخامسة عشرة، حين قلت لي إنَّنا سنبقى أصدقاء لآخر يومٍ في حياتنا؟ أعرف أنَّك لا تتذكَّر ذلك في الغالب، لكنَّني أفعل.

كان مستلقيًا بهدوءٍ تامّ، يستمع إليها.

ـ بالطبع. بالطبع أتذكَّر ذلك.

أومأت برأسها عدَّة مرَّاتٍ بتعاقبٍ سريع، وجلست على المرتبة، لامَّةً اللحاف حول جسمها.

ـ كيف سيكون الحال إذن؟ لو أنَّنا ارتبطنا ثمَّ انفصلنا، مجرَّد قول ذلك يؤلمني للغاية.. أنا. لا أريد حتَّى أن أفكِّر في ذلك. بالنظر إلى ما يحدث حولنا. أقصد.. أليس تعيش هنا في الفراغ، وكلُّ أصدقائنا.. يهاجرون باستمرار، وأنا مضطرَّةٌ لشراء مضادَّاتٍ حيويَّةٍ بطريقةٍ غير شرعيَّةٍ من على الإنترنت حين أصاب بالتهابٍ في مجرى البول، لأنَّني فقيرةٌ لدرجةٍ لا تسمح لي بالذهاب إلى الطبيب، وكلُّ انتخاباتٍ تجري في أيِّ مكانٍ على كوكب الأرض تجعلني أشعر، بصورةٍ مادِّيَّة، أنَّ هناك من يركلني على الوجه، ثمَّ تخرج أنتَ من حياتي؟ يا إلهي. لا أعرف. يصعب عليَّ تخيُّل الاستمرار في هذه الظروف. بينما، لو بقينا أصدقاء فحسب، حسنًا، لن يصبح بإمكاننا النوم معًا، لكن ما هي احتماليَّة أن نخرج من حياة بعضنا؟ يصعب عليَّ تخيُّل ذلك، أليس كذلك؟

بهدوءٍ أجابها: «صحيح. أفهم ما تقصدينه».

دعكت وجهها بيديْها، وهي تهزُّ رأسها.

ـ بطريقةٍ ما، ربَّما صداقتنا أكثر أهمِّيَّةً في الحقيقة من أيِّ شيءٍ آخر. لا أعرف. عندما كنت أعيش مع إيدن، أحيانًا كنت أفكِّر، إنَّه من المُحزن قليلًا أنَّني لن أعرف أبدًا كيف كانت الأمور لتصبح مع سايمون. لكن ربَّما، بطريقةٍ ما، من الأفضل ألَّا أعرف. سنبقى في حياة بعضنا دائمًا، وستكون لدينا دائمًا المشاعر نفسها التي نكنُّها لبعضنا. ربَّما هذا أفضل. أحيانًا عندما أكون تعيسةً ومكتئبة، أستلقي في السرير وأفكِّر فيك. ولا أقصد ذلك بطريقةٍ جنسيَّة. أفكِّر في أنَّكَ إنسانٌ جيِّد. وبما أنَّك معجبٌ بي، أو تحبُّني، فلا بدَّ وأنَّني لست سيِّئة. يمكنني أن أشعر بذلك الإحساس يملؤني حتَّى وأنا الآن أصفه لك. الأمر يشبه أن يكون كلُّ شيءٍ في حالةٍ سيِّئة، وهذا الإحساس الصغير بداخلي، بحجم حبَّة البلوط، هنا.

أشارت إلى أسفل عظمة صدرها، بين أضلعها قبل أن تواصل كلامها.

ـ وكأنَّني أعرف ما سأفعل، عندما أشعر بالسُّوء، أعرف أنَّ بإمكاني الاتِّصال بك، وأنَّك ستقول شيئًا يطمئنني. وحين أفكِّر بذلك، لا أحتاج حتَّى إلى الاتِّصال بك، لأنَّ بإمكاني الشعور به، بما أصفه لك. يمكنني الشعور بأنَّك معي. أعرف أنَّ ذلك ربَّما يبدو سخيفًا. لكن لو أنَّنا ارتبطنا ثمَّ انفصلنا بعد ذلك، هل سأفقد ذلك الإحساس للأبد؟ وما الذي سيكون بداخلي بدلًا منه؟

ضغطت على عظمة صدرها مرَّةً أخرى، بأصابع قليلة. ثمَّ سألت: «اللَّا شيء؟».

استلقى في مكانه ناظرًا إليها، وبقي صامتًا لعدَّة دقائق.

ـ لا أعرف. الأمر صعبٌ جدًّا. أفهم ما تقولينه.

حدَّقت فيه، بنظرةٍ يائسةٍ تكاد تُنكِر ما يقول. قالت: «لكنَّك لا تقول لي شيئًا».

رسم على وجهه ابتسامةً وهو يفكِّر، ونظر إلى السقف.

ـ حسنًا، الأمر معقَّد. ربَّما أنتِ على حقّ. ومن الأفضل لنا أن ننهي الأمر، وألَّا نُعرِّض أنفسنا لكلِّ هذا بعد الآن. لكنَّني أشعر أنَّ ذلك صعبٌ للغاية، سماعك وأنت تقولين ذلك. أنت تعرفين كم شعرت بالسُّوء بخصوص الحكاية مع كارولين، وكم أردت إصلاح الوضع. لكن بالنظر إلى ما تقولينه الآن، أظنُّ أنَّ الأمر لم يكن يتعلَّق بذلك، كان شيئًا آخر. أفهم أسبابكِ تمامًا، لكن ممَّا تقولين، لا يبدو أنَّكِ راغبةٌ حقًّا في أن تكوني معي.

بقيت في مكانها وهي تنظر إليه، يدها مضغوطةٌ لا تزال على صدرها. دعك فكَّه، ونهض من على السرير، واضعًا قدميْه على الأرضيَّة. ظهره يواجهها. «سأتركِكِ الآن لتنامي»، قال. ثمَّ التقط ثيابه من على الأرض، وارتداها. جلست هي على المرتبة، واللحاف حول جسمها، ولم تقل شيئًا. انتهى من تزرير قميصه، واستدار مواجهًا إيَّاها.

ـ عندما جئت تلك الليلة، بعد أن عدتُ من لندن، شعرت بالسعادة الشديدة لرؤيتك، لا أعرف إذا ما كنت قد قلت لكِ ذلك، ربَّما فعلت. بصراحة، كنت متوتِّرًا، لأنَّني كنت سعيدًا للغاية.

بقيت صامتة، تمسح أنفها بأصابعها، أومأ برأسه، وكأنَّه يُبدي تفهُّمه لصمتها.

ـ أتمنّى ألّا تندمي على ذلك.

بلطفٍ أجابت: «لا». ابتسم. قال: «هذا جيّدٌ على الأقلّ. سعيدٌ بذلك». بعد توقُّفٍ أضاف: «أنا آسفٌ لأنّني لم أكن ما أردتني أن أكونه».

بقيت جالسةً تنظر إليه لفترة. ثمّ قالت: «لكنّك ما أردته».

ضحك لسماع ذلك، وعيناه على الأرض. أجاب: «الشعور متبادل، لكن لا، أنا أفهم، أفهم حقًّا. لن أبقيك مستيقظةً أكثر من ذلك. نامي جيّدًا، حسنًا؟».

غادر الحُجرة، وبقيت إيلين ثابتةً على السرير، كتفاها إلى الأسفل، وذراعاها معقودان. التقطت هاتفها، ثمّ ألقته ثانيةً من دون أن تنظر إليه. رفعت شعرها من على جبهتها، وأغلقت عينيْها، وتذكّرت أبياتًا من الشعر: «**حسنًا جرى ما جرى، وأنا سعيدةٌ أنّه انتهى**». شعرت بحكّةٍ رطبةٍ في إبطيْها، وبألمٍ في ظهرها، كتفاها مُحمرّان ويؤلمانها من الشمس. شقّ سايمون طريقه ودخل غرفته ثمّ أغلق الباب خلفه. وإذا كان في صمت غرفته وعزلتها يركع على الأرض، فهل يعني هذا أنّه يصلّي؟ وماذا يطلب؟ أن يتحرّر من الرّغبات الأنانيّة. ربّما. أو ربّما، وكوعاه على المرتبة، ويداه معقودتان أمامه، ربّما يفكّر في شيءٍ واحد: «ما الذي تريده منّي؟ دُلّني على ما تريده يا إلهي».

- 27 -



في السادسة وخمسٍ وأربعين دقيقةً من الصباح، رنَّ منبّه فيلكس، صوت صفيرٍ عريضٌ ومتكرِّر. الحُجرة مُظلمة، والنافذة التي تواجه الغرب لا تسمح إلَّا بضوءٍ باهتٍ وبارد، أبيض اللون، من خلال الستائر. غمغمت أليس: «كم الساعة؟». أغلق المنبّه، ونهض من على السرير. قال: «وقت العمل. عودي إلى النوم». استحمَّ في الحمَّام الملحق بالغرفة، وخرج بعدها وهو يضع منشفةً حول كتفيْه، بينما يرتدي لباسه الداخليّ. عندما انتهى من ارتداء ملابسه، ذهب إلى جانب السرير وانحنى ليقبِّل جبهة أليس، قبلةً دافئةً ورطبة. قال: «سأراك بعد العمل». بعينيْن مغلقتيْن أجابت: «أنا أحبُّك». لمس جبهتها بظهر يده وكأنَّه يقيس حرارتها. وقال: «نعم. صحيح». نزل إلى الطابق السفليّ، واتَّجه إلى المطبخ.

إيلين مستندةٌ على الرخامة، تفكُّ الجزء السُّفليَّ من وعاء القهوة. عيناها منتفختان ومحمرَّتان. قالت: «صباح الخير». من المدخل نظر فيلكس إليها. سألها عن سبب استيقاظها. ابتسمت بإرهاقٍ وأخبرته

أنَّها لم تستطع النوم. تمعَّن فيلكس في وجهها وأجاب: «تبدين مرهقةً بالفعل». فتح الثلَّاجة، وأخرج صحنًا من الزبادي، بينما ألقت ثنوة قهوة الأمس في الحوض. جلس إلى الطاولة وسألها: «ما هي وظيفتك إذن؟ أخبرتني أليس بأنَّك صحفيَّة أو شيءٌ كهذا».

هزَّت إيلين رأسها، وهي تملأ وعاء القهوة بالماء من الصنبور.

ـ لا لا. أعمل في مجلَّةٍ لا أكثر. أنا محرِّرة، نوعًا ما.

قلَّب فيلكس الزبادي بملعقته. سألها: «أيُّ نوعٍ من المجلَّات؟»، فأجابت بأنَّها مجلَّةٌ أدبيَّة.

ـ آه. حسنًا. لا أعرف بصراحةٍ ما الذي تتحدَّثين عنه.

أشعلتِ الموقد.

ـ نعم، قاعدة قرَّائنا ليست واسعةً على كلِّ حال. ننشر الشعر والمقالات وأشياء كهذه.

سألها كيف تربح المجلَّة إذن في هذه الحالة. قالت: «آها. لا تفعل. تعتمد على المنح في تمويلها». بدا على فيلكس الاهتمام حينها. سألها: «تقصدين من جهاتٍ مثل دافعي الضرائب؟». جلست على الناحية الأخرى من الطاولة، وارتسمت ابتسامةٌ باهتةٌ على وجهها.

ـ نعم. هل يضايقك هذا؟.

ـ على الإطلاق. وتحصلين على راتبك من دافعي الضرائب أيضًا، أليس كذلك؟

هزَّت رأسها بالإيجاب مضيفة: «لا أحصل على الكثير في كلِّ الأحوال».

لعق ظهر الملعقة.

ـ وما الذي يعنيه الـ«ليس كثيرًا» بالنِّسبة إليك؟

التقطت حبَّة يوسفيٍّ من صحن الفاكهة وبدأت تقشيرها.

ـ قرابة العشرين ألفًا في السنة.

ارتفع حاجباه، ووضع صحن الزبادي جانبًا.

ـ أنت تمزحين. بعد الضريبة؟

ـ لا. قبلها.

هزَّ رأسه. قال: «أحصل على ما هو أكثر من هذا».

تركت قطعةً ملتويَّةً من القشر البرتقاليِّ على الطاولة. وسألت: «ولم لا؟». كان ينظر إليها.

ـ كيف تعيشين على ذلك أصلًا؟

قسمت حبَّة اليوسفيِّ إلى نصفيْن بأصابعها، وأجابت: «أنا أيضًا أسأل نفسي هذا السُّؤال في كثيرٍ من الأحيان».

عاد إلى طبق الزبادي، وهو يتمتم بنبرةٍ لطيفة: «باللَّـه عليك». بعد أن ابتلع ملعقةً أخرى، أضاف: «وهذا ما ذهبت إلى الجامعة لأجله؟».

ـ لا، ذهبت إلى الجامعة لأتعلَّم.

ـ لا بأس طبعًا. على كلِّ حال. لا بدَّ وأنَّكِ تحبِّين وظيفتك، أليس كذلك؟

حرَّكت رأسها من جانبٍ إلى آخر بطريقةٍ محتارةٍ ثمَّ قالت: «لا أكرهها». أومأ برأسه، وهو ينظر إلى صحن الزبادي. علَّق: «في هذا

نحن مختلفان». سألته كم من الوقت أمضى في العمل في المستودع، فأجابها أنَّه يعمل منذ ثمانية أو تسعة شهور. بدأ وعاء القهوة يغلي على النار، فنهضت لتنظر. سحبت كمَّ قميصها لتغطِّي يدها، ثمَّ صبَّت كوبيْن وحملتهما إلى الطاولة. راقبها ثمَّ قال: «شكرًا، هل يمكنني أن أسألك عن شيءٍ ما؟». عادت للجلوس على الطاولة.

ـ طبعًا.

ـ كيف يُعقل أنَّكِ لم تزوريها إلَّا الآن؟ أنتِ تعيشين في دبلن، ليست بعيدةً على الإطلاق. وهي هنا منذ فترةٍ طويلة.

تصلَّبت إيلين في جلستها وهو يتكلَّم، إلَّا أنَّها لم تقل شيئًا. ولم يرتسم أيُّ تعبيرٍ محدَّدٍ على وجهها. أضافت ملعقةً من السكَّر إلى قهوتها من دون أن تتكلَّم.

ـ الطريقة التي تتحدَّث بها عنكِ، تجعل الأمر يبدو وكأنَّكِ أعزُّ صديقاتها.

بسرعةٍ وهدوءٍ أجابت إيلين: «نحن كذلك فعلًا». سقطت نقاطٌ صغيرةٌ من المطر على نافذة المطبخ.

ـ حسنًا، لماذا استغرقتِ كلَّ هذا الوقت لتأتي لزيارتها هنا؟ أنا أشعر بالفضول فحسب. لو أنَّها صديقتكِ المقرَّبة فعلًا، فمن المنطقيّ أن أتوقَّع أنَّكِ ستأتين لزيارتها قبل الآن.

شحب وجه إيلين، فتحتا أنفها كذلك، أخذت نفسًا عميقًا ثمَّ أطلقته. قالت: «كما تعرف، لديَّ وظيفة». أغلق عينًا واحدةً وهو عابس، قبل أن يردَّ: «نعم، وأنا كذلك. لكنَّكِ لا تعملين في نهايات الأسبوع،

صح؟». عقدت إيلين ذراعيْها، تقبض يدها على الجزء العلويّ من ذراعها عبر كمّ رداء النوم.

ـ ولماذا لم تأتِ هي لزيارتي؟ لو أنّها تريد رؤيتي لهذه الدرجة. إنّها لا تعمل في نهايات الأسبوع، صح؟

بدا أنَّ فيلكس استغرب هذه الملاحظة، فكَّر فيها للحظة.

ـ لم أقل إنّها كانت تريد رؤيتكِ لهذه الدَّرجة، ربّما لم تُرد أيُّكما أن ترى الأخرى لهذه الدرجة. لا أعرف. لهذا أسأل.

شدَّت إيلين على ذراعها بقوَّةٍ شديدةٍ الآن.

ـ حسنًا، ربّما لم تُرد أيُّنا ذلك فعلًا.

هزَّ رأسه

ـ هل تشاجرتما مثلًا؟

بعصبيَّةٍ، حرَّكت خصلة شعرٍ من على وجهها. قالت: «أنت لا تعرف عنّي أيَّ شيءٍ في الحقيقة». استقبل تلك الجملة صامتًا، ثمَّ أجاب: «وأنت كذلك لا تعرفين عنّي أيَّ شيء». عقدت ذراعيْها من جديد، وأردفَت:: «ولهذا السَّبب لا أستجوبك». ابتسم عندما سمع الجملة. قال: «تمام».

ابتلع آخر رشفةٍ من القهوة، ونهض على قدميْه، أخذ المعطف من على ظهر الكرسي، حيث تركه بالأمس. قال: «نظريَّتي هي الآتي: الأشخاص مثلهما هما الاثنيْن مختلفان عنّا، أنا وأنت. ستفقدين عقلكِ وأنتِ تحاولين دفعهما للتصرُّف بالطريقة التي ترغبين فيها».

نظرت إليه إيلين لعدَّة ثوان، ثمَّ أجابت: «أنا لا أحاول أن أجعل أيًّا منهما يتصرَّف بأيِّ طريقة».

فتح فيلكس سوستة حقيبة ظهره، ووضع الجاكيت فيها.

ـ عليك أن تسألي نفسك، لو أنَّهما يضايقانكِ لهذه الدرجة، فلم العناء؟

رفع حقيبته على ظهره.

ـ لا بدَّ وأنَّ لديْكِ تفسيرًا ما. لماذا تهتمِّين؟

نظرت إلى كوب قهوتها، وقالت بهدوءٍ شديد: «اخرس!». أطلق ضحكةً بسيطةً مندهشة.

ـ إيلين، أنا لا أقصد أن أهاجمك. أنتِ تعجبينني. ربَّما عليكِ الذهاب إلى السرير. تبدين متعبة، سأغادر على كلِّ حال. أراك لاحقًا.

خارج الباب الرئيسيّ، ضبابٌ من مطر الصباح، دخل إلى عربته، وشغَّل الكاسيت، وخرج من الممرّ. راقب الطريق أمامه، وكان يصفِّر مع الموسيقى، مضيفًا القليل من النغمات والاختلافات على اللحن من وقتٍ لآخر. بينما يقود سيَّارته متجاوزًا منعطف القرية، وعلى طول الطريق الساحليّ المؤدِّي إلى المدينة الصناعيَّة.

* * *

حين دخل فيلكس إلى البيت، في المساء، بعد انتهاء عمله، ركضت كلبته نحوه من المطبخ، وهي تنبح بصوتٍ عالٍ متكرِّرٍ وسريع، بينما تنقر مخالبها على الأرضيَّة. عندما وصلت إليه، رفعت قائميْها الأماميَّيْن ليستقرا على رجله، بينما يتدلَّى لسانها إلى الخارج وهي تلهث.

وضع يديْه على رأسها، ودلَّك أذنيْها، فنبحت مرَّةً أخرى. قال: «ششش. أنا كذلك افتقدتُك. هل هناك أحدٌ في البيت؟». برفقٍ دفعها إلى الخلف لتستقرَّ على الأرض، فبدأت الركض في دوائر ثمَّ عطست. تحرَّك فيلكس في الردهة وجاءت راكضةً وراءه. لا أحد في المطبخ، والأضواء مطفأة، وبضعة أطباقٍ من الإفطار منقوعةٌ في الحوض. جلس بتكاسلٍ على كرسيِّ المطبخ وأخرج هاتفه، بينما جلست الكلبة عند قدميْه، وأراحت رأسها في حجره. تصفَّح إشعارات الهاتف بيدٍ واحدة، ودلَّك مؤخِّرة عنقها بالأخرى. أليس أرسلت له رسالة: «هل ستأتي إلى حفلة دانييل هذا المساء؟ خبزتُ كيكة احتياطًا. أتمنَّى أن تكون الأمور بخيرٍ في العمل». فتح الرسالة وكتب بسرعة: «نعم، سآتي. قلت إنَّنا سنكون هناك قرابة السابعة، تمام؟ لا تبالغي في التوقُّعات هههههه في الغالب كثيرٌ من المسنِّين والأطفال. لكنَّ داني ستسرُّ برؤيتك». أصدرت الكلبة صوت أنينٍ منخفض، فأعاد يده إلى رأسها وهو يقول: «لم أغب إلَّا يوميْن فحسب. هل يطعمونك جيِّدًا؟». رفعت رأسها لتلعق يده. قال: «شكرًا. كم هذا مقرف!». اهتزَّ هاتفه فتفقَّده مرَّةً أخرى. سألته أليس عمَّا إذا كان يرغب في تناول العشاء معهم، وقال لها إنَّه قد تناول عشاءه بالفعل. تابعا تبادل الرسائل.

ـ سأمر وآخذكِ بعد قليل.

ـ ممتاز. مزاج إيلين غريبٌ هذا اليوم، أخبركَ فحسب...

رفع حاجبيْه وكتب: «اهاهاها. أعرف على كلِّ حال. رأيتها في الصباح. أصدقاؤكِ يماثلونكِ سوءًا».

نهض بعدها، ووضع الهاتف في جيبه، وذهب إلى الحوض ليفتح الماء الساخن. في الجانب الأيسر من يده اليسرى، تحت مفصل إصبعه

الصغير، ضمادةٌ لاصقةٌ زرقاء اللون. الماء الساخن ينساب، بينما ينزع الضمادة بحذرٍ وينظر إلى ما تحتها. جرحٌ ورديٌّ عميق تحت المفصل بقليل، يمتدُّ إلى راحة اليد في الجانب الآخر منها. القطنة البيضاء الصغيرة من الضمادة ملوَّثةٌ بالدم، لكنَّ الجرح توقَّف عن النزف. لفَّ الضمادة وألقاها في سلَّة المهملات تحت الحوض، ثمَّ غسل يديْه، بالصابون والماء، وجفل حينما وضع الجرح تحت الماء.

لا تزال الكلبة جالسةً في مكانها عند أرجل كرسيِّ المطبخ، تحرّك ذيلها ماسحةً الأرض يمينًا ويسارًا. نظر إليها، وهو يجفّف يده بعنايةٍ مستخدمًا منشفةً نظيفة، ثمَّ سألها: «هل تذكرين أليس؟ لقد جاءت هنا عدَّة مرَّات. لقد قابلتِها». نهضت الكلبة من على الأرض وتوجَّهت إليه. أضاف متفكّرًا: «لا أعرف إذا ما كانت تسمح بالكلاب في بيتها، سأسأل نيابةً عنك». أعاد ملء طبقها بالماء. وبينما تشرب، صعد إلى الطابق العلويّ وغيَّر ملابسه، منتزعًا حذاء الركض الأسود الذي ارتداه في العمل، وتركه تحت السرير. بنطالٌ رياضيٌّ أسود نظيف، تي ـ شيرت أبيض، وبلوفر رماديٌّ من القطن. في مقابل باب غرفة النوم، مرآةٌ بالطول الكامل، تفحَّص فيها مظهره. مرَّت عيناه على جسمه الرفيع في المرآة، وهزَّ رأسه، وكأنَّه مستمتعٌ بفكرة تذكُّرها. نزل إلى الردهة بعدها، وجلس على بسطة السلَّم لربط حذائه الرياضيّ الأبيض. جاءت الكلبة من المطبخ وجلست أمامه، دافعةً ركبتيْه بفكّها الطويل الرّقيق. قال: «لم يحبسوك هنا طول الوقت، أليس كذلك؟ قال لي جايفن إنَّه سيأخذك إلى الخارج بالأمس». حاولت لعق يده مرَّةً أخرى، وبلطفٍ أبعد منخارها. قال: «الآن تشعرينني بالذنب». أطلقت أنَّةً خفيضة، ثمَّ وضعت رأسها أسفل الدرج، وهي تنظر إليه. وقف على قدميْه وقال:

«بينكما الكثير من الأشياء المشتركة. كلاكما غارقتان في حبِّي». تبعته الكلبة إلى الباب، وهي تطلق صوت نشيج، فربَّت على رأسها مرَّةً أخرى قبل أن يغادر. ثمَّ أغلق الباب خلفه وصعد إلى السيَّارة.

مساءٌ دافئٌ ساكن، سماءٌ زرقاء تظهر ناعمةً من بين السحب البيضاء. طرق فيلكس على باب أليس مرَّةً قبل أن يفتحه صائحًا: «هاي! لقد وصلت». الأنوار مضاءةٌ بالداخل. من الأعلى أجاب صوتها: «نحن فوق». أغلق الباب خلفه، وصعد السُّلَّم ركضًا. على الباب سايمون واقفٌ أمام غرفة إيلين. استدار ليحيِّي فيلكس، وتبادلا النظر للحظة. سايمون يبدو متعبًا، وعلى وجهه تعبيرٌ هادئ. قال فيلكس: «مرحبًا أيُّها الوسيم». بادله سايمون الابتسام عندها، وأشار إلى فيلكس ليتقدَّمه إلى الحُجرة، وهو يقول: «سعيدٌ برؤيتك أيضًا». إيلين تجلس في الداخل إلى منضدة الزينة، وأليس تميل عليها، وهي تُخرج أنبوب أحمر الشفاه. جلس فيلكس على أحد طرفَيْ السرير، وهو ينظر إلى إيلين بينما تضع مساحيقها. تحرَّكت عيناه على كتفيْها، ومؤخِّرة عنقها، وانعكاسها في المرآة، تعبيرٌ جامدٌ بعض الشيء على وجهها، بينما يتحدَّث أليس وسايمون عن شيءٍ ما في الأخبار ذلك اليوم. لوَّحت إيلين بعصا بلاستيكيَّةٍ صغيرة، ونظرت إلى عيني فيلكس في المرآة قبل أن تسأله: «هل ترغب في بعضها؟». نهض من مكانه، وتفحَّص الشيء الذي تقصده. قال: «ما هذه؟ ماسكارا؟ هيَّا بنا، لم لا». أفسحت له مكانًا على الكرسيِّ الصغير، لتسمح له بالجلوس إلى جانبها. جلس وظهره إلى المرآة. طلبَت منه إيلين أن ينظر إلى الأعلى. أطاعها. مرَّرت الفرشاة على الجانب السُّفليِّ من جفنه الأيسر، بحركةٍ رقيقةٍ من رسغها.

أليس: «سايمون، لم لا تجرِّب؟».

من على مدخل الباب، أجاب سايمون بهدوء: «لا شكرًا».

فيلكس: «لا يحتاج إلى المساحيق ليبدو جميلًا».

طأطأت أليس بلسانها، وهي تعيد الغطاء إلى أحمر الشفاه.

أليس: «لم يطلب أحدٌ آراءك الشخصيَّة».

سايمون، ويداه في جيبه: «لا تستمع إليها، يا فيلكس».

سحبت إيلين فرشاة الماسكارا، وفتح فيلكس عيْنه مرَّةً أخرى. استدار حوله، ونظر في انعكاسه في المرآة من دون انفعال، ثمَّ نهض من على المقعد. سأل: «بالمناسبة، هل يستطيع أحدٌ منكم الغناء؟». نظروا جميعًا إليه، فأكمل: «هذه الأشياء تحتاج بعض الغناء أحيانًا. لا يتوجَّب عليكم ذلك لو لم يكن ذلك في استطاعتكم». ردَّت أليس بأنَّ سايمون كان في الكورال أيَّام أكسفورد، فعلَّق الأخير بأنَّه لا يظنُّ أنَّ أيَّ شخصٍ في الحفلة سيكون في حالةٍ مزاجيَّةٍ تسمح له بسماع جزء الجهير في مقطوعة **الميزرير** لمدَّة أربع عشرة دقيقة. سأل فيلكس: «ماذا عنك، يا إيلين؟ هل تستطيعين الغناء؟». أعادت غطاء الماسكارا إلى مكانها. نظر إليها لكنَّها تجنَّبَت عينيْه. أجابت: «لا، لا أعرف». نهضت من مكانها، وهي تُسوِّي فستانها على وركيْها. قالت: «أنا مستعدَّةٌ للذهاب حين تجهزون».

في السيَّارة، جلست أليس في المقعد الأماميّ، تحمل كيكة إسفنجيَّةً في طبقٍ ملفوفةً ببلاستيك واقٍ. جلس سايمون وإيلين في المقعد الخلفيّ، وبينهما المقعد الأوسط. نظر إليهما فيلكس في مرآته الأماميَّة، ثمَّ حرَّك أصابعه جذلًا على عجلة القيادة. سأل: «ما الذي

تفعله في صالة الألعاب الرياضيَّة إذن؟ جهاز التجديف أم شيءٌ آخر؟».
نظر سايمون في عينيْه عبر المرآة، بينما أدارت أليس وجهها بعيدًا وهي تبتسم، أو في محاولةٍ منها للتغلُّب على ضحكة. أجاب سايمون: «أتمرَّن قليلًا على آلة التجديف فعلًا». سأله فيلكس عمَّا إذا كان يرفع أوزانًا، وقال سايمون إنَّه نادرًا ما يفعل. بدأت أليس في الضحك حينها، بينما تتظاهر بالسعال. سألت إيلين: «ماذا؟». فأجابت: «لا شيء».

ضغط فيلكس على المؤشِّر حينما اقتربوا من المنعطف قُبالة طريق الساحل إلى البلدة. ثمَّ واصل توجيه الأسئلة إلى سايمون.

ـ وما هو طولك؟ على سبيل الفضول فحسب.

بابتسامةٍ كسولةٍ، نظر سايمون من النافذة.

أليس: «من دون خجل! لا أفهم».

تنحنح سايمون ثمَّ أجاب بصوتٍ خفيض: «مئةٌ وتسعون سنتيمترًا».

كان فيلكس يبتسم. قال: «أرأيت؟ مجرَّد سؤال. مئةٌ وتسعون سنتيمترًا. الآن أعرف». ثمَّ نقر بأصابعه على عجلة القيادة مرَّةً أخرى وهو يضيف: «طولي مئةٌ واثنان وسبعون سنتيمترًا بالمناسبة. لمعلوماتك لا أكثر».

من المقعد الخلفيِّ، علَّقت إيلين بأنَّ طولها مئةٌ واثنان وسبعون سنتيمترًا أيضًا. نظر فيلكس إليها من فوق كتفه، وعاد إلى الطريق مرَّةً أخرى. «فعلًا؟ مثيرٌ للاهتمام. طولٌ ممتازٌ بالنِّسبة إلى فتاة».

سايمون لا يزال ينظر عبر النافذة إلى الواجهات العابرة للمنازل الصيفيَّة، قال: «أظنُّه طولًا ممتازًا لأيِّ شخص».

ردَّ فيلكس ضاحكًا: «شكرًا، أيُّها الرجل الضخم».

وصلوا إلى الشارع الرئيسيّ، مرُّوا بالملاهي وهي مغلقة. أخبرهم فيلكس بأنَّه ليس عليهم البقاء لوقتٍ طويل. ضغط على المؤشّر مرَّةً أخرى وأضاف: «ولو أنَّكم تحدَّثتم مع أيِّ شخصٍ يقول أشياء سيِّئةً عنّي، فهم يكذبون». بدأ سايمون في الضحك.

سألت إيلين: «هل يقول الناس أشياء سيِّئةً عنك؟».

نظر فيلكس إليها في المرآة، منتظرًا الانعطاف يمينًا. ثمَّ أجابها: «حسنًا، هناك أشخاص سيِّئون في هذا العالم، يا إيلين. ولستُ بالشخص الذي يحبُّه الجميع بصراحة».

انعطف يمينًا، مبتعدًا عن الطريق الرئيسيّ خلف الكنيسة، وبعد عدَّة دقائق، توقَّف عند منزلٍ صغيرٍ له سقفٌ مائل، أمامه وقفت العديد من السيَّارات بالفعل. أطفأ المحرِّك، وقال: «والآن حاولوا التظاهر بأنَّكم أشخاصٌ طبيعيُّون، اتَّفقنا؟ لا تتجوَّلوا هناك متحدِّثين عن أشياء مثل، السياسة الدوليَّة وأشياء بلهاء من هذا القبيل. سيظنُّ الناس أنَّكم مجموعةٌ من المخابيل».

استدارت أليس إلى المقعد الخلفيّ، وقالت: «أصدقاؤه لطفاء جدًّا، لا تقلقوا». علَّقت إيلين بأنَّها لا تعرف شيئًا عن السياسة الدوليَّة على كلِّ حال.

رنَّ فيلكس جرس الباب، وجاءت دانييل لتفتحه. كانت ترتدي فستانًا صيفيًّا قصيرًا وشعرها منسدلٌ على كتفيْها. خلفها المنزل مضيءٌ وصاخب. رحَّبت بهم ودعتهم إلى الداخل، وقبَّلها فيلكس على خدِّها، وهو يقول: «كلُّ سنةٍ وأنتِ طيِّبة. تبدين رائعة». دفعته بيدها وهي سعيدةٌ

بالإطراء وردَّت: «منذ متى تقول كلامًا لطيفًا؟». عرَّفتها أليس على إيلين وسايمون، وقالت دانييل: «تبدون جميعًا كنجوم الأفلام. أشعر بالغيرة. هيا تفضَّلوا».

المطبخ غرفةٌ مبلَّطةٌ بعد المدخل، له إضاءةٌ علويَّةٌ تغطِّي الطاولة، وفيه بابٌ خلفيٌّ يقود إلى الحديقة. بالداخل سبعة أشخاص، أو ثمانية، يشربون من أكوابٍ بلاستيكيَّةٍ ويتحدَّثون، ومن غرفة المعيشة المجاورة جاء صوت الموسيقى والضحك. على الطاولة أنواعٌ مختلفةٌ من الزجاجات وعبوات الصفيح، بعضها خالٍ وأخرى غير مفتوحة، وعاءٌ من رقائق البطاطس، فتَّاحة. رجلٌ طويلٌ يقف عند الثلَّاجة يقول: «فيلكس برادي، أين كنت طيلة هذا الأسبوع؟». رجلٌ آخر يقف عند الباب الخلفيِّ يدخِّن سيجارةً صاح بصوتٍ عال: «لا بدَّ وأنَّه كان مشغولًا باعتلاء صديقته الجديدة». عندما أشار الرجل الأوَّل بإبهامه إلى أليس، ارتسمت ملامح الاعتذار على وجه الثاني ودخل وهو يقول: «أنا آسفٌ جدًّا، لم أكن أعرف أنَّكِ هنا». ابتسمت أليس وأخبرته أن لا مشكلة. أومأ فيلكس برأسه وهو يأكل حفنةً من المقرمشات: «هؤلاء أصدقاؤها. كونوا لطفاء معهم. إنَّهم غرباء الأطوار قليلًا». نظرت دانييل إلى إيلين وهزَّت رأسها سائلة: «كيف تتحمَّلونه؟ سأجلب لكم مشروبًا».

وضعت أليس الكيكة على رخامة المطبخ، وبدأت نزع الغلاف البلاستيكيِّ عنها. جاءت امرأةٌ من حُجرة المعيشة، وهي تحمل طفلًا بين ذراعيْها. قالت المرأة: «دانييل، سنضطرُّ للمغادرة قبل أن يسقط هذا الرجل الصغير نائمًا». وضعت دانييل يدها على شعر الطفل المجعَّد الفاتح وقبَّلت جبهته. قالت: «إيلين، هذا إيثان، ما رأيك، أليس ملاكًا؟».

حاولت المرأة التي تُمسك الطفل فكَّ أصابعه التي قبضت على إحدى قرطيْها. سألت إيلين عن عمره، وأجابت المرأة: «سنتان وشهران».

جافن، زميل فيلكس في السكن، واقفٌ مع أليس عند رخامة المطبخ، يسألها إذا ما كانت هي التي خبزت الكيكة بنفسها. أخرج فيلكس سيجارةً ملفوفةً من محفظته، وقال بطريقةٍ عرضيَّةٍ لسايمون: «هل ترغب في الخروج معي لشرب واحدة؟».

الحديقة الخلفيَّة أهدأ وأبرد. في الجزء البعيد منها، امرأةٌ ورجلٌ وفتاةٌ صغيرةٌ يلعبون مباراة كرة قدمٍ مرتجلة، مستخدمين ستراتهم كعارضاتٍ للمرمى. أسند فيلكس ظهره إلى سور الحديقة، ناظرًا إلى العشب، ثمَّ أشعل السيجارة، بينما وقف سايمون بجواره، ينظر للمباراة التي تجري أمامه. خلفهما كان الجزء الخلفيُّ من البيت مخفيًّا بالجزء المظلم من المرآب. الفتاة الصغيرة تركض بحماسٍ شديدٍ بين الرجل والمرأة، وبحركاتٍ مضحكةٍ من قدميْها تُحرِّك الكرة أمامها.

نفث فيلكس الدخان وسأل: «هل تظنُّ أنَّ من المسموح لأليس جلب كلبٍ إلى البيت؟».

نظر سايمون حوله بانتباهٍ وأجاب: «حسنًا، لو اشترت البيت، يمكنها أن تفعل ما يحلو لها. لماذا؟ هل لديْك كلب؟».

كان فيلكس عاقدًا حاجبيْه. سأل: «وهل تفكِّر في شراء البيت؟».

توقَّف سايمون، وقال: «آ.. لا أعرف. أظنُّها أخبرتني بذلك مرَّةً على الهاتف، لكن ربَّما أكون مخطئًا».

نظر فيلكس إلى عقب السيجارة وعلى وجهه تعبيرٌ فضوليّ، قبل أن يأخذ نَفَسًا آخر، ثمَّ أجاب: «نعم. لديَّ كلب. أقصد. كلبة. وهي ليست كلبتي بالمعنى المباشر. الأشخاص الذي سكنوا في البيت قبلي تركوها هناك فحسب حينما غادروا، فانتهى بنا الحال معًا بالصدفة». نظر سايمون إليه وهو يتحدَّث. أضاف فيلكس: «كانت نحيلةً للغاية وقتها. وصحَّتها متردِّيةٌ جدًّا. كما كانت تعاني من اضطرابات القلق. لا تحبُّ أن يلمسها أحد. تختبئ في أيِّ مكانٍ بينما تضع لها الطعام، وعندما تغادر المكان تظهر وتذهب لتأكله. في الحقيقة، كانت تعاني أيضًا من مشاكل تتعلَّق بالعدوانيَّة. كما يحدث حينما تقترب منها أكثر من اللَّازم ولا تكون هي راغبةً في ذلك، ربَّما تهجم عليك. أشياء كهذه».

سايمون يهزُّ رأسه ببطء. سأل فيلكس إذا ما كان يظنُّ أنَّها تعرَّضت لصدمةٍ ما في الماضي.

أجاب فيلكس: «تصعب الإجابة عن هذا السُّؤال. ربَّما أهملها مالكوها السَّابقون. لكنَّها تعاني من مشاكل، بغضِّ النظر عن السَّبب». نفض بعض الرماد عن السيجارة، فسقط ببطءٍ ناحية العشب. قال: «لكنَّها أصبحت أكثر هدوءًا في النهاية. اعتادت على أنَّ الطعام سيُقدَّم لها ولن يحدث لها أيُّ شيءٍ سيِّئ. وفي النهاية، سمحت لنا بالاقتراب منها. لا تزال غير مرحِّبةٍ بلمسات الأغراب لها أكثر من اللَّازم، لكنَّها تحبُّ ذلك منِّي».

ابتسم سايمون وقال: «هذا لطيف».

زفر فيلكس من جديدٍ وواصل الكلام وعلى وجهه تكشيرة: «أنا سعيدٌ بذلك. لكنَّ الأمر استغرق وقتًا طويلًا. رغب الشباب في الواقع

بالتخلُّص منها في مرحلةٍ من المراحل، لأنَّ سلوكها كان شديد السُّوء، ولا تهدأ أبدًا. لا أريد أن أبدو بمظهر البطل، لكنَّني كنت الشخص الذي قال إنَّنا يجب علينا الاحتفاظ بها».

ضحك سايمون، وقال: «بإمكانك أن تكون البطل في هذه القصَّة، لا أمانع».

عاد فيلكس إلى التدخين مفكِّرًا فيما يسمع. أضاف: «كنت فقط أفكِّر هل سيكون بإمكاني جلبها إلى بيت أليس. بعض المُلَّاك لا يسمحون للمرء بذلك. لكن لو أنَّ أليس تخطِّط لشراء البيت فالأمر مختلف. لم أكن أعرف أنَّها تفكِّر في الأمر».

في الحديقة، تمكَّنت الفتاة الصغيرة من ركل الكرة بين العارضتيْن المرتجلتيْن، ورفعها الرجل على كتفيْه، مُشجِّعًا إيَّاها. نظر سايمون إليهما، ولم يقل شيئًا. حكَّ فيلكس بقايا سيجارته على طول السور خلفهما، حتَّى انطفأت. ثمَّ ألقى العقب في العشب. سأل: «ما الذي حدث ليلة أمس إذن؟».

نظر سايمون إليه مستفسرًا وسأل: «ماذا تقصد؟».

سعل فيلكس للحظة، وقال: «الأمور بينك وبين إيلين. لستَ مضطرًّا لإخباري طبعًا، لكن يمكنك أن تفعل لو أردت».

الفتاة الصغيرة تترك الحديقة متَّجهةً إلى البيت، والرجل والمرأة يسيران خلفها وهما يتحدَّثان. عندما مرَّا بهما، أومأ الرجل برأسه ناحية فيلكس، وقال: «كيف الحال يا برادي؟». وأجاب فيلكس: «لا بأس. شكرًا». دخلا إلى البيت، وجذبا الباب خلفهما. الحديقة خالية، إلَّا من فيلكس وسايمون، يقفان على العشب معًا خلف المرآب. بعد صمتٍ

طويل، ألقى سايمون ببصره إلى موضع قدميْه وأجاب: «لا أعرف فعلًا ما الذي حدث».

ضحك فيلكس، وقال: «حسنًا، سأُخبرك بالمستجدَّات. ذهبتَ إلى غرفتها بعد أن عدنا إلى البيت، صح؟ ثمَّ بعد قليل، عدتَ إلى غرفتك، والآن يبدو على كليْكما الحزن. لا أعرف أكثر من ذلك. أخبرني أنت. هل مارست الجنس معها أم ماذا؟».

مرَّر سايمون راحة يده على وجهه، وبدا عليه الإرهاق. قال: «صحيح». ولم يقل المزيد. فاستحثَّه فيلكس على الكلام: «ليست مرَّتكم الأولى حسبما أظنّ». رسم سايمون ابتسامةً واسعةً على وجهه، وقال: «لا. ليست الأولى». وضع فيلكس يده في جيبه، وهو ينظر إلى وجه سايمون. قال:

ـ وما الذي حدث بعدها؟ هل تشاجرتما؟ لم أسمع شيئًا بالمناسبة. لو فعلتما فلا بدَّ أنَّه كان شجارًا هادئًا.

حكَّ سايمون مؤخِّرة عنقه بيده.

ـ لم نفعل. تحدَّثنا فحسب. قالت إنَّها تفضِّل لو أنَّنا بقينا أصدقاء. هذا كلُّ شيء. لم نتشاجر.

رفع فيلكس حاجبيْه وهو ينظر إليه.

ـ يا للسخف! قالت لك ذلك بعد أن انتهيتما من ممارسة الجنس فورًا؟ ما هذه الطريقة؟

ضحك سايمون بطريقةٍ غريبة، وألقى يديْه إلى الأسفل ونظر بعيدًا. قال: «حسنًا، كلُّنا نفعل أشياء لا ينبغي أن نفعلها. أظنُّها تعيسةً فحسب».

عقد فيلكس حاجبيْه وهو ينظر فيه. علَّق: «ها أنت ذا. تحاول أن تكون المسيح مرَّةً أخرى». أطلق سايمون ضحكةً متوتِّرةً أخرى وأجاب: «لا. حسبما أتذكَّر فالمسيح قاوم الغواية في الحقيقة».

ابتسم فيلكس، ولمس يد سايمون، الذي لم يبد اعتراضًا. حرَّك فيلكس ظهر أصابعه ببطءٍ على الجزء الداخليِّ من معصم سايمون، وناحية راحة يده. مرَّت عدَّة ثوانٍ في صمت. بهدوءٍ، قال سايمون: «أليس صديقةٌ قريبةٌ للغاية من قلبي». ضحك فيلكس حينها وأبعد يده. ردّ: «لطفٌ منك أن تقول ذلك. ما الذي تقصده؟». وقف سايمون من دون حراك، وبدا عليه الهدوء، والتعب. أجاب: «أقصد أنَّني أحبُّها للغاية. وأقدِّرها». سعل فيلكس مرَّةً أخرى وهزَّ رأسه، ثمَّ قال: «تقصد أنَّني لو آذيتها فإنَّك ستركل رأسي». كان سايمون يلمس معصمه في المكان نفسه الذي لمسه فيلكس، مديرًا ساعده في راحة يده وكأنَّه يؤلمه. قال: «لا. في الحقيقة لم أقصد أيًّا من ذلك». تثاءب فيلكس، وهو يمدُّ ذراعيْه. قال فيلكس: «يمكنك ذلك على كلِّ حال، لو أردت، أن تركلني في رأسي بسهولة». استقام ثانيةً في وقفته واستدار لينظر إلى الحديقة. «لو أنَّها صديقةٌ عزيزةٌ للغاية عليك، لماذا لم تأتِ لزيارتها أبدًا بعدما انتقلت إلى هنا؟». أجاب سايمون، متفاجئًا، بأنَّه كان يحاول ترتيب الأمور لزيارة أليس منذ شهر فبراير، وأنَّها كانت دائمًا ما تُخبره بأنَّها مسافرةٌ أو أنَّ الوقت غير مناسب. أضاف كذلك أنَّه دعاها للمجيء والإقامة عنده. لكنَّها قالت إنَّها مشغولة. أضاف: «ولهذا فقد كان شعوري إنَّها لا تريد رؤيتي. ولا أقول ذلك بلهجةٍ لائمة، ظننت فحسب أنَّها تريد فترةً تكون وحدها بعيدة. كنَّا نقابل بعضنا كثيرًا في الفترة التي سبقت مغادرتها لدبلن».

ـ عندما كانت في المستشفى أليس كذلك؟

نظر سايمون إليه لفترة من الوقت ثمَّ أجاب:

ـ نعم.

وضع فيلكس يده في جيبه، وسار للحظةٍ بلا هدف، قبل أن يعود إلى السور، مواجهًا سايمون.

ـ إذن، فقد كنت تطلب منها بشكلٍ متكرِّرٍ أن تقابلك، وكانت هي من ترفض، قائلةً إنَّها مشغولة؟

ـ نعم بالتَّأكيد، لكن كما قلت، لا بأس في ذلك.

رسم فيلكس ابتسامةً على وجهه. سأل: «لم يجرح ذلك مشاعرك؟». بادله سايمون الابتسام. ثمَّ أجاب: «لا. لا. أنا أتصرَّف بنضجٍ كبيرٍ حيال هذه الأمور». ركل فيلكس السور بطرف حذائه.

ـ كيف كانت وقت المستشفى؟ في حالٍ سيِّئة، أليس كذلك؟
بدا أنَّ سايمون يفكِّر في السؤال. قال بعدها:

ـ تبدو أفضل بكثيرٍ الآن.

حرَّك فيلكس قدميْه مبتعدًا مرَّةً أخرى، لمسافةٍ خلف المرآب تسمح له بالنظر إلى المنزل. قال: «حسنًا. لو رأيتَها بالداخل أخبرها أنَّني أريد الحديث معها». أومأ سايمون برأسه ولعدَّة ثوانٍ لم يقل ولم يفعل شيئًا. ثمَّ استقام في وقفته وعاد إلى الداخل.

في المطبخ، وقفت أليس مع دانييل، تأكلان قطعةً من الكيكة في طبقٍ ورقيّ. وبينما تقطع جزءًا من الكيكة الإسفنجيَّة بشوكتها، قالت: «لم ترتفع لكن لا بأس بطعمها». أغلق سايمون الباب خلفه وقال إنَّها

تبدو لذيذة. أضاف: «فيلكس في الخارج. أظنُّه يريد الحديث معك». ضحكت دانييل وعلَّقت: «يا إلهي! هل سكِر بهذه السرعة؟ يصبح عميقًا وجادًّا حين يفرط في الشراب». أخذ سايمون قطعةً من الكيكة وقال: «لا، لا أظنُّه شرب. لكنَّه بدأ في العمق والجدِّيَّة فعلًا منذ قليل». وضعت أليس طبقها على الرخامة وتمتمت: «لا خير من وراء ذلك. سأعود بعد قليل». عندما ذهبت سألت دانييل سايمون عن عمله، وبدأ يحكي لها عن البرلمان الإيرلنديّ، ما جعلها تضحك. قال: «مهما كانت درجة السُّوء التي تتخيَّلينها، فالأمر أسوأ».

إيلين في حُجرة المعيشة تُقلِّب في حسابها على «سبوتيفاي»، عبر هاتفها الموصول بالسمَّاعات، حينما جاء صوت رجلٍ من خلف كتفها وهو يقول: «بعض الموسيقى الحقيقيَّة من فضلك».

في الخارج، أغلقت أليس الباب خلفها ونادت في الحديقة الفارغة: «فيلكس؟». نظر إليها من خلف المرآب، وقال: «هنا. أنا هنا». بذراعيْن معقودتيْن، مشت على العشب. على السور فرد ورقة بفرة، وأخذ حفنةً من التبغ من كيسٍ بلاستيكيٍّ صغير.

ـ هل تعرفين السَّبب وراء مزاجهما الغريب؟ الاثنان الآخران. ناما معًا الليلة الماضيَّة، ثمَّ قالت له إنَّها لا تريد إلَّا أن يكونا صديقيْن. الدراما التي تحدث في المنزل غير معقولة.

استندت أليس إلى السور، وهي تنظر له بينما يلفُّ السيجارة. سألته عمَّا إذا كان سايمون قد أخبره بهذا، فأغلق الورقة بلسانه الرطب ودكَّكها ثمَّ أجاب بالإيجاب... «ماذا؟ ما الذي قالته لك؟»، سأل. شاهدته وهو يشعل السيجارة، وقالت: «لم تقل إلَّا إنَّ الأمر كلَّه غلطة. لكنَّها

لم تحكِ التفاصيل. كان من الواضح أنَّها متضايقة، لهذا لم أرغب في الضغط عليها». نظرت إلى أظافرها وأضافَت: «تقول إنَّ من المستحيل الحديث معه. وترى أنَّه قد نشأ في أسرةٍ تقمع مشاعرها، وأنَّه خَرِبٌ تمامًا. وغير قادرٍ على التَّعبير عمَّا يريده». بدأ فيلكس يضحك ويسعل.

ـ يا إلهي! هذا قاسٍ للغاية. لم أكن لأقول إنَّه خَرِبٌ تمامًا بصراحة. إنَّه يروق لي. في الواقع جرَّبت قليلًا، حينما وقفنا معًا هنا، وبدأ يتحدَّث عن كونك صديقةً عظيمة، وأنَّه ينظر إليكِ بإكبارٍ وهذه الأمور. لكنَّه مال لذلك، أمكنني ملاحظة الأمر. كنت على وشك أن أقول له: استرخِ يا فتى، ليس عندها مشكلة.

ضحكت أليس أيضًا. قالت: «بريءٌ هو للغاية. هل تظنُّه لا يُقدِّر نفسه بما يكفي؟». عبس فيلكس وأجاب: «لا. ربَّما فاقدٌ قليلًا لإرادة العيش. لكن لا يُقدِّر نفسه؟ لم أكن لأصفه بذلك. وهو ليس بريئًا لهذه الدرجة بالمناسبة. إنَّه يشبهك. ثقته بنفسه طبيعيَّة، لكنَّه يكره حياته تمامًا».

ابتسمت أليس وهي تنفض الفتات بعيدًا عن فستانها. أجابت: «لكنَّني لا أكره حياتي».

نفث فيلكس دفعة دخانٍ وشتَّتها بيده. قال: «أنتِ من قلتِ لي ذلك. آخر مرَّةٍ خرجنا فيها لنشرب سيجارةً معًا. هل تذكرين؟ قبل أن نذهب إلى روما. كنتِ تدخِّنين وقتها».

دسَّت شعرها خلف أذنيْها وبدا عليها الإحراج.

ـ آه. نعم. هل قلت إنَّني أكره حياتي؟

ـ نعم، متأكِّدٌ تمامًا.

ـ حسنًا، ربَّما فعلت إذن. لكنَّني لا أكرهها الآن.

سكت لبرهة، ونظر إلى يده بينما استمرَّ في التدخين.

ـ انظري ما الذي حدث لي في العمل اليوم.

أخرج يده ليريها الجرح القطعيَّ العميق تحت مفصل إصبعه الصغير. تحوَّل لون الجرح وقتها إلى لونٍ أغمق، وبدا أنَّه يتماثل للشفاء، بينما الجلد المحيط أحمر وملتهب. جفلت أليس وأمسكت وجهها. حرَّك فيلكس يده، وكأنَّه يفحص الجرح من زوايا مختلفة. قال: «لم ألاحظه أصلًا حتَّى بدأ النزيف». نظر إليها، ورأى وجهها، فأضاف: «أشياء كهذه تحدث طول الوقت هناك. لا يؤلمني لتلك الدرجة». أخذت يده من دون كلام، ووضعتها في مقابل خدِّها. ضحك بارتباكٍ وقال: «أنتِ بسكوتة. إنَّه خدش. لم يكن عليَّ أن أريك إيَّاه».

ـ هل يؤلمكَ الآن؟

ـ لا، ليس كثيرًا. لكنَّه ينغزني قليلًا حين أغسل يدي.

ـ ليس هذا عدلًا.

ـ أنتِ تظنِّين كلَّ شيءٍ ظلمًا.

انفتح الباب الخلفيُّ وراءهما، وتركت أليس يد فيلكس تسقط من على خدِّها، ولكنَّها أمسكتها ولا تزال في يدها. بعد لحظة، دخل رجلٌ إلى العشب. طويل، وشعره فاتحٌ يميل إلى الحمرة، يرتدي قميصًا منقوشًا ضيِّقًا بعض الشيء. ضحك عندما رآهما، ولم يقل فيلكس شيئًا.

الرجل: «هل أقاطع شيئًا؟».

فيلكس: «لا تقلق. لم أعلم أنَّك هنا».

أخرج الرجل علبة سجائر من جيبه، وبدأ في إشعال واحدة. قال: «لا بدَّ أنَّها الفتاة الجديدة. أليس، صح؟ كانوا يتحدَّثون عنك. أحدهم وجد مقالًا عنك على الإنترنت».

نظرت إلى فيلكس، لكنَّه لم يبادلها النظر. قالت: «يا ربِّي».

أضاف الرجل: «لديْك الكثير من المعجبين على الإنترنت».

أجابت: «نعم، أظنُّ ذلك، وهناك أيضًا كثيرون يكرهونني ويتمنُّون لي الموت حالًا».

لم يبد أنَّ الرجل قد اندهش من ذلك، ولكنَّه قال: «لم أر أحدًا من هؤلاء. لكن لكلٍّ منَّا أعداؤه. كيف حال الأمور، يا فيلكس؟».

ـ لا بأس.

ـ كيف حصلت لنفسك على صاحبةٍ مشهورة؟

ـ تِندر.

أطلق الرجل جرعةً من الدخان.

ـ فعلًا؟ أنا هناك طيلة الوقت، ولم أقابل شخصًا مشهورًا أبدًا. هل ستعرِّفنا على بعضنا أم ماذا؟

نظرت أليس إلى فيلكس بتردُّد، ولكنَّه بدا مسترخيًا تمامًا.

ـ أليس، هذا أخي، داميان. ليس عليكِ أن تسلِّمي عليه، بإمكانك فقط أن تهزِّي رأسك من على مسافة.

أعادت النظر إلى الرجل وعلى وجهها بعض الدَّهشة.

ـ آه. فرصةٌ سعيدة. لا تشبهان بعضكما على الإطلاق.

ـ سأخذ ذلك على أنَّه مجاملة. سمعت أنَّكما ذهبتما إلى روما معًا قبل بضعة أسابيع، أليس كذلك؟ لا بدَّ أنَّكِ أدرت رأسه، يا أليس، ليس من النوع الذي يذهب في عطلاتٍ قصيرةٍ رومانسيَّة.

ـ ذهب معي في رحلة عملٍ لا أكثر في الحقيقة.

بدا أنَّ استمتاع داميان بالمحادثة كلِّها يزداد. سألها: «وهل ذهب معكِ إلى المناسبات المرتبطة بالكتب وهذه الأشياء؟».

ـ بعضها.

ـ رائع. رغم كلِّ شيء، يبدو أنَّه قد تعلَّم القراءة منذ قابلته آخر مرَّة.

فيلكس: «آه لا. لماذا أجهد نفسي؟ بإمكانها أن تخبرني الأجزاء الجيِّدة وهي جالسةٌ معي».

تجاهل داميان أخاه، وتفحَّص أليس بنظره، بينما يبدو الفضول عليه. وبعد جرعةٍ جديدةٍ من السيجارة، قال: «سنواتٌ غريبة، أليس كذلك؟».

أليس: «أظنُّ ذلك».

ـ نعم. لديَّ صديقةٌ تحبُّ أعمالكِ جدًّا في الواقع. قالت لي إنَّ فيلمك سيصدر قريبًا، أليس كذلك؟

ـ ليس فيلمي في الحقيقة. بل مقتبسٌ عن أحد كتبي.

وضع فيلكس يده على ظهر أليس، وقال: «كفاك. أنت تضايقها بالحديث عن هذه الأشياء. إنَّها لا تحبُّ ذلك».

أومأ داميان برأسه، ولم يبدُ عليه الانزعاج، بل ابتسم بهدوء. ردَّ: «بالطبع». ثمَّ وجَّه الكلام إلى أليس واستمرَّ في حديثه: «لا تنخدعي بهذا اللطف، إنَّه حقًّا لا يعرف من أنتِ أصلًا. لم يقرأ كتابًا واحدًا في حياته كلِّها».

فيلكس: «إنَّها بالكاد تطيق مقابلة الناس الذين يحبُّون القراءة. في الواقع لا يبدو أنَّهم يتركونها وشأنها».

أخذ داميان جرعةً جديدةً من السيجارة. وبعد لحظةٍ، قال لأليس: «هل تعرفين أنَّه كان يتجاهلني الفترة الماضيَّة؟».

نظرت أليس إلى فيلكس، الذي كان ينظر بدوره إلى قدميْه، ويهزُّ رأسه.

أكمل داميان حديثه: «أتعرفين أنَّ ماما حين ماتت تركت المنزل لكلينا، صح؟ نحن الاثنان. وقد اتَّفقنا على أنَّنا سنبيعه. حسنًا؟ أنتِ امرأةٌ ذكيَّة. أنا واثقٌ من ذلك. على كلِّ حال، لا يمكنني بيع المنزل من دون توقيعه على كلِّ الأوراق. وفي الأسابيع الأخيرة، اختفى فجأةً. لا يردُّ على مكالماتي ولا رسائلي، ولا أيَّ شيء. ما رأيك في هذا؟».

بهدوء، أجابَت أليس بأنَّ الأمر لا يخصُّها.

أضاف داميان: «كنتِ لتظنِّين طبعًا أنَّه سيكون سعيدًا ببعض المال الذي يأتي إليه. فاللَّـه وحده يعلم كم يحتاجه مؤخَّرًا».

سأل فيلكس: «هل هناك شيءٌ آخر تحبُّ أن تكشفه عنِّي وأنت هنا؟».

تجاهله داميان، وأكمل حديثه وكأنَّه يكمِّل شرح فكرته: «توم هافرنان أعطاه قدرًا كبيرًا من المال في وقتٍ ما. رجلٌ كبيرٌ في السنِّ

يعيش مع زوجته في البلدة. أتساءل عن السَّبب. ما العلاقة؟ هل تعرفين؟».

هزَّ فيلكس رأسه مرَّةً أخرى، وهو ينفض رماد سيجارته بعيدًا في العشب، وفي الضوء المكتوم للسماء ناحية الشرق، بدا أنَّ وجهه قد احمرّ.

داميان: «تبدين فتاةً لطيفة. ربَّما ألطف من اللَّازم. لا تتركيه يستغلُّك. هذه نصيحتي».

ببرودةٍ أجابت أليس: «لا أعرف ما الذي أوحى لك بأنَّني قد أنتظر نصيحةً منك».

بدأ فيلكس يضحك، ضحكةً عاليةً صاخبة، ولم يقل داميان شيئًا لفترة، وهو يدخِّن ببطء. ثمَّ قال: «لقد اكتشفتِ كلَّ شيءٍ بالفعل، أليس كذلك؟».

أجابت: «أوه. أموري على ما يرام».

بدت نبرة فيلكس استرضائيَّةً الآن، واستمرَّ في الابتسام وهو يقول: «كفاك، يا داميان، سآتي إليك غدًا قبل العمل وأفعل ما تريد. حسنًا؟ بإمكانك الآن أن تتوقَّف عن مضايقتنا. صفقةٌ عادلة، أليس كذلك؟».

أجاب داميان وهو لا يزال ينظر إلى أليس: «حسنًا». ألقى عقب سيجارته على العشب. وأضاف: «بالتوفيق لكلٍّ منكما على حدٍّ سواء». استدار حولهما ودخل إلى البيت. انغلق الباب بتكَّةٍ خلفه. خطا فيلكس من وراء المرآب وكأنَّه يتأكَّد من أنَّ أخاه قد غادر فعلًا، ثمَّ شبك أصابعه ووضعها على مؤخِّرة رأسه. كانت تنظر إليه.

ـ آه. نعم. داميان. نحن نكره بعضنا بالمناسبة. لا أعرف إذا ما كنتُ قد قلت لك ذلك من قبل.

ـ لم تفعل.

ـ حسنًا. آسف.

ألقى فيلكس يديْه من على رأسه وألقاهما على جنب كتفه من دون إحكام، بينما لا يزال ينظر إلى الباب الذي خرج أخوه منه. بابٌ خشبيٌّ فيه ألواحٌ زجاجيَّةٌ داخليَّةٌ صفراء اللون.

ـ لم نكن أبدًا صديقيْن جيِّديْن. لكن مع تعب ماما.. حسنًا. لم أحكِ لك عن الموضوع لأنَّني كنت لأقضي الليل بأكمله أوضِّح لك التفاصيل. لكن على كلِّ حال، علاقتنا لم تَعُد جيِّدةً على الإطلاق في السنوات الأخيرة. لو كنت أعرف أنَّنا سنقابله هنا لأخبرتُك.

لم تقل شيئًا. استدار لينظر إليها، وعلى وجهه تعبيرٌ متضايقٌ الآن أو غير سعيد.

ـ بالمناسبة، أنا أستطيع القراءة. لا أعرف لماذا اختار أن يقول إنَّني أُمِّيٌّ وهذه الأمور. ليس هذا الأمر من بين الأشياء التي أتقنها، لكن بإمكاني القراءة. ولا أظنُّكِ تهتمِّين بالأمر على كلِّ حال.

ـ لا أهتمُّ طبعًا.

ـ نعم، كان أداؤه أفضل منِّي دائمًا في المدرسة، لهذا أظنُّه يحبُّ الحديث عن الأمر أمام الناس. إنَّه أحد أولئك الأشخاص الذين يحبُّون التقليل من شأن الآخرين ليشعروا بأهمِّيَّتهم. كانت ماما تنتقده كثيرًا بسبب هذا، ولم يكن يعجبه الكلام. على كلِّ حال. لا يهمّ. الأمر السخيف هو أنَّه يضايقني فعلًا. أقصد أنَّني أشعر بالضيق الآن.

ـ وذلك يضايقني أنا أيضًا.

نظر إليها مرَّةً أخرى.

ـ لا تتضايقي. ليست غلطتك. كنتِ لطيفة. كان بإمكاني متابعة حديثك معه لفترة، كان هذا الجزء غريبًا عليّ. هذا هو ما أقصده بأنَّكِ أحيانًا تكونين مخيفة. من المُمتع مشاهدتكِ تفعلين ذلك بالآخرين.

وجُّهت نظراتها إلى الأرض، وقالت بصوتٍ ناعم: «لا أستمتع بذلك».

ـ فعلًا؟ جزءٌ صغيرٌ منكِ بالتَّأكيد يستمتع.

ـ لا. لا يحدث.

ـ لماذا تفعلين ذلك إذن؟

ـ أخيف الناس؟ لا أتعمَّد ذلك.

عبس.

ـ لكنَّكِ تُدركين الطريقة التي تتصرَّفين بها. زارعة الخوف في قلوب البشر. أنت تعرفين ما الذي أتحدَّث عنه. لا أحاول مضايقتك صدِّقيني.

ـ قد يصعب عليك تصديق ذلك، لكنَّني حين أقابل الناس، أحاول في الواقع أن أكون لطيفة.

أطلق ضحكةً مبتورة، وردَّت أليس بتنهيدة، وهي تميل لتسند على الجدار، وتغطِّي عينيْها.

ـ هل هذه الفكرة مُمتعةٌ لهذه الدرجة؟

ـ لو أنَّكِ تحاولين أن تكوني لطيفة، لماذا لا تتوقَّفين عن قول الملاحظات القاسية طيلة الوقت؟

ـ لا أفعل ذلك طيلة الوقت.

ـ لا. لكنَّكِ تقولينها حين يناسبك ذلك. لا أقصد أنَّكِ شخصٌ لئيمٌ أو ما شابه. أقصد أنَّ الناس لن يحاولوا العبث مع ذلك الجانب منك.

بحدَّةٍ أجابت: «نعم، لقد أوضحتَ ذلك بالفعل».

رفع حاجبيْه، وبقي صامتًا لعدَّة ثوانٍ، ثمَّ قال في النهاية بلطف: «يا إلهي! أنا أتعرَّض للهجوم على كلِّ الجبهات الليلة». خفضت رأسها، وكأنَّها قانطةٌ أو متعبة، ولم تردّ. أضاف: «لستِ بأسهل الأشخاص في التعامل، لكنَّك تعرفين ذلك عن نفسك».

ـ فيلكس، هل من الصعب عليكَ لهذه الدرجة أن تتوقَّف عن انتقاد شخصيَّتي؟ لا أريدك أن تجاملني. ليس عليك فحسب أن تقول شيئًا عنِّي على الإطلاق. لا أشعر فحسب أنَّ من المفيد استقبال رأيك السَّلبيّ المستمرّ.

راقبها مرتبكًا لعدَّة ثوانٍ، وقال: «حسنًا. لا أحاول أن أضايقك».

لم تقل شيئًا، وبدا أنَّ صمتها يضايقه، وضع يديْه في جيب بنطاله، قبل أن يخرجهما مرَّةً أخرى.

ـ حسنًا. كما قال داميان، أنتِ تظنِّين أنَّني لا أحترمك. حسنًا. لا بأس. ربَّما لا أفعل.

لم تقل شيئًا، واستمرَّت في النظر إلى قدميْها. بدا قلقًا متوتِّرًا مضطربًا.

ـ أترين؟ أنتِ معتادةٌ على أن يعاملك الناس بطريقةٍ مختلفة. من الأشخاص الذين يعرفونك ويرونك شخصًا مهمًّا للغاية وكلُّ هذه

الأشياء. وعندما أعاملك أنا بطريقةٍ عاديَّةٍ لا يكون هذا جيِّدًا لك بما فيه الكفاية. أنا أتعامل على أساس أنَّه لو أنَّني شخصٌ صادق، فستجدين إنسانًا يتعامل معك ويحترمك أكثر، وستكونين أكثر سعادة.

بعد وقتٍ طويلٍ من الصمت، قالت: «أظنُّ أنَّني أريد الدخول الآن لو انتهيتَ من كلامك».

نظر إلى الأرض عابسًا، قبل أن يردّ: «لا يمكنني منعك».

سارت على العشب عائدةً إلى المنزل، وقبل أن تصل إلى الباب، تنحنح وقال بصوتٍ عالٍ: «هل تعرفين أنَّ أوَّل شيءٍ فكَّرت فيه حين جرحت يدي هو: أراهن أنَّ ذلك سيضايق أليس جدًّا».

استدارت إليه قبل أن تجيب: «وضايقني فعلًا».

ـ نعم. وكان لطيفًا أن يكون للمرء شخصٌ يهتمُّ بأشياء كهذه وبهذه الطريقة. أجرح نفسي كلَّ أسبوعٍ أو اثنيْن هناك، وليس في حياتي أشخاصٌ ينظرون إلى الجرح ويقولون: أوه. لا بدَّ أنَّ ذلك يؤلم. ما الذي حدث؟ وبصراحة.. نعم، هناك أشياء لا أحبُّها فيك، وأحيانًا لا أحبُّ النبرة التي تستخدمينها معي. أعترف بذلك. ولكن لو أنَّكِ في منزلك وحدك في الطابق العلويِّ مثلًا، ولا تشعرين أنَّكِ بخير، أو جرحتِ نفسك أو أيَّ شيءٍ آخر، سأرغب في أن أعرف ما الذي يحدث. ولو أردتني أن آتي إليك وأعتني بك، سأفعل ذلك. وأنا واثقٌ من أنَّكِ ستفعلين المثل. ألا يكفي كلُّ هذا؟ ربَّما لا بالنِّسبة إليك، لكنَّه يكفيني تمامًا.

تبادلا النظرات، ثمَّ قالت أليس: «سأفكِّر في ذلك».

في المنزل، كانت نحلةٌ طنَّانةٌ قد طارت إلى حُجرة المعيشة، بينما اثنان من أصدقاء دانييل يصرخان ويضحكان، محاولَيْن توجيهها إلى النافذة مرَّةً أخرى. سايمون يجلس إلى طاولة المطبخ مع جيما، قريبة دانييل، التي تُجلس على حِجرها الطفلة الصغيرة التي كانت تلعب بالكرة منذ قليل. سايمون يقول: «وهل تفضِّلين المدرسة أم العطلات؟». إيلين واقفةً عند رخامة المطبخ تصبُّ بعض الفودكا في كوبٍ بلاستيكيّ، في حين يقول الرجل الذي كانت تتحدَّث إليه في وقتٍ سابق: «ليس رائعًا لهذه الدَّرجة، لكنَّه يستحقُّ المشاهدة على كلِّ حال». عاد فيلكس وأليس عبر باب الحديقة، قطع فيلكس لنفسه شريحةً من كيكة عيد الميلاد، ولبست أليس السترة وهي تقول بابتهاج: «هذه الحديقة لطيفةٌ وكبيرة». وضعت يدها بلطف، ومن دون تركيزٍ على كتف سايمون، فنظر إليها بفضولٍ ونصف ابتسامة. ولم يتحدَّث أيُّهما.

في العاشرة مساء، خبطت دانييل ملعقةً على الكوب، وقالت إنَّهم سيستمعون إلى بعض الأغاني، هدأت الحجرة بالتدريج، وتلاشت أصوات المحادثات بهدوء، مع دخول الناس إلى حجرة المعيشة ليستمعوا. بدأت إحدى قريبات دانييل بغناء «شي مووفد ثرو ذا فاير». وردَّد بعض الحضور ممَّن يعرفون الأغنيَّة كلماتها، بينما غمغم الآخرون باللَّحن. من مكانها عند مدخل الباب، نظرت إيلين إلى سايمون، حيث يقف مستندًا إلى الثلَّاجة بجوار أليس، ممسكًا في يده بكأس نبيذ. طلبت دانييل من فيلكس أن يغنِّي بعد ذلك. صاح جافين: «أعطنا «كاريجفيرجاس»». تثاءب فيلكس بطريقةٍ غير مباليةٍ، وقال: «سأغنِّي «ذا لاس أوف أوجريم»». وضع الطبق الورقيَّ الذي يحمله، وتنحنح ثمَّ بدأ الغناء. صوته نقيٌّ ومنغوم. وفيه درجةٌ من نقاء النغمة والطبقة، علا ليملأ الصمت ثمَّ انخفض للغاية،

لدرجة أنَّه أصبح جزءًا من مادَّة الصمت. وعبر الغرفة، وقفت أليس تنظر إليه. وقف عند الرخامة، تحت لمبة السقف، وشعره ووجهه والتكوين الرفيع المائل لجسمه مغمورٌ في الضوء. عيناه غامقتان، وفمه كذلك. ولسببٍ ما، خامة صوته الغنيّ الخفيض، أو الكلمات الحزينة للأغنية، أو ربَّما حتَّى لارتباطٍ مُسبقٍ بين الأغنية وذكرى قديمة، امتلأت عينا أليس بالدموع وهي تتأمَّله. تقابلت عيناهما للحظة، ثمَّ أبعد عينيْه بسرعة. بدا صوت غنائه مشابهًا بصورةٍ غريبةٍ للصوت الطبيعيِّ الذي يتحدَّث به، طريقة النطق نفسها، لكن مصحوبةً بأعماقٍ مدهشة. بدأت الدموع تنهمر من عيني أليس، وسال أنفها أيضًا. ابتسمت كما لو أنَّها تسخر من سخفها، لكنَّ الدموع استمرَّت في الانهمار من عيْنها رغم ذلك، مسحت أنفها بأصابعها. وجهها ورديّ، لامعٌ رطب. انتهت الأغنية بلحظة صمتٍ كسرها تدفُّقٌ من أصوات التهليل والتصفيق. وضع جافين أصابعه في فمه، ليصفِّر مستحسنًا. أسند فيلكس ظهره إلى الحوض، وهو ينظر إلى أليس، التي بادلته النظر، هازَّةً كتفها وكأنَّها تحاول أن تبدو غير مكترثة، وبدا عليها الإحراج. مسحت خدَّيْها بيديْها. كان يبتسم. قال جافين: «لقد جعلتها تبكي». نظر الحضور إلى أليس حينها، فضحكت مُحرَجة، وبدا أنَّ الضحكة مختنقةٌ في حلقها. مسحت وجهها مرَّةً أخرى، وقال فيلكس: «لا تقلق عليها، إنَّها بخير». طلبت دانييل أغنيَّةً أخرى، لكنَّ أحدًا لم يتطوَّع. علَّق أحد الحضور: «يصعب منافسة ما جرى». اقترحت جيما، قريبة دانييل «ذا فيلدز أوف أثينري»، وبدأ الناس في الحديث إلى بعضهم.

شقَّ فيلكس طريقه خلف الطاولة، وصبَّ كأس نبيذٍ في كوب البلاستيك. ناوله إلى أليس وهو يقول: «هل أنتِ بخير؟».أومأت برأسها،

ودلّك عنقها بطريقةٍ مواسية. قال: «لا تقلقي. السيّدات الأكبر في السنّ هنَّ من يبكين مع هذه الأغاني، لكنَّنا سنسمح لكِ بذلك. لم تعرفي أنَّ بإمكاني الغناء، أليس كذلك؟ حسنًا، كان أدائي أفضل بكثيرٍ قبل أن يفسد صوتي بسبب التدخين».

كان يتحدَّث بهدوءٍ، بل بدرجةٍ من عدم الانتباه، ويدلِّك ظهرها بيده، وكأنَّه لا يستمع إلى ما يقوله لها. أضاف: «سايمون لا يبكي. لا بدَّ أنَّ أدائي لم يعجبه». ابتسم سايمون وأجاب بنبرةٍ خفيضة: «متعدِّد المواهب». ضحكت أليس ضحكةً صغيرةً أخرى، وأخذت جرعةً من كوبها. قال فيلكس: «يا للوقاحة!». نظرت إيلين إليهم من مكانها عند باب غرفة المعيشة، فيلكس ويده على ظهر أليس، سايمون يقف بجوارها، وثلاثتهم يتحدَّثون معًا. وعبر النوافذ، كانت السماء تُعتم بالتدريج، ويغمقُّ لونها، والأرض الشاسعة تدور ببطءٍ حول محورها.

- 28 -

غادروا منزل دانييل والسماء حالكة الظلام من دون أنوار الشارع، أضاءت إيلين مصباح هاتفها لكي يتمكّنوا من رؤية طريقهم في ممرّ السيّارات. في العربة، والأبواب مغلقة، الجوُّ هادئٌ ودافئ. قالت إيلين: «صوت غنائك جميل، يا فيلكس». أشعل الأنوار الأماميّة وتراجع بالعربة إلى الخلف ليخرج إلى الطريق. ردَّ: «نعم، كانت لك. حسنًا، أقصد لكليْكما، لأنّكما من الأنحاء. أوجريم، أليس كذلك؟ وإن كنت لا أعرف عمَّ تتحدَّث الأغنيّة بصراحة. ظننتُ أنّه رجلٌ يغنّي لامرأة، ثمَّ يأتي الكورس وأشعر أنّها امرأةٌ تغنّي لرجل. «تكذب كذباتها الصغيرة ببرودٍ بين ذراعيْه». في الغالب، هي واحدةٌ من تلك الأغاني القديمة التي تمتزج فيها كلماتٌ مختلفةٌ مع بعضها. لكنَّها أغنيّةٌ حزينةٌ في كلِّ الأحوال، بغضِّ النظر عن موضوعها». سأله سايمون عمّا إذا كان قد عزف على آلاتٍ موسيقيّةٍ في السّابق أم أنّه الغناء فقط، وأجاب فيلكس: «قليلًا. لعبت على الكمان لبعض الوقت. وأؤدّي بشكلٍ

معقولٍ على الجيتار لو أمسكته. بعض أصدقائي يلعبون الموسيقى، في حفلات الأفراح وأشياء كهذه. أدَّيت في بعض الأفراح، لكن من ناحية الموسيقى، ليس هذا ما أحبُّ فعله. يلعب الواحد أغاني سيلين ديون طيلة الليل تقريبًا». علَّقت أليس بأنَّها لم تكن تعرف إطلاقًا أنَّه مهتمٌّ بالموسيقى لهذه الدرجة. قال: «نعم. الناس كلُّهم هنا يحبُّونها بصراحة، في دبلن فقط تقابلين الأشخاص الذين لا يتمتَّعون بأيِّ أذنٍ موسيقيَّة».

نظر إلى أليس بسرعةٍ قبل أن يعيد انتباهه إلى الطريق مرَّةً أخرى وهو يقول: «لا مؤاخذة». استمرَّ في حديثه: «سمعت أنَّكِ تفكِّرين في شراء المنزل، هل هذا صحيح؟ لم أكن أعرف». من المقعد الخلفيِّ، رفعت إيلين رأسها إلى الأعلى وسألت: «معذرة، ماذا؟». أليس تضع مرطِّب الشفاه، مسرورة، ويبدو عليها بعض السُّكر. أجابت: «أفكِّر في الموضوع، لكن لم أقرِّر بعد». دخلت إيلين في نوبة ضحك، واستدارت أليس في مقعدها لتنظر إليها.

إيلين: «لا، رائع. أنا سعيدةٌ من أجلك. ستنتقلين إلى الريف».

نظرت أليس إليها وعلى وجهها عبوس عدم فهم. قالت: «إيلين، أنا أعيش في الريف بالفعل، نحن نتحدَّث عن المنزل الذي أعيش فيه حاليًا».

ابتسمت إيلين، وهي تهزُّ رأسها. أجابت: «أكيد، طبعًا. جئتِ إلى هنا لقضاء إجازة، والآن سوف.. ممم. تبقين في إجازةٍ للأبد. لم لا؟». نظر سايمون إلى إيلين، لكنَّ إيلين بقيت تنظر إلى أليس مبتسمة. أضافت: «بجدٍّ. هذا رائع. المنزل رائع. السقف مرتفعٌ للغاية، واو».

ببطءٍ هزَّت أليس رأسها، أجابت: «صحيح. على كلِّ حال، لم أتَّخذ أيَّ قراراتٍ حتَّى الآن». أعادت مرطِّب الشفاه إلى الحقيبة،

وأضافت: «لا أعرف لماذا تقولين إنَّني في إجازة. كلَّما عدت إلى العمل بالفعل، ترسلين لي إيميلًا معترضًا لتقولي لي إنَّه ينبغي عليَّ أن أكون في المنزل».

بدأت إيلين تضحك من جديد، وشحب وجهها. قالت: «أنا آسفة. فهمت الموقف بصورةٍ خاطئة. أفهم ذلك الآن». بقي سايمون ينظر إليها، والتفتت هي إليه، وعلى وجهها ابتسامةٌ كبيرةٌ مفتعلة، وكأنَّها تقول له: «ماذا تريد؟». قال فيلكس إنَّه قبل شراء هذا المنزل، سيتوجَّب على أليس أن تحضر شخصًا ليعاينه بطريقةٍ مناسبة، وقالت أليس إنَّ المنزل سيحتاج إلى كثيرٍ من العمل في كلِّ الأحوال، بلا شكّ. مرُّوا بالفندق، بالنوافذ المضاءة للردهة، ثمَّ اتَّجهوا إلى الطريق الساحليّ.

في البيت، صعدت إيلين إلى الطابق العلويِّ فورًا، متَّجهةً إلى غرفتها، بينما بقي الآخرون في الصالة. شفتاها شاحبتان، ونفسها ضيّق، وغير متوازن، وهي تضيء المصباح جانب السرير. تعكس نافذة حجرة النوم قطعًا ناقصًا شاحبًا من وجهها، بدا رماديَّ اللَّون، شدَّت الستائر لتغلقها، صرَّت الخطَّافات في مجراها. من الأسفل جاءت أصواتهم، تقول أليس: «لا، لا، ليس أنا». ردَّ سايمون بصوتٍ خفيضٍ غير واضح، ثمَّ ضحك الجميع، ضحكاتٍ عاليةً صعدت عبر السلالم. دعكت أليس عينيْها المغلقة بأصابعها. صوت باب الثلَّاجة ينفتح بنعومة، ثمَّ نقرات شيءٍ يشبه الزجاج. بدأت تفكُّ رباط عقدة فستانها من حول الوسط، تجعَّد الكتَّان ونَعُم الآن بعد يومٍ من ارتدائه، وخرجت منه رائحة كريم الشمس ومزيل العرق. بالأسفل، صوت بابٍ ينفتح. سحبت الفستان من على كتفيْها، وهي تأخذ أنفاسًا قويَّةً عبر أنفها، ثمَّ تطلقها عبر شفتيْها، ارتدت بعدها رداء نومٍ أزرق مخطَّط. الأصوات من الطابق السُّفليِّ

أصبحت أهدأ الآن، مختلطةً ببعضها. جلست إيلين على جانب المرتبة، وبدأت فكَّ شعرها. في الطابق السُّفليّ، سمعت أحدهم وهو يسير في الرواق ويُصفِّر بفمه. نزعت دبوس شعرٍ أسود طويل، وأسقطته برنَّةٍ خافتةٍ على الخزانة المجاورة للسرير. فكُّها مشدود، وأسنانها الخلفيَّة تصطكُّ ببعضها. خارج المنزل، جاء صوت البحر، خفيضًا، متكرِّرًا، والهواء يتحرَّك بنعومةٍ بين أوراق الشجر الثقيلة المكتملة. بعدما فكَّت شعرها، مشَّطته بخشونةٍ بأصابعها، وبعدها استلقت على السرير وأغلقت عينيْها. جاء صوت فرقعةٍ واضحٌ من الأسفل، يشبه صوت فتح زجاجة نبيذ. ملأت رئتيْها بالهواء. ضمَّت أصابعها في قبضتها ثمَّ فكَّتها مرَّةً أخرى، مادَّةً أصابعها على اللحاف، كرَّرت ذلك مرتيْن، ثمَّ ثلاث مرَّات. صوت أليس مرَّةً أخرى، والآخران يضحكان، الرجلان يضحكان، على الشيء الذي تقوله أليس. سحبت رداءً أصفر مبطَّنًا من على ظهر الكرسي، وسحبت ذراعيْها إلى الأكمام. وفي طريقها إلى الأسفل، ربطت طرفَيْ الرداء كيفما اتَّفق حول وسطها. في نهاية الرَّدهة باب المطبخ مُغلق، والنور مضاء، ورائحةٌ حلوةٌ من دخان السجائر الكثيف في الجوّ. وضعت يدها على مقبض الباب. ومن الداخل جاء صوت أليس وهي تقول: «أوه، لا أعرف، ليس قبل عدَّة شهور». فتحت إيلين الباب، الحُجرة بالداخل دافئةٌ وإضاءتها خافتة، تجلس أليس على ناحيةٍ من الطاولة، بينما يجلس فيلكس وسايمون بجوار الحائط، يشربان سيجارة حشيشٍ ملفوفة. نظروا جميعًا إلى إيلين بدهشة، وعلى وجوههم تعبيرٌ يشبه الحذر، بينما وقفت هي عند الباب في ثوب نومها. ابتسمت بجرأةٍ لهم، وقالت: «هل يمكنني الانضمام؟».

أجابت أليس: «طبعًا».

سحبت إيلين كرسيًا إلى الخلف وجلست عليه، ثمَّ سألت: «ما الذي تتحدَّثون عنه؟».

مرَّر فيلكس إليها السيجارة من فوق سطح الطاولة، وقال: «أليس تحكي لنا عن والديْها فحسب».

أخذت إيلين نَفَسًا سريعًا، وأخرجته، وهي تهزُّ رأسها، بينما كلُّ ملامح وجهها وهيئتها تُظهر جهدًا تحاول به أن تبدو مبتهجة.

قالت أليس لإيلين: «حسنًا، أنتِ تعرفين كلَّ ذلك بالفعل. لقد قابلتِهم».

إيلين: «همم. قبل وقتٍ طويل، لكن أكملي».

استدارت أليس إلى الآخرين وتابعت حديثها: «من أمِّي كانت الأمور أقلَّ تعقيدًا، لأنَّها هي وأخي كانا.. مم.. قريبيْن من بعضهما لدرجة الالتصاق. وعلى كلِّ حال، لم تكن أمِّي تحبُّني كثيرًا».

فيلكس: «فعلًا؟ غريب. أمِّي تحبُّني. كنتُ طفلها المفضَّل. شيءٌ حزينٌ، فعلًا، لأنَّني كبرت لأصبح خيبةً كبيرة. لكنَّها أحبَّتني جدًّا، اللَّـه وحده يَعْلم السَّبب».

أليس: «لست خيبةً كبيرة».

توجَّه فيلكس إلى سايمون وسأله: «وماذا عنك؟ هل كنتَ طفل أمِّك المفضَّل؟».

سايمون: «حسنًا، كنت طفلها الوحيد. كانت أمِّي تحبُّني بالتَّأكيد. أقصد، لا تزال تحبُّني». كان يدير قاعدة كأس النبيذ فوق الطاولة. أضاف: «لم تكن علاقةً سهلةً بكلِّ تأكيد. أظنُّها أحيانًا تشعر

بدرجةٍ من الارتباك والإحباط منّي. حين يتعلّق الأمر بحياتي المهنيّة مثلًا، وقرارات حياتي. أظنُّ أنَّ لديها أصدقاءها الذين لديْهم أطفالٌ في مثل عمري، وكلُّهم أطبّاء ومحامون الآن، ولديْهم أطفالهم. وأنا بالأساس لا أزال أعمل مساعدًا برلمانيًا وليس عندي صاحبة حتّى. أقصد، لا ألوم أمّي على ارتباكها ناحيتي. أنا أيضًا لا أعرف ما الذي حلَّ بحياتي».

سعل فيلكس للحظةٍ، ثمَّ سأل: «لكنَّ وظيفتك مهمَّةٌ بدرجةٍ كبيرة، أليس كذلك؟».

استدار سايمون لينظر إليه، وكأنَّ السُّؤال قد فاجأه، وأجاب: «يا إلهي. لا. على الإطلاق! لا أظنُّ أنَّ أمّي مهووسةٌ بالوجاهة الاجتماعيّة بالمناسبة. أنا واثقٌ أنَّها كانت لترغب في أن يصبح ابنها طبيبًا، لكن لا أظنُّها تشعر بخيبة الأمل فيَّ لأنَّني لم أرغب في ذلك». ناوله فيلكس السيجارة، ووافقه على ما يقول. أضاف سايمون: «نحن لا نخوض نقاشاتٍ جادَّةً في الموضوع على كلِّ حال. فهي لا تحبُّ أن تصبح الأمور جادَّةً لهذه الدرجة، كلُّ ما ترغب فيه أن يكون الجميع متوافقين ومتراضين. وأظنُّها بشكلٍ ما تشعر بالتَّهديد منّي. وهو ما يجلب لي شعورًا سيّئًا للغاية». أخذ نَفَسًا قصيرًا وبعد أن زفره، أضاف: «أشعر بالذنب كلَّما فكَّرتُ في والديّ. كنتُ الطفل غير المناسب لهما فحسب، لم يكن هذا خطأهما».

أليس: «لكن هذا لم يكن خطأك أنت أيضًا».

تابعت إيلين المحادثة بانتباهٍ شديد، وفمها مشدود، ثابتٌ على نصف ابتسامة.

فيلكس: «ماذا عنكِ، يا إيلين؟ هل أنتِ على وفاقٍ مع والديْك؟».

بدا أنَّ السُّؤال قد فاجأها. قالت: «أوه». ثمَّ، بعد فترة توقُّفٍ، قالت: «لا بأس بهم. لديَّ شقيقةٌ مجنونةٌ يخافانها. وكانت حياتي جحيمًا بسببها حين كنَّا أطفالًا، لكن بخلاف ذلك فلا بأس».

فيلكس: «الشقيقة التي تزوَّجت».

إيلين: «نعم، هذه. لولا. ليست شريرة. إنَّها مشوَّشةٌ فحسب. ربَّما شريرةٌ قليلًا، أحيانًا. كانت تحظى بشعبيَّةٍ كبيرةٍ في المدرسة، في وقتٍ كنت أنا فيه نكرة. أقصد.. أنا فعليًا لم يكن عندي صديقٌ واحد. بالنظر إلى الماضي، أشعر أنَّه من حسن الحظِّ أنَّني لم أقتل نفسي. لأنَّني كنت أفكِّر في ذلك الأمر طيلة الوقت. قرابة عمر الرابعة عشرة أو الخامسة عشرة. حاولت أن أتحدَّث مع أمِّي، لكنَّها قالت إنَّني لا أعاني من أيِّ مشكلة، وأنَّني أتصرَّف بطريقةٍ دراميَّةٍ لا أكثر». تردَّدت في حديثها، وخفضت نظرها إلى سطح الطاولة. ثمَّ أكملت: «بصدق. أظنُّ أنَّني كنت على وشكِ فعلها، لكنَّ عمري وقتها لم يكن يتجاوز الخامسة عشرة، ثمَّ قابلت شخصًا أراد أن يكون صديقي. وأنقذ حياتي».

بهدوءٍ قال سايمون: «سأكون سعيدًا لو أنَّ هذا حقيقيّ».

اعتدل فيلكس في مكانه، مندهشًا، وسأل: «ماذا؟ هل هذا أنت؟».

تغيَّرت ابتسامة إيلين لتصبح أكثر طبيعيَّةً الآن، ورغم أنَّها بقيت شاحبةً قليلًا ومتحفِّظة، لكنَّها مستمتعةٌ باستعادة قصَّةٍ مألوفة. قالت: «كنَّا جارَيْن في صغرنا. وفي إحدى إجازات الصيف من الجامعة، جاء سايمون ليساعد أبي في المزرعة. لا أعرف السَّبب. أظنُّ أنَّ والديْك طلبا منك ذلك».

بصوتٍ هزليٍّ خفيضٍ قال سايمون: «لا، في ذلك الوقت أظنُّني كنت قد انتهيت للتوّ من قراءة **أنا كارنينا**. وأردت الذهاب والعمل في مزرعةٍ متشبِّهًا بليفين. كما تعرفين.. فقد امتلك خبراتٍ مذهلةً في الوقت الذي جزَّ فيه العشب بمنجلٍ أو شيءٍ كهذا. وجعله هذا يؤمن بالرب. لا أذكر التفاصيل تمامًا الآن. لكن هذه كانت الفكرة العامَّة عندي وقتها».

ضحكت إيلين، وحرَّكت شعرها دائريًّا بيديْها. عقَّبت: «هل جئت للعمل عند بات حقًّا لأنَّك ظننت أنَّ الأمر سيشبه **أنا كارنينا**؟ لم أعرف هذا أبدًا. بافتراض أنَّك ليفين، فنحن كنَّا الموزيك إذن». وجَّهت حديثها إلى الآخرين مرَّةً أخرى قائلة: «على كلِّ حال، هكذا أصبحنا أصدقاء أنا وسايمون. كنتُ فلَّاحةً صغيرةً تعيش بالقرب من إقطاعيَّة عائلته». غمغم سايمون بطريقةٍ لطيفة: «لم أكن لأصف الوضع بهذه الطريقة». تجاهلت إيلين تدخُّله بحركات رفرفةٍ من يدها. تابعَت: «وكان أهلنا يعرفون بعضهم، كما هو واضح. عانت أمِّي من مركَّب نقصٍ تجاه أمِّ سايمون. وفي كلِّ سنة، ليلة الكريسماس، كان أبوا سايمون يأتون عندنا لتناول الشراب، ويتوجَّب علينا أن نرتِّب الشقَّة كلَّها، كلَّ ركنٍ فيها، قبل أن يصلا. وبعدها نضع عددًا من الفوط المميَّزة في الحمَّام. هذا النوع الذي تعرفه من الأشياء».

دخَّن فيلكس مرَّةً أخرى، واستند بظهره إلى الحائط، وسأل: «وماذا كان رأيهم في أليس؟».

نظرت إيلين إليه وسألت: «من؟ أبواي؟». أومأ برأسه. قالت: «نعم. تقابلوا عدَّة مرَّات. لكنَّهم لا يعرفون بعضهم جيِّدًا».

قالت أليس وعلى وجهها ابتسامة: «إنَّهما لا يحبَّانني».

ضحك فيلكس، وسأل: «فعلًا؟».

هزَّت إيلين رأسها. ردَّت: «لا. ليس الأمر كذلك. الأمر فقط أنَّهما لا يعرفانك جيِّدًا».

أليس: «لم يكونا راضِيَيْن أبدًا عن معيشتنا معًا أيَّام الكلِّيَّة. أرادا لإيلين أن تصادق فتياتٍ لطيفاتٍ تنتمين إلى الطبقة الوسطى».

زفرت إيلين بقوَّة، وصاحب ذلك صوتُ أجشُّ يشبه الضحك. نظرت لفيلكس وقالت: «أظنُّ أنَّهم رأوا أنَّ شخصيَّة أليس صعبةٌ بعض الشيء».

فأضافت أليس: «والآن لأنَّني شخصٌ حقَّق النجاحات، فهم يرونني إنسانةً بغيضة».

إيلين: «لا أعرف من أين جئتِ بهذا التصوُّر».

أليس: «حسنًا. لم يعجبهم أنَّكِ زرتني في المستشفى، أليس كذلك؟».

هزَّت إيلين رأسها مرَّةً أخرى، وشدَّت شحمة أذنها شاردة الذهن. قالت: «ليس لهذا علاقةٌ بكونك ناجحة».

أليس: «له علاقةٌ بأيِّ شيءٍ إذن؟».

بدا أنَّ فيلكس قد نَسِيَ أنَّه يدخِّن، وترك السيجارة تنطفئ بين أصابعه. رفعت إيلين نظرها إليه وقالت: «كما ترى. حينما عادت أليس من نيويورك، لم تخبرني أنَّها عائدة. كنتُ أرسل لها كلَّ تلك الإيميلات والرسائل، ولا أتلقَّى ردًّا لأسابيع، وأقلق وأصاب بالذعر من أنَّ شيئًا قد حدث لها. وطيلة هذا الوقت، كانت تعيش على مسافة خمس دقائق من

بيتي». أشارت إلى سايمون وأكملت حديثها: «وكان يعرف. أنا الوحيدة التي لم تعرف أيَّ شيء. وقد أخبرَتْه ألَّا يخبرني. لهذا اضطرَّ للتعامل مع شكواي المستمرَّة له من أنَّني لا أعرف عنها أيَّ شيءٍ، وطيلة هذا الوقت كان يعرف أنَّها تعيش في شارع كرانبراسل ابن القحبة».

بصوتٍ متحفِّظٍ، قالت أليس: «لم يكن أفضل أوقاتي كما هو واضح».

هزَّت إيلين رأسها، بالابتسامة الواسعة المفتعلة نفسها. ردَّت: «نعم. لم يكن وقتًا رائعًا بالنِّسبة إليَّ أنا الأخرى، لأنَّ صاحبي لمدَّة ثلاث سنواتٍ قرَّر أن ينفصل عنِّي. ولم يكن عندي مكانٌ أعيش فيه. وأعزُّ صديقاتي لم تكن تتحدَّث إليّ، وأعزُّ أصدقائي الآخر يتصرَّف بطريقةٍ غريبةٍ لأنَّه لم يكن مسموحًا له بإخباري أيَّ شيء».

أليس، بهدوء: «إيلين، مع كلِّ الاحترام، كنت مصابةً بانهيارٍ عصبيّ».

إيلين: «نعم، أنا أعرف. أتذكَّر طبعًا، لأنَّه حين دخلت المستشفى، كنت أزورك هناك كلَّ يومٍ تقريبًا».

لم تقل أليس شيئًا.

أكملت إيلين: «السَّبب الذي جعل والديَّ غير راضيَيْن عن زياراتي الكثيفة لكِ لا علاقة له على الإطلاق بكونك ناجحة. كان رأيهما أنَّكِ صديقةٌ غير جيِّدةٍ لا أكثر. هل تذكرين حين خرجتِ من المستشفى، وأخبرتني أنَّكِ ستغادرين دبلن لبعض الأسابيع كي تحظي ببعض الراحة؟ والآن يتَّضح أنَّها ليست بضعة أسابيع، وأنَّكِ مغادرةٌ للأبد. ويبدو أنَّ الجميع يعرفون ذلك إلَّا أنا. لكن من الواضح أنَّه لا

يوجد داعٍ لإخباري بأيِّ شيء. أنا الحمقاء التي تسحب على المكشوف من حسابها البنكيّ لكي تستقلَّ أكثر من حافلةٍ وتصل إلى المستشفى عندكِ كلَّ يوم. لستُ شخصًا مهمًّا. هكذا، كما ترين، أتصوَّر أنَّ والديَّ كانا ليقولان إنَّكِ فعلًا لا تهتمِّين لأمري فحسب».

خفض سايمون رأسه وإيلين تتحدَّث، لكنَّ فيلكس استمرَّ في مراقبة كلتيْهما. أليس تنظر من مكانها عبر الطاولة، وبقع ألوانٍ تتوهَّج على خدَّيْها.

أليس: «ليست عندكِ أدنى فكرةٍ عمَّا كنت أمرُّ به».

ضحكت إيلين، ضحكةً عاليةً هشَّة. سألت: «أليس بإمكاني قول الشيء نفسه عنك؟».

أغلقت أليس عينيْها وفتحتها مرَّةً أخرى. قالت: «صحيح. تقصدين عندما قرَّر الرجل الذي لا تحبِّينه كثيرًا أن ينفصل عنك. يا للصعوبة!».

من الناحية الأخرى من الطاولة قال سايمون: «أليس!».

أكملت أليس: «لا. لا أحد منكم يعرف أيَّ شيء. لن أسمع أيَّ محاضرات. لا أحد منكم يعرف أيَّ شيءٍ عن حياتي».

نهضت إيلين على قدميْها، وتركت كرسِّيَها يقع إلى الخلف، مصطدمًا بالأرض، ثمَّ أغلقت باب المطبخ بعنفٍ خلفها. اعتدل سايمون في جلسته ونظر إليها وهي تترك المكان، واختلست أليس النظر إليه من دون تعبير. قالت: «اذهب. إنَّها بحاجةٍ إليك. لا أنا».

بادلها النظر، ثمَّ أجابها بنبرةٍ لطيفة: «لكن هذا لم يكن الحال على الدوام، أليس كذلك؟».

أليس: «اغرب عن وجهي!».

استمرَّ في النظر إليها. قال: «أعرف أنَّكِ غاضبة. لكن أظنُّ أنَّك تعرفين أيضًا أنَّ ما تقولينه لا يصحّ».

أجابت: «أنت لا تعرف أيَّ شيء».

حدَّق في سطح الطاولة أمامه، وبدا أنَّه يبتسم. قال: «حسنًا». نهض على قدميْه وغادر الحجرة، مغلقًا الباب خلفه بهدوء. وضعت أليس أصابعها على صدغيْها لفترةٍ وجيزة، وكأنَّ رأسها يؤلمها، ثمَّ نهضت وذهبت إلى الحوض، لتشطف كأسها. قالت: «لا يمكن للمرء أن يثق بالناس. وفي أيِّ وقتٍ تعتقد أنَّ بإمكانك الثقة فيهم، يجعلونك تندم على هذا القرار. وسايمون هو الأسوأ من بينهم. هل تعرف ما مشكلته؟ أنا جادَّة. يطلقون عليها عقدة الشهيد. إنَّه لا يحتاج إلى أيِّ شيءٍ من أيِّ شخص، ويظنُّ أنَّ هذا يجعله كائنًا علويًا. في حين أنَّه في الحقيقة يعيش حياةً حزينةً عقيمة، جالسًا في شقَّته وحيدًا، ليُخبر نفسه كم هو شخصٌ جميل. عندما كنت مريضةً للغاية، اتَّصلتُ به على الهاتف في إحدى الليالي، وذهبَ بي إلى المستشفى. هذا كلُّ شيء. والآن ينبغي عليَّ أن أسمع ذلك في كلِّ مرَّةٍ أراه فيها. ما الذي فعله في حياته؟ لا شيء. على الأقلّ يمكنني القول إنَّني ساهمتُ بشيءٍ ما لهذا العالم. وهو يظنُّ نفسه أعلى منِّي، لأنَّه ردَّ على الهاتف مرَّة. يذهب في كلِّ مكانٍ ليصادق أشخاصًا غير مستقرِّين نفسيًا، لكي يحسَّ بشعورٍ جيِّدٍ ناحية نفسه. خاصَّةً النساء. بالذات النساء صغيرات السنّ. ولو كنَّ فقيرات، فهذا أفضل وأفضل. هل تعرف أنَّه أكبر منِّي بستِّ سنوات. ما الذي فعله في حياته؟».

فيلكس، الذي لم ينطق بكلمةٍ منذ وقتٍ طويل، بَقِي جالسًا على المقعد وظهره إلى الجدار، بينما يشرب من زجاجة البيرة ببطء. أجاب: «لا شيء. قلت ذلك بنفسك بالفعل. أنا كذلك لم أفعل شيئًا، لهذا لا أعرف لماذا تظنّين أنّني قد أهتمّ». وقفت أليس عند رخامة المطبخ وظهرها إليه، تنظر إليه في السطح العاكس لنافذة المطبخ. بالتدريج لاحظ أنّها تنظر إليه، والتقت عيناهما. سألها: «ماذا؟ لستُ خائفًا منك». خفضت نظرتها. قالت: «ربّما لأنّك لا تعرفني بما فيه الكفاية». أطلق ضحكةً مرتجلة. لم تقل شيئًا. استمرّ في النّظر لظهرها لعدّة ثوانٍ بعد ذلك. وجهها أبيض للغاية. أخرجت كأس نبيذٍ فارغًا من رفّ التجفيف، وأمسكته في يدها للحظةٍ قبل أن ترميه بعنفٍ على البلاط. ارتطم الجزء الوعائيّ من الكأس بالأرض، مصدرًا صوت تحطُّمٍ قبل أن يتهشّم إلى شظايا، بينما بقي الساق الزجاجيّ سليمًا بدرجةٍ كبيرة، متدحرجًا حتّى وصل إلى الثلّاجة. راقبها بصمت، ولم يتحرّك. قال: «لو أنّكِ تفكّرين في فعل شيءٍ تؤذين به نفسك، فلا تحاولي رجاء. سوف تُحدثين جلبة، ولن تشعري بأيّ تحسُّنٍ بعد ذلك». قبضت بيديْها على رخامة المطبخ، وعيناها مغلقتان. بهدوءٍ شديد، أجابت: «لا. لا تقلق. لن أفعل شيئًا وأنتم كلُّكم هنا». رفع حاجبيْه، ثمّ أعاد النظر إلى مشروبه. قال: «يستحسن أن أبقى إذن». برزت مفاصلها بيضاء حيث أمسكت الرخامة. ردّت: «بصراحةٍ لا أظنُّ أنّكَ تهتمُّ إذا عشت أو مِتّ». احتسى فيلكس من مشروبه وبلع. قال: «يفترض أن أغضب من الطريقة التي تتحدّثين بها إليّ. لكن ما الفكرة؟ أنتِ حتّى لا تتحدّثين معي على كلِّ حال. في رأسك أنتِ لا تزالين تتحدّثين معها».

انحنت أليس على الحوض، ووجهها مدفونٌ في يديْها، ونهض هو من مقعده ليذهب إليها. من دون أن تستدير لتواجهه، قالت: «سأضربك لو اقتربت منِّي. فيلكس. سأفعل».

وقف مكانه عند الطاولة، بينما وقفت هي تسند رأسها بين ذراعيْها. مرَّ الوقت بصمتٍ وهما على هذه الحال. بتروٍ تحرَّك من وراء الطاولة، وسحب أحد كراسي المطبخ، مزيحًا بعض شظايا الزجاج الكبيرة من على البلاط. لبضع ثوانٍ وقفت في مكانها من دون حركةٍ أمام الحوض، وكأنَّها لم تسمعه وهو يقترب، وبعدها من دون النظر إليه، جلست. ارتجفت واصطكَّت أسنانها. تأوَّهت بصوتٍ خفيضٍ وهي تقول: «آه يا ربِّي! أشعر أنَّني سأقتل نفسي». وقف مستندًا على طاولة المطبخ، ينظر إليها.

ـ نعم. أعرف هذا الشعور. لكنَّني لم أفعلها. ولن تفعليها أنتِ أيضًا.

رفعت رأسها إليه، وتعبير وجهها مرتعب، نادم، مُحرَج.

ـ لا. أنتَ على حقّ. أنا آسفة.

ابتسم ابتسامةً باهتةً وخفض عينيْه.

ـ أنتِ بخير. وأنا يهمُّني ما إذا كنت ستعيشين أو تموتين بالمناسبة. أنتِ تعرفين جيِّدًا أنَّني أهتمّ.

استمرَّت في النظر إليه لبضع ثوانٍ أخرى أطول، وعيناها تتحرَّكان من دون تركيزٍ على جسمه، على يديْه، على وجهه.

ـ أنا آسفة. أشعر بالخجل من نفسي. ظننت.. لا أدري.. ظننت أنَّني أتحسَّن. أنا آسفة.

جلس على سطح الطاولة عندها.

ـ نعم، أنتِ تتحسَّنين. هذه فحسب.. ما يطلقون عليه.. نوبةً صغيرة. هل تأخذين شيئًا؟ مضادَّات اكتئابٍ أو شيءٍ كهذا؟

أومأت برأسها وأجابت: «نعم. البروزاك».

نظر إليها بتعاطف، حيث جلست على الكرسي. قال: «فعلًا؟ الأمور جيِّدةٌ إذن معك. حينما كنت آخذ هذا الدواء كانت رغبتي الجنسيَّة معدومة».

ضحكت. يدها ترتجف، وكأنَّها مرتاحةٌ بعد تفادي كارثة.

ـ فيلكس، لا أصدِّق أنَّني قلتُ لك إنَّني سأضربك. أشعر وكأنَّني وحش. لا أعرف ما أقول. أنا آسفةٌ جدًّا.

بهدوءٍ، نظر إلى عينيْها. قال: «لم ترغبي في أن أقترب منك، هذا كلُّ شيء. لم تكوني مدركةً لما تقولين. وأنتِ مريضةٌ نفسيًّا، تذكَّري ذلك». بدت مرتبكة، ونظرت إلى يديْها المرتجفة.

ـ لكنَّني ظننت أنَّني لم أعد كذلك.

هزَّ كتفيْه باستهانة، وأخرج ولَّاعته من جيبه.

ـ حسنًا. لا تزالين كذلك. لا بأس. الأمور تأخذ وقتها.

لمس فخذيْها، وهي تنظر إليه. سألته: «هل كنت تتناول البروزاك؟». أجاب من دون النظر إليها: «العام الماضي، لشهر أو اثنيْن قبل أن أتوقَّف. وكنت أفعل ما هو أسوأ بكثيرٍ من كسر كؤوس النبيذ. صدِّقيني. كنت أتورَّط في شجاراتٍ طيلة الوقت. أشياء غبيَّة».

مرَّر إبهامه سريعًا على عجلة الولَّاعة. واصل كلامه: «ستنصلح الأمور بينكِ وبين صديقتك». نظرت أليس إلى حِجرها، وقالت:

«لا أعرف. أظنُّ أنَّنا في علاقة صداقةٍ من تلك التي يهتمُّ فيها أحد الأشخاص أكثر من الآخر». أشعل الولَّاعة ثمَّ أطفأها. سألها: «هل تظنِّين أنَّها لا تهتمُّ بك؟». لا تزال أليس تنظر إلى حِجرها، محرِّكةً يدها على تنُّورتها. قالت: «بل تفعل. لكن ليس بالطريقة نفسها».

نهض من على الطاولة، وتحرَّك إلى الباب الخلفيّ، متفاديًا شظايا الزجاج الكبيرة. فتح الباب على اتِّساعه، واستند على هيكل الباب مائلًا بجذعه، ونظر إلى الحديقة الرَّطبة، وتنفَّس هواء الليل البارد. لم يقل أيُّهما شيئًا لبعض الوقت. نهضت أليس من مكانها وأخذت جاروفًا ومقشَّةً من تحت الحوض لتمسح الزجاج. كانت الشظايا الأصغر قد تناثرت إلى الأماكن الأبعد، تحت المدفأة، بين الثلَّاجة والرخامة، لمعانها فضيٌّ تحت الضوء المنعكس. عندما انتهت من الكنس، رمت البقايا على ورقة جرائد، ثمَّ لفَّتها بعناية، وبعدها وضعتها في سلَّة القمامة. فيلكس منحنٍ على إطار الباب، ينظر إلى الخارج. قال: «إنَّه الشيء نفسه الذي تظنِّينه عنِّي. أمرٌ مثيرٌ للاهتمام. الشيء نفسه». بالداخل استقامت في وقفتها ونظرت إليه، سألته: «ماذا؟». أخذ نفسًا عميقًا وأطلقه قبل أن يجيب. قال: «تظنِّين أنَّ إيلين لا تهتمُّ بك مثلما تهمِّين بها. وتشعرين بالمثل من ناحيتي، أنَّكِ تهتمِّين بي أكثر ممَّا أفعل. ربَّما لهذا أعجبت بي أصلًا. لا أعرف. جزءٌ منِّي يظنُّ أنَّكِ تكرهين نفسك. كلُّ شيءٍ تفعلينه. الانتقال إلى هنا وحدك، من دون سيَّارةٍ ولا أيِّ شيء. ثمَّ التورُّط عاطفيًّا مع شخصٍ عشوائيٍّ قابلته على الإنترنت. وكأنَّك تحاولين أن تجعلي نفسك في حالةٍ بائسة. وربَّما تريدين شخصًا يعبث بمشاعركِ ويؤذيك. على الأقلّ، سيفسِّر لي هذا لماذا اخترتني من الأصل، لأنَّك تظنِّين أنَّني من نوع الأشخاص الذي سيفعل ذلك.

أو سيرغب في فعل ذلك». كانت واقفةً عند الحوض، لم تقل شيئًا. بهدوءٍ هزَّ رأسه، ومضى في قوله: «حسنًا. لن أفعل ذلك. لو كان هذا ما تريدينه، فأنا آسف». تنحنح وأضاف: «ولا أظنُّ أنَّك معجبةٌ بي أكثر ممَّا أفعل. أظنُّ أنَّ كلانا معجبٌ بالآخر بالدرجة نفسها. أعرف أنَّ هذا لا يظهر على تصرُّفاتي طيلة الوقت، لكن بإمكاني أن أحاول أفضل. وسأحاول. أنا أحبُّك، حسنًا؟».

ارتسمت على وجهها ملامح غريبة، مذهولة، وهي تسمع كلامه، عاقدةً يدها على خدِّها. قالت: «حتَّى وأنا مريضةٌ نفسيًّا؟». ضحك، واعتدل في وقفته، وأغلق الباب خلفه، وأجاب: «نعم. حتَّى ونحن الاثنان كذلك».

بعد أن غادر الغرفة، صعد سايمون إلى الطابق العلويِّ عند بسطة السُّلَّم، ووقف للحظةٍ أمام باب حجرة إيلين. من الداخل، يأتي صوت نحيبٍ خشنٌ مرتفع، يقطعه شهيق تنفُّس. نقر بلطفٍ على الباب بظهر يده، وفجأةً ساد صمتٌ مفاجئ. قال بصوتٍ عال: «آ.. هذا أنا فحسب. هل يمكنني الدخول؟». عاد صوت البكاء مرَّةً أخرى. فتح الباب ودخل. إيلين مستلقيةٌ على جانبها، وركبتاها مضمومتان إلى صدرها، إحدى يديْها على شعرها، والأخرى تخفي عينيْها. أغلق سايمون الباب خلفه، وذهب ليجلس على أحد جوانب السرير، بالقرب من المخدَّات.

ـ لا أصدِّق أنَّ هذه هي حياتي.

جلس ناظرًا إليها، وعلى وجهه تعبيرٌ عطوف.

ـ تعالي.

انتحبت مرَّةً أخرى، وأمسكت شعرها بقوَّة. بصوتٍ أجشٍّ أجابت: «أنتَ لا تحبُّني. وهي لا تحبُّني. ليس لي من أحدٍ في الحياة. لا أحد. لا أصدِّق أنَّه ينبغي عليَّ أن أعيش بهذه الطريقة. لا أفهم».

وضع يدًا مربَّعةً عريضةً على رأسها.

ـ ما الذي تتحدَّثين عنه؟ بالطبع أحبُّك. تعالي هنا.

مسحت وجهها بيديْها للحظة، ولم تتحدَّث، وبعدها، بالحركة المتوتِّرة العصبيَّة نفسها، قامت من مكانها، وأراحت رأسها على حِجره، خدُّها على ركبته. قال: «هذا أفضل». كانت عابسة، تدعك عينيْها بأصابعها.

ـ أنا أفسد كلَّ شيءٍ جيِّدٍ في حياتي، كلَّ شيء.

استمرَّ في تحريك يده على رأسها، مبعدًا الخصلات الرطبة الشاردة عن وجهها. أكملت: «أفسدت كلَّ شيءٍ مع أليس. ومعك». عند ذلك انتحبت مرَّةً أخرى، وغطَّت عينيْها. حرَّك يده ببطءٍ على جبهتها، وصولًا إلى رأسها.

ـ لم تفسدي أيَّ شيء.

تجاهلت كلامه، وتوقَّفت لتلتقط أنفاسها، ثمَّ تابعَت: «عندما كنَّا نتناول الشراب تلك الليلة في البلدة».. قطعت حديثها مرَّةً أخرى لتأخذ نفسًا عميقًا، وبمجهودٍ واصلَت: «شعرتُ بالسعادة لمرَّةٍ في حياتي. بل وفكَّرت في ذلك مع نفسي وقتها. لمرَّةٍ في حياتي أشعر بالسعادة. أحيانًا، أشعر وكأنَّني أتلقَّى عقابًا، وكأنَّ اللّـه يعاقبني. أو أنَّني من يعاقب نفسي. لا أعرف. لأنَّني في كلِّ مرَّةٍ أختبر شعورًا جيِّد، ولو لمدَّة خمس دقائق،

لا بدَّ أن يحدث شيءُ سيِّئ. مثل ما حدث في شقَّتك ذلك الأسبوع، حين كنَّا نشاهد التلفزيون معًا. كان يتوجَّب عليَّ أن أعرف بأنَّ كلَّ شيءٍ سينهار بعد ذلك، لأنَّني كنت أجلس على الكنبة وأفكِّر بأنَّني لا أتذكَّر آخرَ مرَّةٍ شعرت فيها بهذه السعادة. في كلِّ لحظةٍ يحدث فيها شيءُ جيِّدُ في حياتي، ينبغي أن ينهار كلُّ شيءٍ بعدها. ربَّما أنا السَّبب، ربَّما أنا من يفعل ذلك. لا أعرف. إيدن لم يستطع التعامل معي. والآن أليس هي الأخرى، وكذلك أنت».

بصوتٍ خفيضٍ مسالِم، تمتم سايمون: «بإمكاني التعامل معك».

مسحت إيلين دموعًا لا تزال تنهمر من عينيْها بدرجةٍ من نفاذ الصبر، وقالت: «لا أعرف. ربَّما لستُ شخصًا جيِّدًا. وربَّما لا أفكِّر فعلًا في الناس من حولي، بالطريقة نفسها التي أفكِّر فيها بنفسي، مثلما تفعل أنت. كلُّ ما أعرفه عنكَ يقول إنَّكَ في وضعٍ أكثر سوءًا منِّي، لكنَّك لا تشتكي أبدًا. ودائمًا تتصرَّف بلطفٍ معي. دائمًا. حتَّى الآن، أنا أبكي على حِجرك. متى بكيت أنت على حِجري؟ لم يحدث أبدًا. لم يحدث».

بلطفٍ نظر إليها، النمش على خدَّيها، وأذناها الورديَّتان المُحمرَّتان. قال موافقًا: «لا. لكنَّنا أشخاصٌ مختلفون. وأنا لست في حالٍ سيِّئ. لا تقلقي. أحيانًا أكون حزينًا، لكن لا بأس».

هزَّت رأسها من دون أن ترفعه عن حِجره.

ـ لكنَّني لا أعتني بك مثلما تعتني بي.

حرَّك إبهامه ببطءٍ على عظمة خدِّها.

ـ حسنًا، ربَّما أعاني من مشكلةٍ تتعلَّق بالسماح للناس بالاعتناء بي.

هدأت دموعها، وبقيت مستلقيةً على حِجره للحظة، من دون أن تتحدَّث. ثمَّ سألته: «لم لا؟». ابتسم بطريقةٍ غريبةٍ وأجاب: «لا أعرف. لكن على كلِّ حال، كنَّا نتحدَّث عنكِ على ما أظنّ». أدارت وجهها لتنظر إليه من الأسفل وقالت: «أتمنَّى لو أنَّنا نتحدَّث عنكَ ولو مرَّة». نظر إليها من الأعلى وبقي هادئًا للحظة.

ـ يحزنني أنَّكِ تشعرين أنَّ اللَّـه يعاقبك. لا أعتقد أنَّه قد يفعل شيئًا كهذا.

بقيت تنظر إليه لعدَّة ثوانٍ أطول.

ـ عندما كنَّا في القطار ذاك اليوم، أرسلتُ رسالةً إلى أليس وكنت أقول لها إنَّني أتمنَّى لو كان سايمون قد طلب منِّي الزواج قبل عشرة أعوام.

لعدَّة لحظاتٍ لم يقل شيئًا. وبدا عليه التَّفكير فيما يسمع.

ـ عندما كنت في التاسعة عشرة؟ هل كنت لتقبلي هذا العرض؟

أطلقت ضحكةً خفيفة، وهزَّت كتفيْها. عيناها حمراوان ومنتفختان.

ـ لو عندي أيُّ تمييزٍ سأفعل. لكنَّني لا أذكر لو كان عندي أيُّ تمييزٍ وقتها. أظنُّ أنَّني وقتها كنت سأشعر بأنَّ الحالة كلَّها رومانسيَّةٌ جدًّا، لذا.. ربَّما كنت لأقبل. لو حدث ذلك لكانت حياتي أفضل، مقارنةً بما حصلت عليه الآن.

كان يهزُّ رأسه. ويبتسم بتعاطف، وبدرجةٍ من الحزن.

ـ وأنا أيضًا الحال نفسه. أنا آسف.

أمسكت بيده، وبقيا صامتيْن لبعض الوقت.

ـ أعرف أنَّ أليس متضايقةٌ منكِ.

مرَّت بإبهامها على مفاصل يده.

ـ صباحًا، سألني فيلكس ونحن في المطبخ لماذا لم آتِ لزيارتها. وبدأت أقول له: حسنًا، وما الذي منعها من القدوم هي لزيارتي؟ أين كانت؟ ليس الأمر وكأنَّ لديْها الكثير لتفعله. وفي أيِّ وقتٍ تشاء، بإمكانها ركوب القطار والمجيء لزيارتي. لو أنَّها تحبُّني لهذه الدرجة لماذا انتقلت إلى هنا في المقام الأوَّل؟ لم يُجبرها أحدٌ على ذلك. وكأنَّها صمَّمت كلَّ شيء، وفعلت كلَّ ما يلزم، لتُصعِّب إمكانيَّة لقائنا، والآن تجترُّ مشاعرها المجروحة، وتُخبر نفسها أنَّني لا أهتمُّ بشأنها. في حين أنَّها هي الشخص الذي قرَّر أن يغادر. لم أرغب في ذلك.

عند هذه الجملة الأخيرة، بدأت إيلين البكاء من جديد، ووجهها في يديْها. كرَّرت: «لم أرغب في ذلك». لمس سايمون شعرها من دون أن يقول شيئًا. من دون أن ترفع رأسها، قالت بصوتٍ متألِّم: «أرجوك لا تتركني». دسَّ خصلةً من شعرها خلف أذنها وغمغم: «لا. أبدًا. بالطبع لا». مرَّت دقيقة، ثمَّ دقيقتان، استمرَّت في البكاء، وجلس هو بهدوءٍ يمسِّد رأسها في حِجره. في النهاية، اعتدلت لتجلس بجواره على المرتبة، ومسحت وجهها بكمِّها.

ـ لم تكن هذه أفضل مساحاتي أبدًا. السماح للآخرين بالاعتناء بي.

ضحكت بوهنٍ، وقالت: «انظر لي وتعلَّم. أنا الخبيرة».

ابتسم بشرودٍ ونظر إلى حِجره. تابع: «أظنُّ أنَّ السَّبب هو خوفي من كشف نفسي. أقصد أنَّني لا أرغب في أن أشعر بأنَّ هناك شخصًا يفعل شيئًا ما لمجرَّد أنَّه يظنُّ أنَّ هذا هو ما أريده، أو أنَّ عليهم التزامٌ ما. ربَّما لا أشرح الأمر بطريقةٍ جيِّدة. ليس أنَّني لا أريد أيَّ شيءٍ لنفسي. هناك بعض الأشياء التي أريدها بطبيعة الحال، وأريدها جدًّا». توقَّف برهةً عن الكلام، وهزَّ رأسه. ثمَّ واصل: «ها. أنا لا أشرح نفسي جيِّدًا».

جالت عيناها في وجهه. قالت: «لكن، سايمون. أنتَ لا تسمحُ لي بالاقتراب منك. هل تعرف ما أقصد؟ كلَّما اقتربتُ منك، تدفعني بعيدًا». تنحنح ثمَّ نظر إلى يديْه. ردَّ: «بإمكاننا الحديث عن ذلك في وقتٍ آخر. أعرف أنَّكِ متضايقةٌ بشأن أليس. ليس علينا أن نناقش كلَّ ذلك الآن». عقدت حاجبيْها، فظهرت ثنيَّةٌ بسيطةٌ بينهما.

ـ لكنَّك الآن تدفعني بعيدًا عنك مرَّةً أخرى.

رسم على وجهه ملامح ابتسامةٍ متعبة. قال: «كنتُ على وشك الاعتياد على فكرة أنَّ شيئًا لن يحدث بيننا مرَّةً أخرى. ليس أنَّ هذا بالأمر السهل. لكنَّه أسهل بالتَّأكيد من الحيرة، بشكلٍ ما». كان يدلِّك راحة يده، تحت مفصل إبهامه. أكمل حديثه: «كلُّ شيءٍ فعلته من أجلك، كنت أفعله من أجلي بالأساس. لأنَّني رغبت في البقاء قريبًا منك. ولكي أكون صادقًا، فقد رغبت في أن تحتاجي إليَّ، بل وأن تكوني غير قادرةٍ على الاستغناء عنِّي. هل تفهمين قصدي؟ أشعر أنَّ كلامي غير واضح. أقصد أنَّكِ فعلت الكثير من أجلي، فعلًا، أكثر بكثيرٍ ممَّا فعلته من أجلك. وأنَّني أحتاجك أكثر. بصدق. أكثر بكثيرٍ ممَّا تحتاجين

إليَّ». أطلق نَفسًا. وكانت تنظر إليه بصمت. أكمل حديثه مشتَّتًا، وكأنَّه يتحدَّث إلى نفسه: «لكن ربَّما لا أقول إلَّا كلَّ شيءٍ خاطئ. أجد صعوبةً كبيرةً في الحديث بهذه الطريقة». زفر مرَّةً أخرى، وكأنَّه يتنهَّد، ورفع يده إلى حاجبه. بقيت تنظر إليه، تسمع ولا تتكلَّم. في النهاية رفع رأسه إليها وقال: «أعرفُ أنَّكِ خائفة. وربَّما كنت تعنين بالفعل كلَّ هذه الأشياء التي قلتها عن صداقتنا. وأنَّكِ تريديننا أن نكون أصدقاء فحسب. ولو كانت تلك رغبتك، فأنا أتفهَّم ذلك. لكنَّني أشعر أنَّ من المحتمل أنَّكِ قلت هذه الأشياء، على الأقلِّ بطريقةٍ ما، لأنَّكِ أردتني أن أقول العكس. وكأنَّني يفترض بي أن أصرَّ وأقول: إيلين، أرجوك، لا تفعلي هذا بي. كنت أحبُّك على الدوام، ولا أريد العيش دونك. أو شيئًا كهذا. أيًّا كان ما تريدينني أن أقول. ليس أنَّ هذا غير حقيقيّ، بالطبع هذا حقيقيٌّ تمامًا. وربَّما ينطبق ذلك على شعورك بالغضب ناحية أليس، وقولك إنَّها لا تهتمُّ بك. لا أعرف. ربَّما هي الفكرة نفسها. على مستوى ما، أنتِ ترغبين في أن تقول لك: ياه يا إيلين، أنا أحبُّك للغاية، وأنتِ صديقتي المقرَّبة. لكنَّ المشكلة هي أنَّكِ على ما يبدو تنجذبين للأشخاص الذين لا يقدِّمون لك تلك الإجابات. أقصد.. أيُّ شخصٍ بإمكانه أن يُخبرك.. بالتَّأكيد فيلكس وأنا نعلم.. أنَّ أليس لن تتصرَّف بهذه الطريقة أبدًا. وربَّما الأمر نفسه معي. بطريقةٍ ما. لو أخبرتني أنَّك لا تريدين أن تكوني معي. ربَّما أشعر بالإهانة والألم الشديد، لكنَّني لن أبدأ في التوسُّل والتسوُّل منك. وعلى مستوى ما، أعرف أنَّكِ تعرفين أنَّني لن أفعل ذلك. لكنَّكِ بعدها تكوِّنين انطباعًا بأنَّني لا أحبُّك، أو لا أريدك، لأنَّك لا تحصلين على ردِّ الفعل هذا منِّي. ردُّ الفعل الذي تعرفين تمامًا أنَّكِ لن تحصلي عليه، لأنَّني لست هذا الشخص الذي سيعطيك إيَّاه.

لا أعرف. لا أخترع الأعذار لنفسي، ولا لأليس، أعرف أنَّك تشعرين بأنَّني ألتمس الأعذار لها دائمًا، وأظنُّ أنَّني حين أفعل ذلك، فأنا ألتمس الأعذار لنفسي أنا أيضًا، بصراحةٍ شديدة. لأنَّني أرى نفسي فيها، وأشعر بالسُّوء لها. أراها وهي تدفعك بعيدًا، رغم أنَّها لا تريد ذلك، وأعرف أنَّ ذلك يؤلمها. وأعرف شعورها ذلك. افهميني، لو أنَّك تقصدين تمامًا ما قلته عن رغبتك في أن نكون أصدقاء فحسب، فأنا فعلًا أفهم ذلك. لست شخصًا يسهل على المرء أن يكون معه، أعرف ذلك. لكن لو أنَّك ترين أنَّ هناك أيَّ احتمالٍ أنَّني سأجعلك سعيدة، فإنَّني راغب في أن تسمحي لي بمحاولة فعل ذلك. لأنَّ هذا هو الشيء الوحيد الذي أرغب في فعله في حياتي».

وضعت ذراعها حول رقبته حينها، واستدارت إليه حيث جلسا على طرف السرير، ثمَّ ضغطت بوجهها على رقبته، وهمست بشيءٍ استطاع وحده أن يسمعه.

عندما وصلت أليس إلى أسفل السُّلَّم بعد بضع دقائق، خرجت إيلين إلى البسطة. على الضوء الهادئ من مصباح الطرقة، رأتا بعضهما وتوقَّفتا. إيلين في أعلى السُّلَّم تنظر إلى الأسفل، وأليس تنظر إلى الأعلى، على الوجهيْن ملامح القلق والحزن والتوتُّر، كأنَّ إحداهما مرآةٌ خافتةٌ للأخرى. معلَّقةٌ في مكانها، شاحبة، وثابتة والثواني تمرُّ عليها. ثمَّ سارا إلى بعضهما، التقتا في منتصف السُّلَّم، ثمَّ تعانقتا، كلُّ واحدةٍ تُمسك الأخرى بقوَّة، يد كلِّ واحدةٍ تضمُّ جسد الأخرى بشدَّة، أليس تقول: «أنا آسفة، أنا آسفة». وتردُّ عليها إيلين: «لا تعتذري. أنا آسفة. لا أعرف لماذا تشاجرنا أصلًا». ضحكتا عندها، بصوتٍ متعاقبٍ مخنوق، ومسحت كلُّ واحدةٍ منهما وجهها بيدها وهي تقول: «لا أعرف لماذا تشاجرنا أصلًا. أنا

آسفة». جلستا على السُّلَّم، في حالةٍ من الإرهاق. أليس على سلْمةٍ تحت السلَّمة التي تجلس عليها إيلين، وظهرهما إلى الجدار.

قالت إيلين: «هل تذكرين في الجامعة حين تشاجرنا وكتبتِ لي رسالةً قاسية، على ورق إعادة التعبئة؟ لا أذكر محتواها، لكنَّني أعرف أنَّها لم تكن لطيفة». ضحكت أليس ضحكةً مخنوقةً ضعيفة، مرَّةً أخرى وردَّت: «كنتِ صديقتي الوحيدة. أنتِ لديْك أصدقاء آخرون، لكنَّني لم أمتلك إلَّاك». أمسكت إيلين يدها، وشبكت أصابعهما. ولبعض الوقت، جلستا على السلَّم، من دون حديث، باستثناء كلامٍ شاردٍ عن أشياء حدثت قبل وقتٍ طويل. جدالاتٌ سخيفةٌ خاضتاها، معارف مشتركة، أشياء ضحكتا عليها معًا. محادثاتٌ قديمة، كرَّرتاها أكثر من مرَّة. ثمَّ خيَّم الصمت عليهما لبعض الوقت. قالت إيلين: «أرغب في أن يكون كلُّ شيءٍ كما كان في السابق. وأن نعود صغيرتيْن مرَّةً أخرى، وأن نعيش بالقرب من بعضنا. ألَّا يتغيَّر شيء». ابتسمت أليس بحزن. سألت: «لكن لو أنَّ الأمور تغيَّرت بالفعل، ألا يمكننا البقاء صديقتيْن؟». وضعت إيلين يدها حول كتف أليس. قالت: «لو لم تكوني صديقتي، لما عرفت من أكون». أراحت أليس وجهها على ذراع إيلين، وأغلقت عينيْها. وافقت: «نعم. لم أكن لأعرف من أنا أيضًا. وفي الحقيقة، لم أعرف من أنا لفترةٍ من الوقت». نظرت إيلين إلى رأس أليس الأشقر الصغير، المستند على كمِّ ثوبها. وقالت: «ولا أنا». الثانية صباحًا والنصف. الشفق الفلكيُّ في الخارج. الهلال يتدلَّى فوق الماء المعتم. يعود المدُّ ليرتفع بطريقةٍ متكرِّرةٍ خافتةٍ فوق الرمال. مكانٌ آخر، وقتٌ آخر.

-29-

مرحبًا.. مرفقًا في الرسالة مسوَّدة المقال ومعها بعض الملاحظات في النهاية. المقال لطيفٌ جدًّا على حاله الآن، لكنَّني أقترح عليك التَّفكير في تبديل القسميْن في الوسط، بحيث يأتي جزء السيرة الثانية لاحقًا. ألقي نظرةً وانظري ماذا ترين. هل سبق لجي بي أبدًا أن ردَّ عليك بملاحظاته؟ أشكُّ في أنَّه سيكون أكثر فائدةً منِّي!

في الآونة الأخيرة، فقدت بالكامل أيَّ إحساسٍ بترتيب الوقت، لدرجة أنَّني كنت أفكِّر وأنا مستلقيةٌ على السرير بالأمس: لا بدَّ أنَّ عامًا قد انقضى تقريبًا منذ جاء سايمون وإيلين إلى هنا للمرَّة الأولى. وبالتدريج فحسب.. بالتزامن مع إدراكي لكوني مستلقيةً وعليَّ لحافٌ كبيرٌ دافئ لا بطانيَّة صيفٍ خفيفة، تذكَّرت أنَّنا الآن في شهر ديسمبر تقريبًا، مرَّ ثمانية عشر شهرًا على زيارة الصيف الماضي. ثمانية عشر شهرًا!! هل هذا ما سيكون عليه الحال لباقي حياتنا؟ الوقت ذائبٌ في ضبابٍ غامقٍ كثيف،

الأشياء التي حدثت الأسبوع الماضي تبدو وكأنَّها من سنين مضت، والتي حدثت العام الماضي تبدو وكأنَّها الأمس. أتمنَّى لو أنَّ كلَّ هذا هو أحد الأثار الجانبيَّة لإجراءات الإغلاق، لا نتيجةً طبيعيَّةً للتقدُّم في العمر. وبالحديث عن ذلك: كلُّ سنةٍ وأنت طيِّبةٌ متأخِّرة. أرسلت لك هديَّةً بالفعل عبر البريد، لكنَّني لا أعرف متى ستصل، ولا إذا كانت ستصل من الأساس...

لا أخبار جديدةً من ناحيتنا. فيلكس بخيرٍ بأفضل حال، نظرًا للظروف الحاليَّة. ولا يزال يمرُّ بنوبات حزن، من وقتٍ لآخر، بسبب الجائحة، ولا يزال يلمِّح بتعاسةٍ أنَّه لن يكون مسؤولًا عن أفعاله إذا استمرَّ هذا الوضع أكثر من ذلك. لكنَّه في العادة ما يرجع إلى مزاجه الجيِّد بعد ذلك. في الوقت نفسه، فهو يتولَّى مهمَّة تسوُّق البقالة لعددٍ من كبار السنّ في القرية، ما يسمح له بالكثير من الفرص التي يتذمَّر فيها من كبار السنّ، كما أنَّه يقضي وقتًا طويلًا في الحديقة المشتركة، ويصنع السماد، ويتذمَّر من صنع السماد، وهكذا. بالنِّسبة إليّ، فالفرق بين الإغلاق وبين الحياة الطبيعيَّة ضئيل (وهو ما يسبِّب الإحباط؟). لم يطرأ أيُّ تغييرٍ على ثمانين أو تسعين بالمئة من يومي على كلِّ حال. أعمل من المنزل، أقرأ، أتفادى المناسبات الاجتماعيَّة. لكن اتَّضح لي أنَّ القدر الضئيل من التواصل الاجتماعيِّ يختلف تمامًا عن انعدام أيِّ صورةٍ منه. أقصد أنَّ حفل عشاءٍ واحدًا كلَّ أسبوعيْن يختلف بصورةٍ قاطعةٍ عن غياب أيِّ حفلٍ من أيِّ نوع. وبالتَّأكيد لا أزال أفتقدك بشدَّة، وصاحبك أيضًا. رؤيته في الأخبار الليلة الماضيَّة كانت أهمَّ ما حدث في حياتنا مؤخَّرًا بالمناسبة. وفيلكس مقتنعٌ تمامًا أنَّ الكلبة تذكَّرته، لأنَّها نبحت على الشاشة، لكن بيني وبينك، هي تنبح على الشاشة طيلة الوقت.

لا أعرف لو أنَّك تابعت أيًّا من هذا، لكن من قرابة شهر، كنت أجري مقابلةً عبر الايميل، وسألني الصحفيُّ عن رأي شريكي في كتبي. من دون تفكيرٍ، ردَّدت عليه بأنَّه لم يقرأ أيَّ عملٍ منها على الإطلاق. لذا فقد أصبح هذا عنوان المقابلة بطبيعة الحال: «أليس كيلر: صاحبي لم يقرأ أيَّ عملٍ كتبته». وبعد ذلك، رأى فيلكس تغريدةً رائجةً تقول شيئًا من قبيل: «كم هذا مؤسف.. إنَّها تستحقُّ ما هو أفضل». وفي إحدى الأمسيات، أراني التغريدة على شاشة هاتفه المحمول من دون أن يقول شيئًا. وعندما سألته عن رأيه في هذا، هزَّ كتفيْه فحسب. في البداية، فكَّرت كيف أنَّ هذا كلَّه مثالٌ ممتازٌ على ثقافة الكتب الضحلة المعتمدة على الرضا عن الذات، والتي يوصم فيها الأشخاص الذين لا يقرؤون، ويُنظر إليهم على أنَّهم أدنى في المنزلة الأخلاقيَّة، وكلَّما قرأ شخصٌ ما عددًا أكبر من الكتب، أصبح أفضل من غيره. لكنَّني فكَّرت بعدها: لا، ما أمامنا هنا فعلًا هو مثالٌ على شخص، يفترض أنَّه طبيعيٌّ وعاقل، تشوَّش تفكيره بسبب مفهوم الشهرة. مثالٌ على شخصٍ يؤمن بصدقٍ أنَّه لمجرَّد رؤيته لصورتي، وقراءته لرواياتي، فقد أصبح يعرفني بصورةٍ شخصيَّة، بل ويعرف مصلحتي أكثر منِّي. بل وأنَّ هذا طبيعيّ! لا أن يفكِّر هذه الأفكار الغريبة مع نفسه، بل وأن يعبِّر عنها علنًا، وأن يتلقَّى عليها ردود فعلٍ إيجابيَّةً واهتمامًا من الناس كنتيجةٍ لما يقول. وهو لا يملك أدنى فكرةٍ عن كونه مجنونًا بالمعنى المباشر للكلمة، لأنَّ كلَّ الناس حوله مجانين أيضًا، مثله تمامًا. وهم لا يملكون أدنى قدرةٍ على التمييز بين شخصٍ سمعوا عنه، وشخصٍ عرفوه على المستوى الشخصيّ. بل يعتقدون أنَّ المشاعر التي يطوِّرونها تجاه هذا الشخص الذي يتخيَّلون أنَّه أنا، سواءً أكانت مشاعر الحميميَّة أو الاستياء أو الكراهية أو الشفقة،

هي مشاعر حقيقيَّةٌ مثل مشاعرهم تجاه أصدقائهم. يجعلني هذا أتساءل عمَّا إذا كانت ثقافة المشاهير قد انتشرت كما لو كانت ورمًا سرطانيًا من نوعٍ ما، لتملأ الفراغ الذي تركته الأديان وراءها. مثل ورمٍ خبيثٍ ينمو في المكان الذي كانت القداسة تحتلُّه.

على صعيدٍ آخر، ليس بجديد، تستمرُّ ملحمة صحَّتي السَّيِّئة كما هي. أشعر بالألم كلَّ يومٍ الآن، لسببٍ أو لآخر. وفي حالاتي المزاجيَّة الجيِّدة، أقول لنفسي إنَّ ما يحدث هو نتيجةٌ طبيعيَّةٌ لكلِّ الضغط العصبيّ والإرهاق المتراكم على مدار السنوات الماضية، وأنَّ الأمر سيختفي من تلقاء نفسه، مع الوقت والصبر. أمَّا في حالاتي الأسوأ، فإنَّني أفكِّر: هذا هو كلُّ شيء. هذه حياتي. أقرأ مؤخَّرًا عن مفهوم «الضغط العصبيّ» في الأدبيَّات الطبِّيَّة. ويبدو أنَّ الجميع متَّفقون على أنَّه ضارٌّ للصحَّة مثل التدخين، وأنَّه بعد نقطةٍ معيَّنة، يصبح من حكم المؤكَّد الإصابة بمتاعب صحِّيَّةٍ شديدة الخطورة. ورغم ذلك، فإنَّ العلاج الوحيد المُوصى به للضغط العصبيّ هو ألَّا يُعرِّض الإنسان نفسه للضغط العصبيّ. لا يشبه الأمر ما يحدث مع اضطراب القلق أو الاكتئاب، حيث بإمكانك الذهاب إلى الطبيب، وتلقِّي العلاج، والأمل في أن تتحسَّن الأعراض بصورةٍ ما بعض الشيء. بل يشبه الأمر أخذ أدويَّةٍ غير قانونيَّة: لا يفترض بك أن تفعل ذلك، لا أكثر. ولو أنَّك تفعل، فحاول أن تُقلِّل من الكمِّيَّات. وبالتالي، فلا يوجد أيُّ دواءٍ متاحٌ لعلاج هذه المشكلة، ولا نظامٍ علاجيٍّ يدعمه أيُّ دليلٍ حقيقيّ. لا تتعرَّض للضغوط فحسب!! هذا خطيرٌ للغاية، لو فعلت ستمرض!! على كلِّ حال. ومن زاوية مسبِّبات المرض، فإنَّني أشعر وكأنَّني محبوسةٌ في غرفةٍ مليئةٍ بالدخان، على مدار السنين العديدة الماضيَّة، فيها آلاف الأشخاص الذين يصرخون في وجهي ليلًا ونهارًا،

لسببٍ غير مفهوم، ولا أعرف متى سينتهي كلُّ هذا، أو إلى متى سأنتظر حتَّى أشعر بالتحسُّن بعد ذلك، وهل سيحدث ذلك أصلًا. أعرف من ناحيةٍ أنَّ الجسم البشريَّ مرنٌ لدرجةٍ مذهلة، ومن ناحيةٍ أخرى، فأسلافي من الفلَّاحين الأشدَّاء لم يجهِّزوني لحياةٍ مهنيَّةٍ أعيشها: روائيَّةٌ مشهورة، ومكروهةٌ على نطاقٍ واسع. ما رأيكِ في ذلك؟ عودةٌ تدريجيَّةٌ إلى حالة صحَّةٍ بدنيَّةٍ تتراوح بين المقبول إلى المتوسِّط؟ أم القبول تدريجيًّا بسوء الصحَّة المزمن، لعلَّ ذلكِ يوفِّر لي فرصةً جديدةً للنموِّ الروحيّ؟

وبالحديث عن ذلك: عندما رآني فيلكس وأنا أكتب لك هذا الإيميل، قال لي: عليك أن تخبريها بأنَّكِ كاثوليكيَّةٌ الآن. والسبب هو أنَّه سألني من فترةٍ عمَّا إذا كنت أؤمن باللَّـه. وكان ردِّي أنَّني لا أعرف. فانصرف طيلة اليوم هازًّا رأسه بعد ذلك، ثمَّ أخبرني أنَّني لا يجب أن أتوقَّع زيارته إذا قرَّرتُ الانضمام إلى دير. غنيٌّ عن القول إنَّني لن أنضمَّ إلى أيِّ دير، وإنَّني لست كاثوليكيَّةً حتَّى، حسب معرفتي. أنا أشعر فحسب، سواءٌ أكان ذلك عن خطأ أو صواب، أنَّ هناك شيئًا ما يغلِّف كلَّ شيء. عندما يقتل شخصٌ ما شخصًا آخر أو يؤذيه، يكون هناك «شيءُ ما»، أليس كذلك؟ لا مجرَّد ذرَّاتٍ تطير في الأنحاء بتشكيلاتٍ مختلفةٍ عبر الفضاء الخالي. لا أعرف كيف أشرح لك ذلك فعلًا. لكنَّني أشعر أنَّ هناك معنى ما.. في الامتناع عن إيذاء بشرٍ آخرين، حتَّى لو كان إيذاؤهم في مصلحة الشخص. فيلكس طبعًا يوافق على هذا الشعور بدرجةٍ من التحفُّظ، لكنَّه يوضح (بشكلٍ منطقيٍّ تمامًا) أنَّ المرء لا يرى الناس الذين لا يؤمنون باللَّـه وهو يجوبون الأنحاء ويقتلون البشر الآخرين. ولكنَّني على نحوٍ متزايد، بدأت أرى أنَّ السَّبب في ذلك، بطريقةٍ أو أخرى، هو أنَّهم يؤمنون باللَّـه بالفعل، يؤمنون بالإله الذي يمثِّل

المبدأ العميق الخفيّ للخير والمحبّة التي تغلّف كلّ شيء. خيرٌ صافٍ من دون انتظار عائد، بغضّ النظر طبعًا عن رغباتنا، بغضّ النظر عمّا إذا كان هناك من ينظر إلينا أو سيفعل في المستقبل. قال فيلكس عندها: «حسنًا، لو أنَّ هذا هو اللّـه، فهي مجرّد كلمة، لا تعني شيئًا. وبالطبع فهي لا تعني الجنَّة والملائكة وقيامة المسيح. لكن ربَّما بإمكان هذه الأشياء أن تساعدنا بطريقةٍ ما على التواصل مع ما تعنيه الكلمة. إنَّ معظم محاولاتنا على مدار تاريخ البشريَّة لوصف الفرق بين الصواب والخطأ كانت محاولاتٍ متهالكةً وعنيفةً وغير عادلة، لكن لا يزال الفرق قائمًا، بصورةٍ تتجاوز أنفسنا، وتتجاوز خصوصيَّة كلِّ ثقافة، وتتجاوز كلَّ إنسانٍ عاش أو مات. ونحن نقضي حياتنا في محاولةٍ لمعرفة هذا الفرق والعيش على أساسه، في محاولةٍ لحبِّ الآخرين بدلًا من كرههم، ولا يوجد على الأرض أيُّ معنى بخلاف ذلك».

كان الكتاب يسير على قدمٍ وساق، لكن الآن تباطأت الأمور لدرجة القطرات المتقطِّعة. بطبيعة الحال. منعني مزاجي المتفائل من قراءة أيِّ شيءٍ ينذر بالسُّوء في هذه الظروف التي نعيشها. هاهاها! لكن بجدِّيَّةٍ هذه المرَّة، أحاول ألَّا أسمح لنفسي هذه المرَّة بالسقوط في هذا الفراغ من جديد. القلق من أنَّ عقلي قد توقَّف عن العمل، وأنَّني لن أكتب روايةً جديدةً أبدًا. يومًا ما سأكون بخير، وعندها لا أظنُّني سأكون سعيدةً بما أمضيته من وقتٍ في القلق الاستباقيِّ هذا. أعرف أنَّني محظوظةٌ في كثيرٍ من المساحات. وعندما أنسى ذلك، أذكِّر نفسي فحسب بحقيقة أنَّ فيلكس على قيد الحياة، وأنتِ كذلك، وسايمون، وعندها أشعر بسعادةٍ غامرةٍ لا حدود لها، بل ومرعبةٍ بعض الشيء. أدعو بألَّا يحدث أيُّ شيءٍ سيِّئٍ لأيِّ واحدٍ منكم. والآن اكتبي لي وأخبريني كيف حالك.

-30-

أليس.. شكرًا جزيلًا لكِ على الملاحظات، وعلى هديَّة عيد الميلاد، التي وصلت في الوقت المناسب، وعلى كرمكِ البالغ! كما أنَّني آسفةٌ على ذلك التأخير القصير. أعرف أنَّكِ ستسامحينني، لأنَّني أكتب ومعي أخبارٌ مهمَّةٌ وسرِّيَّة. سرِّيَّةٌ حتَّى الآن بطبيعة الحال، لأنَّه يصعب كما ستعرفين حالًا إخفاؤها إلى الأبد. الخبر هو: أنا حامل. تأكَّدتُ من ذلك قبل بضعة أيَّام، عن طريق قصِّ كيس اختبار الحمل بالمقصِّ في المطبخ، ثمَّ إخراجه من الكيس، والتبوُّل عليه في الحمَّام قبل أن يعود سايمون من جلسة استماعٍ توجَّب عليه حضورها في العمل. عندما أصبح الاختبار إيجابيًّا، جلست على كرسيِّ المطبخ وبدأت البكاء. لا أعرف السَّبب فعلًا. لا يمكنني القول إنَّني صدمت من ذلك، لأنَّ الطبيب أوقف الأقراص قبل شهور، وتأخَّرت دورتي الشهريَّة لثلاثة أسابيع. لن أضجرك، ولا أحرجك كذلك، بالحديث عن تفاصيل دقيقةٍ بخصوص الطريقة التي حملت بها، فأنا واثقةٌ أنَّكِ في هذه المرحلة من

صداقتنا لن تندهشي من أيِّ سلوكٍ غير مسؤولٍ من ناحيتي، لكن يكفينا القول إنَّ سايمون إنسان. على كلِّ حال، لم أكن أعرف متى سيعود إلى المنزل بعد الجلسة، ظننتُ بعد ساعةٍ أو ساعتيْن، أو ربَّما متأخِّرًا للغاية، وسأجلس هنا طيلة المساء وحدي. وأثناء تفكيري في كلِّ هذا، سمعت صوت مفاتيحه في الباب. دخل إلى المنزل، ورآني جالسةً إلى الطاولة، من دون أن أفعل شيئًا، وطلبت منه الجلوس معي. وقف في مكانه ينظر إليَّ لما بدا أنَّه وقتٌ طويل، وبعدها من دون كلامٍ اقترب وجلس. وحتَّى قبل أن أقول له أيَّ شيء، عرفت أنَّه عرف. قلت له إنَّني حامل، وسألني عمَّا أريد فعله. وبقدر ما يبدو هذا غريبًا، فإنَّني لم أكن قد فكَّرت في الأمر حتَّى سألني. لكن لم تكن قد مرَّت إلَّا بضع دقائق، حقًّا، وكلُّ ما فكَّرت فيه في هذا الوقت هو أين هو الآن، لا يزال في العمل أم في طريق العودة، هل توقَّف عند الصيدليَّة أو السوبرماركت، وما هو الوقت الذي سيستغرقه للعودة إلى المنزل. عندما سألني، لم أجد صعوبةً في الإجابة، لم أشعر بحاجةٍ للتفكير في الأمر. أخبرته أنَّني أريد أن أنجب الطفل. بكى وقال لي إنَّه سعيدٌ للغاية. صدَّقته لأنَّني كنت سعيدةً للغاية بدوري أيضًا.

أليس، هل هذه أسوأ فكرةٍ في العالم؟ بمعنى ما، ربَّما تكون الإجابة بنعم. لو سار حملي على ما يرام، فسيولد الطفل غالبًا في بدايات شهر يوليو من العام القادم، وبالنظر إلى الظروف الحاليَّة، ربَّما ستستمرّ حالة الإغلاق حتَّى وقتها، وسأضطرُّ للولادة وحيدةً في عنبر مستشفى أثناء جائحةٍ عالميَّة. وبصراحةٍ، حتَّى لو تجاهلنا هذا الشاغل الأكثر إلحاحًا، فلا أنا ولا أنت نملك أدنى ثقةٍ في أنَّ الحضارة الإنسانيَّة ستستمرُّ بما يتجاوز أعمارنا. لكن حتَّى مع ذلك، فلا أهمِّيَّة لما أفعله أنا، فمئات

الآلاف من الأطفال سيولدون في اليوم نفسه مثل طفلي الافتراضيّ. ومستقبلهم بالتّأكيد يوازي أهمّيّة مستقبل طفلي الافتراضيّ، والذي يتميَّز فقط بعلاقته بي، وبالرجل الذي أحبّ. أحسب أنَّ ما أقصده هو أنَّ الأطفال سيأتون بمعزلٍ عن أيِّ شيء، وفي المخطَّط الكبير للأشياء، لن يهمَّ كثيرًا ما إذا كان أحدهم طفلي أو طفله. علينا أن نحاول، في كلتا الحالتيْن، أن نبني عالمًا يستطيعون العيش فيه. وبصورةٍ ما غريبة، أشعر بالرَّغبة في أن أكون في صفّ الأطفال، في صفّ أمَّهاتهم، أن أكون معهم، لا بوصفي مراقبة، أبدي إعجابي بهم عن مسافة، وأخمّن ما هي أفضل مصالحهم، بل أن أكون واحدةً منهنّ. أنا لا أقول، بالمناسبة، إنَّني أعتقد بأنَّ هذا الأمر مهمٌّ للجميع. فما أراه فعلًا، ولا أستطيع تفسير ذلك، هو أنَّه مهمٌّ لي. وإضافةً إلى ذلك، فلا أطيق فكرة أن أجري عمليَّة إجهاضٍ لأنَّني خائفةٌ من تبعات التغيُّر المناخيّ فحسب. فبالنسبة إليَّ (وربَّما بالنِّسبة إليَّ أنا فقط) سيكون هذا شيئًا معتلًّا، بل ومخبولًا، فعلٌ أشوِّه به ما أعيشه من حياةٍ حقيقيَّةٍ خضوعًا لمستقبلٍ مُتخيَّل. لا أريد الانتماء إلى حركةٍ سياسيَّةٍ تجعلني أنظر إلى جسدي بريبةٍ وخوف. بغضّ النظر عمَّا نفكّر فيه أو نخاف منه بشأن مستقبل هذه الحضارة، النساء في جميع أنحاء العالم سيستمرُّون في إنجاب الأطفال، وأنا أنتمي إليهنَّ، وأيُّ طفلٍ قد أنجبه سينتمي إلى أطفالهنّ. أعرف أنَّ ما أقوله ليس له أيُّ معنى عقلانيٍّ من أيِّ نوع. لكنَّني أشعر به، أشعر به، وأعرف أنَّ هذا صحيح.

السؤال الأخر، والذي قد يبدو بالنِّسبة إليك أكثر إلحاحًا حتَّى، أتمنَّى أن أعرف رأيك! أرجوكِ اكتبي لي بسرعةٍ وأخبريني، هو ما إذا كنتُ مستعدَّةً لتربيَّة طفلٍ في المقام الأوَّل. من ناحية، أنا في صحَّةٍ

جيِّدة، ولديَّ شريكٌ داعمٌ يحبُّني، ونحن مستقرَّان من الناحية الماليَّة، ولديَّ عائلةٌ وأصدقاء رائعون، وأنا في ثلاثينيَّات عمري. ربَّما تكون هذه الظروف هي أفضل ظروفٍ مُمكنةٍ أصلًا. ومن ناحيةٍ أخرى، فأنا وسايمون معًا منذ ثمانية عشر شهرًا فقط (!)، ونحن نعيش في شقَّةٍ لها حجرة نومٍ واحدة، ولا نملك سيَّارة، وأنا بلهاء من النوع الفاخر، انفجرت في البكاء مؤخَّرًا لأنَّني لم أستطع الإجابة عن السُّؤال الأوَّل في برنامج «تحدِّي الجامعة». هل ترين أنَّ هذا يمثِّل نموذج سلوكٍ مناسبٍ لطفل؟ في حين أمضي اليوم وأنا أحرِّك الفواصل، وبعدها أطبخ العشاء، ثمَّ أغسل الأطباق، وبعد مجموعة المهام هذه أشعر بتعبٍ شديدٍ لدرجة أنَّني قد أغرق فيزيائيًّا في الأرضيَّة، وأتَّحد مع الأرض. هل هذه عقليَّة شخصٍ يستعدُّ لإنجاب طفل؟ تحدَّثت مع سايمون في الأمر، وقال لي إنَّ الشعور بالتعب بعد العشاء أمرٌ طبيعيٌّ في ثلاثينيَّات المرء، ولا شيء يستدعي القلق بخصوص ذلك، وأنَّ «كلَّ النساء» يختبرن نوبات البكاء، ورغم أنَّني أعرف أنَّ ذلك غير حقيقيّ، فإنَّني وجدت معتقداته الأبويَّة عن النساء لطيفةً للغاية. أحيانًا أشعر أنَّه على أتمّ استعدادٍ ليكون أبًا، مسترخٍ تمامًا، ويعتمد على نفسه، ومستقرٌّ نفسيًّا، لدرجةٍ لا تهمُّ معها درجة سوئي، فسيكبر الطفل ليصبح على ما يرام في كلِّ الأحوال. إضافةً إلى أنَّه يحبُّ للغاية فكرة أن ننجب طفلًا معًا، وبإمكاني بالفعل أن أميِّز لأيِّ درجةٍ هو سعيدٌ وفخور، وكم هو متحمِّس، وكلُّ هذا يجعلني في حالة نشوة، إنَّني من يجعله سعيدًا لهذه الدرجة. يصعب عليَّ للغاية أن أصدِّق أنَّني شخصٌ سيِّئٌ فعلًا حينما أفكِّر في أنَّه يحبُّني لهذه الدرجة. وأحاول بالفعل أن أذكِّر نفسي بأنَّ الرجال قد يكونون حمقى بشأن النساء. لكن ربَّما هو على حقّ، ربَّما لست على هذه الدرجة من السُّوء، بل وربَّما أنا

شخصٌ جيِّد، وسنكوِّن عائلةً سعيدةً معًا. بعض الناس يفعلون، أليس كذلك؟ أقصد يحظون بعائلةٍ سعيدة. أعرف أنَّك لم تحظي بها، ولا أنا. لكن يا أليس أنا لا أزال سعيدةً بأنَّنا قد وُلدنا. أمَّا بالنِّسبة إلى الشقَّة، فسايمون يقول لي ألَّا أقلق بشأنها، لأنَّ بإمكاننا شراء منزلٍ في منطقةٍ أقلَّ سعرًا. وبالطبع، اقترح مرَّةً أخرى أن نفكِّر بالزواج، لو أردتُ ذلك...

هل يمكنك أن تتخيَّليني، أمًّا، وامرأةً متزوِّجة، أملك منزلًا صغيرًا له درجٌ في مكانٍ ما بشارع «ذا ليبرتيز»؟ بشخابيط على ورق الحائط ومكعَّبات ليجو على الأرض. أنا أضحك بالفعل من مجرَّد كتابة ذلك، اعترفي أنَّ ذلك لا يشبهني على الإطلاق. لكن رغم ذلك، فعلى مدار العام الماضي، لم أستطع تخيُّل نفسي صاحبة سايمون. لا أقصد فقط أنَّه كان من الصعب عليَّ تخيُّل ما ستقوله عائلاتنا، أو ما سيظنُّه أصدقاؤنا. أقصد أنَّني لم أستطع تخيُّل أنَّنا سنكون سعداء معًا. ظننت أنَّ ذلك سيكون مثل أيِّ شيءٍ آخر في حياتي، صعبًا وحزينًا، لأنَّني شخصٌ صعبٌ وحزين. لكنَّني لم أعد كذلك على الإطلاق، إن كنت كذلك من الأصل. وبإمكان الحياة أن تتغيَّر أكثر ممَّا ظننت. أعني أنَّ بإمكان الحياة أن تكون مزريَّةً لفترةٍ طويلة، ثمَّ تصبح سعيدةً بعد ذلك. ليس الأمر هذا أو ذاك. وهي لا تستقرُّ في مساحةٍ واحدةٍ يُطلق عليها «الشخصيَّة»، ثمَّ يبقى الأمر على ما هو عليه إلى النهاية. لكنَّني كنت أؤمن لفترةٍ طويلةٍ أنَّ هذا هو حال الدنيا بالفعل. في كلِّ مساءٍ الآن، حينما ننتهي من أعمالنا، يشغِّل سايمون الأخبار، بينما أطهو طعام العشاء، أو أشغِّل أنا الأخبار بينما يطهو هو العشاء، ونتحدَّث عن أحدث إرشادات الصحَّة العامَّة، وما الذي تقوله التقارير على لسان مجلس الوزراء، وما الذي سمعه سايمون على انفرادٍ منهم في مجلس الوزراء، ثمَّ نتناول الطعام، ونغسل الصحون،

وبعدها أقرأ له فصلًا من «ديفيد كوبرفيلد» ونحن مستلقيان على الكنبة، وبعدها نشاهد عددًا من عروض الأفلام الدعائيّة على مختلف منصّات العرض لمدّة ساعة، حتّى ينعس أحدنا أو كلانا، ثمّ نذهب إلى السرير. وفي الصباح، أستيقظ وأنا أكاد أشعر بالألم من فرط السعادة. أن أعيش مع شخصٍ أحبُّه وأحترمه لهذه الدَّرجة، ويحبُّني ويحترمني، كم غيَّر هذا من حياتي! بالطبع كلُّ شيءٍ في حالةٍ فظيعةٍ هذه الأيَّام، وأنا أفتقدك بشكلٍ رهيب، وأفتقد عائلتي، وأفتقد الحفلات، وحفلات إطلاق الكتب، والذهاب إلى السينما. لكن كلُّ هذا يعني أنَّني أحبُّ حياتي، وأنَّني متحمّسةٌ لاستعادتها مرّةً أخرى، متحمّسةٌ لأشعر أنَّها ستستمرّ، وأنَّ هناك أشياء جديدةً ستستمرُّ في الحدوث، وأنَّ شيئًا لم ينته بعد.

أتمنَّى لو أعرف ما رأيك في كلّ هذا. وما زلت لا أملك أدنى فكرةٍ عن كيف سيكون الأمر، كيف سأشعر، وكيف ستمضي الأيَّام، ما إذا كانت رغبة الكتابة ستبقى عندي، أو ما إذا كنت سأقدر على ذلك، ما الذي سيحدث في حياتي. أظنُّ أنَّ ما أشعر به هو أنَّ إنجابَ طفلٍ هو ببساطةٍ أكثر شيءٍ عاديٍّ يمكن لي أن أتخيَّله من بين كلّ الأشياء في العالم. وأنا أرغب في ذلك، أن أثبِت أنَّ أكثر الأشياء عاديَّةً بالنّسبة إلى البشر ليس العنف ولا الجشع بل الحبُّ والرعاية. أتساءل: أثبت ذلك لمن؟ لنفسي، ربَّما. على كلِّ حال: لا أحد غيرك يعرف، ولن نخبر أحدًا لعدَّة شهور، باستثنائك أنت وفيلكس. بإمكانك إخباره إذا أردت بالطبع، أو فليفعل سايمون ذلك على الهاتف. أعرف أنَّ هذه ليست الحياة التي تخيَّلتها لي يا أليس، أن أشتري منزلًا وأنجب طفلًا مع الولد الذي نشأت معه. ليست هذه هي الحياة التي تخيَّلتها لنفسي أيضًا. لكنَّها الحياة التي أملكها. الحياة الوحيدة. وأنا أكتب هذه الرسالة لك وأنا في غاية السعادة. كلُّ الحبّ.

شكر وعرفان

عنوان هذا الكتاب هو ترجمة حرفيَّة لعبارة من قصيدةٍ لفريدريك شيلر (Die Götter Griechenlandes) أو «آلهة اليونان»، التي نُشرت للمرَّة الأولى في عام 1788. في الأصل الألمانيّ، تقول الجملة «Schöne Welt, wo bist du?». وضع فرانز شوبرت مقطعًا من هذه القصيدة في صورةٍ موسيقيَّةٍ عام 1819.

عبارة أيُّها العالم الجميل، أين أنت؟ كانت كذلك عنوان بينالي ليفربول عام 2018، الذي زرته أثناء مهرجان ليفربول الأدبيّ، في أكتوبر من العام نفسه.

أودُّ أن أعرب عن شكري لبعض ما تلقيته من دعم أثناء عملي على هذا الكتاب. بالأساس، أريد أن أشكر زوجي، الذي جعلني قادرةً على العيش والعمل كما فعلت. جون، لا تستطيع الكلمات أن تعبِّر عن السعادة والحب التي جلبتها معك إلى حياتي. كما أريد شكر أصدقائي أويف كومي وكايت أوليفر: أنا ممتنَّةٌ لكلّ يومٍ من صداقتنا، وليس بإمكاني أن أوفيكم حقّكم من الشكر.

أدين بكثيرٍ من الامتنان إلى جون باتريك ماك هيو، الذي ساعدتني ملاحظاته الرائعة مبكرًا في العثور على مسارٍ جديدٍ لهذا الكتاب. وبصورةٍ مماثلة، أدين بالكثير لمحرّرتي ميتزي أنجل، التي ساعدتني منذ اللحظة الأولى على رؤية الجوانب الجيّدة في الرواية، وكيف يمكن أن تصبح أفضل. أريد كذلك أن أشكر أليكس بولر، على ملاحظاته العميقة والتفصيليّة. وأتقدَّم بالشكر أيضًا، على المستوى المهنيّ والشخصيّ، إلى توماس موريس، وإلى وكيلتي وصديقتي العزيزة ترايسي بوهان. كثيرٌ من النقاشات، التي دارت كذلك مع الأشخاص السابق ذكرهم، ساعدتني على حلّ مشاكل الكتاب، وفي بعض الحالات كانت عونًا في الإجابة عن أسئلتي سواء العمليّة أو تلك المرتبطة بالحقائق، في هذا السياق أريد أن أشكر كذلك: شيلا، وإيميلي، زادي، وسونيفا، ووليام، وكايتي، وماري.

أمضيت وقتًا رائعًا في العمل على هذه الرواية في سانتا مادالينا بتوسكاني. وأريد أن أشكر بياتريس مونتي ديلا كورتي فون ريزوري، ومؤسّسة سانتا مادالينا على دعوتهم الكريمة للمشاركة في برنامج الإقامة هناك. كما أشكر راسيكا وشين ونيكو وكيت وفريدريك، على هذه الأسابيع الرائعة.

أنا ممتنَّةٌ للغاية للدعم الذي تلقَّيته من مركز كولمان في مكتبة نيويورك العامة، التي كنت زميلةً فيها في الفترة بين 2019 إلى 2020، ليس لطاقم العمل الرائع هناك فحسب، بل ولزملائي هناك، وبالأخصّ كين شين، وجاستن إي.

مقالة جوزفين كوين، عن انهيار العصر البرونزيّ، والمنشورة عام 2016 في لندن ريفيو أوف بوكس، تحت عنوان «سفنك هي التي فعلت ذلك!» Your Own Ships Did This!، ساعدت إيلين على تطوير رؤيةٍ عميقةٍ لأفكارها في الفصل السادس عشر. (وأي خطأ هو من إيلين، ومنّي).

وأخيرًا، إلى كلّ الأشخاص الذين عملوا في طباعة وتوزيع هذا الكتاب.. أشكركم من كلّ قلبي.



تصميم الغلاف: نجاح طاهر

تلتقي الروائيَّة أليس، بفيلكس، الذي يعمل في أحد المستودعات، وتسأله إذا كان يرغب في السفر معها إلى روما. وفي دبلن، تحاول إيلين، صديقتها المقرَّبة، أن تتخطَّى آلام الانفصال عن صاحبها، فتعاود التقارب بسايمون، الرجل الذي تعرفه منذ طفولتها.

أليكس، فيلكس، إيلين، سايمون. شبابٌ في مقتبل أعمارهم، تُربكهم الحياة بكلِّ الطرق الممكنة، يرغبون في بعضهم، ويخادعون بعضهم بعضًا، ويدخلون في علاقاتٍ ليخرجوا منها، ثم يقلقون بشأن ما فعلوه. يشعرون بالخوف على صداقاتهم ومن العالم الذي يعيشون فيه. هل يشهدون آخر شعلة نورٍ لهذه الحضارة قبل أن تنهار؟ هل سيجدون طريقةً للإيمان بأنَّ عالمًا جميلًا هناك؟

سالي روني: روائيّةٌ وناشطةٌ إيرلنديَّة شابَّة. حازتْ على جوائز أدبيَّةٍ عديدةٍ، وتُعتبر عالميًّا المؤلِّفة الأكثر عصريَّةً.







Diwan

دار الآداب